

ليف تولستوي

اليوميات

الجزء الرابع

١٨٩٦ - ١٩٠٣

- ♦ المؤلف: ليف تولستوي
- ♦ العنوان: اليوميات - الجزء الرابع
- ♦ ترجمة: يوسف نبيل
- ♦ الطبعة: الأولى 2020
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن بشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٠ / ١٠٣٤٠

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 271 - 1

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ١١١١٦٠٢٧٨٧

ليف تولستوي
اليوميات

ترجمة
يوسف نبيل

الجزء الرابع
١٨٩٦ - ١٩٠٣

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

تولستوي، ليف.

ليف تولستوي : اليوميات - الجزء الرابع - ترجمة: يوسف نبيل

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2020

520 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 10340 / 2020

الترقيم الدولي 1 - 271 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء

2 - تولستوي، ليف

٢٣ يناير - موسكو.

لم أدوّن شيئاً منذ شهر تحديداً. كتبت خلال هذه الفترة خطاباً عن الوطنية^(١) وآخر لكروسي^(٢)، بالإضافة إلى عملي على المسرحية^(٣) الذي بدأ منذ أسبوعين تقريباً. كتبت ثلاثة فصول شديدة السوء. أفكر في كتابة مسودة لها حتى تكتسب إطاراً واضحاً. لا يراودني أمل كبير في النجاح فيها. رحل آل تشيرتكوف وكينورثي في السابع من الشهر، كما رحلت صوفيا إلى مدينة تفير لرؤية أندريوشا. مات ناجورنوف. صحتي ليست بخير مجدداً. في هذه الفترة دوّنت الآتي:

١- لا يظهر العمل الفني الحقيقي -الذي يبعث عدواه في الآخرين- إلا عندما يبحث الفنان عن هدف ويسعى صوبه بقوة. يعود مبعث رغبة الشّعر الشديدة في تصوير كل ما هو موجود إلى أن الفنان بعد أن يرى بوضوح ما هو موجود ويدركه، يأمل في فهم المغزى منه.

(١) الوطنية أم السلام؟

(٢) إرنست كروسي: كاتب ومصلح أمريكي.

(٣) الضوء يسطع في الظلام.

٢- ثمة انحرافان في كل نوع من أنواع الفنون: الابتذال- الزيف، والطريق المار بينهما ضيق للغاية. يتحدد هذا المسار الضيق بحركة التدفق. يمكن النجاة من المخاطر بفعل هذا التدفق والحفاظ على الاتجاه الصحيح. الزيف أفضع من الابتذال.

٣- من المستحيل أن نجبر العقل على تحليل وتبيين ما لا يريده القلب.

٤- أمر سيئ أن يريد العقل إضفاء سمة الفضيلة على مساعٍ أنانية. جاء كودينيكو^(٤). إنه إنسان رائع. أقسم سولر يمين الولاء وهو يخدم في الجيش الآن. وصلني خطاب من ماكوفيتسكي مرفق به مقالة عن الناصريين^(٥).

٢٥ يناير.

الحدث الرئيس في اليومين الأخيرين كان موت ناجورنوف. يبدو الموت حدثاً جديداً ومهماً دائماً. يصورون الموت على خشبة المسرح، ولكن هل تراه يترك فينا ٠, ٠١, من الأثر الذي يتركه فينا اقتراب الموت منا حقاً؟

أواصل كتابة المسرحية. أنهيت الفصل الرابع. يبدو شيئاً مثل بقية الفصول.

(٤) فلاح رفض أداء قسم الولاء للقيصر الجديد، وتعرض لاضطهادات متنوعة بسبب ذلك.

(٥) ماكوفيتسكي: طبيب مجري، وكان طبيب تولستوي الخاص. عاش في ياسنايا من ١٩٠٤-١٩١٠، واصطحب تولستوي في رحلة هروبه الأخيرة وسجل العديد من الحوارات معه، أما طائفة الناصريين فهي إحدى الطوائف المسيحية التي رفضت أداء الخدمة العسكرية بالمجر؟ والاسم يعود لبلدة الناصرة موطن نشأة المسيح.

٢٦ يناير.

أنا حي، لكنني لا أحيأ فعلاً. سمعت خبر سترخوف اليوم. دفنوا ناجورنوف اليوم، ثم وصلني هذا الخبر. استلقيت لأنام، لكنني لم أستطع النوم. أتصور بحيوية ووضوح تفهماً للحياة نشعر فيه أننا مسافرون. أماننا جميعاً محطة واحدة ونمر بالظروف عينها. لا يمكننا عبور هذه المحطة إلا بفرح وحيوية، وروح ودية متعاونة، لا يشوبها أدنى حزن، وذلك لحقيقة أننا ماضون، أو أن الآخرين يمضون أماننا إلى ذلك المكان حيث سنجتمع جميعاً مجدداً.

اليوم أضفت قليلاً إلى خطابي لكروسي. وصلني خطاب جيد من كينورثي. إنه يواجه بعض المشاكل مع مانسون^(٦).

١٣ فبراير.

لم أدون شيئاً منذ شهر تقريباً. أردت أن أذهب إلى آل أولسوف. لم تكن صوفيا مسرورة، لذا مكثتُ. الأجواء هنا دنيوية جداً، تنتزع من الإنسان وقتاً طويلاً. عكفت على العمل في وقت متأخر، لكنني لم أكتب كثيراً. أنهيت الفصل الخامس بطريقة أو بأخرى، وعكفت على العمل على «البعث». أنهيت ١١ فصلاً، ولم تتقدم الأمور إلا قليلاً. صحّحت خطابي لكروسي. الحدث المهم في تلك الفترة هو موت سترخوف، وكذلك حديث دافيدوف مع القيصر^(٧). لقد أسعدني ذلك... يا للعار!

(٦) بخصوص حقوق نشر: الوطنية أم السلام؟

(٧) حظى دافيدوف بحديث مع القيصر بصفته رئيساً لمحكمة تولا، وسأله القيصر عن حياة تولستوي.

اضطربت بسبب مقالة إرتيل عن فائدة مساعي الليبرالية، وكذلك بسبب خطاب شيلهاجن، ولكن لا يجب أن أكتب ردًا، بل إنه أمر مستحيل، فليس لديّ وقت لذلك. من ناحية أخرى أشعر بالغىظ من خطابي سوبوتسكو وزديخوفسكي عن الكنيستين: الأرثوذكسية والكاثوليكية، لكنني غالبًا لن أكتب شيئًا. بالأمس وصلني خطاب من والددة جرينيفيتش بشأن التربية الدينية للأطفال. لا بد أن أكتب عن الموضوع. على الأقل عليّ أن أبذل كافة قواي من أجل فعل ذلك. موسيقى كثيرة بالمكان... لا جدوى منها. الفتيات ضعيفات، خاصة ماشا. هل ستمكن من التغلب على ضعفها؟ إنني لا أرشدهن سوى قليلًا. إنهن في حاجة للمساعدة. أما الصبية فهم غرباء عني. من الناحية الدينية، كنت باردًا طوال تلك الفترة. نسيت الكثير مما فكّرت فيه في تلك الفترة، ولم أدوّن سوى الآتي:

١ - ليتني لا أنسى - ولا حتى للحظة واحدة - الموت الذي يمكنه أن يتسلل إليّ! آه لو نذكر أننا لا نقف فوق أرض مستوية، بل نتدحرج دون توقف، ونصطدم ونتجاوز ذلك الحجاب الذي يخفي عنا من غادرونا، ويخفيانا عن الذين لا يزالون ماكثين هنا على الأرض! حينها لن يمكننا أن نتصور أن من رحل قد انتهى أمره، ولن نخشى أن ينتهي أمرنا نحن أيضًا إلا إذا تصورنا أننا واقفون في سكون. كم سنعيش في يسر وسرور إن تذكرنا ذلك دومًا! ستتدحرج معًا على هذا المنحدر، تحت سلطان الله الذي نحن الآن تحت سلطانه أيضًا، وهكذا سنكون بعد ذلك وإلى الأبد. شعرت بذلك بحيوية شديدة.

٢ - ما من دليل أكثر إقناعًا على وجود الله أكثر من سمة الروح

التي تُمكننا من وضع أنفسنا مكان الآخرين. من هذه السمة تحديداً ينبع الحب والعقل.

٣- إمكانية قتل النفس قد مُنحت للبشر. الله لا يريد عبداً في هذه الحياة، بل عاملين أحراراً. إن بقيت في هذه الحياة، فهذا يعني أن الظروف مواتية لك. إن كانت كذلك عليك إذن أن تعمل. لكن إن أردت أن تهرب من هذه الظروف وتقتل نفسك، ستجد نفسك في ذات الظروف في الحياة الأخرى. لا مفر إذن. سيكون من الجيد أن أكتب قصة عما يختبره في هذه الحياة إنسان قد قتل نفسه في حياته السابقة، وكيف يدرك أثناء تعثره بذات المتطلبات التي واجهته في الحياة السابقة أن عليه أن يقوم بها، ومن ثم يصبح في هذه الحياة أكثر ذكاءً من بقية الناس، لتذكره الدرس الذي مرَّ به.

٤- كيف يحدث أن يؤمن إنسان مثقف بتفاهات غير معقولة؟ يعتقد الإنسان فيما يريده قلبه أن يعتقد. لن يعتقد في الحقيقة إلا إذا رغب قلبه فيها، لكن إن رغب قلبه في المتع الدنيوية أو في راحة البال، سيفكر فيما يُوفّر له هذه المتع أو في تحقيق مأثرة ما أو ما شابه ذلك. ولأن الإنسان غير مهياً في الأساس لأن يحظى بهذه المتع الدنيوية أو راحة البال، سيفكر على نحو مزيف، وكى يتمكن من فعل ذلك، عليه أن يُنوّم نفسه بالإيحاء. الفكرة غير واضحة وغير جيدة.

٢٢ فبراير - نيكولسكوي عند آل أولسوفيف.

منذ أكثر من أسبوع وأنا أشعر بانخفاض روحي المعنوية. ما من

حياة فيّ. لا يمكنني العمل على شيء. آه يا أبي! آه أيتها الحياة! إن كان عملي قد انتهى هنا على الأرض - وهذا ما بدأت أظنه - وإن كان شعوري بتوقف الحياة الروحية يعني اكتمال انتقالي إلى حياة أخرى، وأني بدأت أعيشها فعلاً، ولم يتبقَّ لي سوى القليل قبل أن أغادر هذه الحياة الآنية، فلترني ذلك بمزيد من الوضوح حتى لا أستمّر في البحث والعناء. يبدو لي أن لديّ الكثير من الخطط الجيدة، لكن ليست لديّ القوة لتحقيقها. الأمر لا يقتصر على ذلك، فأنا أفهم ذلك جيداً، ولست في حاجة للتفكير فيه، لكن ليست لديّ حتى القوة لفعل أمر طيب يرضيك بينما لا أزال أحيا هنا. أعطني القوة اللازمة للعمل وأن أعني أنني أخدمك، وإلا فلتكن إرادتك! إن شعرت دائماً أن ما من حياة إلا في تحقيق إرادتك، لما اكتفتني الشكوك. إن مبعث الشكوك هو أنني أعض الشكيمة ولا أشعر باللجام. الساعة الآن الثانية. سأتناول غدائي. خرجت لأتنزه، وقضيت فترة الصباح بين النوم وقراءة «تريلي»^(٨)، شاعراً بالنعاس طوال الوقت. ماذا حدث في تلك الفترة؟ لا شيء تقريباً. فكّرت في (عرض الإيمان)^(٩).

٢٧ فبراير - نيكولسكوي.

أكتب في المسرحية، والأمور تتقدم بصعوبة شديدة، ولست متيقناً من أنني أحرز تقدماً فيها. وصلّني خطابات من صوفيا بموسكو تعرب فيها عن استيائها بتحفّظ. أنا هنا بخير تماماً، فأهم شيء هو أنني أنعم بالهدوء. أقرأ في «تريلي». سيئة. كتبت خطابات لتشير تكوف وشميت

(٨) رواية للكاتب الإنجليزي الفرنسي: جورج دو موربيه.

(٩) كتاب لتولستوي جرى الحديث عنه في الجزء السابق.

وكينورثي. قرأت عملاً لكورني^(١٠). إنه عمل تنويري حقًا. فكّرت في لآتي:

١ - ثمة نوعان من الفن. كنت أفكر لتوي في ذلك ولا أجد تعبيرًا واضحًا عن الفكرة. اعتقدت حينًا أن ثمة فنًا ينتج فعلًا عن اللعب، ومن حاجة كل مخلوق للعب. لعبة العجل هي القفز، أما الإنسان فيؤلف سيمفونية أو يرسم لوحة أو ينشد قصيدة أو يكتب رواية. هذا نوع من أنواع الفنون: فن اللعب وابتكار أنواع جديدة من اللعب، أداء ألعاب قديمة وابتكار أخرى جديدة. هذا أمر جيد ومفيد وقيم؛ لأنه يزيد من سرور الإنسان. لكن من المفهوم طبعًا أن الإنسان لا يلعب إلا إن شعر بالشبع. هذا يعني أن المجتمع لا يمكنه أن يمارس اللعب إلا إن شعر كافة أعضائه بالشبع. لا يمكن إذن أن يكون هناك فن حقيقي ما دام البعض لا يزالون جوعى. سيكون لدينا فن المتخمين المشوه وفن الجوعى الفظ البائس، وهذا هو الحال لدينا الآن. لذا لا قيمة للنوع الأول من الفن المتعلق باللعب إلا فيما يلائم منه الجميع ويزيد من سرورهم. إن كان الأمر على هذه الصورة، فهو ليس سيئًا، خاصة إن لم يتطلب زيادة في عمل المقموعين كما هو الأمر الآن.

يمكن أن أعبر عن هذه الفكرة بصورة أفضل، بل ويجب ذلك.

ولكن ثمة نوع آخر من الفن يستدعي في الناس أرفع وأسمى المشاعر.

(١٠) بيير كورني: شاعر مسرحي فرنسي كبير، والعمل المقصود هو (الكاذب).

كُتبت الآن ما قلته من قبل مرارًا، لكنني أعتقد الآن أنه غير حقيقي.
ثمة نوع واحد من الفن؛ إنه ذاك الذي يهدف إلى زيادة المسرات
البريئة والعامة والمتاحة للجميع؛ أي ما يهدف إلى خير الإنسان.
٢- ما من مجال يمكن للنزعة المحافظة أن تُلحق به ضررًا أكثر من
الفن.

الفن هو أحد تجليات الحياة الروحية للإنسان، والإنسان يتنفس كأي
كائن حي، ولا بد لذلك أن يُنتج شيئًا. لذا ما دامت الإنسانية حية لا بد أن
يتجلى فيها نشاط الفن. يجب إذن في كل لحظة أن يكون الفن معاصرًا
لزماننا. كل ما علينا فعله هو أن نعرف مكانه. إن مكانه ليس في موسيقى
أو شعر أو قصص الأسلاف... لا يجب أن نرى الفن في الماضي، بل
في الحاضر. أولئك الذين يريدون أن يظهروا بمظهر جهابذة الفن،
فيمتدحون فن الماضي الكلاسيكي ويسبون الفن المعاصر، لا يكشفون
بذلك عن شيء سوى غياب إحساسهم بالفن.

٣- يقول راتشينسكي (عالم وأستاذ جامعي): «لاحظ إن النجاحات
العلمية المدهشة، خاصة في مجال العلوم الطبيعية، اقترنت بانتشار
استخدام المخدرات في القرن السابع عشر». قلت له: «أليس ذلك هو
سبب نزوع العلم صوب اتجاه مزيف، حيث لا يهتم بدراسة ما يحتاج
إليه الإنسان حقًا، بل تحول إلى أداة للفضول الخامل؟ أم أنه يدرس أمرًا
مهمًا ولكن لا أحد في حاجة إليه؟ أليس ذلك هو السبب في أنه منذ ذلك
الوقت أهمل الأمر الوحيد الذي نحن في حاجة إليه حقًا؛ ألا وهو حسم
المسائل الأخلاقية وما يتعلق بتطبيقها العملي في الحياة؟».

٤- ما النعمة؟ النعمة هي الخير الحقيقي؛ خير الجميع.

٥- في نضالهم مع الزيف والخرافات، كثيرًا ما يشعر الناس بالهدوء والرضى من حجم الخرافات التي قضوا عليها. هذا غير صحيح. يجب على الإنسان ألا يرضى ويهدأ إلا بعد أن يقضي على كافة الخرافات التي يؤمن بها وتناقض العقل. الخرافة كالسرطان. إن أجروا للمريض عملية لا بد من انتزاع الورم كاملاً، ولكن إن تركوا جزءاً صغيراً من الورم، سينمو ثانية.

٦- كان من المفترض أن تكون المعرفة التاريخية لكيفية ظهور خرافات ومعتقدات الشعوب في أماكن وأزمنة مختلفة قادرة على نسف الإيمان بها؛ تلك التي طبعوها في أذهاننا منذ الطفولة لتصبح بمثابة حقائق مطلقة، ومع ذلك فأولئك المدعوون «مثقفين» لا يزالون يؤمنون بها. هذا يعني أن ثقافتهم سطحية تماماً.

٧- دار الحديث اليوم على طاولة الغداء حول صبي ذي ميول شريرة فصلوه من المدرسة، وعن كم سيكون من الجيد أن يُرسل الصبي إلى إصلاحية. هذا تحديداً ما يفعله إنسان عاش حياة شريرة، مؤذية لصحته، وعندما استولى عليه المرض توجه إلى أحد الأطباء كي يعالجه، ولم يفكر أبداً في أن مرضه هو مؤشر نافع له لإدراك أن حياته بأكملها شريرة يجب أن تتغير. هكذا هو الأمر مع أمراض مجتمعنا. لا ينجح كافة المرضى في مجتمعنا بتذكيرنا بأن حياة مجتمعنا بأكملها شريرة يجب أن تتغير. بدلاً من ذلك نفكر في أننا في حاجة إلى مؤسسة تُخلّصنا من كل عضو مريض بمجتمعنا، أو تحاول إصلاحه. لا شيء بإمكانه إعاقه تقدم الإنسانية أكثر

من القناعة المزيفة. كلما ازداد المجتمع مرضاً، ازدادت المؤسسات التي تتعامل مع الأعراض، وقل الاهتمام بتغيير الحياة بأكملها.

الساعة الآن العاشرة مساءً. سأتعشى. أريد بشدة أن أعمل، لكنني أفتر إلى الطاقة العقلية اللازمة ويعتريني ضعف شديد. إن حاجتي إلى العمل رهيبة حقاً. سأعمل غداً إن شاء الله.

٦ مارس - نيكولسكوي.

شعرت طوال هذا الوقت بالضعف والكسل العقلي. أعمل على المسرحية ببطء شديد. انجلى لي الكثير من الأمور، ومع ذلك ليس ثمة مشهد واحد أشعر بالرضى الكامل عنه. خططت أن أكتب اليوم ملخصاً لعرض للإيمان، لكنني لم أنجح في ذلك. كذلك بدأت في كتابة خطاب للإيطاليين^(١١) ولم أكمله. دَوَّنت في تلك الفترة الأفكار الآتية:

١ - يكتب كورني في مقدمة مسرحيته «الكذاب» عن الفن قائلاً: إن الهدف منه هو التسلية، بشرط ألا تكون تسلية مضرة، وإن أمكن فلتكن تثقيفية وتنويرية.

٢ - مهم جداً: استلقيت لأنام. فجأة أصاب شيء ما قلبي. قلت في نفسي: هكذا يأتي الموت ويتوقف القلب وأبقى هادئاً، دون حزن ولا سرور... إنه هدوء مبهج. سواء أكان الموت هنا أم هناك، أعرف أنه أمر جيد لي، لا بد أن يكون مثل شعور الطفل وهو بين يدي أمه، لا يتوقف عن الابتسام بسرور، مدرّكاً أنه بين يديها المحبتين. تساءلت: لماذا يبدو

(١١) بخصوص حرب إيطاليا مع أثيوبيا.

الأمر بهذه الصورة، ولم يَئِدْ كذلك سابقًا؟ ذلك لأنني في الماضي لم أعش الحياة كاملاً، بل عشتُ الحياة المألوفة فقط. حتى يؤمن الإنسان بالخلود عليه أن يعيش حياة خالدة هنا. يمكنك السير على قدميك ورؤية الهاوية أمامك، ويمكنك أن تمد جناحيك وتطير.

الفكرة غير واضحة، ولا أريد الاستمرار في التفكير.

٢ مايو - ياسنيا بوليانا.

لم أدوّن يومياتي منذ شهرين تقريبًا. كنت في موسكو طوال هذه الفترة. الأحداث الهامة: اقترابي من الناسخ: نوفيكوف^(١٢) الذي غيّر حياته نتيجة قراءته لكتبي التي استلمها أخوه الخادم من سيده بالخارج. إنه شاب شديد الحماسة. بعد ذلك طلب أخوه الآخر - العامل - أن ينال نسخة من كتابي «إيماني»، وأرسلته تانيا فعلًا إلى خوليفينسكايا^(١٣). لقد سجنوا خوليفينسكايا، وقال المدعي العام إنهم يجب أن يقبضوا عليّ. كل ما سبق دفعني إلى كتابة خطابات إلى وزيرَي الداخلية والعدل، طلبت فيها منهما أن يُحوّلا مسار ملاحقاتهما نحوي أنا. طوال هذه الفترة كنت أكتب في (عرض الإيمان)^(١٤) وأحرزت بعض التقدم. جاء تشيرتكوف. كذلك جاء بوشا ورحل. كانت علاقتي مع مَنْ حولي جيدة. توقفت عن ركوب الدراجة. كم كنت مفتونًا بالأمر! أمر غريب. سمعت موسيقى

(١٢) ناسخ عسكري، وهو فلاح من مقاطعة تولا، كتب عدة قصص عن الفلاحين أعجب بها تولستوي. استمرت علاقته بتولستوي حتى وفاة الأخير.

(١٣) طيبة بمقاطعة كرايفنسكي، كانت لديها العديد من كتب تولستوي الممنوعة، وتم القبض عليها بعد تفتيش المنزل والعثور على هذه الكتب.

(١٤) الاسم النهائي للعمل (التعليم المسيحي).

فاجنر. لديّ الكثير من الأفكار بشأن موسيقاه وأمور أخرى. دوّنت عشرين فكرة في دفترتي.

حدث آخر هام: قرأت مقالات أفريكان سبير^(١٥). قرأت لتوي ما كتبه في بداية هذا الدفتر: في الواقع لم يكن ما كتبه إلا ملخصاً لفلسفة سبير، والأمر لا يقتصر على أنني لم أكن قد قرأتها في ذلك الحين، لكن لم يكن لديّ حتى أي فكرة عنها. من المدهش حقاً كيف قام هذا العمل بإنارة ذهني من جوانب عدة، وأكّد أفكارني عن معنى الحياة. يتلخص جوهر تعليمه في أن الأشياء ليس لها وجود حقيقي، بل إن لدينا فقط انطباعاتنا عنها، بينما نعتقد أن هذه الانطباعات هي أشياء فعلاً. يتسم تفكيرنا بإمكانية تصديق وجود الأشياء، فسمّة التفكير تتألف في الأساس من إمكانية أن نزن الانطباعات أشياء مادية لها وجود في حيز المكان.

٣ مايو.

كنت سأكتب شيئاً ما لكنني لم أستطع. لست بخير صحياً. أشعر بالضعف والوهن الجسدي. لكنني بخير من ناحية التفكير والشعور. بالأمس كتبت أخيراً خطابات لسبير وشكارفان ومياسويدوفا وبيرفيليف وسفيريف. أقرأ طوال الوقت في كتاب سبير، وتبعث فيّ قراءته أفكاراً عميقة. سأنقل هنا فكرة واحدة من ضمن الـ ٢١ فكرة التي دوّنتها. عملت اليوم على كتاب «عرض الإيمان».

١ - «هلمّ تفضل وحل فينا، وطهرنا من كل دنس»^(١٦). العكس هو

(١٥) فيلسوف ألماني روسي مثالي.

(١٦) جزء من صلاة موجهة للروح القدس بعنوان: أيها الملك السماوي المعزي.

الصحيح: طَهَّرَ روحك أولاً من كل دنس وحينها يأتي ويحل فيها. إنه في انتظار ذلك مثلما تنتظر المياه أن يفرغ المكان حتى تملأه. «حل فينا». كم تبدو الوحدة مريعة من دونك! في الفترة الأخيرة اختبرت الوحدة، وكنت هادئاً وصلباً ومسروراً، ولم أشعر بالحاجة إلى أحد أو شيء في وجودك. لا تهجرني. استحالت الصلاة عليّ. لغته مختلفة عن لغتي، لكنه يفهمني ويترجم لغتي إلى لغته حينما أقول له: «أعني وتعال إليّ ولا تهجرني!». هنا أجد نفسي سقطت في التناقض: أقول عليّ أن أظهر نفسي أولاً حتى يدخل كياني، وفي الآن ذاته أدعوه وأنا لم أظهر نفسي بعد.

٥ مايو.

ذهب أندريوشا وميشا إلى القرية ثانية^(١٧)، وأشعر الآن بنفس حالة اليأس. أنا حزين. ثمة سبب واحد لذلك: لقد فرضت على نفسي مطلباً أخلاقياً أسمى. في ضوء ذلك أرفض كل ما هو أدناه. لكنه لم يتحقق. منذ ١٥ عامًا اقترحت أن أتخلى عن الجزء الأكبر من ممتلكاتي وأكتفي بأربع غرف فقط. كان ذلك حينها هو المِثال الموضوع أمام أعينهم، أما الآن ليس لديهم شيء. يرون الآن أن المِثال الوحيد لديهم هو الذي وضعته أمهم؛ ألا وهو أن يراعوا اللياقة. لا يحتملون أن يُنتقدوا، ويسخرون من حديثي بسرور. لم يتبقَّ لهم شيء سوى المتعة، وهم يعيشون فعلاً من أجلها. من المستحيل أن نحيا دون مِثال، مهما كان ضئيلاً أو أنانياً.

مررت اليوم بالقرب من مصنع جيل وقلت في نفسي: لا يمكن لأي مشروع أن يحقق ربحاً حقيقياً برأس مال ضئيل. كلما ازداد رأس المال،

(١٧) ورد الحديث عن ذلك في الجزء السابق، والإشارة إلى سلوكيات ماجنة بالقرية.

زاد الربح وتضاءلت النفقات. لكن ذلك لا يعني على الإطلاق ما يقوله
ماركس؛ أي أن الرأسمالية تؤدي إلى الاشتراكية. ربما سوف يحدث ذلك
ولكن بالقوة. سيجد العمال أنفسهم مجبرين على العمل معًا، وسيقل
مقدار عملهم وتزداد دخولهم، لكن العبودية ذاتها سوف تستمر. ما يهم
هو أن يعمل الناس معًا بحرية، وأن يتعلموا العمل من أجل بعضهم، لكن
الرأسمالية لا تعلمهم ذلك، بل على النقيض من ذلك؛ تعلمهم الحسد
والطمع والأنانية. بالتالي، بينما يمكن أن تتحسن الظروف المادية للعمال
بالعمل الجماعي القصري الذي تجلبه الرأسمالية، لكنها لا يمكن أن
تحقق لهم الرضى أبدًا. لا يمكن تحقيق الرضى إلا بالعمل الجماعي
الطوعي. حتى نحقق ذلك علينا أن نتعلم أولاً أن نتحد معًا، وأن يُحسّن
المرء من مستواه الأخلاقي وأن يخدم الناس طوعًا دون أن يشعر بالاستياء
من عدم نياله مكافأة على ذلك. لا يمكن لذلك بالطبع أن يتم تحت إطار
الرأسمالية ونظام المنافسة، بل يلزم من أجل تحقيق ذلك نظام مختلف
تمامًا.

أنا بمفردي في الطابق السفلي.

٩ مايو.

لم أدوّن حتى الآن كل ما أحتاج إلى تدوينه. حالتي الصحية سيئة
تمامًا. رغم ذلك أعمل صباحًا. بدا لي اليوم أنني تقدمت بشدة. لقد
رحلوا جميعًا؛ بعضهم إلى حفل التتويج^(١٨) وبعضهم إلى السويد. أنا
هنا بمفردي مع ماشا. حلقها يؤلمها، وأنا بخير.

(١٨) تنصيب نيكولاي الثاني بموسكو.

وصلت صوفيا من موسكو. أواصل العمل على «عرض الإيمان». يبدو أن الضعف يصيبني. ذهبت في المساء إلى يسينكا على متن الجواد. لم أنقل شيئاً بعد مما دوّنته في دفترتي. مع ذلك سأدوّن الآن تلك الفكرة التي خطرت على ذهني، فهي تبدو لي شديدة الأهمية:

١- يقول سبير: إننا لا نختبر إلا الأحاسيس، وإنها هي المادة الحقيقية لمعرفتنا. لكن السؤال هنا: لماذا تختلف الأحاسيس بينما لا تختلف الرؤية أو اللمس مثلاً لدى الجميع؟ يصر سبير بشدة على فكرة أن المادة وهم، لكنه لا يجيب عن هذا السؤال: لماذا تختلف الأحاسيس؟ أنفق معه في قوله: ليست الأجساد هي المسؤولة عن اختلافات الأحاسيس، لكن لا بد أن يكون مصدر هذه الأحاسيس مخلوقات مثلنا. أعرف أنه يعترف بوجود كيان واحد لنا. حسناً... إن كان لنا كيان واحد، فهذا يعني أنه مقسم ومبعثر، وأني متحد بهذا الكيان الواحد داخل حدود معينة. وحدود كياني هي حدود الكائنات الأخرى. أو أن الكيان الواحد مُسَيَّج حوله بحدود تمنحه الإحساس؛ أي مادة الوعي. يقول: ما من أجساد. الجسد وهم. لكن الآخرين ليسوا وهمًا، وأنا أعرفهم عن طريق الإحساس. ما يقومون به من نشاط ينتج في داخلي إحساسًا، وأعتقد أيضًا أن نشاطي ينتج فيهم إحساسًا. الأمر مفهوم إن شعرت بإحساس ما من قبل إنسان أتعامل معه، ولكن عندما أشعر بإحساس ما من قبل الأرض التي أسقط عليها، ومن الشمس التي تدفئني أشعتها، ما الذي يبعث فيّ هذه الأحاسيس؟ ربما هو نشاط كائنات لا يمكنني فهم طبيعة حياتها،

بل أعرف فقط جزءاً منها. الأمر يشبه شعور البرغوث على جسدي. بملامسة الأرض واختبار حرارة الشمس أدرك حدودي في علاقاتها بحدود الشمس. أنا في العالم، وأتصور وجودي داخل حدود المكان، رغم أن الأمر ليس كذلك في الحقيقة... أنا في العالم كخلية صغيرة، لكنها ليست ثابتة، بل تجول وتختبر حدودها، ليست فقط في علاقاتها بحدود الخلايا الأخرى، ولكن أيضًا في علاقاتها بالأجساد الضخمة. الأفضل من ذلك ألا أتصور وجودي داخل حدود المكان: إنني أتفاعل مع أكثر الكائنات اختلافًا، أو أن الجزء الخاص بي المنقسم من كيان واحد مُقسَّم يتعامل مع أكثر الأجزاء الأخرى اختلافًا.

يا للهراء!

١٢ مايو.

اليوم عيد العنصرة^(١٩). برودة ورطوبة، وفقدت الأشجار أوراقها.

١٦ مايو- صباحًا.

لا يمكنني كتابة (عرض الإيمان). غير واضح فلسفيًا، وما كان جيدًا فيه أفسدته. أفكر في إعادة كتابته من البداية، أو أن آخذ استراحة منه وأكتب في الرواية (البعث) أو المسرحية (الضوء يسطع في الظلام). جاء ن.ن. إيفانوف، وكان حضوره امتحانًا صعبًا للحب. احتملت حضوره ظاهريًا فقط، وهو أمر سيئ. لو وضعني الممتحن في اختبار حقيقي

(١٩) عيد العنصرة أو عيد الخمسين، عيد مسيحي يُحتفل به بعد عيد القيامة بخمسين يومًا. ويقصد به حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح بعد صعود يسوع بعشرة أيام بحسب رواية سفر أعمال الرسل.

لفشلت فيه وكللني الخزي. مقالة مينشيكوف «خطأ الخوف»^(٢٠) رائعة. كم أنا مسرور! يمكنني الموت الآن. لكنني أشعر أن ثمة شيئاً ما عليّ أن أفعله. قُم به وسوف تراه في العالم الآخر، وإن لم تعد قادراً على العمل، سوف يحل مكانك شخص آخر، وستُرسَل أنت للقيام بعمل آخر. آه لو يتمكن المرء من التقدُّم في عمله! ذهبتُ صوفياً إلى موسكو لتعالج أسنانها. صعب عليها أن تعيش دون أطفال. أنا من يعيقها في الأساس.

جاء ف. أ. ستراخوف وتحدثت معه عن كتاب (عرض الإيمان). بينما كنت أحكي له عن الكتاب شعرت أن فكرة الرغبة في الخير في حد ذاتها غير واضحة، وصحَّحتها على النحو الآتي:

١ - في مرحلة معينة من نمو الإنسان يستيقظ بداخله وعيه بالحياة. يرى حينها أن كل ما حوله حي، وأنه كان يعيش دون أن يدرك ذلك قبل أن يستيقظ عقله من سباته. أما الآن، وبعد أن أدرك أنه حي، فإنه يدرك وجود تلك القوة التي تمنح الحياة للعالم كله ويلتحم بها داخل وعيه. لكن لكونه محدوداً داخل حدود كيانه الجسدي، يبدو له أن هدف هذه القوة التي تمنح الحياة للعالم هي حياة كيانه الخاص الذي...

اعتقدت أنني سأكتب الفكرة بوضوح، لكنني تعثرت مجدداً. يبدو أنني غير جاهز بعد.

الحياة هي الرغبة في الخير. كل كيان حي لا يعيش إلا لرغبته في الخير. أما من لا يريد الخير فهو غير حي. الإنسان الذي استيقظ فيه وعيه

(٢٠) مقالات عن عدم مقاومة الشر بالعنف.

العقلي يدرك الحياة التي بداخله؛ أي الرغبة في الخير. لكن نظرًا لأن هذا الوعي يتقد في كيان الإنسان الجسدي المنفصل، ونظرًا لإدراكه أن الحياة هي الرغبة في الخير، وانفصاله من ناحية الجسد عن الآخرين، يبدو له في أولى لحظات استيقاظ وعيه العقلي أن الحياة؛ أي الرغبة في الخير، التي يعيها بداخله لها كيان منفصل عن الآخرين. يبدأ الإنسان في الحياة بوعي من أجل خير كيانه المنفصل، ويبدأ في استخدام عقله الذي كشف له عن جوهر الحياة بأكملها؛ أي الرغبة في الخير، في اكتساب الخير لأجل كيانه المنفصل عن الآخرين. كلما عاش الإنسان، اتضح له أن هدفه هذا لا يمكن الوصول إليه.

لذا فهو لم يتبين خطأً بعد، ولكن قبل أن يدرك عقله استحالة تحقيق الخير لأجل كيانه الشخصي المنفصل عن الآخرين، يدرك بخبرته وشعوره خطأ مسار نشاطه الموجه صوب خير كيانه الشخصي المنفصل، وبالتالي يناضل كي تخرج حياته ورغبته في الخير من إطاره الشخصي إلى مسار بقية الكائنات الأخرى؛ أي صوب رفاقه وأصدقائه وأسرته ومجتمعه.

هذا العقل تحديداً، الذي يريد استخدامه من أجل الوصول إلى خير كيانه المنفصل عن الآخرين، هو ما يكشف له عن استحالة الوصول إلى ذلك، وأنه هكذا يُهلك نفسه بقتال الكائنات الأخرى المنفصلة التي يريد كل منها هو الآخر خيره الشخصي، وبالتالي يُهلك نفسه بصنوف حتمية لا حصر لها من الكوارث والمعاناة تُهدد كيان الإنسان، والأهم من ذلك بفعل الأمراض والمعاناة والشيخوخة التي لا مفر منها لكل حياة إنسانية منفصلة.

ما دام الإنسان لم يوسع إطار رغبته في الخير بعد لتشمل الكائنات الأخرى، ليس بوسعه ألا يرى أن جميع هذه الكائنات المنفصلة تخضع مثله لصنوف حتمية من المعاناة والموت، وبالتالي لا يمكنها أن تحظى بحياة حقيقية مثله تمامًا.

في هذا تلخص ضلالة أولئك الذين استيقظ داخلهم الوعي بالحياة وتبدد فيهم التعليم المسيحي الذي يكشف للإنسان أنه فور أن يستيقظ بداخله الوعي بالحياة؛ أي الرغبة في الخير، فإن كيانه لا يعود كيانًا جسديًا منفصلاً، لكنه الوعي بالحياة ذاته؛ أي الرغبة في الخير التي ولدت داخل كيانه المستقل، وهي رغبة في الخير للجميع، وهذه الرغبة هي الله.

يخبرنا التعليم المسيحي - في الحديث مع نيقوديموس^(٢١) - بالآتي: يعيش في الإنسان الذي يستيقظ الوعي بداخله كيان يشبه ابن الله، أرسله الأب إلى العالم من أجل أن يحقق الابن إرادة أبيه.

يكشف التعليم المسيحي للإنسان الذي يستيقظ الوعي بداخله أن معنى وهدف حياته ليس ما تبدى له سابقاً من نيل أكبر قدر من خيرات كيانه الشخصي المنفصل، أو خيرات كائنات أخرى منفصلة هي أيضاً، مهما كان عددها، لكن المعنى والهدف ينحصر في تنفيذ إرادة الأب في هذا العالم، الذي أرسل الإنسان إليه، كما أنه يكشف للإنسان عن إرادة الأب فيما يتعلق بالابن. إرادة الأب للابن هي أن تتجلى في العالم هذه الرغبة في الخير التي تشكل جوهر حياته، وأن يزداد عدد الذين يرغب الإنسان في الخير من أجلهم أثناء حياته في هذا العالم أكثر فأكثر،

(٢١) راجع يوحنا ٣: ١ - ٢١.

وبالتالي يخدمهم كما لو أنه يخدم نفسه.
تعثرت مجددًا في تعبيرى عن الفكرة.

١٧ مايو.

لا أشعر بالرضى مجددًا عما كتبت بالأمس، وقد بدا لي حينها سليمًا
وكاملًا. صباح ومساء اليوم فكّرت في الأمر. تبّنت لي أمور جديدة:

١ - ليست الرغبة في الخير هي الله، بل هي إحدى تجلياته، وأحد
الجوانب التي نراه من خلالها.

٢ - الله الكامن في الإنسان يسعى في البداية إلى التحرر بتوسيع
الأطر، والعمل على نمو هذا الكيان الموضوع بداخله، وبعد أن يتبين
حدود هذا الكيان يسعى إلى التحرر بالخروج منه واحتضان الكائنات
الأخرى.

٣ - هذا الكيان العاقل لا يمكنه أن يتسق مع نمط الحياة الشخصية
لذا يناضل كي يخرج من أطرها.

٤ - يكشف التعليم المسيحي للإنسان أن جوهر الحياة لا يكمن في
كيانه المنفصل، بل في الله الكامن بداخله. يدرك الإنسان الله الكامن
بداخله بالعقل والحب.

لا يمكنني مواصلة الكتابة. أشعر بالضعف والنعاس.

* * *

٥ - أهم ما أدركته: الرغبة في خير النفس وحبها لا يمكنهما أن
يتحققا ما دام العقل لم يستيقظ بعد. فور أن يستيقظ العقل، يتضح للإنسان

أن الرغبة في خيره ككيان منفصل عن الكائنات الأخرى أمر غير مُجدٍ، لأن خير كيان منعزل فإن، هو مجرد وهم. عندما يستيقظ العقل يمكن أن تكون ثمة رغبة واحدة في الخير؛ ألا وهي الرغبة في خير الجميع؛ لأن بها وحدها يغيب الصراع وتحقق الوحدة ويزول الموت. الله ليس حباً، لكنه يتجلى في الكائنات غير العاقلة يتجلى في صورة حب الذات، وفي الكائنات العاقلة يتجلى في صورة حب كل ما هو موجود.

سأدوّن الآن النقاط الواحدة والعشرين التي دَوَّنتها سابقاً في دفثري:

١ - حتى تؤمن بالخلود عليك أن تعيش حياة خالدة هنا؛ أي ألا تعيش داخل حدود نفسك، بل في الله، وألاً تعيش من أجل نفسك، بل من أجل الله. يبدو الإنسان في هذه الحياة كما لو أنه يقف بقدم فوق لوح خشبي، وبالقدم الأخرى على الأرض. ما إن يستيقظ عقله حتى يرى أن هذا اللوح صامد بشق الأنفس فوق هاوية سحيقة، والأمر لا يقتصر على أن اللوح بدأ في التقوس والتصدع، لكنه بدأ يتهاوى فعلاً، لذا ينقل الإنسان كافة ثقله على القدم المستندة إلى الأرض. كيف يمكنك ألا تخاف وأنت واقف فوق شيء يتقوس ويتصدع ويتهاوى، وكيف تخاف إن كنت واقفاً فوق الأرض التي يسقط عليها كل شيء ولا يمكنها هي أن تسقط؟

٢ - قرأت عن جرانوفسكي (مؤرخ روسي شهير). من المعتاد في أدبنا الروسي أن يقولوا إن إبان حكم نيكولاي لم تسمح الظروف بظهور الأفكار العظيمة. يشكو جرانوفسكي مثلاً من ذلك، وكذلك يفعل آخرون. لكن في الحقيقة لم تكن هناك أفكار حقيقية. كل هذا محض

خداع للذات. إن كان لدى جرانوفسكي وبيلينسكي^(٢٢) وكل من على شاكلتهم ما يقولونه، لقالوه رغم أي معوقات. هيرزن^(٢٣) مثلاً دليل على ذلك. لقد سافر إلى الخارج، وبالرغم من موهبته الهائلة لم يقل شيئاً جديداً أو ضرورياً.

كل من على شاكله جرانوفسكي وبيلينسكي وتشيرنيسيفسكي ودوبروليوبوف، ممن تبوؤوا مكانة رفيعة، عليهم أن يتوجهوا بالشكر للحكومة والرقابة، فمن دونهما كان المطاف سينتهي بهم إلى أن يصبحوا كتاب أعمدة لا يعرف أحد عنهم شيئاً. ربما كان ثمة شيء حقيقي بداخل بيلينسكي وجرانوفسكي وآخرين غير معروفين، لكنهم قمعوه تماماً؛ لأنهم تصوروا أن عليهم أن يخدموا المجتمع داخل إطار الحياة الاجتماعية، ولم يتصوروا أن عليهم أن يخدموا الله بالاعتراف بالحقيقة والوعظ بها دون توجيه أدنى اهتمام لأطر الحياة الاجتماعية. فليتوفر المضمون، وسيتألف الشكل من تلقاء نفسه. من يسلكون هكذا؛ أي من يشكلون سعيهم إلى الحقيقة عبر الأشكال الموجودة فعلاً في المجتمع، يشبهون مخلوقاً وُهب جناحين حتى يتغلب على كافة العوائق، لكنه لم يع ذلك، واستخدم الجناحين ليسير مستنداً عليهما. لن يصل مثل هذا المخلوق إلى تحقيق هدفه، فأى عائق سيكون من شأنه أن يوقفه ويحطم جناحيه، وحينها سيشكو من هذه الإعاقة وسيقول بحزن -مثل جرانوفسكي- إنه كان سيمضي بعيداً لو لم تواجهه هذه الإعاقات.

(٢٢) ثوري وناقذ أدبي وعالم جمال روسي.

(٢٣) كان كاتباً ومفكراً روسياً ذا توجه غربي، عُرف بأبي الاشتراكية الروسية، وأحد أهم رواد الشعوبية الزراعية. عُرف أنه المسؤول عن إنشاء مناخ سياسي ملائم لتحرر الأقنان في ١٨٦١.

إن سمة النشاط الروحي الحقيقي هو أن شيئاً ليس بإمكانه أن يعوقه. إن أعاقه شيء، فهذا يعني أنه غير حقيقي.

٣- يختبر المُحتَضِر الهرم تدريجياً ما لا بد أن تكون البذرة النامية قد اختبرته قبل أن تنمو وتصبح نبتة. إنه يشعر أنه يضمحل، لكنه لا يدرك نفسه هناك حيثما يتوجه؛ أي في الحياة الأخرى. بدأت أختبر ذلك.

٤- العقل هو أداة معرفة وفحص ونقد الحقيقة. يشير العقل بالنسبة لهم إلى أنشطة عقلية مختلفة كثيرة شديدة التعقيد، لذا كثيراً ما يشكُّون في صحة العقل. أُجيب عن هذه الشكوك بالآتي: ثمة نشاط عقلي لا شك فيه؛ إنه النشاط النقدي الذي أفحص به ما ينقلونه إليّ. يقولون إن الله واحد وثلاثة، وإنه طار إلى السماء وإن هذا الخبز هو جسده^(٢٤)... إلخ. أفحص ذلك بالعقل، وأتوصل بلا شك أن كل ذلك غير عقلاني وغير حقيقي. يستحيل القول بأن كل ما هو موجود عقلاني، أو أن ما هو عقلاني موجود، ولكن يستحيل كذلك ألا نقول إن ما هو غير عقلاني غير موجود بالنسبة لي.

٥- يبدو للإنسان أن كيانه الحيواني هو كل كيانه، وأن حياته الروحية هي نتاج لكيانه الحيواني، تماماً كما يظن إنسان على متن قارب أنه ثابت وأن الشاطئ هو الذي يتحرك.

٦- ثمة نوع من الصلاح يريد الاستفادة من الثمار دون أن يتحمل أي خسائر. هذا صلاح ذو طابع حيواني.

(٢٤) يقصد صعود المسيح إلى السماء وسر الإفخارستيا.

٧- يُقال إن الحقيقة المسيحية لا يمكن إثباتها، بل يجب الإيمان بها، كما لو أن من الأسهل أن يصدق المرء حقيقة أمر أخرق عن تصديقه لأمر عقلائي. لماذا نحرم المسيحية من قُدرتها على الإقناع؟ لماذا؟

٨- يُقال إن الطبيعة تقتصد في قواها، تحقق أكبر النتائج بأقل قوة ممكنة. هكذا هو الله. تحقيق ملكوت الله في العالم، وكذلك الوحدة وخدمة الإنسان للآخر والقضاء على العداوة، لا يتطلب الأمر من الله أن يقوم بذلك بنفسه، فقد وَهَبَ الإنسان عقلاً، وحرَّر قوة الحب بداخله، لذا سيحقق الإنسان إرادة الله كاملة. يقوم الله بعمله من خلالنا. ليس ثمة زمن بالنسبة له، فهو لا نهائي. لقد قام الله بكل شيء حينما وضع بداخلنا حباً عاقلاً.

لماذا يقوم الله بعمله من خلال الإنسان ولا يقوم به بنفسه؟ سؤال غبي لم يكن ليخطر على الرأس لولا أن أفسدتنا خرافات حمقاء عن خلق الله للعالم.

٩- أحد أكثر صنوف المعاناة الروحية تعذيباً هو ألا يفهمك الناس عندما تشعر بالوحدة مع أفكارك. عزاؤك هو أن الله يفهم ما لا يفهمه الناس بداخلك.

١٠- أن تنقل أنك من المستوى الجسدي إلى الروحي يعني ألا تريد بوعي سوى ما هو روحي. قد يسعى جسدي دون وعي صوب ما هو جسدي، لكنني لا أريد عن وعي أي شيء جسدي، تمامًا كما لا أرغب في السقوط، ورغم ذلك لا يسعني إلا الانصياع لقانون الجاذبية.

١١- إن نقلت أنك من المستوى الجسدي إلى الروحي، ستشعر

بالألم إن كدّرت الحب، تمامًا كما تشعر بألم جسدي عندما تُكدّر راحة الجسد. هذا مؤشر صحيح ومباشر، وأنا أشعر به فعلاً.

١٢- الخطيئة هي تركيز وعي الحياة على كيانك المنفصل عن الآخرين، أو إضعاف الوعي العقلي الذي يكشف لك عن عدم اتساق حياتك الحيوانية. يتطلب تحقيق الهدف الأول توجيه نشاطك العقلي صوب كل ما يدعم خداع حياتك المنفصلة مثل: الطعام - الشهوة - الكبرياء. أما تحقيق الهدف الثاني فيصلون إليه باستخدام كل ما يُضعف العقل مثل التبغ والأفيون والخمر.

١٣- الإغواء هو التأكيد على أن بالإمكان أن نخالف الحب من أجل تحقيق خير أكبر:

أ- للنفس: عليك أن تأكل جيدًا وتعتني بصحتك وتريح نفسك حتى تكون في حالة تمكنك من خدمة الناس، ومن أجل تحقيق ذلك يمكنك أن تخالف الحب.

ب- عليك أن تعول أسرّتك وتحميها، ولتحقيق ذلك يمكنك أن تخالف الحب.

ج- لا بد من تأسيس طائفة أو دولة، وضمان أمنها وسلامتها، ولتحقيق ذلك يمكنك أن تخالف الحب.

د- عليك أن تعمل على خلاص أرواح الناس باستخدام وسائل إيحاء عنيفة وكذلك بالتربية، ولتحقيق ذلك يمكنك أن تخالف الحب.

١٤ - عليّ أن أبدأ مقالتي عن الفن بذكر الآتي: يتطلب رسم اللوحة من الفنان ١٠٠٠ يوم عمل، وتتطلب الأوبرا ٤٠٠٠٠ يوم عمل، وربما تتطلب الرواية أكثر من ذلك. يقول بعضهم عن هذه الأعمال إنها رائعة، بينما يرى البعض الآخر أنها سيئة تمامًا. ليست ثمة أدلة لا ترقى للشك. لكننا لا نجد هذه الخلافات فيما يتعلق بالماء والطعام والأعمال الصالحة، فما السبب؟

١٥ - ماذا يحدث عندما لا يعود الإنسان يدرك أنه في كيانه المنفصل، بل في الله الحي بداخله؟ أولاً: لا يعود يرغب عن وعي في خير كيانه المنفصل، ولا ينتزع خير الآخرين أو على الأقل يندر حدوث ذلك. ثانيًا: بعد أن يدرك أنه في الله، يرغب في خير الجميع.

١٦ - لماذا يتمسك الناس بكل هذه القوة بأصولهم، سواء أكانت مادية أم حتى حقوق تربية أطفالهم؟ لأن الإنسان الذي لم ينتقل وعيه من كيانه المنفصل إلى الله يرى في ذلك تفسيرًا مرضيًا لمعنى الحياة.

١٧ - ينكشف معنى الحياة للإنسان عندما يدرك أنه هو ذلك الجوهر الإلهي الموجود داخل إطار الجسد. يتلخص معنى الحياة في أن هذا الجوهر بينما يكافح من أجل أن يتحرر ويوسع مجال الحب، يوسع تلقائيًا مجال عمل الله؛ ألا وهو تأسيس ملكوت الله على الأرض.

١٨ - لا يمكن للعنف أن يُضعف أو يُدعّم الحراك الروحي. تدعيم الحراك الروحي بالقوة يشبه محاولة اصطيد أشعة الشمس، فكلما حاولت إخفاء الأشعة، بدت وكأنها تزداد ارتفاعًا.

١٩- هدف الفن الرئيس -إن كان هناك فن وكان له هدف- هو الكشف عن حقيقة روح الإنسان، والإعلان عن هذه الأسرار التي يستحيل التعبير عنها بكلمات بسيطة. هذا هو الفن. إنه بمثابة ميكروسكوب يُوجّهه الفنان صوب أسرار الروح، ويذيع كافة هذه الأسرار للناس.

٢٠- يتجلى الحب الكامن في الإنسان، الذي يقوم العقل بتحريره، بطريقتين: توسيع أطره - تأسيس ملكوت الله.

٢١- بدأت أشعر في الآونة الأخيرة بصلابة وقوة عمل الله الذي أريد أن أخدمه، حتى بدت لي كل مضايقات الناس الغريبة وسخرتهم وأفعالهم العدائية تجاه عمل الله أمورًا بائسة ومثيرة للشفقة.

٢٢- يتلخص الخداع الذي يتعرض له الإنسان الذي يستيقظ فيه وعيه، ورغم ذلك يواصل إدراك نفسه على أنه مخلوق منفصل، في أنه يظن أن أدواته هي نفسه. إن شعرت بالألم من مخالفة خير كيائك المنفصل، فذلك يشبه أن تشعر في يدك بالألم من ضربات الأداة التي تعمل بها. لا بد من الحفاظ على الأداة وشحذها، لكن لا يجب أن تعتبرها نفسك، فتتألم بدلًا منها!

٢٣- الله مقتصد في قوته. إنه يريد أن يخترق كل شيء بالحب. إنه يوقد نيران الحب داخل إنسان واحد، ويجعله يشعر بضرورة أن يوقد النيران داخل قلوب البقية.

٢٤- لا شيء بإمكانه أن يغيّر نظرنا الدينية إلى العالم بقدر طريقة فهمنا له، سواء اعتبرناه عالمًا محدودًا ببداية ونهاية كما كنا نعتقد في الماضي، أو اعتبرناه غير محدود كما نعتقد الآن. يمكن لنظرنا إلى دور إنسان منفصل فإن أن تكتسب معنى إن اعترفنا بعالم محدود، ولكن

إن اعتقدنا أن العالم غير محدود، لن يكون هناك أي معنى لمثل هذا المخلوق الفاني.

٢٥- مرت بكاتيوشا^(٢٥) فترات، حتى بعد بعثها، كانت تبسم فيها بخبث وكسل، كما لو أنها نسيت كل ما اعتبرته سابقاً حقيقياً، وأرادت ببساطة أن تحيا بسرور.

٢٦- من يحيا حياة روحية تمامًا، يشعر بأن حياته هنا على الأرض غير ممتعة وأن أنه ثقيلة الوطأة، حتى يصبح من السهل عليه أن يفارقها.

٢٧- تسأل ناتاشا ستراخوف أباها الذي كان يقص عليها أمراً حدث حينما لم تكن قد وُلدت بعد: أين كنتُ عندما حدث ذلك؟ كنت لأجيها قائلاً: «كنت نائمة ولم تستيقظي هنا بعد». الحبل والولادة والطفولة بمثابة استعدادات من أجل الاستيقاظ الذي ندركه رغم أننا لسنا نائمين.

٢٨- الخداع الذي يأسرنا هو أن نعتبر أنفسنا مخلوقات منفصلة، تمامًا مثلما يعتبر أحد المسافرين مكانه محطة وصول الجميع، أو مثلما يعتبر إنسان يومًا ما حياته بأكملها.

٢٩- قرأت عن مراسم تتويج القيصر وشعرت بالهلع من خداع الناس المتعمد، خاصة فيما يتعلق بامتيازات الحاكم.

انهمكت في الكتابة حتى موعد الغداء. الساعة الآن الثانية. سأتناول الغداء.

(٢٥) بطة "البعث".

٢٨ مايو- الثانية عشرة ظهرًا.

لأيام عديدة وأنا أناضل في عملي دون أن أحرز أدنى تقدم. سأنام. أردت أن أنتهي من الكتاب (عرض الإيمان) ولكن دون جدوى. حالتي المعنوية سيئة، ويزداد شعوري بذلك الرضى التافه البائس عن النفس وخواء الحياة من حولي. قضيت تلك الفترة في بيروجوفو. أكثر انطباع بعث في قلبي السرور: ثمة تحول روحي لا شك فيه قد حدث داخل أخي سيرجي. لقد صاغ بنفسه جوهر إيماني، ومن الواضح أنه يعتبره حقيقياً بالنسبة له، وقال: فلنمجد في أنفسنا الجوهر الروحي ونخضع له طبيعتنا الحيوانية. لديه أيقونة سحرية^(٢٦) ويعذبه الآن تغير علاقته بها. الفتيات بخير تمامًا، يتعاملن مع الحياة بجدية، وقد أصابت عدواهن ماشا. جاء سالومون. كذلك جاء تانييف الذي ينفرنني برضاه البالغ عن نفسه وجلافته الأخلاقية والجمالية - إن جاز التعبير - وسلوكه المدلل في منزلنا. إنه اختبار سأحاول ألا أفشل فيه.

حدث مريع في موسكو: موت ٣٠٠٠ فرد^(٢٧). لا يمكنني حتى الآن أن أتفاعل مع الأمر كما يجب. لست بخير تمامًا، وأشعر بالضعف الشديد. التقيت في بيروجو بسروجي (صانع السرج) ذكي حقًا. وصل بالأمس من تولا عامل ذكي، وأعتقد أنه من زمرة الثوار. العمل يمضي على نحو شديد السوء، والخطابات تثير الملل؛ لأنها تتطلب ردودًا

(٢٦) يقصد أيقونة دينية يتبرك بها.

(٢٧) أثناء الاحتفالات في خوديانكا بتنصيب القيصر الجديد نيكولاي الثاني، قُتل ٣٠٠٠ آلاف فرد وطنًا بالأقدام بسبب التدافع. سيكتب تولستوي قصة عن ذلك.

لبقة. كتبت لبونداريف وبوشا ولشخص ثالث. جاء أيضًا ضابط يُدعى دونين باركوفسكي. أعتقد أنني كنت مفيدًا له. وصلتنى مدونات رائعة لشكارفان^(٢٨). وصلني بالأمس خطاب من سولر المسكين الذي ألقوا به على الحدود الفارسية آملين أن يلقي حتفه هناك. أعنه يا الله. لا تنسني. امنحني الحياة... الحياة... أعني أن تدعني أخدمك بوعي وبهجة. في هذه الفترة فُكِّرت في الآتي:

١ - أمر مذهش أن نجد هذا العدد من الناس ينظرون إلى الشر بوصفه مسألة غير قابلة للحل. لم أر فيه أبدًا أي مشكلة. من الواضح تمامًا لي أن ما ندعوه شرًا الآن هو خير لم يتضح أثره بعد.

٢ - قصائد مالارميه^(٢٩) وآخرين. نحن الذين لا نفهمها نقول بجرأة إنها محض هراء وإنما أشعار تهيم في زاوية باهتة. لكن لماذا عندما نستمع إلى موسيقى غامضة تشابه تلك الأشعار في هرائها لا نقول بجرأة القول نفسه، بل نقول بخجل: نعم... ربما نحتاج إلى فهمها وإعداد أنفسنا لسماعها... إلخ. هذا محض هراء. أي عمل فني حقيقي لا يكون كذلك إلا عندما يكون مفهومًا، ولا أقول هنا «من الجميع»، ولكن على الأقل من قبل أناس في مستوى معين من التعليم؛ المستوى الذي يُمكن صاحبه من قراءة الشعر والحكم عليه. أودت بي هذه الفكرة إلى استنتاج محدد تمامًا؛ ألا وهو أن الموسيقى قد ضلت طريقها وهامت في الظلام المعتم أكثر من بقية الفنون حيث

(٢٨) رفضي لأداء الخدمة العسكرية: مدونات ضابط جيش.

(٢٩) شاعر فرنسي، وُلد في باريس عام ١٨٤٢. ينتمي إلى تيار الرمزية، ويُعد واحدًا من روادها.

نجد «الانحطاطية»^(٣٠) في الشعر و«الرمزية» وغيرها في الرسم». والمسؤول عن ذلك هو الموسيقار العبقري بيتهوفن. بيت القصيد يتعلق بمن يتمتعون بالثقل وبأولئك المحرومين من الحس الجمالي ويحكمون على الفن. جوته؟ شكسبير؟ أي شيء يندرج تحت هذين الاسمين نعتبره بالضرورة جيدًا كأمر غير قابل للنقاش، ونسعى بكل ما لدينا من قوة لنجد شيئًا جميلًا فيما هو غبي وفاشل، ونُفسد ذائقتنا تمامًا. لكن كل هذه المواهب العظيمة من على شاكلة جوته وشكسبير وبيتهوفن ومايكل أنجلو، بالإضافة إلى ما قدموه من أعمال فنية جميلة، قدموا أعمالًا أخرى ليست مجرد أعمال متوسطة، بل مقززة تمامًا. يقدم الفنانون ذوو المستوى المتوسط أعمالًا متوسطة القيمة، لكنهم لا يقدمون أبدًا أعمالًا دنيئة. أما هؤلاء العباقرة: شكسبير وجوته وبيتهوفن وباخ وغيرهم، فأعمالهم إما عظيمة أو دنيئة تمامًا.

٣- أتخيل أكثر الأعمال صعوبة وتعقيدًا، وكيف تتطلب مشاركتي بها. يبدو لي أنني سأواجه من كافة النواحي معضلات لا حل لها. هذا سيئ، وذلك أكثر سوءًا! ولكن يلزم فقط أن أنقل المسألة من المجال الخارجي إلى الداخلي في حياتي، وحينها سأدرك أن ذلك يشكل مجال كماله الداخلي، وأن هذا بمثابة اختبار وقياس لمستوى تطوري الأخلاقي وخبرتي والقدر الذي أستطيع به أن أقوم بعمل الله وأزيد الحب وأريد ذلك. حينها يُحل كل شيء ببساطة وسهولة وسرور.

٤- الخطأ أو الخطية هو استخدام العقل الذي وُهِبَ إياه من أجل

(٣٠) حركة فنية وأدبية في أواخر القرن التاسع عشر، تركزت في أوروبا الغربية.

إدراك أن جوهرى هو حب كل ما هو موجود في السعي إلى خير كياني المنفصل. إن عاش الإنسان دون وعي عقلي، فقد حقق إرادة الله، وإن سعى خلف خيره الخاص وحافظ عليه، وهو لا يرتكب خطيئة بفعل ذلك، لكن فور أن يستيقظ فيه عقله فإنه يرتكب خطيئة إن فعل ذلك.

٥- يقول شورنيك ميخايلو لي إنه لا يؤمن بالحياة الأخرى، وإنه يعتقد أن بموت الإنسان تغادره الروح وتمضي بعيدًا. أما أنا فأقول له: إن غادرت أنت أيضًا مع هذه الروح، فهذا يعني أنك لم تمت.

٦ يونيو- على ما أعتقد.

أهم ما حدث في تلك الفترة هو أنني أحرزت تقدمًا في عملي، ولا أزال. أكتب عن الخطايا^(٣١) وقد انجلي لي العمل كاملاً. أنهيت قراءة سبير. رائع. ثمة ثلاث وسائل من أجل إحراز التقدم الاقتصادي للبشرية: إلغاء ملكية الأرض على طريقة هنري جورج -فرض ضريبة على الملكية؛ الأمر الذي من شأنه أن ينقل الثروات المتراكمة إلى المجتمع، إن لم يكن في الجيل الأول، سيتم في الثاني- فرض ضريبة مماثلة على الثروة، على ما يتجاوز ١٠٠٠ روبل للأسرة أو ٢٠٠ روبل للفرد.

أتى آل تشيرتكوف اليوم. جاليا (زوجة تشيرتكوف) لطيفة للغاية. أول أمس جاء جاسوس من الشرطة اعترف أنهم أرسلوه للتجسس عليّ. كان الأمر لطيفًا ودينياً في الآن ذاته^(٣٢).

(٣١) الجزء الثاني من كتاب (عرض الإيمان) أو (التعليم المسيحي).

(٣٢) مر على تولستوي عدة مرات شاب يُدعى براكوفي كيريلوف ادعى أنه فنان عديمي وأعطاه تولستوي نسخًا من كتبه. بعد ذلك اعترف له أنه جاسوس من الشرطة بعد أن شعر بتأنيب الضمير، وطُرد إثر ذلك من الشرطة.

في هذه الفترة فكرت في الآتي:

عندما يعيش الإنسان حياة حيوانية، لا يدرك أن الله يعيش بداخله.
عندما يستيقظ فيه عقله يدرك ذلك. عندما يدرك ذلك يتَّحد بالله.

٩ يونيو.

كُتبت قليلاً على نحو سيئ. يبدو أن الأمر ينجلي لي. في الصباح تحدثت مع العمال الذين أتوني طلباً لكتبي. تذكرت فلاحه طلبت أن أكتب لها ليوحنا كرونستادت^(٣٣). هذا هو دين العامة: الله موجود، وهناك آلهة عديدة وقديسون. وكما قال لي فلاح اليوم: أتى المسيح على الأرض ليعلم الناس كيف يصلون وإلى مَنْ يتوجهون في صلاتهم. يُجري الآلهة والقديسون معجزات، ولديهم سلطان على الجسد ويقومون بأعمال خارقة وصالحة. الناس ليسوا في حاجة إلا لمعرفة كيف يصلون وإلى مَنْ يتوجهون في صلاتهم. لا يمكن للناس أن يقوموا بأعمال صالحة. كل ما يمكنهم فعله هو الصلاة. هذا هو إيمانهم.

اغتسلت في المياه، وأشعر أنني لست على ما يرام.

١٩ يونيو.

أشعر طوال الوقت بالضعف وأنام نومًا سيئًا. أتى بوشا بالأمس. تحدثت جيدًا عن خوديانكا، لكنه كتب عنها على نحو سيئ. تُثقلني بشدة حياتنا المترفة البطالة. أنهيت مسودة العمل (التعليم المسيحي) في ١٣

(٣٣) كاهن أرثوذكسي روسي وعضو في سينودس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. كان معروفًا باعتراقاته الجماهيرية الجماعية، والعديد من المعجزات والأعمال الخيرية، وكذلك لأرائه الملكية، الشوفينية، واللاسامية ومعاداته للشبيوعية.

يونيو. أراجع المسودة الآن، لكنني أعمل قليلاً جداً. سيريوجا هنا. إنه حزين وبائس. ناضلت نفسي مرتين بنجاح. آه لو يستمر الأمر هكذا!

ذات مساء تخطيت سياج الأشجار وبكيت من فرط السرور والعرفان للحياة. في ذهني صور شديدة الحيوية عن الحياة في سامارا: السهل والصراع بين نمط الحياة البدوية الأبوية والآخر المتحضر. إنها تجذبني بشدة. لم تولد رواية كوني (البعث) في داخلي بعد، لذا يمضي العمل عليها بصعوبة. فكّرت في الآتي:

١ - فكرة مهمة عن الفن: ما الجمال؟ الجمال هو ما نحبه. إنني لا أحب شيئاً لأنه جميل، لكنه جميل لأنني أحبه. ولكن هذه هي المشكلة تحديداً: لماذا نحبه؟ إن قلنا إننا نحبه لأنه جميل، فكأننا نقول إننا نتنفس لأن الهواء لطيف. نحن نجد الهواء لطيفاً لأننا في حاجة للتنفس. كذلك نجد شيئاً ما جميلاً لأننا في حاجة لحبه. مَنْ لا يمكنه أن يرى الجمال الروحي، يمكنه رؤية الجمال الجسدي وأن يحبه.

١٩ يوليو - بيروجوفو.

وصلت هنا أول أمس بصحبة تانيا وتشيرتكوف. ثمة ثورة روحية قد حدثت دون شك داخل أخي سيريوجا. إنه يعترف بها بنفسه قائلاً إنه ولد من جديد منذ بضعة أشهر. أنا سعيد جداً لكوني معه. في الفترة الماضية تحملت معاناة شديدة بالمنزل. يا سيدي وأبي، خلّصني من الجسد البغيض. طهّرني ولا تدعني أهلك ولا تسمح بأن تُطفأ روحك بداخلي. صليت بتضرع مرتين: مرة ليجعلني أداته، ومرة ليُخلّصني من طبيعتي الحيوانية. في هذه الفترة تقدم العمل على «عرض الإيمان». لا

يزال بعيداً عن المطلوب وعما أريده، بعيد المنال عن الشخص العادي والطفل، ومع ذلك أُعبر عن كل شيء أعرفه بشكل متماسك ومنطقي. في هذه الفترة كتبت أيضاً مقدمة لقراءة الأناجيل وأزلت مقاطع من الأناجيل^(٣٤). جاءني بعض الزوار من الإنجليز والأمريكيين، لكن ليس ثمة زيارة شديدة الأهمية.

سأنقل هنا ما دوّنته في تلك الفترة:

١- بالأمس سرت على التربة السوداء لحقل أعيد حرثه. لا شيء على مرمى الأبصار سوى التربة السوداء، ولا تلوح عشب خضراء واحدة. على حافة الطريق الرمادي المترب ثمة نبتة شائكة تترية وثلاثة براعم: واحدة ممزقة و زهرة بيضاء ملطخة عالقة بها، والثانية كانت ممزقة هي الأخرى وملطخة بالطين، سوداء ذات جذر معقوف ملطخ. الثالثة ناتئة من جانبها، سوداء ملطخة، لكن لا تزال حية وحمراء من منتصفها. ذكرتني بالحاج مراد. أريد أن أكتب عنه. يدافع عن حياته حتى الرmq الأخير وسط الحقل بأكمله بطريقة أو بأخرى.

٢- يجيد اللغات والرياضيات، يفهم ويعجب سريعاً، بإمكانه الغناء والرسم بدقة وجمال، وكذلك هو الأمر مع كتابته، لكنه لا يتمتع بحس أخلاقي أو جمالي، لذا لا ينتج شيئاً أصيلاً.

٣- محبة الأعداء؟ أمر صعب ونادراً ما نستطيع فعله، كما هو الأمر مع كل شيء رائع. لكن يا لسعادتنا حينما نقوم به! ثمة حلاوة فاتنة في

(٣٤) مقالة بعنوان (كيف نقرأ الأناجيل وما هو جوهرها؟).

هذا الحب، حتى في احتمالية حدوثه. هذه الحلاوة تتفاعل بشكل عكسي مع موضوع الحب... نعم، إن حب الأعداء بمثابة شهوة.

٤- شخص آخر يجبرني على المعاناة. ما إن أفكر في نفسي ومعاناتي، حتى تزيد المعاناة أكثر فأكثر، ويصيبني الهلع من مجرد التفكير فيما يمكن أن تصل إليه. يلزم أن أفكر في هذا الإنسان الذي أعاني بسببه، أفكر في معاناته، وحينها سأتعافى فوراً. أحياناً يكون الأمر سهلاً حينما تُكنُّ مشاعر حب بالفعل لمعذبك. رغم صعوبة الأمر في أغلب الأحيان إلا أنه ممكن دائماً.

٥- بالأمس، أثناء تجوالي، كنت أفكر في ماهية الحدود التي تفصل كياناً ما عن الآخرين. قلت في نفسي: هل يمثل الزمان والمكان شروط هذه التقسيم؟ أم أنهما نتاج له؟ لو لم أكن معزولاً عن الآخرين لما كان هناك زمان أو مكان، كما هو الأمر مع الله. لكن ما إن أدرك كينونتي المستقلة حتى يمكنني تفهم نفسي والكائنات الأخرى عبر حدود الزمان والمكان. أشعر أن ثمة شيئاً ما بالأمر لا أستطيع التعبير عنه بوضوح بعد.

٦- بخصوص مسألة: هل من الجيد أن تقع في الحب؟ المسألة محسومة بالنسبة لي: إن عاش إنسان حياة إنسانية روحية، فالحب والزواج سيكونان بالنسبة له بمثابة سقوط. سيتوجب عليه حينها أن يتخلى عن جزء من قواه لزوجه وأسرته أو لموضوع حبه بشكل عام. إن كان لا يزال في الدرجة الحيوانية؛ يأكل ويشرب ويعمل ويخدم ويكتب ويلعب، سيكون الحب بالنسبة له بمثابة ارتقاء، كما هو الأمر مع الحيوانات والحشرات إيان الجماع.

٧- الصلاة؟ يُقال إننا في حاجة للصلاة والتضرع والقداس؛ في حاجة للتسبيح وقراءة النصوص المقدسة والتهنئة والأيقونات، ولكن ما الصلاة؟ إنها اتصال بالله وإدراك لعلاقة المرء بالله، وهي حالة سامية للروح. أيمن أن ندعم هذه الحالة السامية للروح بحواسنا المادية، والتأثيرات التي نستخدمها من أجل إثارة أدنى مشاعرنا ومن أجل أن نخدر أنفسنا؟ أليس من المحتمل أننا لا يمكن أن نصل إلى حالة الصلاة إلا نادرًا وفي لحظات استثنائية، عندما نكون يقينًا في حالة عزلة، كما قال المسيح، وكما رأى إيليا الله في نسيم رقيق، لا في العاصفة^(٣٥)؟

٨- بالأمس تصفحت روايات وقصص وقصائد فيت. تذكرت عزفنا الرباعي^(٣٦) المتواصل على البيانو معًا في ياسنابوليانا، وتبين لي بوضوح أن كل هذا: الروايات والقصائد والموسيقى لم تكن فنًا، بمعنى أمر هام وضروري للناس عمومًا، بل كانت بمثابة بذاءة لصوص وكائنات طفيلية، لا تتضمن شيئًا من الحياة بداخلها: روايات وقصص عن علاقات الحب، وقصائد عن الموضوع ذاته أو عن أناس يموتون في ملل. الموسيقى عن الأمر ذاته، لكن الحياة؛ الحياة بأكملها تتقد بمشاكلها الخاصة عن الطعام والسكن والعمل والإيمان والعلاقات بين الناس... أمر مخزٍ ودنيء حقًا. ساعدني يا أبي وحل عني شبكة الأكاذيب حتى أخدمك.

٩- كنت عائدًا من عند آل تشيرتكوف في الخامس من يوليو. كان

(٣٥) راجع ملوك الأول ١٩: ١١ - ١٣.

(٣٦) عزف لعازفين معًا على بيانو واحد (أربع أيدي).

الوقت مساءً وقد غطى الجمال والسعادة والحسن كل شيء. ولكن ماذا نجد في عالم البشر؟ الطمع والحقْد والحسد والقسوة والشهوة والفسق. حذفت. متى يكون الأمر مع البشر كما هو مع الطبيعة؟ في الطبيعة ثمة صراع لكنه شريف وبسيط وجميل. أما في عالم البشر فالصراع دنيء. أعرفه وأكرهه لأنني أنا نفسي إنسان. (لم أحسن التعبير).

١٠- عندما كنت أعاني روحياً، حاولت مواساة نفسي بوعبي بخدمة الله. هَذَاني ذلك، لكن ذلك لم يحدث إلا عندما كانت الخدمة أمراً واضحاً؛ أي أنها كانت ضرورية بلا شك وجذبتني صوبها. ولكن ما العمل عندما لا يتوفر لا هذا ولا ذاك؟ ليس علينا سوى التسليم لله وإنكار الذات. سأفعل ما تريده. أنا موافق. (لم أحسن التعبير مجدداً).
سأتغدى.

٢٦ يوليو.

لم أنم طوال الليل. قلبي يؤلمني دون توقف. معاناتي مستمرة، ولا يمكنني إخضاع نفسي لله. قهرت شهوتي مرة، لكن الأسوأ هو أنني لم أتغلب على كبريائي وغضبي ولم يتوقف ألم قلبي^(٣٧). عزائي الوحيد أنني لست بمفردي، لكني مع الله، لذا مهما كان الألم الذي أشعر به، سيتم شيء ما. ساعدني يا أبي.

بالأمس تمشيت نواحي بابورينو، والتقيت دون عمد بأكيم البالغ من العمر ثمانين عاماً، يحرق أرضه. حاولت تفادي اللقاء، لكنني فشلت.

(٣٧) يشير إلى غيرته من علاقة صوفيا بالموسيقى: تانييف. راجع الجزء الثاني.

التقيت كذلك بزوجة يريميتشيف التي ليس لديها معطف واحد من الفرو في فنائها، وليس لديها سوى سترة طويلة واحدة. التقيت أيضًا بماريا التي مات زوجها من البرد، وليس لديها أحد ليجر العربة المحملة بالجاودار، في الوقت الذي يحتضر فيه ابنها الصغير من فرط الجوع. التقيت كذلك بتروفيم وخاليفكا، وهما زوجان يحتضران وكذلك أولادهما. يحدث ذلك بينما نتناقش حول بيتهوفن! صليت لله حتى يخلصني من هذه الحياة. أَصَلِّي صَارخًا من الألم. ضللت الطريق وأُنْهَكَت. لا يمكنني فعل شيء، لكنني أكره نفسي وحياتي.

٣٠ يوليو.

عانيت وناضلت كثيرًا، ولم أتغلبُ بعد على كبريائي أو غضبي. لكن الأمر تحسن قليلًا. جاءت أنينكوفا وتحدثت قليلًا. حذفت ٥ كلمات وأفسدت يومياتي. أكتب واضعًا نصب عيني احتمال أن تقرأ هذه اليوميات إحدى الشخصيات الواردة فيها. لا يجعلني أشعر بالتحسن سوى وعيي بوجوب شعوري بالشفقة وفكرة أنها تعاني (يقصد صوفيا) وأن لا حدود لذنبي في حقها. انتقلت دفعة حديثهم الآن بالدور العلوي إلى الأناجيل، وسخر تانييف قائلاً إن المسيح نصحنًا بالخصاء^(٣٨). شعرت بالغضب والخزي. منذ يومين ذهبت إلى ضحايا الحريق، ولم أتغدَّ، وأُنْهَكَت لكنني كنت بخير. رحلت تانيا. أعطيتها نصيحة وآسفت عليها. بالأمس ذهبت

(٣٨) ثمة آية تشير إلى ذلك، ولكن أغلب المفسرين يفسرونها بطريقة رمزية: «لأنَّهُ يُوجَدُ خَصِيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» متى ١٩: ١٢.

إلى المحامي الذي أراد أن يستولي على مائة روبل من امرأة فقيرة ليزين منزله بها. الأمر واحد في كل مكان. في هذه الفترة ذهبت إلى بيروجوفو. لقد انتقل أخي سيريوغا إلى صفى تمامًا. استمتعت برحلة جميلة مع تانيا وتشيرتكوف. قضيت اليوم وقتًا في ديمينكا مع فلاح يحتضر. العمل يتقدم بشدة. سأحاول أن أكمل الآن ما دوّنته في دفترتي:

١١ - يُقال إن كانط قد صنع ثورة في مجرى الفكر البشري. إنه أول من أشار إلى أننا لا يمكننا فهم الشيء في ذاته، وأن مصدر المعرفة والحياة ذو طابع روحي. هذا صحيح، ولكن ألم يقل المسيح ذلك منذ ٢٠٠٠ عام وبطريقة أكثر وضوحًا للناس؟ «اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا». (يوحنا ٤: ٢٤) - «الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئًا». (يوحنا ٦: ٣٦).

١٢ - الحفلات الراقصة والتبطل والعروض والمواكب وحدائق اللهو... إلخ، جميعها بمثابة أدوات مريعة في يد من ينظمها. يمكن أن يكون لها تأثير مريع، وإن أُحكمت السيطرة ينتهي الأمر.

١٣ - بينما أنا سائر في الطريق، ناظرًا إلى الغابة والأرض والعشب، فكرت في هذه الضلالة الهزلية التي فحواها أن العالم يبدو هكذا كما أراه الآن. هذا يعني أن لا كيان آخر واعي عداي بحواسي السّت. توقفت ودوّنت ذلك. اقترب سيرجي إيفانوفيتش. قلت له إنني كنت أفكر. قال: أمر واحد مؤكد؛ ألا وهو أن العالم ليس كما نراه، ونحن لا نعرف شيئًا كما هو فعلاً. قلت له: إننا لا نعرف فعلاً شيئًا كما هو في الحقيقة. ماذا يعني ذلك؟ يعني أننا نعرف الشيء كما هو تمامًا!

١٤ - الحر هو مَنْ لا يستطيع أحد أو شيء أن يمنعه عن فعل ما يريد.
ثمة فعل واحد ينطبق عليه هذا الشرط؛ ألا وهو الحب.

١٥ - أتوجه بصلاتي إلى الله كشخصية، ليس لأنه كذلك فعلاً، فأنا أدرك أنه ليس كذلك؛ لأن للشخصية حدوداً، بينما الله غير محدود. لكنني أقوم بذلك لأنني كائن شخصي. إن ارتديت عدسات خضراء، سأرى كل شيء أخضر اللون، ولن يكون بوسعي ألا أرى العالم أخضر، مع أنني أعرف أنه ليس كذلك.

١٦ - المتعة الجمالية هي متعة ذات مستوى متدنٍ. لذا تترك المتعة الجمالية السامية فينا شعوراً بعدم الرضى. كلما ازدادت سموّاً ازداد شعورنا بعدم الرضى حيالها. نريد المزيد دائماً إلى ما لا نهاية. أما الشعور بالرضى الكامل فلا يحققه سوى الخير الأخلاقي. هنا يتحقق الرضى الكامل، ولا يعود الإنسان يحتاج شيئاً أو يرغب فيه.

١٨ - الكذب على الناس أقل أهمية وضرراً بكثير من الكذب على النفس. عادة ما يكون الكذب على الناس بمثابة لعبة بريئة بهدف إرضاء الكبرياء، أما الكذب على النفس فهو تحريف دائم للحقيقة وانحراف عن متطلبات الحياة.

١٩ - مع أن الأمر يحدث نادراً، لكن قد حدث أن أقوم بفعل خير بدافع من شفقة حقيقية. حينها لا أتذكر أبداً ما فعلته أو الظروف التي حاقت بذلك. كل ما أتذكره هو أنني كنت مع الله. أفكر في ذلك بمناسبة حداثي العزيز الذي تخلت عنه وشعرت بالأسف على فقدانه، ورغم ذلك لم أستطع طويلاً أن أتذكر إلى مَنْ قد أرسلته. هكذا هو الأمر مع

كافة الأوقات التي أقضيها مع الله سواء أكانت في الصلاة أم الحياة. الذاكرة تتعلق بما هو جسدي، أما هذا الأمر فروحي.

٢٠- لا يمكن للإنسان أن يحيا حياة جسدية إن لم يعتبر نفسه محققًا، ولا يمكنه أن يعيش حياة روحية إن لم يعتبر نفسه خاطئًا.

٢١- قال لي بوبوف: لماذا تتواصل معي وأنا في حاجة لإصلاح حياتي كلها؟ لماذا تفعل ذلك وأنا شخص بلا لحية، ذو شعر طويل وحلمات بارزة، أشبه الإنسان كثيرًا، لكني مختلف عنه تمامًا في السمات الرئيسة؟

سأنام. الساعة الآن الواحدة والنصف.

٣١ يوليو.

الساعة الآن الخامسة مساءً. أنا مُسْتَلَقٌ لكني لا أستطيع النوم. قلبي يؤلمني. أنا مُعَذَّب. أسمعهم من النافذة يلعبون التنس ويضحكون. ذهبت صوفيا إلى ضيعة آل شينشين. الجميع بخير، لكنني أشعر بالكآبة ولا يمكنني السيطرة على نفسي. يشبه هذا الوضع شعوري حينما أغلق السيد توماس^(٣٩) الغرفة عليّ، وكان بإمكانني سماع الجميع يضحكون ويستمتعون بوقتهم. لكني لا أريد ذلك. عليّ أن أحتمل الإذلال وأنحلي بالطيبة. يمكنني فعل ذلك. سأواصل نقل ما دَوَّنْتَه من أفكار:

١- عدم الثقة بالعقل هو مصدر كل شر، وهو يتحقق بالإيمان

(٣٩) مربي تولستوي وإخوته في الطفولة.

المخداع الذي يلقنونا إياه منذ الطفولة. ليس عليك سوى أن تؤمن بمعجزة واحدة، وحينها تنهار ثقتك بالعقل تمامًا.

٢- هل من المستحيل استمالتها بطيبة صوب الحقيقة؟ (يقصد صوفيا) ماذا تعني بـ: «طيبة؟» هذا يعني أن أتملقها، وبهذا سيزداد ضلالها وثقتها في نفسها سوءًا.

٣- يا للشقاء الذي تمنحنا المسيحية إياه! ينخفض معها الشعور بالأمن إلى قاع لا يمكننا أن نسقط إلى بقعة أعمق منه.

٤- غادرت تولا على متن الجواد، وكنت أفكر في أنني جزء منه، وبشكل ما منفصل عن بقية الأجزاء. أما هو فيعتبر الكل والأب. شعرت بالحب صوبه مباشرة. الآن... الآن تحديدًا لا يمكنني إلا أن أستردها هذا الشعور، بل وأذكره أيضًا. كنت مسرورًا جدًا حتى إنني قلت لنفسني: ظننتني لن أتعلم شيئًا جديدًا، والآن يراودني شعور جديد مبهج مذهل... أدرك حقيقة الشعور ذاته.

٥- يا للمخداع المتعلق بالجمال والحقيقة والخير! الجمال إحدى سمات الأشياء الخارجية، كما أن الصحة سمة للأجساد الحية. الحقيقة ليست مثال العلم المنشود. ينشد العلم المعرفة لا الحقيقة. أما الخير فلا يمكن أن يقف بين الاثنين السابقين؛ لأنه هو هدف الحياة. الفكرة غير واضحة، لكنها كانت واضحة، وستكون كذلك.

أغسطس.

قلبي يؤلمني بشدة. ليس عليَّ أن أشفق على نفسي، بل عليها هي.

يريعني التفكير في حجم الوقت الذي مرَّ: شهر ونصف. خلال هذه الفترة قمت برحلة إلى الدير بصحبة صوفيا^(٤٠)، وكانت رحلة جيدة جدًا. لم أُنخلص من شعوري (يقصد: بالغيرة) ولم أقهره بعد، لكنه قارب على التلاشى. كتبت مسودة عن (الحاج مراد) ولكن بصورة سيئة جدًا. أوصل كتابة «عرض الإيمان». رحل آل تشيرتكوف. صوفيا في موسكو منذ يوم ٣. انتظرتها بنفاد صبر اليوم وأوشكت على الشعور بخيبة الأمل. وصل ليوفا وزوجته. إنها طفلة، وهما شديدا اللطف. الآن يتواجد بالمنزل أبنائي الثلاثة وزوجاتهم^(٤١). وصلني خطاب من أحد الهولنديين الرافضين لأداء الخدمة العسكرية. كتبت مقدمة لهذا الخطاب بهدف النشر. كتبت كذلك خطابًا لكالميكوفا يتضمن إدانات حادة للحكومة. استغرقت فيما ذكرته طوال الشهر والنصف الماضي. كنت مريضًا كذلك بمرضي المعتاد، ومعدتي ليست بخير.

وصلني في هذه الفترة خطاب من هندي يُدعى تود، وكتاب حكمة هندي رائع عن فلسفة اليوجا.

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١ - ثمة الكثير من الناس، وخاصة من الأوروبيين، والنساء منهم على وجه الخصوص، اللائي لا يكتفين فقط بالكلام وإنما يكتبن،

(٤٠) لا يزال معذبًا من غيرته من علاقة زوجته بتانييف. ذهب معها إلى الدير لزيارة شقيقته، واستمرت الرحلة من ١٠ إلى ١٥ أغسطس.

(٤١) سيرجي - إيليا - ليف.

فضلاً عن ذلك، أشياء ذكية، كما لو كانت هذه الأشياء قد قالها بكم! يقلن مثلاً: «فى الحقيقة إن فلاناً لا يتصف بالقدرة على التفكير. تراه فكأنك تتحدث إلى أبكم». الحقيقة أن كليهما غبي قد علمهما معلم أبكم!

٢- لِتُحِبَّ إنساناً بمفرده عليك أن تتحلى بالعمى. إن لم تكن أعمى لا يسعك إلا أن تحب الله وتشفق على الناس، أي أن تحب بطريقة إلهية.

٣- لتتخلص من عدوك عليك أن تحبه كما قيل في تعاليم الرسل.

لتحبَّ عليك أن تطرح على نفسك أسئلة تتعلق بحب العدو في حياتك وإسداء الخير له بالحب والوصول إلى كمال نفسك بحبك له.

٤- في البداية يندھش المرء من اللهجة الواثقة المقنعة التي يتحدث بها الأغنياء، لكن هكذا يجب أن يكون الأمر. لم نسمع أبداً عن غير ذلك.

٥- «في الزينة سعادة الفقراء». لا يمكنني أن أتذكر ماذا يعني ذلك، لكن ثمة ما يروق لي في هذه المقولة.

يبدو أن معناها كالاتي: ينظر الفقراء إلى حياة الأغنياء ويظنون أن هذه هي السعادة. إنها سعادة تشبه شجرة أو قلعة مرسومة على ورق مقوى، فتبدو كما لو أنها حقيقية.

٦- جميعنا ننجذب صوب بعضنا، كما لو أننا أجزاء لجسد واحد، لكن خشونة الزوايا هي ما تعيق اتحادنا. الجاذبية موجودة فعلاً. ليس عليك فعل شيء سوى تشذيب وتنظيف زواياك.

٧- إحدى أقوى وسائل التنويم ذات التأثير الخارجي على الحالة

الروحية هي الثياب. يدرك الناس ذلك جيدًا، وهذا سبب ارتداء الرهبان والجنود ثيابًا خاصة.

٨- فكرت في موضوعين رائعين من أجل روايتين: انتحار العجوز بيرسيانينوف، ووضع طفل في ملجأ للأيتام^(٤٢).

٩- عندما عذبني ضعفي بحثت عن وسيلة للخلاص، والوسيلة التي وجدتها كانت في فكرة أن لا شيء ثابت، كل شيء يتحرك ويتغير، وأن كل شيء يجري الآن، وليس علينا سوى تحمل اللحظة الراهنة ما دمنا نعيش، أنا وأنت، وسيرحل شخص أولًا. «الآن» لا تعني أن تعيش بشكل ما، بل تعني ألا تيأس وأن تظل صابرًا.

١٠- أردت القول إنني ممتن لأنني سويت أموري جيدًا، وبعد ذلك سأقول الحقيقة. أعتقد أن ذلك مستحيل؛ لأن ذلك سيعزو مزايا إليّ، ومن ثم تقل درجة لطفها. الإنسان الذي لا يعترف بخطاياها هو بمثابة وعاء مغلق بإحكام، لا يتسرب منه شيء. التواضع والإقرار بالذنوب يعني فتح غطاء هذا الوعاء، ومن ثم تصبح النفس قابلة للكمال والخير.

١١- تحول الهمجية دون وحدة الناس، لكن الثقافة الرفيعة دون أساس ديني تفعل الأمر ذاته وأكثر. الأولى تحول دون وحدة الناس ماديًا، والثانية روحيًا.

١٢- الإنسان أداة في يد الله. اعتقدت في البداية أن الإنسان ذاته هو المدعو للعمل، لكنني فهمت الآن أن من يعمل ليس الإنسان نفسه لكنه

(٤٢) لم تصدر روايات لتولستوي عن هذين الموضوعين.

الله. كل ما على الإنسان فعله هو أن يحافظ على نفسه، كالفأس التي يجب أن تُشحذ دائماً تبقى نظيفةً.

١٣- لماذا يُساند الأوغادُ الاستبدادَ؟ لأنهم يشعرون بالسوء في وجود حكومة مثالية تحقق المآثر. أما في ظل الاستبداد، كل شيء يمكن أن يحدث.

١٤- كثيراً ما ألتقي بأناس لا يعترفون بإله سوى الذي ندركه بداخلنا، وحينها أتعجب. الله في داخلي. لكن الله جوهر غير محدود فلماذا سيحل بداخلي؟ يستحيل ألا يسأل المرء نفسه عن ذلك. وما إن يسأل حتى يتوجب عليه معرفة السبب الخارجي. لماذا لا يأمل الناس في التوصل إلى إجابة عن هذا السؤال؟ ذلك لأنهم يبحثون عن الإجابة في حقيقة العالم الموجود، سيان إن فعلوا ذلك طبقاً لموسى أو داروين. حتى نتصور إلهاً خارجياً علينا أن ندرك أن العالم الخارجي هو مجرد انطباع لحواسنا؛ أي انطباع لنا ولأنانا الروحية.

١٥- يلزمنا أمر واحد حتى ننتصر في لحظات الشهوة والهوى: كسر الوهم الذي نعاني منه ونريده في الآن ذاته؛ ألا وهو أن نفصل نفسنا الحقيقية عن قطرات المياه التي عكرتها الشهوة.

١٠ أكتوبر.

لم أدوّن يومياتي منذ شهر تقريباً، مع أنني أشعر وكأنني كنت أكتب فيها بالأمس. خلال تلك المدة أنهيت «عرض الإيمان» ولكن بصورة

سيئة للغاية. جاء كذلك بعض اليابانيين ومعهم خطاب من كونيسي (٤٣). صحيح أنهم يابانيون، لكنهم أقرب إلى المسيحية بدرجة لا تقارن من مسيحيي الكنائس. أحببتهم جداً. ليوفا ضعيف. علاقتي بصوفيا بخير، وإن كانت غير مستقرة، لكني أناضل في طريق الحب. أريد أن أعيد كتابة «عرض الإيمان» من البداية. وصلني بالأمس خطاب جيد من فيريجين بيوتر (٤٤). استغرقت مساء اليوم بأكمله في التفكير في معنى الحياة. على الرغم من أنني لديّ أمر آخر لأدوّنه لكني سأدوّن ذلك الآن:

العالم كله ليس إلا مساحة لا نهائية مليئة بعدد لا نهائي من جزئيات مادية متحركة عديمة اللون والصوت. في الواقع حتى ذلك غير موجود. أنا لا أعرف هذه الجزئيات إلا بسبب عدم قدرتها على النفاذ، لا يمكنني إدراك هذه السمة إلا باللمس والحركة العضلية. لو لم يكن لديّ هذا الشعور لما أدركت عدم قدرة المادة على النفاذ. يقولون بصرامة إنني ليس لديّ الحق في الحديث عن الحركة، فلو لم تكن لديّ حاسة الإبصار أو حركة عضلية لما كنت عرفت شيئاً عن هذه الحركة. إذن كل ما لديّ الحق في قوله عن العالم الخارجي هو أن شيئاً شيء ما غير معروف بالنسبة لي، وهذا ما قاله البراهمة وكانط وبيركلي (٤٥) منذ فترة طويلة.

(٤٣) صديق ياباني لتولستوي كان يدرس في كييف.

(٤٤) قائد طائفة الدوخوبوريين بالقوقاز، وكان متقياً في سيبيريا.

(٤٥) فيلسوف إيرلندي كان إنجازته الرئيس تطوير نظرية أطلق عليها اسم «اللا مادية». تنكر هذه النظرية وجود الجوهر المادي، إذ تؤكد بدلاً من ذلك على أن الموجودات المألوفة - مثل الطاولات والكراسي - ما هي إلا أفكار في عقول من يدركونها حسياً، وبالتالي فليس بإمكانها أن توجد دون أن تُدرك.

ثمة ذريعة صغيرة تبدو كحبة رمل تحدث تهيجًا في قوقع الحلزون وتنتج لؤلؤة وتخرج إفراز الحلزون الذي هو عالمنا المادي بأكمله. ترى ما هي؟ إنها أنا وفكرتي عن نفسي، وعن الشمس والأشجار والحيوانات والأحجار.

من أين أتى كل هذا (الشمس - النباتات - الحيوانات - الأحجار - أنا نفسي)؟ إنه إدراكي الذي حوّل بعض الذرات عديمة اللون والحركة إلى كل ذلك. وما هو إدراكي؟ إدراكي هو أنا، أو ما أسميه «نفسى». الأمر الرئيس والمهم إذن هو ما أسميه «نفسى»، ولكن ما طبيعة هذه النفس؟ أهي ترتبط بي طوعًا؟ لا... إنها مستقلة عني، ووجودها مُقدَّر سلفًا. لا يمكنني ألا أكون نفسي، ولا يمكن ألا تكون لديّ تلك الأفكار التي لديّ الآن. الأمر تحديدًا هو أن بداخلي جزءًا صغيرًا من تلك الذرات المتحركة، وأنا أعتبرها نفسي، أما بقية الذرات فأراها في صورة الكائنات الأخرى، وهي تشبهني بدرجة أو بأكثر. يتكون العالم الذي أعرفه من كائنات تماثلني أو تشبهني.

عندما يكون ثمة عدد معين من الذرات داخل ما أطلق عليه «نفسى» أتصور أن هذا هو كياني الخاص الكامل، وأنه منفصل تمامًا عن بقية العالم، يعيش وسط كائنات حية في إطار الزمان والمكان، وأطلق على ذلك «الحياة».

الحياة إذن تُدرك في انفصال كياني عن بقية الكائنات الأخرى. هذا الانفصال لا تشوبه شائبة مادية، بغض النظر عن أنه يبدو كما لو أنه انفصال مادي.

هراء!

كل ما يعيش يفصل نفسه عن الآخرين. الحياة لا تُدرك إلا بهذا الانفصال. لو لم يوجد هذا الانفصال، لما وُجد شيء سوى أساس غامض للحياة نطلق عليه المادة. عندما يموت الإنسان، يتوقف عن فصل نفسه عن الآخرين. وهكذا يحدث أن...

سأحاول أن أكمل الفكرة عندما أستطيع.

* * *

أواصل كتابة ما انتويت كتابته واستغرقت في التفكير فيه طوال الليل: يعتقد الناس أن حياتهم في أجسادهم، لذا ما يحدث في الجسد من تنفس وهضم للطعام ودورة دموية... إلخ، يُنتج الحياة. يبدو لهم ذلك حقيقة لا شك فيها. الحياة إذن هي التنفس وتناول الطعام والدورة الدموية. لكن حياة الجسد تنتهي، فإن افترضنا فعلاً أن الحياة تنتج عن عمليات الجسد، وأنها تنحصر في الجسد وحده، لا بد إذن أن تنتهي بانتهاء عمليات الجسد. لكن ربما هذا مجرد تأكيد تعسفي. لم يُثبت أحد - ولا يستطيع - أن الحياة تنحصر في الجسد ولا يمكنها أن تكون في غياب الجسد. تأكيد كهذا يماثل أن نؤكد أن الشمس انتهى أمرها عندما غربت. علينا قبل ذلك أن نعرف ما هي الحياة في الأساس. أهي ما أراه في الآخرين، بطريقة بدايتها وانتهائها، أما أنها ما أدركه في ذاتي؟ إن كانت ما أدركه في ذاتي، فهي موجودة وحسب، ولا يمكن أن تزول. أما حقيقة أن انتهاء العمليات في الأجساد التي أراها من حولي مرتبطة بحياتي وحياة الكائنات الأخرى، فلا تكشف إلا عن أن الحياة

تغادر إلى مكان ما بعيداً عن باصريّ. لكن لا يمكنها أن تزول أبداً لأن لا شيء سواها في العالم. السؤال إذن يُمكن أن يكون كالآتي: هل يمكن أن تزول حياتي؟ هل زوال الجسد علامة على زوال الحياة؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نحسم قبل كل شيء ماهية الحياة. الحياة هي الوعي بانفصالي عن الكائنات الأخرى، ووجود كائنات أخرى وإدراك الحدود التي تفصلني عنها.

الفكرة غير واضحة، ولا أريد الاستمرار.

٢٠ أكتوبر - صباحاً.

أريد تدوين ثلاثة أمور:

١- أهم شيء في العمل الفني هي روح المؤلف. لذلك نجد أعمال النساء أفضل وأكثر تشويقاً في مجال الأعمال متوسطة المستوى. سوف تشق المرأة طريقها من وقت للآخر، وسوف تكشف عن أعماق أسرار روحها، وهذا ما يحتاجه العمل الفني. سوف ترى كقارئ ما تحبه فعلاً رغم أنها تتظاهر أنها تحب شيئاً آخر. عندما يكتب المؤلف، نعتقد نحن القراء أننا نضع آذاننا على صدره ونستمع له قائلين له: تنفس! إن كانت هناك أنفاس سوف نسمعها حقاً. النساء لا يعرفن كيف يكتمن هذه الأصوات. أما الرجل فيمكنه تعلم تقنيات أدبية، ولن يمكنك رؤيته بسبب طريقة كتابته. كل ما ستعرفه هو أنه أحرق. لكنك لن ترى ما يخفيه داخل روحه.

ما كتبه سيئٌ وخبيثٌ.

٢- أردت أن أكتب الآتي: بالأمس، بعد أن أطفأت الشمعة، تحسست المكان بحثاً عن أعواد الثقاب، لكنني لم أجدها. أدركت أمراً غريباً. قلت لنفسي: «هل تنتوي الموت؟ أستموت بينما تبحث عن أعواد الثقاب؟»، لكنني سرعان ما أدركت أنني أحيا فعلاً في هذا الظلام، وهذا حالي. ما طبيعة هذا الخوف من الظلام؟ بالإضافة إلى الخوف من عدم القدرة على تدبير الأمر إن حدث شيء ثمة خوف من غياب هذا الوهم الرئيس لحواسنا؛ ألا وهي الرؤية. إنه خوف من التفكير الحقيقي في حياتنا. لم أعد أشعر الآن بهذا الخوف، بل على العكس؛ تحول الخوف إلى شعور بالسلوان، ولم تنبِّ لديّ سوى عادة الخوف، لكن خوف معظم الناس هو أن ليس لديهم سوى مصدر عزاء وحيد.

٣- أردت أن أكتب ذلك: عندما يجد الإنسان نفسه أمام اختيار ضروري بين القيام بفعل يبدو مفيداً للآخرين، لكنه يخالف متطلبات ضميره (إرادة الله) فإن هذا الفعل يكون عبارة عن مجرد قصر نظر. إنه يرى الخير الذي يعتقد أنه سينتج في القريب العاجل عن هذا الفعل إن خالف إرادة الله، لكنه لا يرى على المستوى البعيد الخير الأكبر بعدد لا نهائي من المرات الذي سيحدث إن لم يقم بهذا الفعل وحقق إرادة الله. يشبه ذلك ما يفعله الأطفال عندما يبعثون الفوضى في المنزل من أجل أن يلعبوا، وهو أمر لازم لمتعتهم.

الحقيقة أن ليس ثمة زمان بالنسبة لعمل الله والإنسان الذي يقوم به. لكن الإنسان لا يمكنه ألا يتصور نفسه داخل إطار الزمان، لذا حتى

يتوصل إلى حكم صحيح على معنى العمل الإلهي، عليه أن يتصوره في زمان بعيد للغاية، بل حتى في بقعة خارج نطاق الزمان. إن حقيقة أنني لن أقتل القاتل، وأني سأغفر له، وأني سأموت بعيداً عن أنظار الجميع، بينما أنفذ إرادة الله من شأنها أن تؤتي ثمارها. إن أردت أن أفكر داخل نطاق الزمان، فليكن زماناً لا نهائياً. لكن ذلك سيؤتي ثماره حتماً.

عليّ أن أنهي ما بدأت فيه سابقاً.

٤ - التهذيب وقوة الفن يتناقضان تماماً دائماً.

٥ - هل حقاً يمكن للعمل الدؤوب أن ينتج الفن؟ هذا صحيح بالنسبة لما نطلق عليها: «أعمال فنية»، ولكن هل هذا هو الفن الحقيقي؟

٦ - غنى اليابانيون، ولم نستطع منع أنفسنا من الضحك. لو كنا نحن الذين غنينا للضحكوا هم أيضاً. هكذا هو الأمر أيضاً إن عزفنا لهم موسيقى بيتهوفن. لكن المعابد الهندية واليونانية يمكن للجميع فهمها. كذلك هو الأمر مع التماثيل اليونانية، فالجميع يفهمونها. يمكننا أن نفهم رسوماتنا بصورة أفضل. هكذا هو الأمر مع العمارة والنحت والرسم حتى يصلوا إلى درجة الكمال، وقد وصلوا إلى درجة عالمية فعلاً يمكن معها للجميع أن يفهموها. إلى هذا الحد وصل فن الكلمة في بعض تجلياته في تعاليم بوذا والمسيح. في الفن المسرحي لم يصل سوفوكليس وأريستوفان إلى هذه الدرجة. أما في الموسيقى فقد تأخروا تماماً. إن المثال الذي يجب أن يسعى صوبه كل فن هو إمكانية وصوله للجميع. لكنهم الآن - خاصة في الموسيقى - غارقون في التشذيب.

٧ - الأمر الرئيس الذي أردت قوله عن الفن إنه لا يعني التجلي

العظيم للروح الإنسانية بالطريقة التي يفهمونه به الآن. نشعر بالتسلية من جمال المباني ونحت الأجساد ورسم المناظر، ومن الرقص والغناء والعزف على آلات موسيقية مختلفة، وكذلك من القصائد والحكايات الخرافية والرمزية، لكن كل ما سبق مجرد تسلية، ليست بالأمر الهام الذي يمكننا أن نكرس كافة قوانا من أجله عن قصد. هكذا فهم الإنسان العامل الأمر دائماً، والعامة التي لم تفسد بعد. لا يمكن لأي إنسان لم ينفصل عن الحياة والعمل أن ينظر إلى الأمر بصورة مختلفة. عليّ أن أعلن ذلك. كم من الشر بسبب ما تعزوه طفيليات المجتمع من أهمية إلى التسلية!

٨- إن حواسنا هي التي تشكل عالمنا المادي كاملاً. نحن لا نعرف شيئاً عنه، ولا يمكننا أن نعرف شيئاً. كل ما يمكننا معرفته بدراسة العالم المادي هي علاقة حواسنا ببعضها وقوانين هذه العلاقات. هذا أمر مثير، ولا جدال فيه. تكشف لنا دراسة هذه العلاقات عن حالات جديدة كثيرة يمكننا أن نستفيد منها، وتُحسّن من حياتنا. لكن الأمر لا يقتصر على أن هذا ليس كل شيء، وليس كل العلم كما يؤكد ذلك المشتغلون بالعلم الآن، لكن أيضاً هذا مجرد جزء صغير تافه من العلم. العلم هو دراسة علاقة أنا الروحية بحواسنا المادية أو العالم المادي. لا بد من دراسة هذه العلاقة؛ لأن فيها تتحقق حركة الإنسانية بشكل عام صوب الكمال والخير، وهي الحركة التي يسعى صوبها كل إنسان على حدة.

تشكل هذه العلاقة مادة العلم بأكمله، ويطلق علماءنا المعاصرون على دراسة هذه العلاقة «علم الأخلاق»، ويعتبر هذا العلم ضئيل الأهمية جداً وسط عدد كبير من العلوم الأخرى. كل شيء معكوس، أصبح

العلم مجرد جزء صغير، وأصبح الجزء الصغير هو العلم كاملاً. هذا هو سبب بربرية الناس.

يعود ذلك إلى الجهل المدهش لأولئك المدعويين «علماء». إنهم على ثقة بسذاجة في أن العالم المادي حقيقي تماماً، تماماً كما يثق الفلاحون تماماً في أن الشمس والنجوم تدور حول الأرض. كما أن الفلاحين لا يعرفون كل ما توصل إليه جاليليو وكوبرنيكوس ونيوتن، وحتى إن سمعوا عنهم لا يصدقونهم، هكذا هو الأمر مع العلماء الماديين، فهم لم يسمعوا ولا يعرفون أو لا يصدقون ما قام به في مجال نقد الوعي كل من ديكارت وكانط وبيركلي، وحتى من قبلهم من الهندوس وكذلك مختلف التعاليم الدينية.

٩- عندما تعاني من الشهوة عليك بهذه الصفات:

أ- تذكر كم عانيت من قبل من توحّد وعيك بالشهوة الجنسية والأنانية والنهم والكبرياء، وتذكر كيف مر كل ذلك، وأنت لم تجد حينها أنك التي كنت تعاني بسببها. هكذا هو الأمر الآن. لست أنت من تعاني، وإنما السبب هي هذه الشهوة التي توحدت بها بطريقة غير صحيحة.

ب- تذكر أن هذه المعاناة ليست مجرد مصدر للضيق يمكنك أن ترغب في التخلص منه، بل إنها صُلب عمل الحياة الذي أنت مدعو إليه. الرغبة في التخلص منها يجعلك تشبه إنساناً رفع المحراث في الموضع الذي بدت فيه الأرض قوية، وهو الموضع الذي يحتاج تحديداً إلى الحرث.

ج- تذكر في اللحظة التي تعاني فيها أنه إن كنت تشعر بالضغينة، فإن المعاناة تكون بداخلك. بدّل بالكرهية الحب، وحينها تنتهي معاناتك.

د- إنه ممكن... أقصد حب الأعداء الذي هو الحب الحقيقي. لا بد من الوصول إليه... لا بد من الوصول إليه بالعمل والوعي بأن الحياة فيه. كم ستشعر بالراحة حينما تصل إليه!

في الفترة الأخيرة كتبت على نحو سيئ. اكتفيت بكتابة بعض الخطابات وأرسلت لشميت ملحقًا لخطابي عن تناقض الخدمة العسكرية مع المسيحية. كنت على وشك البدء من جديد في «عرض الإيمان». سأواصل العمل عليه. ذهبت إلى بيروجوفو مع ماشا. سيروجا (أخوه) بخير تمامًا. أموري تمضي بخير مع أندريوشا (ابنه) مع أنه يكاد أن يموت من فرط السكر والشهوة.

٢٢ أكتوبر.

لم يمضِ العمل على نحو جيد خلال تلك الفترة. أرسلت خطابًا لقائد الكتيبة الانضباطية بإركوتسك بشأن أولخوفيك^(٤٦). حل المساء، وسأعكف الآن على الكتابة، فأنا أشعر بأهمية الساعات المتبقية لي في هذه الحياة الشديدة ومدة خطورتها. لا أعرف ماذا يتوجب عليّ أن أفعل، لكنني أشعر أن إرادة الله قد نضجت تمامًا بداخلي وأنها مستعدة لطرح ثمارها. أعدت قراءة (الحاج مراد). ليست كما يجب. لا أستطيع العمل

(٤٦) فلاح يقضي فترة عقوبته بسبيبريا لرفضه تأدية الخدمة العسكرية.

على «البعث» لأني مشغول بالمسرحية. قرأت مقالة كاربنتر^(٤٧) الرائعة عن العلم. إننا جميعًا نسير بالقرب من الحقيقة ونكشف عنها من جوانب مختلفة.

٢٦ أكتوبر.

لست على ما يرام، ولا يمكنني الكتابة. رأسي تؤلمني. وصل سيريوجا بالأمس. كتبت خطابًا لصوفيا وأندريوشا. يبدو لي أنني وصلت خلال تلك الفترة بسبب الشكوك إلى فكرتين شديديتي الأهمية: الفن كما فكرت ودوّنت سابقًا محض تخيّل. إنه إغواء أن يسلي المرء نفسه بالذمى واللوحات والأغاني والألعاب والحكايات الخرافية ولا شيء أكثر من ذلك. لكن إن وضعنا الفن في نفس المستوى مع الخير كما يفعلون كذلك مع العلم فهذا بمثابة خطأ مريع. الدليل على أنه ليس كذلك هو أن المرء بإمكانه أن يقول عن الحقيقة إنها خيرة، ويمكنه أن يقول عن الجمال إنه حسن، لكن المرء لا يمكنه أن يقول عن الخير إنه جميل، فعادة ما لا يكون كذلك، ولا يمكنه أن يقول عن الخير إنه حقيقي؛ لأنه كذلك دائمًا. الخير واحد، سواء أكان جميلًا أم لا، لكن الحقيقة والجمال هما بمثابة خواص مميزة لبعض الأمور. أمر آخر شديد الأهمية؛ ألا وهو أن العقل هو الوسيلة الوحيدة لتجلي تحرير الحب. يبدو أنها فكرة مهمة قد أغفلتها في «عرض الإيمان».

(٤٧) إدوارد كاربنتر: شاعر وفيلسوف وناشط إنجليزي في مجال حقوق الحيوان والمثليين.

١ نوفمبر.

لست بخير طوال الوقت، ولا يمكنني العمل. لم أكتب سوى بعض الخطابات، من ضمنها خطاب إلى الكتيبة الانضباطية بالقوقاز. مساء الأمس، بينما كنت أخوض في الثلج أثناء العاصفة الثلجية أنهكت قلبي وشعرت به يؤلمني. أعتقد أنني سوف أموت سريعاً. لذلك أدون هذه المواد الآن. أعتقد أنني سوف أموت دون خوف أو مقاومة. كنت جالساً لتوي بمفردي أفكر في الآتي: كم من المدهش أن يحيا الناس حياتهم كل على حدة! فكرت في ستاسوف؛ كيف يعيش الآن؟ فيم يفكر وبم يشعر؟ فكرت أيضاً في كوليتشكا. أدركت فجأة بطريقة غريبة أن كل هؤلاء الناس يحيون لكني لا أحيا بداخلهم، وأن طريقهم مسدود أمامي.

٢ نوفمبر.

تحسنت حالتي قليلاً. كتبت في «عرض الإيمان». أعتقد أن الحقيقة باردة؛ لأنها تريد أن تكون معصومة من الخطأ. عاصفة ثلجية. أرسلت خطابين لشميت وتشيرتكوف. لم أرسل خطابي لكالميكوفا. فكرت اليوم في الفن. إنه لعبة. عندما يكون لعبة لأناس كادحين طبيعيين يكون جيداً، لكن عندما يتحول إلى لعبة لكائنات طفيلية منحلة، يصبح شريراً. لقد وصل الآن إلى درجة الانحلال.

٥ نوفمبر - صباحاً.

يوم أمس كان مريعاً. أول أمس أعربت لليوفا على الغداء بانفعال وغضب عن خطأ فكرته عن الحياة وعن رؤيتي لما هو حسن. قلت له

بعدها إني أشعر بالذنب. بالأمس بدأ الحديث من طرفه، وتحدث معي على نحو شديد السوء وتضمن حديثه إساءات شخصية دنيئة. نسيت الله ولم أُصَلِّ، وتألّمت وخلطت أناي الحقيقية بأخرى دنيئة، ونسيت الله الذي في داخلي. هبطت إلى الطابق السفلي. جاءني صوفيا كما فعلتُ بالأمس، وسلكتُ على نحو جيد جدًا. عندما غادر الجميع في المساء طلبت مني أن أنقل لها حقوق نشر أعمالتي. قلت لها أنني لا أستطيع ذلك. خاب أملها وافترتُ عليّ كثيرًا. كنت أكثر شعورًا منها بخيبة الأمل، لكنني أمسكت نفسي، ومضيت لأنام. لم أنم طوال الليل تقريبًا، وشعرت بالضيق الشديد. وجدت الآن في يومياتي الوصفات (راجع ٢٠ أكتوبر) وأعدت قراءتها، فشعرت بالتحسن: افصلُ أنك الحقيقية عما يسيء إليك ويغضبك، وتذكر أن ذلك ليس عائقًا أو مصدر ضيق عرضيًا، لكنه أمر مقدّر لك تمامًا، والأهم أن تدرك أنه ما دامت ثمة كراهية بداخلك لشخص ما فأنت مذنّب. ما إن تعرف أنك مذنّب حتى يهون الأمر عليك. بينما كنت مستقلقيًا اليوم على الفراش، فكرتُ في حبي لله. أردت أن أقول حب الله؛ أي الحب الإلهي، فالوصية الأولى تتعلق بالحب الإلهي، والثانية شبهها وتنبع منها^(٤٨)؛ أقصد وصية حب القريب.

بالأمس كتبت ١٨ صفحة في مقدمتي عن الفن.

يُقال: «عليك ألا تقول شيئًا عن عمل فني لم تفهمه بعد». إن لم تفهمه فهذا يعني أنه ليس جيدًا؛ لأن وظيفته في الأساس أن يجعل ما هو غير مفهوم مفهومًا.

(٤٨) تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ.

٦ نوفمبر.

إنه اليوم الثالث الذي أواصل فيه الكتابة عن الفن. يبدو ما كتبتَه جيدًا. على الأقل يبدو تلقائيًا وواضحًا. رحلتُ صوفيا اليوم. أموري معها جيدة وسيئة في الآن ذاته. رحل ليوفا بصحبة زوجته إلى إيليا. أشعر بالخزي من شعوري بالراحة! كتبت خطابًا آخر لقائد الكتبية الانضباطية بالقوقاز. أرسل لي تشيرتكوف نسخة من خطابه الذي أرسله بخصوص الأمر ذاته. ذهبت اليوم إلى تولا على متن الجواد. يوم ساحر، نهارًا وليلا. سأتنزه الآن لألتقي بيناتي. فكّرت في الآتي:

١- عندما تريد العلوم الطبيعية تحديد جوهر الأشياء تسقط في قاع مادية فظة؛ أي في جهل شديد من قبيل توريلونات^(٤٩) ديكارت أو الذرات أو الأثير أو أصل الأنواع. كل ما يمكن قوله: هذا ما يبدو لي. بنفس الطريقة تبدو لي قبة السماء دائرية، لكنني أعلم أن السماء ليست كذلك. إنها تبدو لي فقط كذلك؛ لأن رؤيتي في كافة الاتجاهات لا تتجاوز نصف قطر.

٢- أسمى كمال للفن يتلخص في كوزمبوليته^(٥٠). الفن لدينا الآن يزداد عزلة وتفرد، ليس بما يناسب شعبنا، بل بما يناسب طبقة معينة.

٣- الإفراط في تهذيب الفن يتناسب دائمًا بشكل عكسي مع قوته.

٤- لماذا يسعد المرء بالمضي؟ لأن هذا هو شعار الحياة: الحياة

تمضي.

(٤٩) وسيلة ميكانيكية ابتكرت في الساعات في نهاية القرن السابع عشر لتحديد تأثير الجاذبية، كي تدور الساعة دون أن تؤثر الجاذبية على حركتها مما يزيد من دقتها.

(٥٠) أي عالميته.

أردت أن أتزّه. عادت الفتيات، وبدون لطيفات طيبات.

١٢ نوفمبر.

لم أدوّن شيئاً في تلك الفترة. كتبت في مقالتي عن الفن. اليوم كتبت قليلاً في «عرض الإيمان». أفكاري ضعيفة وأشعر بالحزن. على المرء أن يتعلم الرضى عن الحماقة، فإن لم يحب عليه ألا يكره. حمداً لله أنني كذلك.

١٦ نوفمبر.

لا أزال أعمل بنفس درجة السوء، الأمر الذي يثقلني بشدة. بعد غد سأذهب إن شاء الله إلى موسكو. رحل ليوفا وزوجته إلى موسكو، وأشعر بالخزي من القول بأنّ حضوره يثقلني بشدة. في هذه الفترة وصلني خطاب غريب من إسباني يُدعى زانيني يعرض عليّ فيه ٢٢٠٠٠ فرنك مقابل أعمال جيدة. أجبته قائلاً إنني أريد استخدام هذا المال من أجل الدوخوبوريين. ماذا سوف يحدث؟ أرسلت خطاباً إلى كوزمينسكي بشأن فيتّي ودراجوميروف^(٥١)، وقضيت فترة صباح أول أمس كاملاً في الكتابة بمثابرة عن الحرب مجدداً. ماذا سيستج عن ذلك؟

لا أتوقف عن التفكير في الفن والإغراءات أو الإغواءات التي تعتم

(٥١) زار فيتّي "وزير المالية" تولستوي من قبل، وتحدث معه عن احتكار الحكومة بيع الخمر وعن تأسيس الحكومة لجمعيات مناهضة للسُّكر، فأرسل تولستوي لكوزمينسكي قائلاً إنه لا يرغب في لقاء فيتّي ثانياً؛ لأن وجهات نظرهما متباعدة تماماً بحيث لا يمكن لشيء أن ينتج عن لقائهما سوى ضياع الوقت. أما دراجوميروف فهو جنرال عسكري وكاتب، ورغب تولستوي في نصحه بالألا يكتب عن ذكرياته العسكرية ووصفها بالدناءات.

العقل، وأرى الفن واحداً منها، لكني لا أعرف كيف يمكنني شرح ذلك بعد. إن هذا الأمر يشغلني كثيراً. أنام وأستيقظ على هذه الفكرة، ولم أستطع حسمها حتى الآن. أنام في هذه الفترة أيضاً على التفكير في الله والحياة الأخرى.

١ - يقولون إننا يجب أن نفهم الله ككيان شخصي. ثمة سوء فهم كبير في ذلك، فالشخصية هي نوع من الحدود. لا يشعر الإنسان أنه شخصية إلا لأنه يتواصل مع شخصيات أخرى. لو كان ثمة إنسان وحيد لما كان الإنسان شخصية. يتشكل المفهومان الآتيان معاً: العالم المادي، الكائنات الأخرى والشخصية. لو لم يعترف الإنسان بكيانه الشخصي ولم يشعر به؛ أي لو لم يكن الإنسان شخصية، لما اعترف بوجود الكائنات الأخرى. لذا لا يمكن تصور الإنسان وسط العالم إلا في صورة شخصية. لكن كيف يمكننا أن نقول عن الله إنه شخصية أو كيان شخصي؟ هذا هو جذر فكرة التجسد. لا يمكننا أن نقول عن الله سوى ما قاله موسى ومحمد؛ أي أنه واحد، وهو ليس واحداً بمعنى أن ليس ثمة إله أو آلهة غيره؛ لأننا عندما نتحدث عن الله لا يكون هناك معنى لفكرة العدد من الأساس، وبالتالي لا يمكننا حتى أن نقول عن الله إنه واحد بالمعنى العددي، لكن بمعنى أنه محور ذاته، وأنه ليس مجرد مفهوم، لكنه كيان، وهذا الذي تطلق عليه الكنيسة الأرثوذكسية «الله الحي» في مقابل إله «وحدة الوجود» هو كيان روحي سام يعيش في الجميع. إنه واحد بمعنى أنه موجود ككيان يمكن التوجه إليه. لا أقصد بذلك الصلاة، لكن أقصد وجود علاقة بيني أنا الشخصية المحدودة والله غير المدرك ككيان. أهم ما لا يدرك في الله

بالنسبة لنا هو تحديدًا أننا نعرفه ككيان واحد، ولا يمكننا أن نعرفه خلاف ذلك، ورغم أنه كيان واحد لكن لا يمكننا أن نفهم كيف يمكنه ملء كل شيء. إن لم يكن الله واحدًا لتلاشى ولم يعد له وجود. إن كان واحدًا سنتصوره رغمًا عنا في صورة شخصية، وحينها لن يعود الكائن الأسمى الذي يُشكّل كل شيء. في الوقت الذي علينا أن نعرف فيه الله ونتوكل عليه، علينا أن نفهمه كمالي كل شيء وفي الآن ذاته واحد.

٢- فكرت في الآتي: كم هو واضح خطأ تصوراتنا عن الحياة الأخرى في هيئة أجساد تشبه بدرجة أو بأخرى أجسادنا الآن! إن أجسادنا تلك، بقدر ما نعرفها، ليست إلا نتاجًا لحواسنا السّت. كيف يمكن أن تكون ثمة حياة لكيان روحي انفصل عن الجسد في نفس الهيئة التي ينتجها الجسد بحواسه؟

١٧ نوفمبر.

بالأمس لم أكتب شيئًا تقريبًا. أنا وحدي مع بناتي. كم يحلو لي وجودي معهن! إنها وقاحة مني، فذلك بمثابة حمام دافئ لمشاعري. وصلني خطاب جيد جدًا من أندريوشا. اشتعلت حرب في الصحف بسبب تعريف ريبن (رسام ونحات روسي) للفن على أنه نوع من التسلية. كم يقترب هذا من عملي! لم ينجل لي بعد معنى الفن بصورة كاملة. إنه واضح، ويمكنني الكتابة عنه وإثباته، لكن ليس باختصار وبساطة. لم أصل بعد إلى تلك المرحلة. وصلني بالأمس خطاب من إيفان ميخيلوفيتش، وهو عن الدوخوبورين مجددًا.

التسلية أمر جيد إن لم تكن مُنَحَلَّةً، وإن كانت شريفة لا تتسبب في معاناة أحد. أفكر الآن في ذلك.

الجمال تعبير عن الأخلاق؛ أي أن الفن يعبر عن تلك المشاعر التي يختبرها الفنان. إن كانت مشاعر سامية، سيكون فناً جيداً سامياً، والعكس صحيح. إن كان الفنان أخلاقياً، سيكون فنه كذلك، والعكس صحيح.

لم أتوصل إلى شيء! فكرت ليلة اليوم في الآتي:

١- نفرح بنجاح تقنياتنا: المحركات البخارية - الفونوغراف... إلخ. نسعد جداً بهذه النجاحات حتى إن أخبرونا أننا لا يمكننا تحقيقها إلا بهلاك بعض البشر. حينها نكتفي بهز أكتافنا ونقول: علينا أن نحاول الحول دون وقوع ذلك. سنقوم بالآتي: ٨ ساعات عمل باليوم - تأمينات على العمال... إلخ. لكن لا يمكننا التخلي عن نجاحاتنا بسبب وفاة بعض الأشخاص. إذن فليحيا الفونوغراف والمرأة، ولا مانع من موت البعض. ليس على المرء سوى أن يُسلم بهذا المبدأ، ولن تكون ثمة حدود حينها للقسوة، وسيكون من السهل جداً إجراء كافة وسائل التحسين التقنية. كنت أعرف أحدهم في كازان كان يذهب إلى ضيعته في فياتكا - على بعد ١٣٠ فرست^(٥٢) - دائماً بهذه الطريقة: يشتري زوجاً من الجياد بعشرين روبلاً، فقد كانت الجياد حينها رخيصة جداً، ويسرج الجوادين، ويمضي بهما مسافة ١٣٠ فرستاً حتى يصل. أحياناً كان يصل إلى مكانه، فيبقى معه الجوادان وبذلك يوفر تكلفة الرحلة، وأحياناً كانا يقطعان جزءاً فقط

(٥٢) وحدة قياس روسية قديمة تعادل ٧٨١, ١٠٦٦ متراً.

من الطريق، فيستأجر غيرهما ليكمل طريقه. لكن يظل الأمر في الحالتين أرخص له من استئجار جيات البريد. لقد اقترح سويفت تناول الأطفال^(٥٣)، وكان ذلك مربحاً جداً! في نيويورك تدهس القطارات بعض الناس كل عام، ولا يغيرون حالة نقاط العبور لتفادي احتمالية حدوث الحوادث؛ لأن من شأن هذه التغييرات أن تكلفهم أكثر مما يدفعوه لأسر الضحايا الذين يدهسونهم. الأمر ذاته يحدث مع مظاهر التقدم التقني المختلفة في عصرنا. إنها تغير حياة البشر، لكن علينا أن نُثمن حياة كل فرد. لا نشمئها، بل نضعها فوق كل اعتبار، ونقوم بالتطويرات بالشكل الذي لا تُفقد معه أي حياة أو تُدمر، ونوقف أي تطوير إن كان من شأنه أن يصيب حياة بشرية بمكروه.

٢٢ نوفمبر.

إنه يومي الرابع في موسكو. لست راضياً عن نفسي. لا أعمل. تعثر عملي في مقالتي عن الفن ولم يتقدم. بالأمس وصلني خطاب. إنها تريد الانفصال عن سيريوجا. كتبت لها اليوم خطاباً طويلاً^(٥٤). كتبت ما أعتقد أنه الحقيقة وهو يبدو كذلك فعلاً. أخذته بنفسني اليوم إلى بتروفسكو رازوموفسكوي. جاء كل من جوربونوف وبولانجي ودونايف، وذهبت

(٥٣) جوناثان سويفت: أديب وسياسي إنجليزي إيرلندي، عاش بين القرنين ١٧ والـ ١٨ للميلاد، واشتهر بمؤلفاته الساخرة المنتقدة لعيوب المجتمع البريطاني في أيامه والسلطة الإنكليزية في إيرلندا. الإشارة إلى كتاب سويفت «اقتراح متواضع» الذي اقترح فيه بسخرية أن يقوم فقراء الإيرلنديين بتحسين حالتهم الاقتصادية ببيع أطفالهم إلى الأرستقراطيين ليأكلوهم.

(٥٤) الحديث يدور عن زوجة سيرجي شقيق تولستوي، فقد أرسلت لتولستوي تخبره أنها تريد الانفصال عن أخيه، ولم يبق لنا رد تولستوي الذي سلمه بنفسه لوالدها.

بنفسي إلى روسانوف. ترك فيَّ انطباعًا جيدًا جدًا. قرأت لأفلاطون. إنه بذرة المثالية. تذكرت فكرتين جيدتين:

١ - خيانة زوجة لزوج متقد العاطفة وغيور. صراعه ونشوة الغفران

و...

٢ - وصف قمع الأفتان، وبعد ذلك القمع ذاته بسبب ملكية الأرض، أو بالأصح حرمان الآخرين منها.

كان جولدنفازير (عازف ومؤلف موسيقي روسي) يعزف الآن فوجا^(٥٥) خيالية. إنها نوع من التكلُّف العلمي، باردة وطمأنينة. سمعت كذلك مقطوعة لأرينسكي. حسية ومتكلفة. سمعت كذلك باليه لشوبين، وبدت موسيقاه عصبية مريضة. لا يمكن لأي من تلك الموسيقات الثلاثة أن تناسب الشعب.

شيطاني لا يفارقني ويعذبني.

٢٥ نوفمبر.

أشعر بضعف شديد. معدتي لا تعمل تقريبًا. أحاول الكتابة عن الفن ولكن بلا جدوى. حدث صدام مع صوفيا أو بالأحرى حلَّت الكآبة بيننا. تجاوز أسفي عليها وحببي لها كل شيء، وعادت الأمور لتصبح على ما يُرام. وصلني خطاب من زانيني يعرض ٣١٥٠٠ فرنك. رواية تيشينكو (كاتب روسي) عن الفقر جيدة. الساعة الآن الثالثة. سأتنزه.

(٥٥) أحد أشكال التأليف في الموسيقى الكلاسيكية الغربية، تتميز بالدخول المتتالي والمتعاقب للأصوات وتكرار نفس المقطع، ويضم هذا الأخير ثلاثة أجزاء هي: العرض، التطوير، وستريري.

أشعر بالضعف الشديد، والسوء من كافة علاقاتي. كما لو أنني قد استيقظت لتوي. فكّرت في الآتي:

١ - جميعنا في الحياة عمال منجذبون إلى العمل على خلاص أرواحنا. يمكننا أن نقارن الأمر بنيران سمائية قد وهبنا إياها حتى نتقد في أجسادنا. إن عملي كله ينحصر في حماية هذه النيران وزيادة اتقادها، لا تبديدها كما فعلت في الفترة الأخيرة، وليس عليّ التفكير في كيفية اشتعال هذه النيران. دَرَس الحنطة ليس أمراً صعباً، ولكن القيام به دون إخفاق، ومواصلة الدَّرْس دون أن يفصلك شيء عن عملك، يستلزم أن تركز كامل تفكيرك في نفسك وفي الكمية التي أمامك لتحدد متى تقوم بضربتك. ما إن تفكر في الآخرين وتنظر إليهم، حتى تتعثر أمورك. هكذا هو الأمر في الحياة. فكّر فقط في نفسك وعملك؛ وهو عمل وحيد: أن تحب وتزيد قدر الحب بداخلك. لا تفكر في الآخرين ولا في عواقب عملك، وستجد عملك مثمراً يبعث على السرور. إن فكرت فيما تنتجه وفي عواقب عملك، وبدأت تفكر في عملك من حيث عواقبه، سيتعثر عملك ويتوقف، وستشعر بلا جدوى الحياة. لقد منح سيد الحياة لكلّ منا عمله، وإتمام هذا العمل هو الإثمار عينه. إنه يستخدمك ويوجّه هذا العمل ويُفسح له المجال ويضفي عليه المعنى. لكن ما إن أريد أن أجد له مكاناً وأحدده وأحاول تعديل العمل وفقاً لذلك، حتى أتعثر وأشعر بلا جدوى العمل وأياس. ما عليّ سوى أن أعمل، وهو يعرف جدوى هذا العمل وفيما يستخدمه. العبد في التفكير والرب في التدبير. عملنا واحد؛ زيادة الحب بداخلنا.

أنا بمثابة منشار آلي أو مجرفة حية، كل ما عليها هو أن تحافظ على نظافة وحدة شفرتها. حينها ستعمل، وستكون هناك حاجة للعمل. حافظ على حدتك إذَنْ وزدها أكثر فأكثر. سيجعلك ذلك أفضل فأفضل.

٢- كتبت ثانية لـ (شخصية غير معروفة). عبثاً تفكر في إمكانية أن يتخلى المرء عن مآثرة الحياة. الحياة ذاتها مآثرة. بيت القصيد هو أن الأمر الذي يحزننا ويبدو وكأنه يعوقنا عن تحقيق عملنا في الحياة هو عملنا في الحياة ذاته. من الممكن أن يعذبنا ظرف معين في الحياة كالفقر أو المرض أو خيانة الزوج أو الزوجة أو الوشاية أو الإذلال. يمكن أن تكتفي بالشعور بالأسف على نفسك، وتفكر في أنك بئس وسط بئسين آخرين، ويمكنك أن تفهم أن هذا هو عمل الحياة ذاته الذي أنت مدعو له: أن تعيش في فقر ومرض وتسامح الخيانة وتعرض للوشاية والإذلال، وحينها ستشعر بالطاقة والسرور بدلاً من الكآبة والألم.

٣- يزداد الفن استثنائية أكثر فأكثر ويقل عدد من يحقق لهم الرضى، ويزداد اتساعاً بالأنانية حد الجنون، فالجنون هو الدرجة الأخيرة من الأنانية. لقد وصل الفن إلى هذه الدرجة الأخيرة من الأنانية وجنّ.

كنت حزيناً وفي حالة شديدة السوء في تلك الفترة. ساعدني يا أبي حتى أعيش بك ولا أخالف إرادتك.

٢ ديسمبر - موسكو.

مرت خمسة أيام وكانت مؤلمة للغاية. كل شيء على حاله. مساء أمس خرجت لأتمشى وتحدثنا. فهمت ذنبي. أمل أن تكون فَهَمْتَنِي

هي أيضًا. مشاعري كالآتي: اكتشفت جرحًا متقيحًا مريعًا في جسدي. وعدوني بعلاجه وربطوه. شعرت بالتقرز الشديد من الجرح، وأثقلني التفكير فيه، لذا حاولت أن أنسى أمره وأُفقع نفسي أنه غير موجود. مر بعض الوقت ونُزعت الضمادة عنه. الجرح يتماثل للشفاء، لكنه لا يزال موجودًا. عذّبتني ذلك وأخذت أوبّخ الطبيب عن غير حق. هذه هي حالتي. الأمر الرئيس أن شيطاني ملاصق لي. آه من ذلك الترف وتلك الثروة. يبدو هذا النقص في الاهتمام بالحياة المادية كثرة أفرطوا في تسميدها. إن لم يزرع فيها الناس نباتات جيدة ويزيلوا كافة الأعشاب الضارة منها وينظفوا المكان من حولها، ستمتلئ عن آخرها بوحل مريع. لكن الأمر صعب، فأنا عجوز ولا أستطيع تقريبًا فعل ذلك. بالأمس تمشيت وفكرت وعانيت وصليت، ويبدو أن ذلك لم يضع عبثًا. بالأمس ذهبت إلى الأميرة يلينا سيرجيفنا، وكانت شديدة اللطف. لا يمكنني العمل. سأحاول الآن. لم أدوّن أفكارًا في دفترتي. كتبت بعض الخطابات لكوني وكودريافتسيف. جاءني بالأمس بعض العمال^(٥٦).

١٢ ديسمبر.

عانيت كثيرًا في تلك الفترة، وأعتقد أنني أحرزت تقدمًا في طريق السلام والخير؛ أي في طريق الله. أقرأ كثيرًا عن الفن، وبنجلي لي الأمر. لا أحاول حتى الكتابة. رحلت ماشا، وجاء آل تشيرتكوف. كتبت اليوم مقدمة للبيان^(٥٧).

(٥٦) يطلبون منه كتبه.

(٥٧) تصريح بعنوان (النجدة!) كتبه تشيرتكوف وبيريوكوف وترجيوبوف يتعلق بالدعوة إلى تقديم المساعدة للدوخوبورين.

١٥ ديسمبر.

الساعة الآن الثانية صباحًا. لم أفعل شيئًا. معدتي تؤلمني. أنا هادئ. ليست لديَّ رغبة في الكتابة. لدى صوفيا احتياج غريب للشعور بالقلق. جاءتني لتوها لتسألني ما إن كان يجدر بها زيارة بيلاجيا فاسيليفنا أم لا. أمرها غريب!

دَوَّنت بعض الأفكار، لكنني لن أنقلها هنا جميعًا. أمر واحد يدهشني بشدة؛ إنه وعيي الصافي بمدى ثقل شخصيتي وحسبها؛ إنها شخصيتي التي أنا عليها فعلاً. هذا الأمر يبعث في نفسي البهجة؛ لأنه يعني أنني وعيت ولو بشكل جزئي بالجزء غير المشخص من أناي.

٢٠ ديسمبر.

خمس أيام مرت ولا أزال أشعر بكبح جسدي وثقله، وكذلك تزايد هذا الوعي بوجودي غير الجسدي بشدة. أريد أن أتخلص من هذا الثقل وأحرر نفسي من هذه القيود وأشعر بها في الآن ذاته. لقد سئمت من جسدي. لم أعمل طوال هذا الوقت وأشعر بكآبة شديدة. أناضلها بالبحث في حياتي عن مسألة تقع حدودها خارج حياتي. إنها مسألة واحدة وحسب: الاقتراب من كمال الله؛ أي من الحب. بالأمس اتضح لي أن الحياة ليست إلا تجليًا للكمال الإلهي داخل تلك الحدود.

لم أفعل شيئًا في تلك الفترة، ولا أستطيع من الأساس. أعيش على نحو سيء.

دَوَّنت بعض الترهات عن الفن:

١- من الأدلة التي يستشهد بها الناس على أن الفن أمر جيد هو أنه يترك انطباعاً كبيراً في فيك، ولكن مَنْ أنت؟ تترك أعمال الانحطاطيين كذلك انطباعاً قوياً رغم أنك تقول إنهم قد فسدوا. لكن بيتهوفن الذي لا يولّد أي انطباع في نفس العامل يولّد فيك انطباعاً كبيراً لأنك قد فسدت. مَنْ المحقّ إذن؟ ما هي الموسيقى التي لا شك في قيمتها؟ إنها تلك الموسيقى التي تترك فيك وفي الانحطاطيين وفي العمال انطباعاً قوياً؛ إنها الموسيقى الشعبية البسيطة المفهومة للجميع.

٢- كم سيشعر جميع مَنْ اجتمعوا في حفل موسيقي لسماع أعمال بيتهوفن الأخيرة بالراحة لو استمعوا للموسيقى وغناء التريباك أو التشارداش^(٥٨) أو شيئاً من هذا القبيل بدلاً من ذلك!

٣- جاء إيفانتسوف وتحدث عن أنه يعترف بالشعور فقط، وأن الإنسان ذاته «الأنا» هو الشعور. لقد وصل إلى هذه الحماسة لأن تعليمه العالي هيأه لها، فقد انحصر في مجال البحث العلمي، ولم يعترف بشيء قط خارج دائرة الشعور. قد يكون ذلك جيداً جداً لأغراض علم النفس التجريبي، لكنه لا يساعد على الإطلاق في تكوين وجهة نظر عملية عن الحياة. كثيراً ما يقع الناس في هذا الخطأ؛ أي أنهم ينقلون الوسائل المناسبة للعلم إلى الحياة.

٤- لا شيء يربك مفاهيمنا عن الفن أكثر من قبول تأثير السلطة. بدلاً من أن يحددوا ما إن كانت أعمال سوفوكليس وهوميروس ودانتي وشكسبير وجوته وبيتهوفن وباخ ورفائيل ومايكل أنجلو تنتمي إلى الفن

(٥٨) رقصات سلافية شعبية.

الجيد أم لا طبقاً لمفهوم واضح ودقيق عن الفن، وأي منها تحديداً هو كذلك، يحددون الفن ذاته وقوانينه طبقاً للأعمال الموجودة فعلاً لأولئك المعروف عنهم أنهم فنانون عظام. في الوقت الذي ثمة أعمال فنية كثيرة لفنانين معروفين ذات مستوى رديء، وثمة سمعات كثيرة زائفة نال أصحابها المجد مصادفة مثل دانتي وشكسبير.

٥- أقرأ الآن في تاريخ الموسيقى. من بين ١٦ فصلاً كاملاً عن تلك الموسيقى المتكلفة ثمة فصل واحد قصير عن الموسيقى الشعبية، وهم لا يعرفون شيئاً عنها تقريباً، وكأن تاريخ الموسيقى ليس تاريخاً يشرح كيف نبعت الموسيقى الحقيقية وانتشرت وتطورت؛ أي موسيقى الألحان الواضحة، بل هو تاريخ للموسيقى المتكلفة؛ أي كيف تشوهت الموسيقى الحقيقية.

٦- الموسيقى المتكلفة؛ موسيقى السادة والكائنات الطفيلية، لشعورها بوهنها وتفاهتها تلجأ إلى استبدال الاهتمام الحقيقي بآخر مصطنع فتلجأ تارة إلى الكونتر بوينت^(٥٩) وتارة إلى الفوجا^(٦٠) كما تلجأ إلى الأوبرا والزخرفة.

٧- كانت الموسيقى الكنسية جيدة؛ لأنها مناسبة للجماهير. لا شك أن الجيد هو ما يناسب الجميع، لذا يمكننا القول: كلما زادت ملائمة أصبح أفضل.

٨- لا تؤثر فينا الشخصيات المختلفة التي يعبر عنها الفن، إلا لأن

(٥٩) مزج لحن بآخر.

(٦٠) راجع حاشية رقم ٥٤.

بداخل كل منا إمكانية لتحقيق كافة تلك الشخصيات.

٩- تاريخ الموسيقى - مثل أي تاريخ آخر - قد كُتِبَ طبقاً لخطة تهدف إلى توضيح كيف وصل تدريجياً إلى هذا الوضع. الوضع الموسيقي الحالي، أو ذلك الذي يُكتب عنه الآن، من المفترض أن يكون أفضل. ولكن ماذا لو لم يقتصر الأمر على أنه أسوأ، بل إنه مشوه تماماً، وأنه بمثابة انحراف عشوائي نتج عن ذلك التشوه الذي لحق به؟

١٠- الإيمان بذوي النفوذ يجعل أخطاءهم تتحول إلى نماذج يحتذى بها.

١١- يُقال إن الموسيقى تزيد من قوة تأثير الكلمات في لحن أو أغنية ما. هذا غير حقيقي. إن تأثير الموسيقى يفوق تأثير الكلمات بدرجة لا يعلمها إلا الله وحده. مثال: أريا^(٦١) باخ، أين تلك الكلمات التي يمكن أن تنافس هذه الأريا في تأثيرها عندما تُؤدَّى؟ الكلمات في حد ذاتها لها طبيعة أخرى. أيًا كانت الموسيقى التي ستؤديها مع كلمات الموعظة على الجبل، ستظل بعيدة تماماً عندما تغوص في معنى الكلمات. أنشودة الصلب مثلاً لفور^(٦٢): الموسيقى فيها بائسة مقارنة بالكلمات. المسألة هنا تتعلق بشعورين مختلفين، وهما متنافران تماماً. إنهما لا يتوافقان في الأغنية إلا بسبب أن الكلمات تمنحنا اللحن. لا... الفكرة غير دقيقة. سأتحدث عن ذلك في موضع آخر.

(٦١) الأريا هي جزء يُكتب خصيصاً للغناء من طبقة معينة لفرد واحد، وهكذا يمكن أن يتضمن أي عمل موسيقي العديد من الآريات، كل منها مكتوب لفرد واحد حسب طبقته الصوتية.

(٦٢) جان باتيست فور: مغني وملحن أوبرا فرنسي.

١٢- بطريقة ما تذكرتهم بحيوية شديدة؛ بيرفيليف وآخرين شاهدتهم من قبل في موسكو، لذا فبغض النظر عن أنهم قد ماتوا لكنهم لا يزالون موجودين.

١٣- سيلا^(٦٣) وكارييدس^(٦٤) الفنانان: إما شيء مفهوم لكنه ضحل وسوقي، أو شيء أصيل تُزعم عظمته وغير مفهوم.

١٤- ظل الشعر الشعبي يعكس دائمًا الحركات الشعبية. لم يعكسها فقط، لكنه تنبأ بها ومهد الطريق لها. نجد ذلك في الحروب الصليبية وحركة الإصلاح الديني^(٦٥). ما الذي يمكن لأشعار دوائرنا الطفيلية أن تتنبأ به أو تمهد الطريق لأجله؟ الحب والخلاعة؛ أي الخلاعة والحب!

١٥- يعود جفاف الموسيقى والشعر والفن الشعبي إلى إغواء الأغنياء والمشاهير لكافة أولئك الموهوبين حتى يصبحوا مهرجيهم. نجد ذلك في موسيقى الحجرة والأوبرا والقصائد الغنائية... إلخ.

١٦- في كل فن ثمة صراع بين ما هو مسيحي وما هو وثني. بدأ ما هو مسيحي في اكتساب السيادة، ثم أتت الموجة الجديدة في القرن الخامس عشر: عصر النهضة، والآن فقط تنهض المسيحية مجددًا، وتدمر الوثنية

(٦٣) حورية جميلة في الأساطير اليونانية.

(٦٤) وحش أسطوري من ملحمة الأوديسا يمتص مياه البحر ثم يلفظها بقوة عاتية تجعل الاقتراب منها دربا من الانتحار. وقد كُلف أوديسيوس في الملحمة الكثير من رجاله.

(٦٥) حركة شهدتها أوروبا خلال القرنين ١٥ و ١٦ حركات إصلاحية دينية تزعمها دينيون تأثروا بأفكار الحركة الإنسانية فوجهوا عدة انتقادات للكنيسة الكاثوليكية وطلبوا بإصلاح ديني يواكب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

التمثلة في المدرسة الانحطاطية بعد أن وصلت إلى أقصى درجات العبث.

١٧- بالإضافة إلى أن أكثر الناس موهبة قد تم إغراؤهم للانتقال إلى معسكر الكائنات الطفيلية، وكان ذلك أحد أسباب دمار الشَّعر والموسيقى الشعبين، لكن حدث في البداية أن استُعبد الناس، والأهم من ذلك ظهور الطباعة.

١٨- قال تشيرتكوف: إن ثمة أربعة جدران ضبابية تحيط بنا: المستقبل أمامنا، والماضي خلفنا، وعلى يميننا ضباب الجهل بما يحدث في مكان لست فيه، وعلى اليسار ضباب الجهل بما يحدث في روح شخص آخر. أعتقد أن الأمر ليس كذلك.

الحوائط الثلاثة الأولى هكذا فعلاً، وليس من الضروري أن ننظر عبر ضبابها. كلما قل نظرنا إليها، كان الأمر أفضل. لكن علينا أن نعمل بكل ما لدينا من قوة على تحطيم حائط الضباب الرابع المتعلق بجهلنا بما يحدث في أرواح الآخرين. كلما قلَّ نظرنا عبر الحوائط الثلاثة الأولى، ازداد اقترابنا من الآخرين في هذا الاتجاه.

١٩- من بين ما يلي الموت من حيث الأهمية ويسبقه من حيث التوقيت ليس ثمة شيء أكثر أهمية ولا يمكن إبطاله أكثر من الزواج. وهو مثل الموت، لا يمكن أن يكون جيداً إلا عندما يكون لا مفر منه، ومثلما كل موت متعمد سيئ كذلك هو الزواج أيضاً. لا يكون الزواج شراً في حالة واحدة؛ عندما لا تمكن مقاومته.

٢٠- يحدث الارتداد عندما لا يعترف أي إنسان بشيء ما من أجل نفسه أو من أجل الله، لكن من أجل الناس. يُبدّل اعترافه؛ إما لأنه اقتنع أن معظم الناس أو أفضلهم من وجهة نظره لم يقرّوا بما أقرّ به، وإمّا لأن ما قام به كان من أجل مديح الناس لكنه الآن يريد أن يحيا من أجل الله.

٢١- إن آمنت بإله شخصي، يمكن توجيه بعض الأسئلة إليه، لقلت له: لماذا دبرّ الله الأمور بحيث يدرك البعض حقيقة لا شك فيها ويتقدّون بها في داخلهم، بينما لا يريدّها الآخرون رغم أن بإمكانهم فهمها وقبولها بحيث يكرهونها؟

الساعة الآن الثانية. أشعر بذات الضعف، لكنني أشعر بروحي مفعمة بالحيوية عندما أتذكر الحياة في كليتها، وليست هذه الحياة التي أحيّاها الآن أنا ليف نيكولايفيتش. ساعدني يا سيدي، ولتكن إرادتك أن أبقى معك في كل مكان وزمان، ولكن لتكن إرادتك لا إرادتي. ما زالت الكآبة تكتنفي. ساعدني يا أبي. اشفني... تقوّ بداخلي. خفّف واعزّل واقض تماماً على الجسد الفاسد، وكل ما أشعر به من خلاله.

الحديث يدور الآن عن الفن، وعن فكرة أن ممارسة الفن غير ممكنة إلا للصالح من تحبه^(٦٦). لم تكن هناك رغبة في توجيه ذلك إليّ. لم أشعر بالسخرية ولا بالأسف، بل بالألم. ساعدني يا إلهي. رغم ذلك أشعر أنني أفضل. ما يعزّيني على نحو خاص هي المسألة المتعلقة باختبار التواضع والإذلال، خاصة الاستثنائي منه وغير المتوقع تماماً. عندما يكون المرء وسط أغلاله أو في السجن يمكنه أن يفتخر بالإذلال الذي يتعرض له،

(٦٦) هذا رأي صوفيا زوجة تولستوي.

لكن هنا لا يشعر سوى بالألم إن لم يقبله كتجربة من قِبَل الله. نعم،
فلأتعلم تحمله برباطة جأش وسرور، ولأحب.

٢١ ديسمبر.

أتعلم على نحو سيئ. أعاني طوال الوقت وأشعر بالعجز
والضعف. في لحظات نادرة يرتقي فيَّ وعيي بالحياة بأكملها وواجباتي
فيها، وليست هذه الحياة وحدها.

فكرت في الآتي وشعرت به كذلك: ثمة أناس محرومون من
الحس الجمالي والأخلاقي على السواء، ومن المستحيل أن توضح
لهم ما هو حسن، خاصة عندما يقومون بما هو سيئ ويحبونه، ظانين أنه
حسن. جاءني صوفيا حالاً وتحدثت معي، الأمر الذي زاد من كآبتي.

٢٢ ديسمبر.

بدأ الأمر يثير شكوكي بشدة، وقلبي يؤلمني بلا توقف. لا يمكنني أن
أجد الراحة تقريباً في أي مكان. وحده بوشا من بعث فيَّ العزاء اليوم. أمر
منفر أنني أردت البكاء على نفسي على ما تبقى من حياتي ولحق به الدمار
دون هدف. ربما كان ذلك أمراً ضرورياً. نعم، لا بد أنه كذلك.

٢٥ ديسمبر - التاسعة مساءً.

حالي المعنوية أفضل، لكنني لا أعمل على عمل فني أو فكري، الأمر
الذي أشتاق إليه. أشعر الآن بهذه المشاعر الرقيقة الملازمة لاقتراب عيد
الميلاد وكذلك بحاجة شعرية. يداي باردتان، وأود أن أبكي وأحب.
ألمتني بشدة وقاحة أبنائي على الغداء.

٢٦ ديسمبر.

لا أكتب شيئاً، لكن يبدو أن أفكاري تنتعش. شيطاني لا يفارقني.
فكرت اليوم في (مذكرات مجنون)^(٦٧)، لقد تغيّر عندما فهم أخوته
للشعر جميعاً وعلاقته بهم.



(٦٧) قصة بدأها في ١٨٨٠.

٥ يناير - موسكو.

ليس لديّ أي شيء جيد لأدوّنهُ عن نفسي. لا أشعر بحاجة إلى العمل وشيطاني لا يفارقني. كنت مريضاً لستة أيام. بدأت مراجعة «البعث»، ثم أبعدتها عني بنفور حينما وصلت إلى الجزء المتعلق بقراره بالزواج. كل شيء فيها غير سليم ومختلق وضعيف. من الصعب أن تصلح شيئاً قد تلف. حتى تقوم بذلك يلزم الآتي: وصف مشاعرها وحياتها، وكذلك مشاعره وحياته. يتم ذلك في حالتها بشكل إيجابي وجدي، وفي حالته بشكل سلبي وساخر. أشك أنني سوف أنهئها. لقد تَلَفْتُ تماماً.

بالأمس قرأت مقالة أرخانجيلسكي «من الذي يجب أن نخدمه؟»^(٦٨)، وقد جعلتني سعيداً جداً.

أنهيت الكتابة في دفثري. هذه بعض المقتطفات منه:

١ - عليّ أن أكتب مقالتي عن الطبقة العسكرية للشعب: إن كل الشر الذي يعاني منه الناس ويشكون منه يعود في الأساس إلى العسكرية.

(٦٨) مساعد طبيب بيطري، يشرح في مقالته أسباب قبوله لآراء تولستوي الدينية والأخلاقية.

ليس هذا هو المهم، لكن ما يهم حقًا هو أن خدمة الحكومة بشكل عام -خاصة فيما يتعلق بالتجنيد- تحطم الروح.

٢- فيما يتعلق بمذكرات مجنون أو المسرحية: يأس من فرط جنون و كارثية الحياة. ليس ثمَّ خلاص من هذا اليأس إلا باعترافه بالله وبنوته له. هذا الاعتراف بالبنوة له هو اعتراف بأخوة البشر، والاعتراف بأخوة البشر، ومبلغ القسوة والوحشية التي يؤدي إليها أسلوب حياتنا غير الأخوي سيؤدي لا محالة إلى اعتبار نفسك أو العالم مجنونًا.

٣- قرأت خطاب ناكاشيدزي عن اجتماع الدوخوبوريين حيث حسموا بعض المسائل المتعلقة بالجماعة. يعد ذلك نموذجًا على إمكانية الإدارة دون لجوء إلى العنف. لا بد من شرط واحد، لا بل شرطين: احترام الشباب أو ضعف الروح بشكل عام لقرارات الشيوخ الأقوى منهم روحياً الذين اختاروهم، وهم من يُطلق عليهم الدوخوبوريون (الجدود الأعزاء). الشرط الثاني هو أن يتحلى هؤلاء الشيوخ بالعقل والحب. تحدثوا في هذا الاجتماع عن توحيد الملكيات المشتركة، وقدم الشيوخ النصح وكرروا باستمرار: لا بد وأن يتم الأمر دون أي عنف، بل بشكل طوعي تمامًا.

يمكننا أن نجد هذا الاعتراف بضرورة تنفيذ قرارات الشيوخ عند الشعب العادي والدوخوبوريين على السواء. يتم ذلك دون شكل محدد، فهم عادة يختارون الشيوخ وطريقة الاتفاق.

٤- بغض النظر عن مدى جودة البلّورة، وبغض النظر عن كيفية إذابتها أو حرقها، سوف تتشكل مجددًا عند سنوح أول فرصة. هكذا

سيكون الأمر دائماً مع مستودع الطوائف، أيًا كانت التغييرات التي سيجرونها عليه. لا يتغير شكل البلّورة إلا عندما يجرون لها تغييرًا كيميائيًا؛ أي تغييرًا داخليًا، وهكذا هو الأمر مع الطوائف المختلفة.

٥ - سيكون من الجيد لو أكتب مقدمة لشبير^(٦٩) بالمحتوى الآتي: إننا لا نرى العالم الذي نراه الآن على هذا النحو إلا لو لم تكن هناك مخلوقات أخرى وُهِبَت حواس كحواسنا. إن اعتقدنا في أهمية، بل ضرورة وجود كائنات أخرى وُهِبَت حواس مختلفة عن حواسنا، فالعالم لن يكون كما نراه الآن. إن تصوّرنا عن العالم لا يعرض لنا سوى علاقتنا بالعالم التي تبدو كصورة بصرية نؤلفها لأنفسنا مما نراه حتى الأفق والسما، لكنها لا تقدم لنا أبدًا صورة حقيقية للأشياء المرئية. عندما تفحص حواس: السمع - الشم، والأهم: اللمس انطباعاتنا المرئية، فإنها تقدم لنا مفهومًا أكثر تحديدًا عن الأشياء المرئية. لكن حقيقة أننا نعرف مدى اتساع وسماكة وصلابة أو ليونة الأشياء، وكيف يبدو صوتها ورائحتها، لا تثبت لنا أبدًا أننا نعرف هذه الأشياء معرفة تامة، فثمة حاسة إضافية أُسْمِي من حواسنا الخمس، لو وُهِبَت لنا لاتضح لنا أن مفهومنا الذي كَوْنَاهُ عن الأشياء بفعل حواسنا الخمسة هو مفهوم مخادع، مثلما نخطئ في تقدير بُعد الأشياء عندما ننظر إليها من ارتفاع، وهو الإدراك الذي قدمته لنا حاسة الرؤية. أرى إنسانًا في المرآة وأسمع صوته، وأكون على ثقة كاملة أنه إنسان حقيقي، لكن عندما أقرب وأود أن أمسك يديه وألمس إطار النافذة، أكتشف الخداع. لا بد وأن الشيء ذاته يحدث مع

(٦٩) كتاب أعدته ابنته شبير عن حياة أبيها.

مَن يحتضر: يظهر لديه شعور جديد، وبفضله تتكون لديه معرفة جديدة؛ إنه الخداع الذي بمقتضاه ظن أن كيانه كله ينحصر في جسده، وأنه من خلال حواس هذا الجسد أدرك ما هو موجود.

من المؤكد أن العالم ليس كما نعتقد، فإن وُهينا أدوات إدراك جديدة، سنجد عالمًا آخر. لكن مهما تغير العالم الذي نظنه، ومهما تغيرت علاقتنا به، ثمة شيء واحد ندركه بلا شك ولن يتغير أبدًا؛ إنه ذلك الكيان الذي أدركه، لا بداخلي فقط، ولكن في الجميع أيضًا. إنه الله، وذلك الجزء المحدود من الله الذي يُشكّل أناي.

ولكن كيف يصبح الله الأبدي اللانهائي، كلي القدرة فانيًا محدودًا ضعيفًا؟ لماذا ينقسم الله فينا؟ لا أعرف، ولكن كل ما أعرفه أنه موجود في هذه الحياة. كل ما نعرفه ليس إلا انقسام لله. كل ما نظن أنه العالم هو محض وعينا بانقسامات الله. إن وعينا بالعالم؛ ذاك الذي نسميه مواد في فضاء المكان والزمان هو تلامسنا بحدود الجانب الإلهي فينا مع بقية الانقسامات الإلهية. الولادة والموت هما بمثابة انتقال من قسم لآخر فيه.

٦- الفارق بين السعادة المسيحية والوثنية هو أن الوثني ينشد السعادة، ويعد نفسه لها وينتظرها ويطلبها، أما المسيحي فيبحث عن ملكوت الله ويعد نفسه لها وينتظرها ويطلبها، ويشعر بالسعادة عندما تأتيه فجأة، بدون استحقاق أو استعداد. في هذا يتلخص الفارق.

١٢ يناير.

استيقظت مبكرًا. لم أنم من فرط المعاناة. لا يعود السبب إلى

الصفراء (التي يفرزها الكبد) ولا الأنانية أو الشهوانية، بل هي تلك الحياة المحيطة تعذبني. بالأمس، عندما كنت جالسًا إلى الطاولة، شعرتُ أن لا لزوم لي وللمربية، وأن كلينا يشعر بوحدة تعذبه. تدور حولنا الأحاديث عن دور دوزي (ممثلة إيطالية) وجوفمان (عازف بيانو بولندي) وعن الدعابات والثياب الفاخرة والطعام الشهي، وتخترقنا. هكذا طول اليوم وكل يوم، بلا راحة. راودني الأمل ذات يوم في تانيا المسكينة، لكنها ذات طبيعة ضعيفة، متطلباتها الروحية واهنة. أما سيريوجا وإيليوشا... على الأقل نجد في حياة الآخرين شيئًا ما جادًا وإنسانيًا، ولنقل مثلاً: العلم أو وظيفة المرء كمعلم أو طبيب، أما عن أبنائي الصغار، وبعيدًا عما يتعلق بكسب الرزق أو خدمة الناس، لا شيء في حياتهم سوى لعب مختلف الألعاب والطعام وغنج الكبار أو ما هو أسوأ. أمر مقزز! أكتب ذلك عسى أن يعرف الناس ذلك، حتى لو بعد موتي. من المستحيل أن أقول ذلك الآن. الصائح أسوأ من الأصم. صحيح إنها مريضة (يقصد صوفيا)، لكن مرضها من النوع الذي يُظن أنه صحة جيدة، ويدعمونه بداخلها ولا يعالجونها. ماذا سيتنج عن ذلك؟ وكيف سينتهي الأمر؟ أصلي باستمرار وألوم نفسي. ساعدني بالطريقة التي تريدها.

١٥ يناير.

استيقظت مبكرًا. لم أنم تقريبًا طوال الليل. استيقظت على حلم بشأن ذات الأمر المسيء^(٧٠). قلبي يؤلمني. قلت: لا يهم، فعليَّ أن أموت لسبب ما على أي حال. إن لم يدعني الله أموت من أجل عمله،

(٧٠) يشير إلى غيرته من ولع صوفيا بتانييف.

سيكون عليّ أن أموت بحماقة وضعف من أجل نفسي وبسببها! الأمر الوحيد الجيد في ذلك أنه سهل مروري من هذه الحياة. الأمر لا يقتصر على عدم شعوري بالأسف، بل إنني أريد فعلاً أن أرحل عن هذه الحياة الدنيئة المُدَلَّة. تراودني هذه الفكرة المؤلمة والمزعجة التي مفادها أنني بعد أن أتخلى عن كافة ممتلكاتي من أجل الحياة الإلهية وخدمتها، وبعد أن أترك أسرتي حتى لا أحطم رابطة الحب بيننا، بدلاً من أن أنال الحب، أشهد هذا الجنون المُدَلَّ. إنها أفكار ضعيفة مخزية. أما الأفكار الحسنة فهي التي أرسلها لي، وهي ما يجب أن أفكر فيها، وهي أكثر ما أحتاجه. إنها الأفكار التي مفادها أن خدمة الله لا يمكن أبداً أن تعيق حياتي. إن كافة معاناتي تشهد على أنني لا أعيش من أجل خدمة الله إلا بالقليل. إن صنوف معاناتي تشبه كل ما يصطدم بدرع الحياة الإلهية؛ سرعان ما ستعطب. سأناضل. فكرت مساء اليوم في ضرورة كتابة الملاحظات^(٧١). هذا هو الأمر الرئيس الآن وعليّ أن أنجزه قبل أن يلحق بي الموت.

١٨ يناير.

أشعر بالحزن والدناءة. أشعر بالنفور من كل شيء في تلك الحياة التي يعيشونها من حولي. أتححر من الحزن والمعاناة، ثم أسقط في قاعهما مجدداً. لا شيء يمكنه أن يكشف أكثر من ذلك عن كم أنا بعيد عن المكان الذي أريده! لو كانت حياتي بأكملها من أجل خدمة الله، لما أمكن لشيء أن يعيقها. أو اصل الكتابة عن الفن، لكن ما أكتبه سيء. جاءني أحد الدوخوريين.

(٧١) مقالة عن الجيش ظهرت أخيراً في ١٩٠١ بعنوان (ملاحظات للجنود).

٤ فبراير - نيكولسكوي عند آل أولسوفيف.

إنه يومي الرابع هنا. أشعر بكآبة لا يمكنني أن أصفها. أكتب عن الفن على نحو سيئ. صليت لتوي وهلعت من قاع الدناءة الذي وصلت إليه. أفكر وأسأل نفسي: ما العمل؟ وأشعر بالشكوك والتردد، كما لو أنني لا أعرف ما العمل، أو أنني نسيت من أنا، وبالتالي نسيت ماذا علي أن أفعل. علي أن أذكر أنني لست سيدًا بل خادم، وعلي أن أقوم بما أرسلت للقيام به. الأمر لا يتعلق بنسياني لمدى الصعوبة التي وصلت بها إلى تلك المعرفة حتى اكتسبتها فعلاً، أو كم هي معرفة يقينية تمامًا، لكن مرتبط الفرس هو أنني أعيش دون أن أستخدم هذه المعرفة حقًا. قرأت صوفيا هذه اليوميات في غيابي، وحزنت بشدة من أن الناس يمكن أن يستنتجوا منها بعد ذلك أنها لم تكن زوجة جيدة. حاولت مواساتها. إن كافة حياتنا وعلاقتي بها في الفترة الأخيرة يكشفان عن شخصيتها كزوجة. إن قرأت هذه اليوميات مجددًا، فلتفعل بها ما تشاء، لكنني لا أستطيع أن أكتب يومياتي واضحًا إياها أو أي قارئ آخر في الاعتبار. أعلم أمرًا واحدًا؛ ألا وهو أنني تصورت في الليلة الماضية بحيوية شديدة أنها سوف تموت قبلي، وحينها أصبحتُ هَلِعًا جدًّا من نفسي. أول أمس كتبت لها أننا بدأنا بدرجة ما - وهذا يعني دائمًا بدرجة قوية - في الاقتراب من بعضنا البعض منذ ٤ أو ٥ أعوام مضت، وسيكون من الجيد لو ازدادت قوة هذه العلاقة أكثر فأكثر حتى يموت أحدها، أو حتى موتي الذي أعتقد أنه على الأبواب. ولكن كفاني من ذلك. سأعيد تدوين هنا ما كنت فكرت فيه في تلك الفترة:

١- في النهاية لا بد أن يسود أولئك من مُورس عليهم العنف؛ أي أولئك الذين يطيعون قانون عدم المقاومة. تبحث النساء عن حقوقهن، لكنهن يتسدين لأنهن تحديداً كن ولا يزلن خاضعات. المؤسسات في يد الرجال، أما الرأي العام في قبضة النساء، وهو أقوى بمليون مرة من أي قوانين أو قوات عسكرية. الدليل على أن الرأي العام في يد النساء هو أن الأمر لا يقتصر على أنهن المسؤولات عن تدبير أمور المنزل والطعام بما يتضمن ذلك من إنفاقهن للمال، وبالتالي يتسدين على ناتج عمل الرجال، لكن الرأي العام هو ما يحدد نجاح الأعمال الفنية والكتب، وحتى تعيين الحكام، والنساء هن من يتحكمن في الرأي العام. حسناً قال أحدهم إن على الرجال أن يسعوا إلى التحرر من ربقة النساء، لا العكس.

٢- فيما يتعلق بالبيان: اكشفوا عن خداع المخادعين وأشيّعوا الحقيقة ولا تخافوا. إن أشعنا الخداع والقتل، سيكون الوضع بالطبع مخيفاً، لذا فلنضع التحرر من الخداع والقتل. بالإضافة إلى ذلك لا أساس للخوف. مِمَّنْ نخاف؟ إنهم مخادعون وقتلة، ويعرفون أنهم كذلك، وهم الذين يشعرون بالخوف. أتذكر ذات مرة في القرية أمسك صبي ضعيف واهن يبلغ من العمر ١٢ عاماً، كان يعمل خادماً لدينا، بلصّ على الطريق، وكان اللص فلاحاً ضخماً قوي البنيان، وكان الصبي يمسكه من طرف معطفه.

٣- يلوي الشعراء ألسنتهم ليعبروا عن أي فكرة بمختلف أنواع التراكيب اللفظية، حتى تبدو كل كلمة بسيطة وكأنها فكرة عميقة. لا يمكن أن ينخرط في مثل هذا النشاط إلا أولئك الذين يفتقرون إلى الجدية، وهكذا هو الأمر فعلاً.

٤- إن لم نتحرك أبدًا سيبدو لنا كل شيء مسطحًا، ولن نراه بمنظور صحيح. تمنحنا الحركة تصورًا عن الأشياء بالأبعاد الثلاثة. هكذا هو الأمر مع كل ما هو مادي: إن لم نعش ولم نتحرك في الحياة لرأينا الأغراض المادية من بعد واحد. لكن مع حركتنا في الحياة ونقل منظورنا الروحي إلى العالم المادي سندرك الخداع الذي يجعلنا نتصور أن العالم المادي هو في الحقيقة كما يبدو لنا.

٥- كرّرت الأمر لنفسي وخطرت الفكرة على ذهني عشرين مرة، وفي كل مرة كانت تبدو وكأنها جديدة؛ ألا وهي إن الخلاص من كل مصادر القلق، من المخاوف وصنوف المعاناة، الجسدية والأهم منها: الروحية. في تحطيم وهم وحدة الأنا الجسدية والروحية في نفسي. هذا أمر ممكن دائمًا. عندما يتحطم هذا الوهم، لن تعاني الأنا الروحية إلا من حقيقة ارتباطها بالأخرى الجسدية، لكن لن تكون ثمة معاناة من الجوع والألم والأسف والغيرة والخزي. في الحالة الأولى تُنفذ الأنا الروحية ما تريده الأنا الجسدية، فتغضب وتدين وتعنف وتضرب. في الحالة الثانية، عندما تنفصل عن الجسدية، لا يمكنها أن تفعل إلا ما يحررها من هذه الرابطة المؤلمة، ولا يمكن لشيء أن يحقق ذلك سوى استعلان الحب.

٦- فيما يتعلق بمقالتي عن الفن: عندما يصبح الجمال هدفًا للفن، سيصبح الأخير عبارة عن كل ما يمثل الجمال للمرموقين من الناس؛ أي كل ما يروق لهم.

٧- كتبت: «إن ضرر الفن، خاصة الموسيقى...» وأردت أن أكمل كتابة لكنني نسيت، ثم تذكرت بينما أكتب. إن الضرر الرئيس للفن هو أنه يستغرق الوقت، ويخفي عن الناس تبطلهم. أعرف أنه مضر لمنتجيه

ومستقبله على السواء عندما يشجع التبطل، لكني لا أستطيع أن أجد أي طريقة واضحة لتحديد الظروف التي يكون فيها جائزاً ومفيداً وحسناً. أود أن أقول إنه ليس سوى راحة من العمل، تمامًا كالنوم، لكني لست متيقناً بعد ما إن كان كذلك فعلاً أم لا.

٨- فيما يتعلق بالبيان: تخطئون أيها الفقراء إن حاولتم أن تجعلوا الأغنياء يخلجون من غناهم أو حاولتم التأثير عليهم. لا يمكن لذلك أن يحدث؛ لأنهم عندما يرونكم تبغون ما يبغونه، وتصارعونهم، سيصارعونكم. لكن إن توقفت عن الصراع ضدهم وخدمتهم، فإنكم لن تقنعوهم وحسب، لكنكم ستجعلونهم يستسلمون لكم أيضاً.

٩- لو لم يكن الخير هدفاً للفن بل المتعة، لاختلفت توزيعته: إن كان هدفه الخير، لانتشر لا محالة بين أكبر عدد من الناس، وإن كانت المتعة هدفه، لاقتصر انتشاره على عدد محدود من الناس.

الفكرة غير دقيقة ولم تتضح بعد.

١٠- الفن ضروري من أجل دعم الحياة الروحية. النوم مفيد وضروري بعد العمل، لكن النوم الذي لا حاجة له مضر، فهو لا يجدد قوى الإنسان ولا يحفزها، بل يترك صاحبه ضعيفاً.

١١- كنت أستمع إلى أغنية هارمونية. هذا هو دمار الموسيقى، ووسيلة إفسادها. ليس ثمة أفكار أو ألحان أساسية واضحة، وقد تم استخدام أي تسلسل لا معنى له من الأصوات، ومن دمج هذه التركيبات التافهة معاً ينتج شيء مضجر يشبه الموسيقى. أفضل شيء حدث فيها عندما انتهت نغمتها الأخيرة!

١٢- أكثر اللا أدريين صرامة واتساقًا يعترف بالله، شاء أم أبى. لا يمكنه ألا يعترف بالآتي: أولاً: ثمة معنى يتعذر بلوغه في وجوده ووجود العالم كله. ثانيًا: ثمة قانون لحياته يمكنه أن يخضع له أو ينحرف عنه. هذا الاعتراف بوجود ما هو أسمى يتعذر على الإنسان بلوغه، لكن وجود فكرة سامية وقانون لحياته؛ ألا وهو الله وإرادته، أمر لا مفر منه. مثل هذا الاعتراف بالله أصلب كثيرًا من الاعتراف بالله الخالق والاعتراف بالثالوث والفداء... إلخ. مثل هذا الاعتراف يشبه الحفر في الحجر وتشيد منزل عليه^(٧٢).

١٣- حكى لي ستوبوا عن العملية الجراحية التي يجرونها للطفل لفصله عن أمه. إنها معجزة حقًا!

شغلتنى هذه الفكرة فيما يتعلق بعلاقتها بالتعليم القائل إن المادة كلها وهم. كيف يحدث الوهم حيث لا أراه؟ ذلك يحدث حسبما تراه. أنت ترى كل شيء عبر نظارتك. هذا جيد لكافة الظواهر، لكن أهم ما يحدث هنا، وهو ما تتألف منه حياتي وحياة كافة الكائنات الحية، هو عملية الانفصال عن العالم. يحدث هذا الانفصال أمام عيني: كان ثمة كيان واحد، وأصبح كيانين.

الفكرة غير واضحة.

(٧٢) تشبيه ذو أصل إنجيلي: كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلَامِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ. يُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَعمَقَ وَوَضَعَ الْأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزْعِزَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلَا يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دُونِ أُسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالًا، وَكَانَ خَرَابٌ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَظِيمًا! لوقا ٦: ٤٧ - ٤٩.

١٤ - كل كائن حي يحمل في داخله كل إمكانيات أسلافه. بانفصاله تتجلى فيه بعضها فقط، ويحمل بقيتها في داخله ويكتسب أخرى جديدة. في هذه العملية تتلخص الحياة: دمج وفصل. الفكرة أكثر غموضًا من السابقة.

لا بد وأن أكتب كل يوم. لا شيء يُثبِّتني في الخير أكثر من ذلك. هذه أفضل صلاة.

مساء ٤ فبراير.

في الصباح كتبت هذه اليوميات السابقة، ثم حاولت الكتابة ولكن بلا جدوى، فلم تكن لديَّ رغبة من الأساس. مما لا شك فيه أنه إن كانت لديَّ القوة على الكتابة وتوفرت الإمكانية، سأخدم بها الله. أشعر طوال الوقت بالحزن، وأصلي كل ساعة.

٥ فبراير.

لا أزال أشعر بذات الضعف العقلي والإبداعي. أعتقد أن الأمر ميؤوس منه تقريبًا. قاموا بتفتيش منزل تشيرتكوف. وصلت صوفيا. فكَّرت في الآتي:

أنا عامل، فهل هل قمت بما أُمِرت به؟ هذا هو الأمر برمته. ساعدني يا سيدي.

٦ فبراير - نيكولسكوي.

في الصباح وصل جوربونوف، وفي المساء وصلتني برقية تعلمني أن

آل تشيرتكوف^(٧٣) سيأتون يوم الأربعاء. استعدت للرحيل مع صوفيا. رحلنا فعلاً. تحسنت حالتي الصحية.

٧ فبراير - بطرسبرج.

ذهبت إلى آل تشيرتكوف. وجدتهما في حالة مزاجية جيدة. بعدها ذهبت إلى يروشينكو. قضيت فترة المساء في المنزل مع صوفيا. نحن بخير. أصلي حتى لا يفارقني وعيي بأني مبعوث من الله لأنهم مهمتي بفعل الخير هنا وفي كل مكان.

١١ فبراير - بطرسبرج.

لا شيء... لا شيء... صمت! ذهبت إلى ستاسوف ثم إلى تولستوي. لم أفعل شيئاً سيئاً، لكنني لم أفعل أيضاً شيئاً حسناً. ربما فعلت أمراً حسناً بعض الشيء. ساعدني يا إلهي حتى لا أغفل عن نفسي، بل أتحسن. لم أفكر في شيء.

١٦ فبراير - عند آل أولسوفيف بنكولسكوي مجدداً.

عدت في صباح أول أمس، وشعرت بالمرض. تحسنت حالتي بالأمس. كتبت عن الفن على نحو حسن. غادرت صوفيا اليوم بعد محادثة دارت بيننا أحرزتها. لا تجد النساء أي ضرورة في الالتزام بمتطلبات العقل، ولا يمكنهن التحرك وفقاً لها. لم يُبسط هذا الشراع في مركبهن، وبالتالي فإنهن يبحرن دون دفة. ساءت حالتي الصحية مجدداً،

(٧٣) سافر تولستوي إلى بطرسبرج ليودع تشيرتكوف وبيريوكوف بعد أن صدر عليهما الحكم بالنفي.

وأشعر بالحزن بشدة. كتبت خطابًا لآل تشيرتكوف وآخر لبوشا. لم أعمل شيئًا.

١٧ فبراير - نيكولسكوي.

لا أشعر أنني بخير. حاولت الكتابة عن الفن. وصلت تانيا. إنها جميلة وصافية. أخبرتها بكل شيء. استلمت بعض الخطابات: نسخة معدلة من كتابي «عن الحياة» من قبل أمريكي. كتبت خطابين لصوفيا، بالأمس واليوم، وأرسلتهما. قبل الذهاب إلى بطرسبرج. فُكِّرت في الآتي:

١ - فيما يتعلق بالبيان^(٧٤): وصف حال العمال والخدم والجنود والفلاحين ومقارنته بحال الأغنياء، وبيان أن كل ذلك نتيجة للخداع. الخداع الأول يتعلق بالأرض، والثاني بالضرائب والجمارك، أما الثالث فيتعلق بالوطنية والدفاع عن الأرض وما إلى ذلك. الرابع، وهو أقواها جميعًا، هو الخداع الديني المتعلق بفكرة الحياة والهدف منها، وله نوعان: الكنسي والإلحادي.

٢ - في القرون الوسطى، تحديدًا في القرن الحادي عشر، كان الشُّعر للجميع، للسادة والعامة على السواء، لأولئك المتحدرين من أصول نبيلة ولمن تحدرُوا من أصول متواضعة. ثم حدث انقسام، وبدأ أصحاب الأصول المتواضعة يحاكون أشعار السادة، وحاكى السادة أشعار العامة. لا بد أن يتحدوا من جديد.

(٧٤) بيان متعلق بالنظام السياسي والاقتصادي القائم في المجتمع، وقد انتهى الأمر إلى مقالتين: (ماذا علينا إذن أن نفعل؟) و(هل يجب أن يكون الأمر كذلك؟).

٣- قلت لنفسى الآتي مئات المرات ودَوَّنْتَه: الخلاص الوحيد والحقيقي من كافة المحن هو في وعي المرء بحقيقة إرسالته واهتمامه بما إن كان قد فعل ما أُرْسِل من أجله أم لا.

٤- يتلاوم كافة الأزواج والزوجات تقريبًا في أمور مختلفة، ويعتبر كل منهما نفسه غير مذنب فيها. لا يتوقف جانب من الجانبين عن إدانة الآخر، وفي الآن ذاته لا يجد أي منهما ما يبرر موقفه.

٥- لا يهرع الناس إلى الشعراء أو الرسامين مثلما يفعلون مع الممثلين وخاصة الموسيقيين. للموسيقى تأثير مادي مباشر، أحيانًا يكون حادًا، وفي أحيان أخرى يصبح تأثيرًا مزمنًا.

٦- ننسب بشكل خاطئ تمامًا الذكاء والخير إلى الموهبة، وكذلك إلى الجمال. هذا محض خداع للذات.

٧- خطرت على ذهني فكرة بجلاء تام، مفادها أنني حتى أكون بخير دائمًا عليّ أن أفكر دائمًا في الآخرين، خاصة عندما أتحدث معهم.

٨- إن حركة الحياة وتوسيع الفرد المستقل لحدوده يوفران الوقت. لو لم تكن هناك حركة ولا زيادة في الحب، لما توفر الوقت. المكان ناتج عن تصورنا للآخرين. لو لم يكن هناك آخرون لما كان هناك مكان. كل ما سبق محض هراء. لم أحسن التفكير.

٩- النساء محرومات من الحس الأخلاقي، تمامًا كالمحركات. ليس لديهم شراع، وبالتالي يضلن الطريق.

١٨ فبراير.

منذ ٤٥ عامًا كنت في معركة حرية. أشعر بانخفاض حاد في حالتي المعنوية. أشعر بضعف شديد ولا أستطيع العمل. ساعدني يا سيدي. سأقبل على الخطابات. هنا تظهر المتطلبات، لكنني لا يمكنني فعل شيء سوى عمله.

حل المساء. لست بخير صحيحًا. أشعر بالضعف والوهن، ولم أعمل على المقالة. كتبت بعض الخطابات. وصلني الآن خطاب من بيروكوف، وأجبت عنه.

١٩ فبراير.

لا أزال أشعر بالخمول، لكنني لست قلقًا. كتبت بعض الخطابات. سأنام. إنها الواحدة.

٢٠ فبراير - نيكولسكوي - السابعة مساءً.

لا أزال أشعر بالضعف... غفوت في الصباح، ولم أحاول العمل، لذا خرجت لأتمشى. استولى عليّ ضعف مفاجئ. روحي هادئة، لكنني أشعر بما يشبه الملل؛ لذا لا يمكنني أن أعمل. المنزل مكتظ بالناس. استلمت خطابًا من صوفيا اليوم. لقد قرّبنا كل ذلك، يبدو أنني قد تحررت منها تمامًا^(٧٥). كتبت بالأمس كثيرًا من الخطابات. بينما كنت أتمشى فكّرت في الآتي:

(٧٥) يتحدث عن غيرته من علاقتها بتانييف.

١ - ليس ثمة سبب أكبر لاختلاط المفاهيم وارتكاب المغالطات من الاعتراف بالسلطة، وهو أكثر الأسباب في فجائيتها وتعذر فهمها كذلك، وأقصد الإذعان لنفوذ البعض من حيث المصادقية أو الجمال اللذان لا شك فيهما أبداً لكتب أو أعمال فنية لأناس معينين. كان ماثيو أرنولد^(٧٦) محققاً تماماً عندما قال إن مهمة النقاد هي فصل الأعمال الحسنة عن الرديئة في كافة الأعمال الفنية سواء المكتوبة أو غيرها، خاصة فصل الأعمال السيئة عن مجال ما هو معروف بأنه رائع، والحسن مما عُرف بأنه سيئ، أو ما لم يُعرف على الإطلاق. أكبر مثال صادم على خطأ كهذا وعن عواقبه الرهيبة التي أخرت تقدم المسيحيين لقرون هي سلطة الأنجيل والكتابات المقدسة. بعض ما هو مكتوب في نصوص الكتب المقدسة يكون أكثر شيئا لا يمكن توقعه، وأحياناً أكثر ما تحتاجه هذه الكتب نفسها من أجل تبريرها، وأحياناً أخرى يكون غير ضروري على الإطلاق ومدعش، سواء تحدثنا أو كتابة، وأحياناً ما تكون أكثر الأمور غباءً أو حتى شراً. بدلاً من أن نقول: هذا شديد الغباء، سواء كان منسوباً فعلاً لموسى أو أشعيا (من أنبياء العهد القديم اليهودي) أو المسيح أو تم تحريفه، تبدأ مجادلات وتوضيحات غبية، ربما لم تكن لتظهر إلى النور لو لم تكن لدينا مثل هذه الآيات وإن لم تكن قد اعترفنا بقداستها، وبالتالي عقلانيتها. لا يتطلب ذلك منا أكثر من تذكر مدى سخافة سفر

(٧٦) شاعر وناقد وكاتب ومصلح تربوي إنجليزي. لم يقتصر على الأدب، إذ تنوعت كتاباته بين الأدب والتاريخ والسياسة واللاهوت والعلم والفن. وقد كان تركيزه في أعماله ينصب على وضع الإنسان الغربي المعاصر الذي يواجه الحياة من غير دين.

الرؤيا^(٧٧). الأمر ذاته مع التراجميديا اليونانية وفيرجيليوس^(٧٨) وشكسبير وجوته وباخ وبيتهوفن ورفائيل وغيرهم من ذوي النفوذ الجدد.

٢٢ فبراير.

لا بد أنني فوتُّ يوم ٢١. اليوم هو السبت ٢٢ فبراير. أنا في نيكولسكوي. لم أعمل بالأمس. أعدت قراءة النسخة المنقحة من مقالتي عن الفن. لا بأس بها. ذهبت إلى يوشكوف^(٧٩)، وكان الطريق حسناً. في المساء تحدثت عن الفن، ثم سمعت بوصول الأخوان كونيوس (عازفان). أشعر بالملل طوال الوقت. اليوم تحسنت حالتي الصحية قليلاً. خرجت للتزلج وشعرت بالضعف والخوف عندما ابتعدت. حل المساء. أريد أن أكتب بعض الخطابات. بينما كنت أنظر إلى العدد الذي لا يُحصى من أبناء دورميدون (خادم لدى آل أولسوفيف) فكَّرت في البعث. إنه يعمل على تنشئتهم، فما الهدف من ذلك؟

تقول لي: «أنت تعيش بهذه الطريقة من أجل الأطفال»، لماذا نفعل ذلك؟ لماذا نُنشئ جيلاً آخر من هؤلاء العبيد المخدوعين ليعيشوا هذه الحياة التعيسة؟

٢٢ فبراير.

صباح اليوم كتبت بحوية، ويبدو أنني أتقدم في مقالتي عن الفن.

(٧٧) رؤيا يوحنا هو السفر الوحيد ذو الصفة النبوية بين أسفار العهد الجديد ويأتي ترتيبه عادة الأخير بين مجموع أسفار الكتاب المقدس.

(٧٨) رياضي وعالم فلك وكاهن من إيرلندا، أصبح بعد ذلك أسقفًا على سالزبورج.

(٧٩) مُدرّسة قروية تقطن على بعد عشرة كيلومترات عن نيكولسكوي.

تمشيت قبل الغداء. حشد كبير من الناس موجود دائماً، ولكن لا يجري حديث حقيقي. بالأمس عزفوا وشعرت بالملل. اليوم عرضوا مسرحية. لعب كل من تانيا وميخائيل أداموفيتش دوراً جيداً. حلّ المساء. لم أشعر بحرقة في المعدة.

٢٤ فبراير - نيكولسكوي.

استيقظت اليوم شاعراً بالخمول، وغفوت بعد الإفطار. في الثانية خرجت للقاء المتزلجين. وصلت إلى المنزل وتغديت. تدبرت أمري مع حرقا المعدة بنجاح تقريباً. خرجت للتنزه في المساء. قرأت - ولا أزال - في كتاب «جماليات أرسطو» لبينارد^(٨٠).

مهم جداً: فكّرت في الأيام الأخيرة في الآتي:

١- لماذا يستحيل على بعضهم -مثل مضيفي وضيوفهم- أن يتحدثوا عن الحقيقة والخير؟ هل هم بعيدون عنها إلى تلك الدرجة؟ السبب أنهم محاطون بهذه الطبقة الكثيفة من الإغواءات حتى أصبح النفاذ منها مستحيلاً. إنهم غير قادرين على النضال ضد الخطيئة؛ لأنهم لا يرونها من الأساس من كثافة طبقة الإغواءات التي تحيط بها. هذا هو الخطر الرئيس للإغواءات وفضاعتها.

٢- يقولون لي إنني أدين الدعاية الدينية في الوقت الذي أعظ أنا أيضاً فيه. لا... أنا لا أعظ بشيء؛ لأن ليس لديّ ما أعظ به. حتى الملحد لن

(٨٠) في كتاب "ما الفن؟" كتب تولستوي: "لم يكن مفهوم اليونانيين القدماء عن الجمال منفصلاً عن الخير الذي يشكل أساس وهدف علم الجمال في أيامنا الآن".

أعظه أبدًا بالله، وإن فعلت ذلك، فهذا يعني أنني أخطأت. كل ما أفعله هو استخلاص بعض الاستنتاجات مما يعترف الناس به فعلًا لكنهم لا يلاحظونه.

٣- لدينا هنا ضيف؛ جنرال أنيق نظيف مهذب، ذو حاجبان كثيفان وهيئة جليلة، وهو طيب للغاية، لكنه يفتقر إلى أي حس أخلاقي مُحفّز. هذا الرجل جعلني أفكر في تلك الفكرة الصادمة عن الطرق التي يصل بها أكثر الناس لا مبالاة بالحياة الاجتماعية والخير العام إلى مواقع يحكمون بها الناس بشكل تلقائي. يمكنني أن أرى بوضوح كيف سيتولى إدارة مؤسسة ما تعتمد عليها حياة الملايين، وذلك لسبب واحد؛ ألا وهو أنه يحب الأناقة والكياسة والطعام الرائع والرقص والصيد ولعب البلياردو وكل وسائل اللهو الممكنة، في الوقت الذي ليست لديه فيه أي وسائل حقيقية تُمكنه من الوصول لمنصب كهذا في فوج عسكري أو مؤسسة اجتماعية حيث تتوفر بالفعل كل هذه السمات، لكنه رويّدًا رويّدًا سيشق طريقه كشخص طيب وغير مكروه من المجتمع ليصبح سيدًا على الناس.

٢٥ فبراير.

كتبت قليلًا، ولم يكن الأمر بنفس سهولة الأمس. رحل الضيوف. خرجت مرتين للتنزه. أقرأ في كتاب أرسطو. وصل سيريو جاليوم وجلب لي بعض الخطابات. أحدها خطاب مزعج من صوفيا. ربما بالأحرى أنا الذي في حالة معنوية سيئة. بالأمس، بينما كنت أتنزه، صليت واختبرت شعورًا مدهشًا. من المحتمل أنه شبيه بالشعور الذي توقظه في نفسي الأعمال الروحية الباطنية. شعرتني كيأنًا روحيًا واحدًا حرًا ومرتبطًا بوهم الجسد في الآن ذاته.

٢٦ فبراير.

أكتب لتحقيق ما قررته سابقاً. استغرقت طوال فترة نهار اليوم في كتابة الخطابات، ولم تكن لديّ طاقة للعمل. ذهبت إلى شورينا^(٨١). حسناً تحدثت معها. ربما كان ذلك للصالح. حكّت لي أنا ميخايلوفنا أنني قدمت لها عوناً كبيراً. حمداً لله. أعدت كتابة خطاب لبوشا.

٢٧ فبراير.

كتبت صباحاً بتراخ، لكن ثمة شيء ما انجلى لي. صحتي بخير. خرجت لأتنزه. تحدثت مع تانيا وحسب.

١ مارس - نيكولسكوي.

لم أدوّن شيئاً. عملت بالنهار على نحو سيئ. وصلتنني خطابات من تشيرتكوف وإيفان ميخايلوفيتش، وأجبت عنهما. تمشيت ثم ذهبت إلى سافونوفو^(٨٢). في الصباح فكّرت في أمور تبدو لي مهمة، تحديداً في الآتي:

١ - أكنس الغرفة من التراب، وأتحرك في حركة دائرية، وعندما أقترّب من الأريكة لا أستطيع أن أتذكر هل نظفت هذه المنطقة أم لا. إذن لا يمكنني الشعور بالحركة الاعتيادية التي تتم بشكل غير واعٍ، وبالتالي لا يمكنني تذكرها. إن كنست الغرفة إذن ونسيت ذلك؛ أي قمت بالأمر على نحو غير واعٍ، فكأنني لم أفعل شيئاً. أما إن رأى المرء شيئاً وكان

(٨١) تسكن على بعد ستة كيلو مترات من نيكولسكوي.

(٨٢) قرية تبعد خمسة كيلومترات عن نيكولسكوي.

واعيًا، سيمكنه استعادته. إن كان هناك شخص ما، ورأى شيئًا ما ولكن دون وعي، وإن مرت حياة كاملة ومعقدة لكثيرين دون وعي، فكأنها لم تكن من الأساس. لا تكون ثمة حياة إذنٌ إلا عندنا ينيرها الوعي. وما الوعي؟ ما الأفعال التي ينيرها الوعي؟ إنها تلك الأفعال التي نقوم بها طواعية؛ أي نقوم بها عالمين أن بإمكاننا أن نسلك على نحو آخر. الوعي إذن حرية. دون وعي ليس ثمة حرية، ودون حرية لا يمكن أن يكون هناك وعي. إن تعرضنا لعنف ولم يكن لدينا اختيار، لن نشعر أنه عنف إن استطعنا تحمله. ليست الذاكرة سوى الوعي بالماضي، أو ماضي الحرية. لو لم يكن بإمكانني كنس التراب ولم أكنس فعلاً، لما وعيت أنني أكنس التراب، وإن لم أع ذلك لا يمكن أن يكون لديّ الاختيار حتى أكنس أم لا. لو لم يكن لديّ وعي وحرية لما تذكرت الماضي ولما ارتبطت معه في وحدة واحدة. الحرية والوعي إذن هما أساس الحياة: حرية الوعي.

بدأت لي الفكرة أوضح من ذلك عندما فكرت فيها.

مرض سيروجيا بقوة، وكان قد وصل لتوه. أشعر بالأسف الشديد عليه. أردت أن أتحدث معه على الفور وحاولت مواساته وتشجيعه.

لم أكتب شيئاً على الإطلاق صباح اليوم. غفوت. خرجت لأنمشي صباحاً ومساءً. كنت مسروراً جداً. فكرت في أمرين:

١- يبدو لي الموت الآن كمجرد تغيير؛ ابتعاد عن الوظيفة القديمة والتزام بأخرى جديدة. يبدو أنني قد فارقت وظيفتي القديمة فعلاً ولم أعد صالحاً لها.

٢- فكرت في آدم فاسيليفيتش (أولسوفيف) كنمط لشخصية

مسرحية: طيب القلب، نظيف، مدلل، محب للمتعة، لكنه طيب، وفي الآن ذاته ليس بإمكانه أن يستوعب متطلبات أخلاقية راديكالية.

٣- حتى يتمنع الإنسان بالصلابة والهدوء لديه وسيلة واحدة: الحب؛ حب الأعداء. نعم، لقد طُلب مني فعل ذلك من جانب غير متوقع، ويا للسوء الذي عالجته به الأمر! عليّ أن أحاول مجددًا. ساعدني يا أبي!

٢ مارس.

حالي الصحية ممتازة. كتبت اليوم على نحو جيد جدًا. في المساء، بعد الغداء ذهبت إلى قرية شيلكوفو^(٨٣). كانت نزهة رائعة في ضوء القمر. كتبت خطابًا صريحًا لبوشا. وصلني خطاب من تريجوبوف. إنه منزعج من اعتراضهم لرسائله. لا أشعر بالحزن. أدركت أنني بحاجة للشعور بالأسف عليه، وأنا أشعر فعلًا بذلك. غدًا سنعود (يقصد إلى موسكو). مكثنا هنا شهرًا كاملاً.

٤ مارس - موسكو.

لم أعمل تقريبًا في الصباح. تعثرت في تتبعي لحركة التاريخ الفنية. تنزهت. بعد الغداء خرجت على متن الجواد. وصلت في العاشرة. الأمور في المنزل بخير لكنها ليست ودية.

٤ مارس^(٨٤).

استيقظت في وقت متأخر. أخذت أُلْب في أوراق. كتبت خطابات

(٨٣) على بعد ستة كيلومترات من نيكولسكوي.

(٨٤) تكرار التاريخ من قبل تولستوي.

لبوشا وناكاشيدزي. ذهبت إلى المكتبة العامة. استعرت بعض الكتب. في المساء جاء دونايف وبولانجي. تأخر الوقت. سأنام. صوفيا في حفل موسيقي.

٩ مارس.

يا للهول! كم يومًا فوّتته! كتبت عن الفن في يومين من الأربعة الأخيرة، واليوم كتبت كثيرًا. أردت بشدة أن أكتب في رواية (الحاج مراد)، وبدا لي أنني فكرت فيها على نحو جيد ومؤثر. وصلني خطاب من بوشا، وكتبت لتشيرتكوف وكوني عن ذلك الحادث المريع المتعلق بفيتروفا^(٨٥). لن أكتب هنا ما دوّنته. لا أزال في نفس الحالة الهادئة؛ لأن الحب يكتفني. كلما أشعر بخيبة الأمل والإنهاك على الأبواب أتذكر الله، وأني ليس عليّ سوى القيام بعمل واحد؛ أن أحب دون التفكير فيما سيحدث. حينها أشعر بالراحة. تانيا ستسافر إلى ياسنايا.

١٥ مارس - موسكو.

لم يمضِ الوقت على نحو سيئ. أعرف الآن كيف سأنهي مقالتي عن الفن. لا أزال أحظى بالهدوء. أشكرك يا الله. كتبت الآن بعض الخطابات. حل المساء. سأذهب إلى غرفة الجلوس المملة.

٤ إبريل - موسكو.

لم أدوّن يومياتي منذ شهر تقريبًا؛ عشرين يومًا على وجه التحديد.

(٨٥) مسجونة سياسية وإحدى معارف تولستوي، فقد كانت معلمة بياسنايا بوليانا. انتحرت في سجنها بسكب زيت المصباح على نفسها وإشعال النار في نفسها.

قضيت هذه الفترة على نحو سيئ ، فقد عملت فيها قليلاً. لا أزال أكتب عن الفن، وقد أصابني الارتباك في الفترة الأخيرة. أما الآن، فلم أكتب شيئاً منذ يومين. لم أفقد هدوئي، لكن روحي مضطربة ومع ذلك أسودها. يا رب! آه لو أتذكر دائماً أنني مبعوثك وأن النور الإلهي لا بد أن يتجلى عبرك! لكن الأمر صعب، لأنك إن اكتفيت بالتذكر، لن تعيش. عليك أن تعيش؛ أن تعيش بحيوية وتتذكر في الآن ذاته. ساعدني يا أبي. صليت كثيراً في الفترة الأخيرة حتى تتحسن الحياة. مما يخيفني ويثقل كاهلي هو وعيي بلا شرعية حياتي. بالأمس فكّرت على نحو جيد جداً في (الحاج مراد)، وكيف يجب في الأساس أن أعكس فيه خداع الإيمان، وكيف كان من الممكن أن يكون رائعاً لولا هذا الخداع. أفكر أيضاً في البيان أكثر فأكثر. أخشى أن تكون مقالتي عن الفن قد شغلتنني في الفترة الأخيرة لأهداف شخصية أنانية دنيئة. دوّنت القليل في تلك الفترة، وإن كنت قد فكّرت في شيء، نسيته:

١- العالم الذي نعرفه ونتصوره ليس إلا قوانين العلاقات بين حواسنا، والمعجزة هي خرق لهذه القوانين، وبالتالي فإنها تحطم تصورنا عن العالم. يمكنني أن أصيغ الفكرة بأكثر درجاتها فظافة على النحو الآتي: أعرف أن الماء - غير المتجمد - سائل دائماً، وأعرف أن وزنه النوعي أقل من الوزن النوعي^(٨٦) لجسدي. تكشف لي عيناى

(٨٦) الوزن النوعي والذي يعرف أيضاً باسم وزن الوحدة، هو وزن لكل وحدة حجم مادة ما. يرمز للوزن النوعي بالحرف الإغريقي غاما γ من القيم الشائعة لهذا البعد الفيزيائي قيمة الوزن النوعي للماء على سطح الأرض، وهي ٩,٨٠٧ كيلونيوتن/م^٣، والتي تكافئ ٩٣, ٦٢ باوند/قدم مكعب عند الدرجة ٥°س.

وحاستا السمع واللمس عن طبيعة الماء السائلة، ثم أجد فجأة أحدهم يسير فوق صفحة المياه! إن فعل كذلك، فهذا لا يثبت لي شيئاً أكثر من تدميره لتصوري عن المياه.

٢- أحد الأخطاء الشائعة جدًّا هو أن نعتبر أن هدف الحياة خدمة الناس لا الله. بخدمة الله وفعل ما يريد، يمكنك أن تكون متيقنًا أنك لا تقوم بأمر تافه، ولا تكون لديك فرصة لاختيار مَنْ تقوم بخدمته.

٣- إن مسيحيي الكنائس لا يريدون أن يخدموا الله؛ بل أن يخدمهم الله.

٤- حظي شكسبير بالتقدير عندما فقدنا معيارنا الأخلاقي.

٥- فيما يتعلق بالبيان: تعقدت أمورنا؛ حتى إن كل خطوة في حياتنا أصبحت بمثابة مشاركة في الشر سواء كان عنفًا أو ظلمًا. علينا ألا نياس، بل نخرج أنفسنا ببطء من هذه الشباك التي سقطنا أسرى لها. علينا ألا نقطعها، فهذا أسوأ من تشابكها حولنا، بل نفكها بحذر.

٦- تتضمن الغيرة شعورًا ما جسديًا قد أنجبته الشهوة، لكنه ثقل الوطأة.

أنا في حالة جسدية شديدة السوء، محموم تقريبًا، وقد عادت لي كآبتي السالفة، لكنني قوي روحيًا حتى الآن. قضيت وقتًا في مزرعة مود (صديق إنجليزي لتولستوي). إيفان ميخايلوفيتش لا يزال طليقًا. كل شيء بخير.

٩ إبريل - موسكو.

كنت مريضًا. فكَّرت بهدوء في أنني على وشك الموت. كتبت اليوم

على نحو جيد عن الفن. ألقوا القبض على إيفان ميخايلوفيتش وفتشوا منزل دوناييف. الأمور بخير مع المنفيين. أبدو بخير ظاهريًا، لكنني لست كذلك أبدًا داخليًا. يجدر بي أن أتذكر أن كل شيء للخير. عندما أتذكر ذلك - مثلما أفعل الآن - أشعر أنني بخير.

٣ مايو- ياسنايا بوليانا.

لم أدوّن شيئًا منذ شهر تقريبًا. لم يكن شهرًا جيدًا أو مثمرًا. انكبت على العمل على مقالتي عن الفن. ما أردت قوله يبدو مفهومًا منها الآن، لكنه قد قيل على نحو سيء، وثمة الكثير من الأجزاء التي لا تبدو كاملة أو دقيقة. وصلت هنا بالأمس بصحبة تانيا. أشعر بالضعف جسديًا وعقليًا وأخلاقيًا. يستيقظ الإنسان الأخلاقي بداخلي الآن وهو غير راضٍ. ساعدني يا أبي وحرّرتني مما يقيدني. كم أنا دنيء! إنه ربيع فاتن! عدتُ لتوي من كوزلوفكا وجلبت معي بعض أزهار النفل وكونفالاريا أيار.

فكرت كثيرًا ولم أدوّن أفكارٍ. لم أفعل شيئًا صالحًا. كابوا^(٨٧). لقد قيّدوني بسرعة حتى إنني لن يكون بمقدوري قريبًا أن أحرك طرفًا وإلا سأمزقه. كما أنا حزين! لا يعود ذلك لأي سبب خارجي. لا أريد شيئًا من الحياة ولا أشعر بالندم على الماضي إطلاقًا، لكنني أبغض نفسي، وأشعر بالخزي منها والأسف على روحي. ساعدني يا سيدي. هل تسمعنني يا رب؟ لا بد أنك تسمعنني لأنك تتحدث.

(٨٧) مدينة بجنوب إيطاليا. غالبًا ما كان تولستوي يستخدم هذه الكلمة ليشير إلى الخمول والتبطل، إشارة إلى سلوك قوات هانيبال في كابوا بعد انتصارهم على الرومان.

٩ مايو- الثانية عشرة صباحًا.

كنت على وشك النوم، لكنني هبطت إلى الطابق السفلي لأدوّن عن حالتي الروحية المدهشة: أشعر بحزن سيئ مُعذّب. أهو المرض أم ضعف روحي؟ أعاني بشدة. أصلي. وصل اليوم أعضاء طائفة المولوكانيين (شاربي الحليب) من باتروفكا. كتبت مسودة لخطاب إلى القيصر. لا بد وأن تكون جيدة^(٨٨).

١٦ مايو.

كتبت الخطاب وأرسلته في يوم ١١ على ما أذكر. لا بد وأن يكون قد وصل الآن. في يوم ١٣ جاءت صوفيا أندريفنا. استلمت خطابًا منها بالأمس. لم أنم طوال الليل. لم تصل معاناتي أبدًا من قبل إلى هذا الحد. ساعدني يا أبي. علّمني! ادخلني! تقوّ بداخلي. لا يمكنني أن أصل إلى أي قرار. هل يجدر بي التوقف عن التفكير في الأمر^(٨٩)؟ مستحيل. لا أستطيع أن أقرر شيئًا. لا يمكنني أن أشفق عليها ولا أن أعارضها (يقصد صوفيا). ساعدني يا إلهي.

(٨٨) جاء إلى تولستوي اثنان من المولوكانيين (طائفة مسيحية تنبذ العنف، ولها أفكار مخالفة للكنيسة التقليدية، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية لأنهم كانوا يشربون الألبان في وقت الصوم) من مقاطعة سامارا ليسألوا تولستوي أن يتوسط من أجلهما. جاءهم وفد كنسي من المنطقة وحكم أن يؤخذ منهم أطفالهم ليتعلموا في مدارس الكنيسة. أرسل تولستوي خطابًا إلى القيصر بشأن ذلك لكنه لم يستلم ردًا.

(٨٩) يفكر في مفارقة المنزل؛ لأنه غير قادر على العيش وفقًا لقناعاته في منزله.

قلبي يؤلمني بفضاعة. الدموع في حلقي. إن سمحت لها بالخروج سأنفجر في البكاء.

لقد أخطأت في تاريخ اليوم. اليوم هو ١٨ مايو. قلبي كما هو، يؤلمني بلا توقف. لم أُنم منذ ثلاثة ليال، وأشعر أنني لن أنام الليلة أيضًا. لا يمكنني القيام بأي عمل. أظن أنني قد توصلت إلى قرار^(٩٠). سيكون قرارًا صعبًا، لكنني لا أستطيع أن أفعل - ولا يجب - شيئًا إلا ذلك. عاد المولوكانيان بالأمس بعد أن تخلصا من خطابي^(٩١). كنت حزينًا. وصل بولانجي اليوم. أعدت كتابة الخطاب وأرسلته معه. وصلتني خطابات جيدة من تشير تكوف، لكنني لا أرى أو أشعر بشيء. إني لا أحياء. رحل ليف الآن بصحبة زوجته.

أظن أنني أو من وأعترف - على الأقل - بأن الله هو الحب، لذا يمكنه أن يهزم كل شيء. لقد خضعت للاختبار، وعليّ الآن أن أناضل. بدلًا من الحب، أجد في نفسي لومًا وخيبًا. إني لا أناضل بحبة، بل أشعر بالقنوط والغضب وأسأل نفسي: كيف يهزم الحبُّ هذا الشرَّ الذي أعاني منه ويتفهمه؟ أنتظر الانتصار هنا في حياتي، لكنني أرى أنه لن يحدث. لن يهزم الحب هذا الشر الذي أعاني منه، وسوف أعاني منه حتى الموت. الأمر كما يقول أولئك الناس الذين يتركون المجرمين

(٩٠) مفارقة المنزل، لكن القرار النهائي لن يتم إلا في ١٩١٠ قبل موته مباشرة.

(٩١) ذهب فردا الطائفة ليوصلا خطاب تولستوي إلى القيصر، لكنهما استمعا إلى نصيحة خادم الأمير هناك بخصوص خطورة تسليم مثل هذا الخطاب للقيصر وتخلصا من الخطاب.

والأشرار ولا يسجنونهم أو يعدمونهم: لا يمكن للحب أن ينتصر على هؤلاء المجرمين. إنهم على حق، لكن الأمر هو أن الحب أمر هائل إن قارناه بالإجراءات المنطقية المعتادة، حتى إن عواقبه لا يمكن أن يراها أبداً من يقوم به. لن ينتصر الحب على المجرمين أو الثلاثة الذين نعرفهم، لكنه سينتصر على آلاف ممن لا نعرفهم. الأمر يشبه عامل تلغراف لن يوصل البرقية؛ لأنه لا يرى كيف تصل إلى محطتها المنشودة. يعمل الحب دائماً، فمن يغلق عينيه للحظة واحدة يستحيل عليه أن يرى أثر قوة الحب الأبدية. أن تؤمن بالحب بالحقيقة وألا تبدله، يعني أن تؤمن بالحياة الأبدية. لكني بدوت كعامل مكتب التلغراف الذي لا يصدق أن هذه الآلة التي تم تكليفه بالعمل عليها تعمل فعلاً. الأسوأ من ذلك كله أنني كنت أؤمن ما دمت غير مضطر للعمل، ولكن حينما حان موعد العمل، رفضت قائلاً: لا أرى كيف يعمل الأمر. ربما هو لا يعمل إطلاقاً. هذا يعني أنني غير مؤمن. يا للخزي يا ليف نيكولايفيتش! أشكرك يا أبي على هذه التجربة.

نهاية مايو. قطعت وأحرقت ما كتبت في لحظة تهور^(٩٢).

١٦ يوليو.

لم أتوقف عن تدوين يومياتي لشهر واحد، بل لشهرين ونصف. مررت في هذه الفترة بما هو سيئ جداً، وكذلك بما هو جيد جداً. كنت مريضاً، مريضاً جداً في أول يوليو على ما أذكر. عملت طوال هذا

(٩٢) قص تولستوي صفحتين من دفتر يومياته حتى هذا الموضع، لكنهما لم يُحرقا، ووجدتهما بولانجي، واحتفظ بهما في أرشيفه، وهكذا عثرنا على هذه المقاطع الأخيرة.

الوقت على مقالتي عن الفن، وكلما تقدمت فيها تحسّنت. أنهيتها وها أنا أصححها من البداية. تزوجت ماشا^(٩٣)، وشعرت بالأسف عليها؛ ذلك الأسف الذي يشعر به المرء على جواد أصيل جعلوه يعمل في نقل المياه. لن ينقل المياه، لكنه سينكسر وسيصبح غير مُجدٍ. لا يمكنني تخيل إلّا م سينتهي الأمر. إنه شيء غير طبيعي بدرجة متوحشة، كأن تصنع من الأطفال فطائر. جلبت تانيا لنفسها هي أيضًا المعاناة^(٩٤). ميشا يتعذب. نفس المصيبة كذلك في بيروجوفو^(٩٥). أمر مريع! الشهوة هي مصدر أعظم المصائب، ونحن لا نهدي من حديثها أو نضبطها، بل نشعلها بكافة الوسائل، ونشكو بعد ذلك من معاناتنا. في الفترة الأخيرة شعرت بالأسف على صوفيا. وصلتني خطابات جيدة من تشير تكوف. جاءني شيدلوفسكي، وهو فلاح من كيف. أشعر بالوحدة. إني لا أشعر أن حياتي لا تهم أحدًا وحسب، لكن الناس يشعرون كذلك بالملل والخزي من انشغالي بمثل هذه التفاهات.

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١ - ثمة نمط معين للنساء، ونجد بعض الرجال على هذا الحال أيضًا، لكنه أكثر بين النساء. أصحاب هذا النمط لا يرون أنفسهم، كما لو أن أعناقهم لا تُمكنهم من الالتفات لرؤية أنفسهم. ليس الأمر أنهم لا يريدون التوبة، لكنهم غير قادرين على رؤية أنفسهم. إنهم يعيشون

(٩٣) تزوجت من ن. ل. أوبولينسكي حفيد شقيقة تولستوي.

(٩٤) يشير إلى علاقة الحب بينها وبين سوخوتين الذي كان متزوجًا حينها.

(٩٥) يشير إلى فارفارا ابنة أخيه التي كانت حينها تعيش مع فلاح من بيروجوفو دون زواج.

بهذه الطريقة لا غير؛ لأنها تبدو جيدة لهم. لذا، أيًا كان ما فعلوه، كان السبب أنهم يرونه جيدًا. هذا النمط مثير للهلل، ويمكن أن يكونوا أذكاء أو أغبياء، طيبين أو أشرارًا. عندما يكونون أغبياء وأشرارًا يكون الأمر مريعًا فعلاً.

٢- تُحسم الأمور في مستوى أخلاقي متدنٍّ بشرح تصرفات أفضل البشر قاطبة وكأنني أنا الذي فعلتها. حينها يعتقدون أن المسيح بشرٌ بدافع من الكبرياء وأدان الفريسيين لأنه كان يحسداهم... إلخ.

٣- شرط الفن الثاني هو التجديد. يرى الطفل كل شيء جديدًا، لذا لديه الكثير من الانطباعات الفنية. أما الجديد بالنسبة لنا فهو عمق معين من المشاعر؛ إنه ذلك العمق الذي يلمس فيه المرء ما يميز شخصيته عن أي شخصية أخرى. هكذا هو الأمر مع الفن المتوسط، أما التجديد في الفن السامي فهو ينحصر في الدين؛ لأن الدين يقدم أكثر الرؤى نضجًا للعالم.

٤- للمسرحية: يأتون بمتسول إلى الطاولة ويسخرون منه ومن خراقتة. غضب^(٩٦)!

٥- عندما تفكر في شيء وتنساه لكنك تتذكر وتعرف طبيعة تلك الأفكار من حيث إنها حزينة وكئيبة وصعبة، أو مرحة وحيوية، وتتذكر حتى مسارها؛ مثلاً شعرت بالحزن في البداية وبعد ذلك بالعزاء... إلخ، عندما تتذكر أمورًا بهذه الطريقة، هذا تحديدًا ما تُعبر عنه الموسيقى.

(٩٦) لا نجد مثل هذا المشهد في مسرحية (الضوء يسطع في الظلام).

٦- فكرة حبكة: شاب غني متقد العاطفة يقع في حب امرأة مريضة عقلياً (٩٧).

٧- لقد وهبنا الله روحه والحب والعقل حتى نخدمه، في الوقت الذي نستخدم هذه الروح في خدمة أنفسنا، كأننا نستخدم الفأس من أجل كشط يده.

أشعر أنني في تمام الصحة والقوة الجسدية، لكنني ضعيف أخلاقياً. أريد أن أعمل ويمكنني ذلك. سأدوّن الآن.

١٧ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. عملت على نحو سيئ. غياب الانتباه والمهارة يكتنفانني، لكن العمل يتقدم على أي حال. وصلت ماشا بصحبة كوليا. كم هما بائسان! تحدثت بالأمس مع ميشا عن الحب، وعن أننا نوقد هذه العاطفة بجنون بداخلنا ثم نعاني من إفراطها وتجاوزها الحد. ذهبت إلى يسينكا على متن الدراجة. أحب هذه التمرين بشدة لكنه يخجلني. وصلني خطاب من تشير تكوف. إنه مريض للغاية. أقدرة كثيراً، وكيف لا أفعل ذلك! الساعة الآن العاشرة. أشعر بالجدية في داخلي بينما تغيب البهجة.

٢١ يوليو.

فوّت ثلاثة أيام. أعمل على نحو جيد فعلاً، حتى إنني راضي عن عملي (يقصد: ما الفن؟) رغم أنني أغيّر فيه الكثير. سلّطت الضوء تماماً اليوم على العمل، وربحت الكثير من ذلك. تفحصت العمل كله من

(٩٧) لم يكتب قصة بهذه الفكرة.

البداية. الحياة من حولي شديدة البؤس. لا يمنحني أبنائي أي فرحة، ولا أعرف السبب. في المساء أشعر بالضعف الشديد، ولا أعرف هل هي آلام المعدة أم الحرارة والعمل البدني المفرط. جيد هو حديث كروكس^(٩٨) عن كيف يمكن لإنسان ميكروسكوبي الحجم أن يدرك العالم. جاء نوفيكونوف بالأمس وجلب لي مذكرات ميخائيل نوفيكونوف الرائعة^(٩٩). كتبت خطابًا لجاروس^(١٠٠)، وآخر لإيفان ميخايلوفيتش. وصلني خطاب من يفجيني إيفانوفيتش.

٢٧ يوليو.

فَوَّتْ ستة أيام. منذ ثلاثة أو أربعة أيام مضت كنت على وشك الإصابة بالكوليرا، ومرضت بشدة في اليوم التالي، وشعرت بضعف شديد ليومين وكتبت على نحو سيئ جدًا. اليوم أنا أفضل قليلًا. جاء الأطفال؛ أسرة إيليوشين (ابنه إيليا). يا لهم من أحفاد رائعين! خاصة أندريوشا. دَوَّنت شيئًا ما. لن أعيد تسجيله هنا اليوم. جاء لونجينوف وهو من معارف أنينكونوفا، واليوم جاء مود وبولانجي.

٧ أغسطس.

في هذه الفترة جاء عدد هائل من الضيوف: جينزبورج (نَحَات)

(٩٨) خطاب نُشِر في جريدة New Times لويليام كروكس وهو فيزيائي وكيميائي إنجليزي.
 (٩٩) إيفان نوفيكونوف هو فلاح من تولا، وجلب لتولستوي مذكرات أخيه ميخائيل الذي عاد من منفاه في مقاطعة تورجاي.
 (١٠٠) مستشرق أمريكي، أعاد لتولستوي كتابة قصته "كارما"، وقد حظيت بمقروئية كبيرة. طلب منه جاروس أن يكتب مقدمه لترجمتها الألمانية ويضع اسمه "تولستوي" عليها.

لطيف - كاساتكين (أقل لطفاً منه) - جولدنيزر (غير لطيف) - ألمانان
منحلان - فرنسي ساذج أو بالأحرى غبي. جاء كذلك نوفيكونف الكاتب
وهو شديد القوة. بولاخوف هو كذلك هائل القوة أخلاقياً وفكرياً.
أعيش على نحو شديد السوء والضعف. اليوم وصل آل ستاخوفيتش
وماكلاكوف. يتحلون بقدر ضئيل جداً من الطيبة. أوصل العمل على
مقالتي عن الفن. من الغريب أنها تروق لي. استغرقت أمس واليوم في
قراءتها لجينزبورج وسوبوليف وكاساتكين وجولدنيزر. تركت المقالة
فيهم انطباعاً يشبه ما تركته في نفسي. وصلني خطاب من كروسبي
ومعه خطاب مبهج من أحد اليابانيين^(١٠١). وصلني خطابات جيدة من
تشيرتكوف. أهملت مراسلاتي تماماً. أنا وحيد وأشعر بالضعف.

كثيراً ما أقول لنفسي إن عليّ أن أعيش حياتي من أجل الخدمة، لكن
ما إن أقبل على الحياة حتى أنسى ذلك ويتلاشى كل شيء. دَوَّنت الكثير،
لكنني لن أستطيع نسخه هنا اليوم. ساعدني يا أبي. أشعر بالضعف. سوف
أكتب كل يوم.

٨ أغسطس.

جاءني فلاح كُسِرَت ذراعه بسبب شجرة واضطر لبترها. يحترث
الأرض بمفصل ربطه بجسده.

(١٠١) شخصية يابانية بأمريكا أعجبت جداً بمقدمة تولستوي للأناجيل، وقررت العودة إلى اليابان
ومحاولة إيجاد جماعة يمكن أن تعيش فيها بحسب تلك المبادئ.

٩ أغسطس.

وصل ستاخوفيتش. قرأت المقالة (ما الفن؟). الفصل العاشر سيئ. عملت بكد، وكتبت خطابات سيئة. لا بد أن أكتب لبوشا وإيفان ميخايلوفيتش.

دوّنت الآتي في دفثري:

١ - الخادم يجعل الحياة مزيفة ومنحلة. ما إن تحظى بخادم، حتى تزيد متطلباتك وتتعدّد الحياة وتصبح ثقيلة. تتحول فرحة أن تقوم بشيء بنفسك إلى مصدر كرب. لكن المشكلة الرئيسة هي أنك تتخلى عن شاغلك الرئيس بالحياة؛ ألا وهو تحقيق أخوتك بالبشر.

٢ - الجمالي والأخلاقي بمثابة ذراعين لذات الرافعة. كلما ازداد طول وثقل أحدهما ازداد الآخر قصرًا وخفة. ما إن يفقد الإنسان حسه الأخلاقي، حتى يصبح شديد الحساسية للحس الجمالي.

٣ - يعرف الناس إلهين: الأول هو الذي يريدون أن يجبروه على خدمتهم ويطلبون منه في صلواتهم أن يحقق طلباتهم، والآخر هو الذي يجب أن نخدمه ويتوجب علينا أن نوجّه كافة أمانينا صوب تحقيق إرادته.

٤ - من المعتاد أن يحب الشيوخ الارتحال، وأن يسافروا بعيدًا ويغيروا أماكنهم. أيعود ذلك إلى توقعهم المسبق للرحلة الأخيرة وبالتالي يستعدون لها؟

١٥ أغسطس.

أواصل العمل والأمور تتقدم. جاء لومبروزو^(١٠٢). إنه عجوز ضيق الأفق وساذج. جاء ماكلاكوف أيضًا. وصل ليوفا بصحبة زوجته. بولانجي لطيف حقًا. كتبت خطابات كثيرة؛ لبوشا وإيفان ميخايلوفيتش وفانديرفير.

أردت أن أدوّن شيئًا ما، لكنني نسيت. وصلت تانيا لتوها بعد لقائها بسوخوتين. استدعيتني لغرفتها. شعرت بالأسف الشديد عليها، ولكن ما عساني أقول لها؟ فليكن ما يكون. آمل فقط ألا يكون ثمة خطيئة بالأمر. وصلني تقرير صادم عن الإرسالية التبشيرية بكازان^(١٠٣). دوّنت الآتي:

١- يبدو أن سمة الشخصية الأنثوية التي توجّه حياة صاحبها هي الاختصار على الشعور، بينما يكتفي العقل بخدمة الشعور. إنها حتى غير قادرة على فهم فكرة أن يكون الشعور خاضعًا للعقل.

٢- الأمر لا يقتصر على النساء فلدينا الكثير من الرجال على ذلك الحال؛ غير قادرين على سماع أو رؤية ما لا يروق لهم، ويسلكون كما لو أن ذلك الأمر غير موجود.

٣- عندما لا يكون بمقدور الناس التخلي عن الخرافة يستمرون في الإشادة بها، وبدلًا من أن يروا الآخرين وقد تحرروا منها، يغضبون من

(١٠٢) طبيب نفسي إيطالي وخبير بعلم الجريمة، صاحب نظرية رجعية عن وجود نمط غريزي فطري للمجرمين، أصبحت واسعة الانتشار في تلك الفترة.

(١٠٣) الإشارة إلى إجبار البعثة آباء الطوائف المختلفة مع الكنيسة على إرسال أبنائهم لمدارس التعليم الكنسي.

هذا التحرر ويقول الواحد منهم لنفسه: لماذا أعاني وأرتكب الحماقات بينما هو حر؟

٤- يستغل الفنانون الناس بدلاً من خدمتهم.

٥- منذ أن هرمت بدأت الشخصيات تختلط عليّ. أصبحت أخطئ في أطفالي؛ مثلاً: أظن سيريوجا أندريه، وأظن ميشا إيليا. كذلك تختلط عليّ شخصيات الغرباء الذين يصنفهم عقلي في نوعية واحدة. هكذا لم أعد أعرف سيريوجا وأندريه، لكنني أعرف شخصية مجمعة ينتمي إليها كلاهما.

٦- لقد تعودنا على فكرة أن كل شيء وُجد من أجلنا، وأن الأرض ملكنا، إلى حد أنه عندما يحين موعد الموت يشعر المرء منا بالتعجب من أن أرضه التي تنتمي إليه ستبقى بينما هو راحل. الخطأ الرئيس هنا هو أن نظن أن الأرض تنتمي لنا كشيء مكتسب، بينما العكس هو الحقيقة، فأنا الذي طرأت على حياة الأرض.

٧- كم كان الأمر ليصبح رائعاً لو تمكنا من العيش بانتباه ونقوم بعملنا في الحياة، ونعامل الناس بذات الانتباه الذي نلعب به الشطرنج ونقرأ به النوت الموسيقية وما إلى ذلك!

١٩ سبتمبر.

لم أدوّن يومياتي منذ أكثر من شهر. كل شيء على حاله. كان العمل يتقدم طوال الوقت، وكان من الممكن أن أحرز فيه مزيداً من التقدم من حيث الشكل، لكنني ليس لديّ قطعاً المزيد من الوقت. لديّ الكثير من

العمل لأقوم به. وصلت إلى الفصل التاسع عشر، وهو بمثابة ملخص للأطروحة بأكملها. الحدث الهام في تلك الفترة: نفي بولانجي^(١٠٤). الأمر الوحيد الذي قطع عملي كان خطابي إلى الصحف السويدية بشأن جائزة نوبل والدوخوبوريين^(١٠٥). صوفيا خائفة. أشعر بالأسف الشديد عليها، لكن لا يمكنني ألا أفعل ما أفعله. عطّلني مرضي كذلك عن العمل: لديّ خُراج مريع على وجعتي.

اعتقدت أنه السرطان، وأنا سعيد أن ذلك أن التفكير في ذلك لم يضايقني. أنا أكتسب وظيفة جديدة لا يمكنني الفرار منها. جاء سانت جون^(١٠٦). إنه شخصية جدية، لكن أخشى أن يكون سلوكه من أجل نيل مديح الناس أكثر من أن يكون لنفسه ولله. عطّلني كذلك عن العمل وصول المولوكانيين من سامارا ليتحدثوا معي عن موضوع أطفالهم الذين انتزعوا منهم. أردت أن أكتب للخارج عن هذا الشأن، وكتبت فعلاً خطاباً شديد الحدة والقوة على ما أظن، لكنني غيّرت رأيي. الأمر غير صحيح إن فكّرت فيما يرضي الله. عليّ أن أحاول مجدداً. كتبت اليوم خطاباً للقيصر وأولسوفيف وهيث^(١٠٧) وتشيرتكوفا (والدة تشيرتكوف) وودّعت المولوكانيين. أردت أن أنسخ هنا ما دوّنته في دفترتي لكن الوقت قد تأخر. سأنام.

(١٠٤) نفي مثل تشيرتكوف إلى الخارج لمساعدة تولستوي في حملته لدعم الدوخوبوريين.
(١٠٥) علم تولستوي بأنه سيفوز بجائزة نوبل للأدب، فأرسل إلى الصحف السويدية خطاباً علنياً يرفض فيه الجائزة، ويقترح عليهم استغلال ذلك المال من أجل الدوخوبوريين الروس.
(١٠٦) آرثر سانت جون: ضابط إنجليزي ببورما. تأثر بشدة بأفكار تولستوي حتى ترك عمله ولعب دوراً هاماً في عملية هجرة الدوخوبوريين الروس.
(١٠٧) رجل إنجليزي، كان المعلم السابق للقيصر.

٢٠ سبتمبر.

سأكتب بضع كلمات. يزعجني الحُراج بشدة. ليست هناك حرية روحية كاملة. كتبت اليوم خطابًا للسويديين، وفي المساء سأترجمه إلى السويدية مع أحد السويديين. لن أنسخ ما دوّنته في دفترتي، لكنني سأكتب هنا ما خطر على ذهني بحيوية شديدة. لقد ربّنا حياتنا على أن ينصب كافة اهتمامنا على أنفسنا. استخدام قوانا الروحية الممثلة في العقل في العناية بأنفسنا لا يجلب لنا سوى التعاسة. هذه الأناية ضرورية في الآن ذاته من أجل أن يحيا كل منا حياته المنفصلة. هذه هي إرادة الله الغامضة. ما إن تَعِشْ لنفسك حتى تهلك، وإن عشت خارج حدود ذاتك وجدت الهدوء والفرحة لنفسك وللآخرين.

٢٢ سبتمبر.

بالأمس كتبت خطابًا للصوفيا عن أنني لا أستطيع الاسترشاد بآرائها في كتاباتي. كتبت بإخلاص وبشعور طيب. هكذا قبلت أيضًا خطابي^(١٠٨). بالأمس أنهيت الترجمة مع لانجليت (الترجمة السويسرية). أما اليوم فانشغلت بمقالتي عن الفن، لكنني لم أستطع الاستمرار فيها، وبعد ذلك لم يَرُقْ لي ما كتبته فيها سابقًا. أتت صوفيا اليوم. في المساء فكّرت في انفصال الشهوة عن الحب. الساعة الآن الواحدة. أنتظر إيليا بصحبة أندريه. كتبت لتوي خطابًا لمحرر الجريدة السويسرية (تاجبلات ستوكهولم) وأخرى لتشيرتكوف.

(١٠٨) عارضت صوفيا إرسال تولستوي خطاب إلى الصحف السويدية تحسبًا لإساءة استخدام الواقعة من قبل الحكومة الروسية لتوتر العلاقات بين البلدين في تلك الفترة.

٢ أكتوبر.

أعمل طوال الوقت في مقالتي عن الفن. انفتح الحُراج. وددت لو أنعم بمزيد من الراحة.

١٤ أكتوبر.

وصلت صوفيا أول أمس. أنا وهي وحدنا. إنها تساعدني بشدة. لا أزال أكتب في مقالتي عن الفن. راجعت اليوم الفصل العاشر ووضّحت ما لم يكن واضحًا. لا بد أن أستنسخ ما دوّنته في دفترتي. أخشى أن أكون قد نسيت الكثير:

١- لا شيء يمكنه أن يقدم مزيدًا من الدعم للحياة الأنانية الهادئة أكثر من ممارسة الفن من أجل الفن. لا بد أن يحب الطغاة والأوغاد الفن. كتبت شيئًا عن هذه الفكرة لكنني لا أذكره الآن.

٢- تصورت بحيوية كم يمكن أن تكون الحياة مفرحة وهادئة وحرّة تمامًا إن سلّمت نفسي تمامًا لله؛ أي ألا أبحث في كل ظروف الحياة إلا عن أمر واحد؛ أن أفعل ما يريد، في المرض وعند التعرض للإهانة والإذلال، في المعاناة وأمام كافة الإغواءات، وكذلك أمام الموت الذي يعد وحده بمثابة تغيّر في وظيفتي. وماذا عن الضعف وعدم تنفيذ إرادته؟ ماذا أفعل حينها؟ لا شيء... عليّ بالعودة إلى الوعي بأن الحياة تنحصر في تنفيذ إرادته. إن لحظات الضعف هي بمثابة فراغات بين حروف الحياة، لكنها ليست الحياة. ساعدني يا أبي!

٣- حلمت أنني أفكر وأقول إن الأمر يتلخص في بذل الجهد، وهو

نفس ما قيل في الإنجيل: «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَحْتَطِفُونَهُ.» (متى ١١ : ١٢) كل شيء جيد، كل شيء حقيقي، كل فعل حياة حقيقي يتم بالجهد. إن لم تبذل الجهد، وعشت حسبما يجري التيار، فإنك لا تحيا بالحقيقة. في نفس الوقت يعظ التعليم الكنسي بأن بذل الجهد خطية، وأنه يكشف عن الكبرياء والأمل في قوة المرء. كذلك تخبرنا التعاليم العلمانية بأن بذل الجهد غير مجد، وأن المجتمعات والبيئة من حولنا يتحكمون في كل شيء. يا للضلال! إن بذل الجهد هو أهم شيء. كل جهد صغير مثل محاولة قهر الكسل أو الشراهة أو الشهوة أو الغضب أو الكآبة هو أهم شيء ويُعتبر كذلك بمثابة تجلٍّ لله في الحياة... إنها الكارما وتوسيع حدود الأنا.

٤- تفاصيل لرواية (الحاج مراد): ظل نسريمر بمنحدر جبلي - آثار حيوانات متوحشة وحياد وبشر على الرمال قرابة النهر - تصهل الجياد بحيوية في الغابة بينما يركضون على متونها - عنزة تقفز من خلفه أجمة صغيرة.

٥- عندما يُعرب الناس عن إعجابهم بشكسبير وبيتهوفن، فإنهم يعربون عن إعجابهم بأفكارهم وأحلامهم؛ بأفكارهم التي أثارها شكسبير وبيتهوفن. كذلك لا يحب العشاق موضوع حبهم، بل ما يثيره بداخلهم. في مثل هذا الإعجاب ليس ثمة واقع حقيقي للفن، بل لانهائية كاملة.

٦- لا يمكن فهم الله والشعور به إلا عندما يدرك المرء أن العالم المادي كله غير حقيقي.

٧- منذ فترة قريبة، أثناء الصيف، شعرت لأول مرة بالله بوضوح؛ شعرت أنه موجود وأنا في داخله. هو وحده الموجود، وأنا فيه. أنا فيه ككيان محدود وغير محدود في الآن ذاته. أنا فيه كما لو أنني مُحاط بال مخلوقات التي هو فيها أيضًا. عبّرت عن الفكرة بشكل سيئ وغير واضح تمامًا. شعرت بالأمر بوضوح وحيوية للمرة الأولى في حياتي.

بشكل عام، ولا أعرف السبب، لم يعد لديّ ذلك الشعور الديني الذي حظيت به عندما بدأتُ كتابة هذه اليوميات لنفسي وحسب. حقيقة أن البعض قرأوها، وقد يقرأونها في المستقبل تُدمر هذا الشعور. كان هذا الشعور الديني ثمينًا حقًا، وقد ساعدني في حياتي. بدءًا من اليوم سأعود لكتابة اليوميات كالماضي، على أساس أن أحدًا لن يقرأها أثناء حياتي. إن دَوّنت أفكارًا تستحق، سأستنسخها وأرسلها إلى تشير تكوف.

٨- ذاك مَنْ لا يستطيع التوبة، ليس له خلاص من خطاياها. إن أشاروا له إلى خطاياها، سيغضب منهم ويضيف لنفسه خطية جديدة.

٩- لم تنجح كل محاولات الحياة على الأرض وإطعام المرء لنفسه من عرق جبينه في روسيا، ولا يمكن أن تنجح، وذلك للآتي: حتى يكسب الإنسان رزقه من عرق جبينه في أوساطنا، عليه أن ينافس الفلاح، ويحدد الأسعار ويخفضها أحيانًا. نشأ الفلاح على مر الأجيال على تحمل مشاق الحياة والعمل المضن، بينما نشأنا على مر أجيال على الحياة المترفة والكسل والتبطل. ذلك لا يعني أنه لا يتوجب علينا أن نحاول أن نرتزق من عرق جبيننا، لكنه يعني أنه من المستحيل أن نتنظر تحقيق ذلك كاملاً في الجيل الأول.

١٠ - تعود كافة المصائب الناتجة عن العلاقات الجنسية والعشق إلى خلطنا الشهوة الجسدية بالحياة الروحية والحب، وهو أمر مريع، كما أننا لا نستخدم العقل من أجل إدانة وتحديد هذه الشهوة، بل من أجل أن نجعلها تتكرر بريش الطاووس فتبدو روحانية، وحينها يتلاقى النقيضان. إن عزو كافة الميول بين الجنسين إلى الشهوة الجنسية يبدو شديد المادية، بينما المر على النقيض من ذلك حيث تعود تلك الميول في العلاقة الروحية، ولكن علينا أن نتزع منها كل ما لا ينتمي إليها حتى يمكننا أن نقدرها حق قدرها.

١١ - كل ما أعرفه هو نتاج لحواسي. تكشف لي حواسي عن حدودي المتصلة بحدود الآخرين. نحن نعي شعورنا أو وعينا بالحدود، ولا يمكننا أن نعي شيئاً مادياً غير ذلك. في هذه المادة نرى إما مادة فقط أو كائنات تشبهنا محدودة بحدودها الخاصة. يمكننا أن ندرك الكائنات القريبة من أحجامنا، من الفيل إلى برغوث البحر، وندرك حدودها. أما الكائنات البعيدة عنا حجماً كالذرات والنجوم، فلا ندركها إلا كمادة. ولكن بالإضافة إلى هذين النوعين من الكائنات التي ندركها بحواسنا يتوجب علينا لا محالة أن ندرك وجود كائنات أخرى، ولا أقصد كائنات روحية، بل مادية ولها حدودها لكننا لا ندركها بحواسنا؛ كائنات من قبيل: الذرات - الأثير. يتطلب الإقرار بوجود هذه الكائنات من عقولنا أن يثبت أن حواسنا تمنحنا حتماً وعياً محدوداً أحادي الجانب بالكائنات الأخرى في العالم المادي. هكذا يمكن للمرء أن يتخيل كائنات قد وُهِبَت حواس تجعلها ترى الأثير حقيقياً بقدر ما نرى المادة حقيقية.

كل ما كتبته غير واضح لكن مفهوم.

١٢ - آه لو أتذكر دومًا أننا وُهَبنا اللسان لنقل الأفكار، ووُهَبنا القدرة على التفكير لإدراك الله وقانونه؛ أي الحب، وبالتالي لا يجب علينا أن نتحدث إلا عندما يكون لدينا شيء طيب لنقله! آه لو ندرك أننا ما دمنا لا نستطيع قول أمر طيب ولا يمكننا التحدث إلا بالشر، فعلينا أن نصمت، وأن الحياة تتلخص فيما سبق!

١٣ - عندما تشعر شعورًا غير طيب، يعني ذلك أن ثمة ما لا تعرفه ولا بد أن تعرفه. عليك أن تعرف دوافع السلوك الذي جعلك تشعر بهذا الشعور. ما إن تفهم الدافع بوضوح حتى يكون بإمكانك أن تغضب قليلًا مثلما تغضب من حجر يسقط.

١٤ - تغضب من المرأة لأنها لم تفهم شيئًا، أو أنها تفهم لكنها لا تفعل ما يميله عليها العقل. إنها لا تستطيع فعل ذلك، تمامًا كما يجذب حجر المغناطيس الحديد ولا يجذب الخشب. هكذا لا ترى المرأة نفسها ملزمة بتحقيق متطلبات العقل، ولا تحفزها حتى هذه المتطلبات. إنها لا تلتزم بما يفرضه الشعور أو متطلبات العقل إلا عندما يُبثا إليها عبر سلطة ما؛ أي الرغبة في عدم التخلف عن الآخرين. بالتالي هي لا تثق في متطلبات العقل الواضحة أو تتبعها إن لم تؤكد لها سلطة ما، لكنها تثق في أكبر هراء ممكن وتبعه، إن كان الجميع يقومون به. لا يمكنها السلوك على نحو آخر، ومع ذلك تغضب منها! يشبه الكثير من الرجال النساء في ذلك.

١٥ - علينا أن نخدم الآخرين لا أنفسنا فقط؛ لأن ثمة حدودًا لخدمة الآخرين، وبالتالي يمكننا أن نتصرف بشكل عقلاني؛ نشيد منزلًا لفقر أو

نشترى بقرة أو ثيابًا. أما خدمة الذات فليس لها حدود، وكلما ازدادت،
ساء الأمر.

١٦ - الزمان موجود للجسد فقط. إنه علاقة الكائنات ذات الحدود
المختلفة المرئية لنا بالكائنات التي لا نرى حدودها؛ مثل علاقة حركة
الشمس والقمر والأرض بحركة الرمال في الساعة الرملية^(١٠٩). بالتالي
ثمة زمان لما نسميه جسدًا، ذاك الذي له حدود، أما الروحي الذي ليس
لديه حدود ليس ثمة زمان له. لذلك لا تتذكر إلا الزمن الذي عشت فيه
بالروح.

الفكرة غير واضحة رغم أنها كانت واضحة قبلاً.

١٧ - نعاني من النفس ومتطلبات الأنا، ندرك جميعًا أن لدينا وسيلة
واحدة حتى لا نعاني؛ ألا وهي أن ننسى الأنا، لكننا نبحث عن السلوان
فيما يُبددنا، وفي الانغماس في الفن والعلم والخمر والتدخين، لكننا لا
نجد السلوان الحقيقي، فقد نظمَ الله الأمر بحيث لا يكون لدينا إلا سلوان
حقيقي واحد، في تناول اليد دائمًا؛ ألا وهو العناية بالآخرين وخدمتهم.
لقد نسيت ذلك وأعيش حياة أنانية مريضة، لذا أشعر بالسوء.

١٨ - عبرت بالقرب من السقيفة. تذكرت الأمسيات التي قضيتها
هناك، وتذكرت شباب وجمال دونياشا^(١١٠) وجسدها الأنثوي القوي

(١٠٩) الساعة الرملية أو البنكام هي أداة لقياس الوقت تتكون من كرتين من الزجاج فوق
بعضهما متصلتين بفتحة ضيقة، وتكون الكرة العليا مليئة بالرمل الناعم الذي يتسرب إلى
الكرة السفلى، ويمكن قلب الساعة عندما تمتلئ الكرة، ويعتبر الوقت الذي تحتاجه الكرة
العلوية لتغزو فارغة مقياساً للوقت.

(١١٠) يفتدوكيا أوريوخوفا: خادمة كان مغرمًا بها في شبابه.

الذي لم ألمسه أبدًا. أين هو الآن؟ لم يبقَ منه شيء غير العظام. وما هي هذه العظام؟ ما علاقتها بدونياشا؟ مر وقت كانت فيه هذه العظام جزءًا من هذا الكيان المستقل الذي لدونياشا. لكن بعد ذلك بدّل هذا الكيان مركزه، وما كان يمثل دونياشا أصبح جزءًا من كيان آخر هائل الحجم لا يمكنني بلوغه، وهو ما أسميه: الأرض. نحن لا نعرف حياة الأرض لذلك نعتقد أنها غير حية، تمامًا كما تعتبر حشرة تمتد حياتها ساعة واحدة جسدي ميتًا لأنها لا تراه يتحرك.

١٩ - المكان هو العلاقة بين حدود الكائنات المختلفة. إنه موجود. الزمان هو العلاقة بين حركة الكائنات الحية فيما بينها وحركة المادة التي نظن أنها ميتة.

٢٠ - الأكثر فظاعة من السكر والخمر والقمار والأنانية والسياسة والفرن هو الوقوع في الحب. يستحيل أن تتحدث مع هؤلاء الناس إلا بعد أن يحظوا بنوم جيد. أمر مريع! نُشر خطابي إلى ستوكهولم.

١٦ أكتوبر.

لم أدوّن يومياتي بالأمس. تحسنت صحتي تمامًا. صوفيا لا تزال تعمل معي كثيرًا وتساعدني^(١١١). وصلني خطاب من أولجا ديتريخس^(١١٢) وآخر من تشيرتكوف. لا بد أنه يمر بوقت صعب،

(١١١) رغم العلاقات المتوترة ساعدته كثيرًا في استنساخ مقالة: (ما الفن؟).

(١١٢) شقيقة زوجة تشيرتكوف. ستتزوج من أندريه تولستوي في ١٨٩٩. كانت في ذلك الوقت في إنجلترا بصحبة تشيرتكوف.

وبالتالي الأمر كذلك معهم جميعًا. مساء أمس واليوم أردت أن أعمل على (الحاج مراد). بدأت فيها فعلًا. تبدو البداية جيدة، لكنني لم أستمِر؛ لأنني لم أكن في وضع يُمكنني من السيطرة الكاملة على العمل. عليّ ألا أفسد العمل بإجبار نفسي على الكتابة. لم تنشر صحف بطرسبرج خطابي بعد^(١١٣). دوّنت الآتي:

١- لقد دوّنت الكثير من الأفكار والقواعد. إن كنت قد تذكرتها لعشت حياة حسنة. نعم... دونت قواعد كثيرة جدًا يستحيل تذكرها جميعًا. هكذا هو الأمر مع الفن المزيف؛ عدد ضخم من القواعد يستحيل تذكرها جميعًا. على الفن أن ينبع من الداخل مسترشدًا بالشعور. هكذا هو الأمر في الحياة؛ إن كنت مشبعًا بالشعور وحده وإن كنت تحيا في الله، فلن تتراجع عن قاعدة واحدة، بل ستفعل أكثر مما تتضمنه القواعد. في هذه الحالة ستجد الأبدية. كم من حالة سيئة مررت بها اليوم؟ أنا غاضب طوال الوقت. ماذا يعني ذلك؟ كيف أفسر هذه الحالة؟

٢- فكّرت في هذا التفسير: يمكن للروح أو الجوهر الروحي أن يعيش داخل مركزه أو في نطاق حدوده. إن عاشت الروح داخل مركزها، لن تدرك الحدود، أما إن عاشت في محيطها، ستشعر بحدودها في ألم دائم. ثمة خلاص وحيد من هذه الحالة؛ ألا وهو الاعتراف بعدم واقعية العالم المادي، أي الابتعاد عن الحدود والتمركز في جوهر النفس.

الفكرة غير واضحة.

(١١٣) خطاب بشأن ما تفعله الإرساليات الكنسية في كازان. في الحقيقة نشروا الخطاب فعلًا في اليوم السابق.

١٧ أكتوبر - الساعة الثانية عشرة.

رحلت صوفيا لتوها. ساعدني يا إلهي حتى أسلك بحسب إرادتك لا إرادتي. وصلني خطاب من شكارفان عن بولير (كاهن هولندي) وكهنة آخرين يعطون بمخالفة الخدمة العسكرية للمسيحية. وصلني كذلك خطاب من تشيرتكوف عرفت منه أن الاضطراب أصابه وأخطأ ومرض. صحّحت الفصل العاشر. يجب إرساله. أموري سيئة مع ليوفا. نشروا خطابي في صحف بطرسبرج.

فكرت في الآتي: ليس الجهل هو جذر كافة الشرور وصنوف المعاناة، بل هي المعرفة المزيفة؛ أي الخداع. يجب أن ينتهي البيان بالدعوة إلى تعاون الجميع من أجل القضاء على الخداع.

١٩ أكتوبر.

لم أدوّن يومياتي بالأمس. وصل ليوفا، وأزعجني. أشعر بالخممول اليوم وأمس، مع أنني في تمام الصحة. لا أرغب في العمل. صحّحت الفصول ١٣، ١٤، ١٥. وصلتني من موسكو بروفات الفصول المنتهية وكذلك الخاتمة. ذهبت بالأمس إلى يسينكا. قطعت اليوم بعض الأخشاب وجررت الحمولة. جاء نوفيكوف. قضى فياتشيسلاف ليلته هنا. وصلني اليوم خطاب من بولانجي. أريد أن أكتب اليوم له ولزوجته. كان عليّ أن أكتب لسالومون.

أنا سعيد جدًا بعزلتي.

٢١ أكتوبر.

وصلتني بروفات التصحيح الخاصة بمقالة كاربنتر^(١١٤) من جريدة «الرسول الشمالي» وبدأت في كتابة المقدمة. صحّحت في مقالة الفن ووصلني خطاب من تشيرتكوف وبولانجي. لم أعمل بالأمس. ذهبت إلى يسينكا. بعد الانتهاء من العمل، وبعد أن أصبحت بمفردي سألت نفسي الآن: ماذا عليّ أن أفعل، ولم تعدّ لديّ أي رغبة جسدية إلا المتعلقة بالاحتياجات الجسدية الطبيعية كالرغبة في النوم مثلاً، وقد شعرت بوضوح بفرحة الوعي بإرادة الله حتى إنني لم أعد أحتاج أو أرغب في فعل أي شيء سوى إرادته؟ ظهر هذا الشعور بداخلي عقب أن سألت نفسي بعد بقائي بمفردي في هدوء تام: من أنا؟ ما الهدف من وجودي؟ أجبته نفسي بوضوح: أيّا كانت شخصيتي وما كنت عليه، لا بد أن أحدهم أرسلني إلى هنا للقيام بفعل ما. حسناً، فلأقم بذلك! كم شعرت بالسرور والراحة باندماج إرادتي بإرادة الله! هذه المرة الثانية التي أشعر فيها بحيوية بوجود الله. لقد شعرت بالحب مباشرة لله. لا يمكنني أن أتذكر الآن كيف حدث ذلك. كل ما أذكره أنه كان شعوراً يبعث السرور في النفس. كم هي سعادتني بالعزلة! اليوم أنا بخير تماماً. أشعر بحضور الله.

٢٢ أكتوبر.

أكتب الآن في المساء. عملت طوال اليوم على نحو سيئ. كان يومي سيئاً فقد رأيت أحلاماً شهوانية. صحّحت الفصل الحادي عشر

(١١٤) ترجم سيرجي ابن تولستوي المقالة إلى الروسية بطلب من أبيه، وكتب تولستوي لها مقدمة. راجع حاشية ٤٧.

في الصباح، وبدأت مساءً في الفصل الثاني عشر. لم أستطع فعل شيء. لديّ خُرَاج في رأسي. أرغب في حك قدمي. أأكون هذا بسبب العسل؟ جاء أفاناسي وكذلك ماريا ألكسندروفنا. حلّ المساء. أنا وحدي وأشعر بكآبة مريضة. لا تراودني الشكوك ولا تكتنفي الأحران، ومع ذلك أشعر بالكآبة حتى إني أود البكاء. آه.. عليّ أن أبدي مزيداً من الاستعداد لوظيفتي الجديدة. وصلني خطاب من جروت. يجب أن أعطيه مقالتي عن الفن. لم أفكر سوى في الآتي: في فترتي الطفولة والشباب تكون الحواس محددة وذات حدود صلبة. كلما هرمت، زالت هذه الحدود تدريجياً وجفت المشاعر وتغيرت علاقتك بالعالم.

٢٦ أكتوبر.

أمر غريب! إنه يومي الثالث الذي لا أستطيع الكتابة فيه. أنا غير راضٍ عن كل ما كتبه. لديّ أفكار جديدة وضرورية جداً لمقالتي عن الفن، لكنني لا يمكنني التعبير عنها بأي طريقة. الوقت الآن صباحاً. سأذهب إلى مكتب البريد.

١٠ نوفمبر.

مررت بالكثير في هذين الأسبوعين. العمل على نفس الحال. يبدو أنني أنهيته. كتبت اليوم بعض الخطابات، من بينها واحد لجروت أطلبه منه فيه إرسال بروفة الطباعة استعداداً لطباعة المقالة (ما الفن؟). جاءت صوفيا. سافرت من بيروجوفو التي ذهبنا إليها معاً إلى موسكو. كانت الأمور بخير هناك. منذ أن وصلتُ شعرت بالآلام في الظهر وفي المساء تصيبني الحمى. ألكسندر بتروفيتش (الناسخ) معي هنا ويكتب.

ذهبت اليوم بصحبة ليوفا إلى يسينكا وحدثني حديثاً مضحكاً عن الثقافة.
كان من الممكن ألا يكون سيئاً لو لم يكن المقام هائلاً مع هذا البسط
الضئيل^(١١٥).

كتبت اليوم تسعة خطابات. تبقى أمامي خطاب واحد لخيكلوف.
إنه في موقف مريع حقاً^(١١٦). جاء ميخائيل نوفيكوف وفلاح آخر شاعر
من كازان. فكّرت في الآتي:

١- للبيان: يشبه وضع أولئك المُخدّرين بديانة زائفة لعبة ستره
الرجل الأعمى^(١١٧)، حيث يعصبون عينيه، ويأخذون بيده ثم يستديرون،
ومن ثم يُحرّرونه. هكذا هو الأمر معهم جميعاً، فلا يطلقونهم إلا بعد أن
يعصبوا عينهم.

٢- أكثر الأحكام شيوعاً عن المسيحية، خاصة تلك التي نجدها
عن النيتشويين (أتباع نيتشه) الجدد هو أن المسيحية هي بمثابة تخلُّ
عن الكرامة، كما أنها محض ضعف وإذلال. الأمر على النقيض تماماً،
فالمسيحية الحقيقية تتطلب قبل أي شيء آخر وعياً سامياً بكرامتك وقوة
رهيبية وصلابة شديدة. على العكس من ذلك، يسلك عشاق السلطة
بدناءة أمام القوة.

٣- تمشيت في القرية ألقى النظر من النوافذ. الفقر والجهل في

(١١٥) استعارة حسابية كان تولستوي مولعاً باستخدامها يشير البسط للصفات الإيجابية للشخص،
ويشير المقام إلى رأيه في نفسه.

(١١٦) يشير إلى انفصاله عن زوجته.

(١١٧) لعبة أطفال حيث يكون أحد اللاعبين معصوب العينين يحاول الإمساك بالبقية من حوله عن
طريق سماع أصواتهم.

كل مكان. فكّرت في عبودية الزمن السالف. وقتها كان السبب واضحًا، وكذلك كانت القيود التي تكبلنا، أما الآن لم يعد هناك قيد، ولم تعد بأوروبا سوى خيوط، لكنها كثيرة جدًّا، مثل الخيوط التي كبّلت جوليفر^(١١٨). لا يزال المرء في بلادنا قادرًا على رؤية الجبال أو الخيوط الغليظة، بينما في بقية أوروبا لم تعد هناك سوى خيوط بسيطة لكنها مربوطة بإحكام شديد حتى إن العملاق لا يستطيع الحركة بسببها. خلاصنا الوحيد ليس في الاستلقاء أو النوم. الخداع شديد القوة والمكر حتى إننا نرى كثيرًا أولئك الذين امتصت دمائهم وذمّروا تمامًا يدافعون بحماسة عن أولئك من يمصون دماءهم ويدمرنهم. يقولون مثلاً: القيصر في صفنا!

١١ نوفمبر.

انهمكت منذ الصباح في الكتابة في (الحاج مراد)، لكن بلا جدوى. رغم ذلك تنجلي الأمور في ذهني وأرغب في الكتابة بشدة. كتبت خطابًا لخيلىكوف ولآخرين. بالكاد سأرسل رسالتي لخيلىكوف. جاءت ماريا ألكسندروفنا. حالتي الصحية ممتازة.

١٢ نوفمبر.

وصل اليوم بيوتر أوسيبوف (فلاح من ياسنايا). قال: «بدأوا يبيعون عندنا صكوك الغفران». أتوا بأيقونة عذراء فلاديمير^(١١٩)، وأمروا شيوخ القرية أن يسوقوا الناس إلى الكنيسة. وجد ليوفا الفحم، ويجد أنه من

(١١٨) إشارة إلى (رحلات جوليفر)، هي قصة تعتبر من أشهر أعمال الكاتب جوناثان سويتف، والذي يعده الكثير أعظم مؤلف إنجليزي ساخر.

(١١٩) أيقونة للعذراء اشتهرت هناك.

الطبيعي تمامًا أن يعيش الناس تحت الأرض، معرضين حياتهم للخطر بينما يحظى هو بالعائد^(١٢٠). وصلتني أول أمس برقية من تانيا قالت لي فيها إنها ستتأخر. أنتظرها بتشوق شديد. أهم شيء هو أنني قررت الكتابة في البيان. لم يعد لديّ وقت للتأجيل أكثر من ذلك. راجعت اليوم مقالتي عن العلم. حل المساء. لديّ نصان مقترحان للبيان، وأريد العمل عليهما.

١٤ نوفمبر.

وصلني خطاب ساخط من صوفيا^(١٢١). أعربت لي تانيا كذلك عن استيائها من عدم حضوري. لا أريد سوى أمر واحد: أن أقوم بما هو صائب في عيني الله بقدر الإمكان. لا أعرف بعد كيف سأفعل ذلك. كان نومي سيئًا، فقد راودتني أفكار سيئة وشريرة. أشعر بعدم الاكتراث. ليست لديّ رغبة في الكتابة. صحّحت مقدمة مقالتي عن العلم. دوّنت الآتي:

١ - قرأت عما فعله الإنجليز في أفريقيا^(١٢٢). أفعال مريعة حقًا! لكن خطرت على ذهني فكرة مفادها أن يكون ما حدث حتميًا حتى تصل هذه الشعوب إلى التنوير. في البداية استغرقت في التفكير واعتقدت أن ذلك كان ضروريًا. يا للهراء! لماذا يستحيل على أناس يفترض بهم أنهم يعيشون حياة مسيحية الذهاب أن يذهبوا ببساطة ويتعاشوا معهم مثلما

(١٢٠) اكتشف ليوبا ابن تولستوي فحماً تحت أرضه، وكان ينوي استخراجها لكن الخطة فشلت.

(١٢١) كتبت فيه عن المصاعب التي تواجهها في تربية الأبناء، كما استاءت بشدة من بقائه وحده في ياسنايا.

(١٢٢) قرأ بعض التقارير عن استغلال الإنجليز لجنوب أفريقيا.

فعل ميكلوخا ماكلابي^(١٢٣)؟ ولكن لا... إنهم في حاجة طبعاً للتجارة وارتكاب أعمال العنف والقتل! يقولون: إن عاش الناس بطريقة مسيحية فعلاً، لن يكون لديهم ما يفعلونه. هذا ما علينا فعله، وهو أمر ضخم؛ أن نبشر الناس جميعاً بالإنجيل.

٢- بعد أن فقد العلم أساسه الديني أصبح مشغولاً بدراسة التفاهات، وتوقف في الأساس عن دراسة ما يهم حقاً. حدث ذلك منذ أن ظهرت نظرية العلم التجريبي ليكون^(١٢٤).

٣- فكرت أن أكتب بموازاة (الحاج مراد) رواية عن قاطع طريق روسي آخر: جريجوري نيكولايف. لقد أدرك لا شرعية حياة الأغنياء عندما عمل حارساً لبستان أشجار تفاح في ضيعة أحد الأغنياء تحوي ملعب تنس^(١٢٥).

٤- اليوم أنا في حالة معنوية سيئة جداً، ويصعب عليّ أن أتذكر نفسي عندما كنت في حالة معنوية جيدة. إنني أحتاج ذلك دائماً حتى لا أياس ولا أرتكب فعلاً شريراً عندما أكون في حالة معنوية سيئة. أحتاج إلى ذلك حتى أمسك نفسي عن القيام بأي فعل في فترات كهذه. أليس الأمر كذلك مع الحياة؟ عليّ ألا أصدق أنني بهذه الخسة التي أشعر بها، وأن أبذل الجهد لأتذكر من أنا في ضوء الروح، وأن أعيش في ضوء هذه

(١٢٣) مستكشف روسي وعالم في الأنثروبولوجيا وعالم أحياء، وقد اشتهر كواحد من أوائل العلماء الذين استقروا ودرسوا أشخاصاً في غينيا الجديدة لم يشاهدوا أوروبياً من قبل.

(١٢٤) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجريب».

(١٢٥) نفذ الفكرة فعلاً باسم آخر في نوفيلا (السند المزيف). ترجمتها وصدرت عن سلسلة الجوائز بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

الذكرى أو لا أعيش؛ بمعنى الامتناع عن فعل أي شيء.

٥- كل اتحاد للناس دائماً ما يكون أدنى من العناصر التي يتألفون منها.

قرأت مقالة مينشيكوف. تتضمن كثير من المواضيع الجيدة مثل الحديث عن التوحيد وتعدد الآلهة، وتتضمن كذلك كثيراً من المواضيع الضعيفة.

١٥ نوفمبر.

عملت على مقدمة مقالة كاربنتر على نحو سيئ. ذهبت بعد الغداء إلى يسينكا أثناء هبوب العاصفة الثلجية. سلمت مكتب البريد هناك خطابي إلى تانيا ثم عدت. إنها المرة الأولى التي أختبر فيها السجود. شربت الشاي وشعرت بالانتعاش. قرأت لكني لم أفعل شيئاً. كتبت فقط خطاباً لمود إجابة على ملاحظاته. فكرت في أفكار تافهة. مثلاً: الحب لا يكون جيداً إلا عندما لا تدركه. لكن يلزم أن تدركه، بل وأن تفرح بحبك أيضاً.

١٧ نوفمبر.

إنه اليوم الثاني الذي أفكر فيه بانتباه شديد عن الآتي:

١- حياتي، أي وعيي بشخصيتي، تضعف أكثر فأكثر، وستستمر كذلك حتى تصل إلى مرحلة الضُّوى^(١٢٦) ويتوقف الوعي بالشخصية

(١٢٦) مرض من أمراض نقص الغذاء والبروتينات، وهي حالة مرضية تنتشر بين الأطفال الرضع حتى الأقل من خمس سنوات. وينتج عن نقص حاد في الطاقة والبروتين عند الطفل ويرتبط بنقص وزنه، فيصبح هزيلًا جدًا وينكمش الجلد وتجفط العينان.

تمامًا. بالتوازي مع زوال الشخصية يبدأ شيء آخر في اكتساب القوة تدريجيًا؛ إنه ما صنعه حياتي وعواقب أفكاري ومشاعري. يعيش كل ما سبق في حياة الآخرين، بل وحتى في الحيوانات والمادة غير الحية. أود أن أقول كذلك إن هذا هو ما سيحيا بعدي. لكن كل ذلك محروم من الوعي، وبالتالي لا يمكنني أن أقول إنه يحيا. ومن قال إنه محروم من الوعي؟ لماذا لا يمكنني أن أفترض أن كل ذلك سوف يتحد بوعي جديد يمكنني أن أطلق عليه عن حق «وعيي» لأنه يتكون مني؟ لماذا لا يمكن لهذا الكائن الآخر الجديد أن يعيش إلى جانب المخلوقات التي تحيا الآن؟ ما الذي يمنعي من افتراض أننا جميعًا أجزاء من وعي كائنات أخرى أسمى، مثل تلك التي سنصبحها فيما بعد؟ «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يوحنا ١٤: ٢) ألا تعني تلك العبارة أن ثمة أماكن مختلفة وأن أشكال الوعي الشخصي مختلفة، تتداخل؟ إن العالم الذي أعرفه بأكمله، بكل ما فيه من مكان وزمان هو نتاج لشخصيتي. ما إن أصبح شخصية أخرى ووعيًا آخر، حتى يصبح عالمًا مختلفًا، تُكوّن عناصره شخصيتي. كما هو الأمر مع الطفل، تُكوّن الوعي في داخلي تدريجيًا، الأمر الذي جعلني أرى نفسي أيضًا كجنين، بل حتى ككيان مستقل. لذا فهو مستمر في التكوين الآن، وسيستمر كذلك في عواقب أفعالي، وفي أناي المستقبلية التي ستستمر بعد وفاتي. الكنيسة هي جسد المسيح. نعم، يعيش المسيح الآن بوعي الجديد حياة كافة الأحياء والموتى وأعضاء الكنيسة المستقبليين. هكذا سيحيا كل منا كنيسة الخاصة. حتى أكثر الناس تفاهة ستكون له كنيسة التافهة، وقد نصفها أيضًا بالسيئة، لكن

الكنيسة هي التي ستشكل جسده الجديد. كيف ذلك؟ هذا ما لا يمكننا تصوره؛ لأننا لا يمكن أن نتصور أنفسنا خارج نطاق وعينا. إنها ليست منازل كثيرة، بل درجات كثيرة من الوعي^(١٢٧). لكننا نجد أمامنا أفضع الأسئلة ولم يُحسم أمره بعد: ما الهدف من ذلك؟ ما الهدف من تلك الحركة؟ ما الهدف من التحول من درجات متدنية من الوعي إلى درجات أخرى متميزة إلى ثالثة أكثر عمومية؟ ما الهدف؟ هذا سر لا يمكننا كشف كُنْهَهُ. لهذا نحتاج إلى الله والإيمان به. هو وحده من يعرف السر، وعلمنا أن نؤمن بضرورة ذلك.

٢- فكَّرت اليوم أيضًا على غير توقع في الفتنة؛ تحديدًا في فتنة الحب الذي يستيقظ من سباته من جديد، حينما يسطع فجأةً نجم صغير على خلفية علاقات لطيفة حلوة تبعث السرور في القلب. يشبه الأمر نفحة مفاجئة لرائحة أشجار زيزفون أو الظل الأول للقمر الذي يسقط على الأرض. لم ينجلِ اللون تمامًا، ولم يظهر الظل بوضوح بعد، لكن ثمة فرحة وخوف جديان وفاتنان. أمر جيد، لكنه لا يكون كذلك إلا عندما تكون المرة الأولى والأخيرة.

٣- فكَّرت كذلك في الوهم الذي يخضع له الجميع؛ خاصة أولئك من تنعكس أعمالهم على الآخرين. إنه الوهم الآتي: بعدما تعتاد على رؤية آثار أفعالك على الآخرين، تعتقد أن هذه الآثار هي ما تؤكد لك صحة أفعالك.

٤- من الضروري حتى يتم التنويم أن يتوفر إيمان بأهمية ما يُوحى

(١٢٧) يشير إلى: «في بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يوحنا ١٤: ٢).

به إليك، مثلما نجد في التنويم المتعلق بكافة الأوهام الفنية. حتى يتوفر هذا الإيمان، لا بد من الجهل وزرع الثقة بالتربية.

عملت اليوم بتصحيح مقدمتي لمقالة كاربنتر. وصلتني برقية جروت. أريد إرسال الفصل العاشر. وصلني خطاب محزن من بولانجي. ٢٠ نوفمبر - مساءً.

كتبت مقدمة مقالة كاربنتر. فكّرت كثيرًا في (الحاج مراد) وجهّزت بعض المواد اللازمة له. لم أجد الصوت المناسب للرواية بعد. وصلتني بعض الخطابات من صوفيا، أحدها كان مزعجًا. لكنني استلمت واحدًا جيدًا منها اليوم. مجرد التفكير في ذهابي إلى موسكو يصيبني بالهلع. مساء اليوم فكّرت في وصفتي الثلاثية القديمة لعلاج الحزن والشعور بالإهانة:

١ - التفكير في الآتي: كيف سيفقد الأمر أهميته تمامًا خلال ١٠ - ٢٠ عامًا، كما أصبح ما عذبنا منذ ١٠ - ٢٠ عامًا أمرًا عديم الأهمية لنا الآن.
٢ - تذكر ما فعلته أنت، ولم يكن أفضل حالًا من تلك الأفعال التي أحزنتك.

٣ - فكّر فيما كان يمكن أن يحدث لك وأسوأ مما حدث بمئات المرات. يمكنك كذلك أن تضيف إلى ذلك التفكير في روح من أحزنتك كي تدرك أنه لم يكن بإمكانه السلوك على نحو آخر. «فهم كل شيء يعني الصفح عن كل شيء»^(١٢٨).

(١٢٨) مقولة فرنسية.

أما أهم وأقوى وسيلة هي أن تقول لنفسك: لتكن إرادتك لا إرادتي. إن عملي في هذه الظروف هي تحقيق إرادتك. تذكر: عندما يكون الأمر صعباً، فهذا تحديداً ما كُلِّفْتُ به، وهذا ما لن يتكرر، وهو الأمر الذي سيسعدك تحقيقه بحسب إرادته. يا أبي! ساعدني ألا أفعل شيئاً سوى ما يتوافق مع إرادتك.

بالأمر تحدثت بغضب مع ليوفا وقلت له الكثير من الإساءات. ظل صامئاً أغلب الوقت، حتى إنني قرابة النهاية شعرت بالخزي والأسف والحب تجاهه. ثمة كثير من الأمور الجيدة فيه. إنني أنسى أنه لا يزال شاباً.

عملت اليوم بتصحيح بروفة الطباعة من مقالة كاربتر المترجمة. معدتي ليست بخير، وحالتي المعنوية سيئة وأشعر بالضعف.

٢١ نوفمبر.

أفكر طوال الوقت في (الحاج مراد) وأجمع المواد اللازمة للرواية. فكَّرت كثيراً اليوم وقرأت وبدأت الكتابة، لكنني توقفت لتوي. ذهبت إلى يسينكا وأرسلت من هناك خطابي لصوفيا. لم تصلني خطابات. جاءت ماريا ألكسندروفنا. تبدو منهكة وبائسة وطيبة. فكَّرت في الآتي ودَوَّنته:

١- فكَّرت في الموت: كم من الغريب ألا يرغب المرء في الموت مع أن شيئاً لن يبقى له! تذكرت المساجين الذين يشعرون بأن الزنازين أصبحت منازلهم، حتى إنهم لم يعودوا يريدون أن يفارقوها لينالوا

حريتهم، بل وأصبح ذلك أمرًا يخيفهم.

٢- لقد أرسلنا إلى هنا لنقوم بعمل الله. ثمة مثل يناسب هذا المعنى جدًا؛ إنه مثل الخدم الذين بددوا ملكية سيدهم في غيابه بدلًا من الحفاظ عليها.

٣- عندما تغضب ولا تشعر بالحب لأحد، اعلم أن من يفعل ذلك ليس إياك؛ إنما أنت نائم، يراودك كابوس، بل أكثر الكوابيس فظاعة. كما يتوقفون عن القص حتى لا يفسدون العشب هكذا هو الأمر معك. يجب أن تتداوى.

٢٢ نوفمبر.

حلمت بقوة شديدة أن تانيا سقطت من على الجواد وتحطمت رأسها وماتت، وها أنا أبكيها.

٢٤ نوفمبر.

وصلت تانيا اليوم بأمان. ماشا لا تزال في حالة سيئة، لكن خطابي لم يحزنها^(١٢٩). أحبهما جدًا على السواء. كل ما يعتريهما من ضعف أمر يمكن تفهمه وهو مؤثر أيضًا. سوف تذهب تانيا غدًا إلى موسكو. وعدت بالذهاب إلى هناك مع ليوفا لكن الخوف اعتراني. أعددت نفسي أمس واليوم لإرسال الفصل الجديد من المقالة (ما الفن؟) لمود وجروت. لم

(١٢٩) كانت ماشا في القرم بصحبة زوجها، وأرسلت خطابًا لأبيها تسأله ما إن كان قد شعر بغربة تجاهها بعد زواجها؟ أجابها تولستوي قائلاً إنه شعر كذلك فعلاً، لكنه لا يريد ذلك، وأن الأمر سيتوقف في المستقبل.

تصلني خطابات من مود أوتشير تكوف منذ مدة طويلة. وصلني اليوم خطاب لطيف من جاليا.

الطقس رائع. تمشيت بعيداً في الطريق إلى تولا. عملت بكد في الصباح على تصحيح مقالتي عن الفن. بالأمس أعددت المواد اللازمة لـ(الحاج مراد). يبدو أن الأمور تنجلي بخصوصها.

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١- مصير غريب: تبدأ العواطف والمخاوف في الصبا وتعتقد أنها ستزول عندما تتزوج. لقد زالت فعلاً بالنسبة لي، ومَرّت فترة طويلة هادئة ربما امتدت ١٨ عامًا. ثم اندلع الصراع بين الرغبة في تغيير الحياة والرغبة في إبقائها. صراع ومعاناة ثم يبدو في النهاية أنني وصلت لمرفئي وراحتي. لكن الأمر لم يَمْضِ على هذه الصورة. بدأت المصاعب الحقيقية واستمرت، ولا بد أنها ستستمر حتى الموت. إنه الموت. يبدو موت هذا أو ذاك في مثل هذه الظروف أفضح الأمور.

٢- كان يمكن أن يكون من السهل أن يتعامل المرء مع الضالين بلطف وصبر ورحمة لولا جدالهم المتواصل وكأنهم يتحدثون بالحقيقة. لا بد من الرد أولاً على هذه الحجج حتى لا يستمر التعويل عليها.

٣- جميعنا في هذا الوضع الذي يتوجب علينا فيه العمل، شئنا أم أبينا. الجميع يدورون في طاحونة العيش، والسؤال هو: في أي طاحونة يجب أن نُطحن؟

٢٥ نوفمبر.

رحلت تانيا. كم هي لطيفة وطيبة! فعلت سوءًا بحديثي معها عن موقفي^(١٣٠). صحّحت مقالتي عن الفن. كتبت خطابًا جيدًا لمود. وصلني خطاب جيد من جاليا. فكّرت في الآتي:

١- يبدو لنا دائمًا أننا محبوبون لأننا جيدون. ولا نتصور أبدًا أننا محبوبون لأن أولئك الذين يحبوننا هم الجيدون فعلًا. يمكنك أن تلاحظ ذلك إن استمعت لحديث ذلك الإنسان البائس المنفر المتكبر الذي لا يمكنك أن تشفق عليه إلا بصعوبة بالغة. يقول إنه جيد جدًا لدرجة أنك لا تستطيع إلا أن تحبه. الأمر كذلك عندما يحبك الناس.

٢- يحبون سلق سرطان البحر وهو لا يزال حيًا. هذه ليست مزحة. كم مرة سمعت ذلك أو قلته لأحد أو قاله أحد ذلك؟ من سمات الإنسان أن بإمكانه ألا يرى صنوف المعاناة التي لا يريد رؤيتها. وهو بالطبع لا يريد أن يرى صنوف المعاناة التي يتسبب فيها بنفسه. كم مرة سمعت عن الحوزيين الذين ظلوا ينتظرون طويلًا، أو عن الطهاة أو الخدم أو الفلاحين الذين صوّرت لنفسي أنهم سعداء في عملهم. أقولها مجددًا: «يحبون سلق سرطان البحر وهو لا يزال حيًا».

٢٨ نوفمبر.

لم أدرّون يومياتي منذ يومين. أنا مشغول طوال الوقت بالعمل على مقالتي عن الفن ومقدمتي لمقالة كاربتتر. وصلني خطاب محزن من

(١٣٠) يقصد عدم قدرته على الحياة وسط أسرته حياة تخالف كافة قناعاته.

صوفيا. فعلت سوءًا بقولي ما فعلت، وفعلتُ تانيا سوءًا بكشفها عن ذلك. أتى ماكوفيتسكي اليوم. إنه إنسان لطيف دمث شريف. حكى لي الكثير مما يُسر عن الأصدقاء. ذهبت إلى يسينكا. استلمت خطابًا جيدًا من مود وآخر سيئ من جروت. كنت في حالة معنوية سيئة في الأيام الأخيرة. لا أتخيل حتى الذهاب إلى موسكو في حالة كهذه! فكّرت في الآتي:

١ - كثيرًا ما تتكلم مع إنسان، وفجأة يلوح على وجهه تعبير لطيف يشي بالسرور ويبدأ في التحدث معك وكأنه يُبلغك أكثر ما يبعث فيك السرور، ثم يتبين أنه يتحدث عن نفسه. هكذا يتحدث زاخارين (طبيب) مثلاً عن عملياته، وماشينكا (شقيقته) عن لقاءها بالأب أمفروسي (١٣١) وعما قاله. عندما يتحدث إنسان عن شيء قريب جدًا منه، ينسى أن مَنْ يستمع له مختلف عنه. إن لم يتحدث الناس عن شيء يصرف الانتباه أو عن أمر روحي، يتحدثون دائمًا عن أنفسهم. هذا أمر ممل بفضاعة.

٢ - تتخبط وتصارع، ومرد كل ذلك إلى أنك تريد أن تبهر في اتجاهك الخاص، بينما يتدفق الحب الإلهي اللا نهائي بجانبك في نفس الاتجاه الأبدي، وهو قريب للجميع. عندما تبذل كل ما لديك من جهد في محاولة فعل شيء ما لنفسك حتى تنقذها وتؤمنها، اترك كل شيء وناضل حتى تسبح مع تيار الحب الإلهي، وستجده يحملك، وستشعر أن ليس ثمة عوائق أمامك، وستشعر كذلك بالهدوء والحرية والنعمة إلى الأبد.

(١٣١) راهب شهير فُتنت به شقيقة تولستوي، ووسمه تولستوي في موضع سابق بالنفاق.

٣- آه لو تتوقف عن حب نفسك يا ليف نيكولايفيتش وتحب الله والناس! تشتعل ولا يمكنك ألا تشتعل، فعندما تفعل ذلك ستضيء نفسك وتتحد بنار الآخرين. حب الذات يعني أن تشفق على شمعتك وتطفئها.

٤- إن قال إنسان كذبة مذهلة أو أهانك، فإنه لا يفعل ذلك بدافع من السرور. الأمر يثقله بشدة، ولا بد أنه من المستحيل أن يفعل خلاف ذلك لأنه يعاني حقاً بفعله ذلك. وبدلاً من أن تشفق عليه، تصبّ جام غضبك. عليك أن تفعل العكس؛ أن تحاول مساعدته.

٥- مأساة الإنسان الحساس الذي لا يريد سوى فعل الخير هي أن يجد نفسه في هذه الحالة التي لا يمكنه فيها ألا يعتبرها جيدة، بينما يقابل كل أنواع الشرور المستهجنة وكرهية الناس.

٢ ديسمبر.

أمر بحالة حزن وكآبة وقنوط جسدياً وروحياً، لكنني أدرك أنني حي، وأني قادر على الشعور بأناي، حتى ولو بدرجة بسيطة، بالرغم من تلك الحالة. وصلني اليوم خطاب من تانيا تخبرني فيه عن حزن صوفيا من إرسالها المقدمة لجريدة «الرسول الشمالي». أنا خائف بفضاعة من الأمر^(١٣٢). في هذه الفترة وصلني خطاب أخرق مزعج من جروت. حتى الآن لم يُحسم الأمر^(١٣٣). انشغلت طوال تلك الفترة بإجراء التعديلات والإضافات على مقالتي عن الفن. الحدث الرئيس في تلك الفترة هو

(١٣٢) يشير إلى المقدمة التي كتبها لمقالة كاربنتر.

(١٣٣) الإشارة إلى تفكير جروت في نشر مقالة ما الفن في روسيا والخارج في وقت واحد.

وصول دوشان^(١٣٤). بدأ حبي له يزداد أكثر فأكثر. إنه ينشئ مؤسسة للنشر هناك، صغيرة لكن أظن أنها تخدم عمل الله. لم تصلني أخبار بعد عن تشير تكوف. أشعر بالكآبة. صحيح أنها واهنة لكنها كآبة على أي حال. لو لم يكن لديّ وعي بالحياة لكان من المحتمل أن تكون كآبتي شريرة. فكّرت في الآتي:

١- أثقلني بشدة خوفاً من الانزعاج والمشاحنات المكثرة، وصليت لله؛ صليت دون انتظار مساعدة تقريباً، لكنني صليت على أي حال قائلاً: «يا سيدي! ساعدني للخروج من هذا الوضع. خلّصني». نهضت بعد ذلك وسرت حتى نهاية الغرفة ثم سألت نفسي فجأة: لم أتنازل بعد؟ يبدو أنني قد تنازلت فعلاً^(١٣٥). لقد ساعدني الله... الله الذي في داخلي، وأصبح الأمر سهلاً عليّ واكتسب قراري صلابة. فلا أخض في هذا التيار الإلهي الذي يسير دومًا بالقرب منا، والذي بإمكاننا دائماً أن نترك أنفسنا له عندما تسوء حالتنا.

٢- تحدثت مع دوشان. قال لي بما أنه تطوع ليكون وكيل الأدبي في هنغاريا، كيف عليه أن يتصرف؟ سعدت بأن أُتيحت لي الفرصة لأخبره وأوضح لنفسي أن الحديث عن التولستوية والبحث عن إرشادي ونشود حلي للمسائل المختلفة هو خطأ كبير وفض. ما من تولستوية أو تعاليم خاصة بي، ولم يحدث أبداً أن كان الأمر كذلك. ثمة تعليم واحد أبدي وعالمي عن الحقيقة لي ولنا جميعاً، وقد تم التعبير عنه بوضوح

(١٣٤) كان في هنغاريا لبحث مسألة نشر كتب تولستوي ومؤلفين آخرين هناك.

(١٣٥) قبل تولستوي أن يتنازل عن نشر مقدمته لمقالة كاربنتر كي يهدي زوجته.

خاص في الأناجيل. يدعو هذا التعليم الإنسان إلى الاعتراف ببنوته لله، وبالتالي الاعتراف بحريته أو عبوديته لله - سَمَّها ما تشاء؛ حرّيته من تأثير العالم، وعبوديته لله وإرادته. ما إن يفهم الإنسان هذا التعليم، حتى يسلك بحرية ويدخل في اتصال مباشر بالله دون أن يسأله شيئاً ولا يسأل أحداً آخر. يشبه ذلك أن يسبح أحدهم في نهر مع تيار هائل. ما دام المرء لم يدخل وسط التيار بعد يلزمه أن يسبح بنفسه وببذل جهداً، ويمكنه في هذا الوضع أن يسترشد باتجاه سباحة الآخرين. في هذا الوضع يمكنني أن أرشد الناس بينما أسبح بنفسي صوب التيار الهائل. لكن ما إن ندخل جميعاً إلى التيار، حتّى لا يعود ثمة إرشاد أو قيادة من أحد. نترك أنفسنا جميعاً لقوة التيار، ونجد أنفسنا نتحرك جميعاً صوب الاتجاه ذاته، ومَن كان بالخلف ربما يتقدم للأمام. إن سأل إنسان عن الاتجاه، فهذا لا يثبت إلا إنه لم يلتحق بالتيار بعد، وأن مَن يسأله الإرشاد هو قائد سيئ ما دام لم يقده بعد إلى تلك الحالة التي يستحيل فيها السؤال؛ لأنه يصبح عبثياً. كيف أسأل عن اتجاه السباحة في الوقت الذي يجذبني فيه التيار بقوة لا تقاوم في اتجاه يحقق سعادتي؟ لاشك أن أولئك الذين يخضعون لمرشد واحد، ويثقون فيه ويستمعون له يتخبطون في الظلام مع مرشديهم.

يبدو أنني أنهيت مقالي عن الفن.

٣ ديسمبر.

انجلت لي الكثير من الأمور بسبب عملي على مقالة الفن. إن دفعني الله لكتابة أعمال فنية أخرى ستكون مختلفة تماماً. ستكون كتابتها أسهل وأصعب في الآن ذاته. سنرى!

٦ ديسمبر.

في الرابع من ديسمبر ذهبت إلى قرية دولجوي^(١٣٦). كان الانطباع شديد القوة على نفسي. دوامة من الذكريات! لم أدوّن شيئاً تقريباً منذ يومين. كل ما فعلته هو إعداد بعض فصول مقالتي عن الفن وإعداد حاجاتي. وصلتني خطابات مُقبضة جداً من صوفيا. وصلت في يوم ٥. (يقصد إلى موسكو) لم تكن هناك. ذهبت إلى دير الثالوث المقدس في حالة شديدة من الاحتياج. كان كل ذلك بسبب مقالتي في جريدة «الرسول الشمالي». ارتكبت خطأً عن غير عمد. وصلتني خطابات غبية من جروت. إنه مريض روحياً. ذهبت لزيارة آل تروبتسكوي. استسلمت لشروطهما^(١٣٧). وصلت صوفيا في المساء وبدت هادئة. تحدثنا وتحسنت الأمور بيننا. لم أدوّن شيئاً. نمت على نحو سيء.

٧ ديسمبر.

تحدثنا بالأمس كثيراً جداً، وسمعت من صوفيا ما لم أسمعها منها من قبل أبداً: لقد كشفت عن وعيها بذنبها. لقد سبّب ذلك لي فرحة كبيرة. شكراً لك يا أبي! أيّاً كان ما سيحدث في المستقبل، فقد حدث فعلاً وهو أمر عظيم. ذهبت إلى ستروجينكو. في المساء جاء كاساتكين. سألته عن بعض أمثلة الأعمال التي يعدها فنّاً حقيقياً. في الصباح صحّحت في مقالتي عن الفن. لم أدوّن شيئاً. حالتي الصحية بخير.

(١٣٦) تبعد القرية ٢٠ كيلو متراً عن ياسنابا، وهناك كان منزل تولستوي القديم الذي قضى فيه طفولته ثم باعه وفاءً لديون القمار المتراكمة عليه إبان شبابه.
(١٣٧) أرسل جروت خطابات لتولستوي ليقنعه بتقسيم مقالته عن الفن للنشر في مجلته على عدة أجزاء، وفي النهاية خضع تولستوي لشروطه هو وتروبتسكوي.

١١ ديسمبر.

قضيت عدة أيام بالفعل في موسكو. لم أفعل شيئاً تقريباً. اكتفيت بتصحيح مقالتي عن الفن. عدد هائل من الزوار والخطابات. أهم شيء أنني لم أفعل شيئاً لا ينبغي عليّ فعله. حمداً لله على ذلك. كتبت اليوم خطاباً لجاليا. يبدو أن تقسيم مقالتي عن الفن قد اتضح لي كما حدث من قبل. أحزنتني حكايات روستوفتسيف عن تشيرتكوف، وكذلك خطاب إيفان ميخيلوفيتش. تانيا وفيرا وفاريا وصوفيا... جميعهن يعانين. يتسامحن مع ذلك، ولكن كيف للمسيحي أن يعاني؟ خلال هذه الفترة اتضحت لي شروط جروت. إنه مريض روحياً مثل كافة مَنْ هم بعيدون عن المسيحية. وافقت تروبتسكوي على مسألة تقسيم المقالة. وصلني خطاب محزن من تشيرتكوف. أريد أن أكتب له.

١٣ ديسمبر - صباحاً.

كتبت خطاباً لآل تشيرتكوف. يبدو أنني صَحَّحت الفصل العاشر على نحو جيد جداً. بالأمس قرأت مراسلة سان جون بخصوص المسألة الجنسية وغضبت بشدة، حتى إنني تحدثت معه بطريقة سيئة عند روسانوف. يفكر روسانوف بطريقة (الحاج مراد). أردت صباح اليوم أن أكتب في (الحاج مراد)، لكن الفكرة ضاعت مني. دوَّنت شيئاً ما. أريد أن أكتب الآن الأفكار التي يمكن العمل عليها وتستحق أن تُنفَّذ بشكل جيد:

١ - الأب سيرجيه.

٢ - ألكسندر الأول (١٣٨).

(١٣٨) نُشرت بعد وفاته بعنوان (كتابات الشيخ فيودور كوزميتش).

٣- بيرسيانينوف^(١٣٩).

٤- قصة بيتروفيتش، الزوج الذي مات كعابر سبيل^(١٤٠).

العناوين التالية ليست جيدة للغاية:

٥- أسطورة هبوط المسيح إلى الجحيم وإعادة تشييد الجحيم^(١٤١).

٦- السند المزيف.

٧- الحاج مراد.

٨- الطفل البديل^(١٤٢).

٩- مسرحية قيامة المسيح^(١٤٣).

١٠ - البعث: محاكمة عاهرة.

الموضوع التالي ممتاز:

١١ - قاطع طريق يقتل أناسًا عزل^(١٤٤).

١٢- الأم.

١٣- إعدام بأوديسا^(١٤٥).

(١٣٩) لم يظهر عمل بهذا العنوان.

(١٤٠) قصة (كورني فاسيليف).

(١٤١) نُشرت بعنوان (الشیطان في الجحيم).

(١٤٢) لم يُشر شيء بهذا العنوان.

(١٤٣) يقصد: الضوء يسطع في الظلام.

(١٤٤) استخدم تولستوي الفكرة في أحد فصول (البعث)، وفي نوفيلا (السند المزيف).

(١٤٥) يشير إلى إعدام ثلاثة رجال بأوديسا لمحاولتهم اغتيال ألكسندر الثاني، وقد زوده ذلك بمادة

قصة (الإلهي والبشري).

أشعر بالكآبة في المنزل، لكنني أريد أن أكون مسرورًا، وسأكون كذلك.

دوّنت فكرتين فقط:

١- العلاقة الجسدية التي تحدث عرضًا مع القرين هي إحدى وسائل الله لنشر حقيقته، من أجل اختبار القوي وتدعيمه، ومن أجل تنوير الضعيف.

٢- يخطئ من يعترفون بينوتهم لله حينما لا يبتهجون بالحياة ويتملكهم الندم بسبب خطيئة عظيمة. إن أدرك المرء منهم أن هدف الحياة هو العمل الإلهي بغض النظر عن أي أهداف له، لن يمكن لشيء أن يعوق هذا العمل أو يؤخره. الأمر الرئيس هو أن تمضي الحياة إلى الأفضل بشكل عام؛ حياتك وحياة العالم. كيف لا يبتهج المرء بهذا الحراك؟ على المرء أن يفهم أن الحياة تتلخص في هذا الحراك. أكتب شاعرًا بالنعاس الشديد، لذلك أكتب على نحو سيئ.

١٤ ديسمبر - صباحًا.

وصلني بالأمس خطاب مزعج من تشير تكوف، وأرسلت ردي عليه. كان الخطاب عن الطبقات^(١٤٦). أول أمس قرأت مراسلة سان جون بخصوص المسألة الجنسية وغضبت بشدة وذهبت إلى آل روسانوف، والتقيت سان جون هناك وبيّنت له رأيي بحدة. عذّبت ذلك. كتبت له

(١٤٦) عارض تشير تكوف إرسال مخطوطات "ما الفن؟" ومقدمة مقالة كاربنتر إلى جريدة "الرسول الشمالي" قبل إرسالها إليه في إنجلترا للترجمة، ووضح تفصيلًا المشاكل التي تهدد عمل مود والطبعة التي سيصدرها من "ما الفن؟" ومقدمة مقالة كاربنتر.

بالأمس طالبًا منه أن يسامحني، ووصلني منه رد جيد أثر فيَّ.

أشعر بسوء حالتي الصحية وكذلك المعنوية، لذا لا أشعر بالرضى، ولا يمكنني أن أحب. أفكر الآن: نرزع تحت عبء المرض، لكن المرض هو شرط ضروري وخير من شروط الحياة. إنه وحده ما يُعدُّنا للموت. لا، ليس وحده، لكنه واحد من الظروف الرئيسة والعامة التي تعدنا للموت؛ أي العبور إلى حياة أخرى. لذا يُرسل المرض للجميع؛ للأطفال والبالغين والشيوخ ويموت أناس من جميع الأعمار. رغم ذلك نرزع تحت عبئه! حقيقة أننا نشعر بعبء الأمراض لا تكشف لنا إلا عن أننا لا نعيش كما يجب؛ بل إننا نعيش حياة زمنية مؤقتة بدلًا من أن نحيا حياة أبدية. المرض هو ما يعدنا للعبور. التبرم من المرض إذن يشبه التبرم من البرودة والمطر. علينا أن نستفيد منهما، لا أن نتبرم منهما. أولئك من يعيشون بابتهاج يُحزنهم سقوط المطر، أما الذين يعيشون بجدية يتهجون. هكذا الأمر مع المرض. علاوة على ذلك، الأمر لا يقتصر على المرض لكنه يضم كذلك انخفاض الروح المعنوية وخيبة الأمل والحزن. كل هذا يساعدنا على الانفصال عن كل ما هو دنيوي ويُسهل علينا الانتقال إلى الحياة الجديدة. أنا في هذه المرحلة الآن.

١٤ ديسمبر - مساءً.

ساعات حالتي الصحية طوال اليوم، واستمرت حالتي المعنوية المنخفضة. لا يمكنني هزيمة نفسي. كل شيء من حولي يزعجني ويُكدرني. لم أفعل شيئًا. اكتفيت بالقراءة والتحدث.

١٧ ديسمبر.

لا أزال في حالة معنوية سيئة، أناضل الضغينة في نفسي. أرسلت المقالة. أرسلت كذلك برقية إلى إنجلترا، ولم يصلني رد بعد. حشد من الزوار طوال المساء. كتبت اليوم ١٢ خطابًا، لكنني لم أعمل على شيء. فكرت اليوم في فكرة قديمة: علينا أن نتطور في الحب الذي لا يمكن لأحد أن يعطله فينا. فكرة مثيرة للاهتمام. لا يتمثل الحب في العواطف الاستثنائية، بل في خير كافة المخلوقات. كتبت خطابات لبوشا وماشا وإيفان ميخايلوفيتش والأمير فيازيمسكي وبونداريف وستراخوف والمعلم روبينسون والكاهن دول وكروسيبي ونيكولايف بكازان.

أنهيت دفترتي في مزاج غير رائق. غداً سأبدأ التدوين في دفتر جديد. لست راضيًا عن اليوم ولا عن مقالتي عن الفن.

٢١ ديسمبر.

أبدأ التدوين في دفتر جديد كما لو أنني في حالة معنوية جديدة. مرّت خمسة أيام دون أن أفعل شيئًا. فكّرت في (الحاج المراد)، لكن دون رغبة أو حماسة. نُشرت مقالتي عن الفن. تشير تكوف غير راضي^(١٤٧). هكذا هو الحال هنا أيضًا. وصلني بالأمس خطاب من مجهول يهددني بالقتل إن لم أغيّر آرائي قبل حلول ١٨٩٨^(١٤٨). آه لو يُعطى لي أن أحيا حتى ١٨٩٨! أنا قلق ومسرور في الآن ذاته. صوفيا ضعيفة جدًّا، وأشعر

(١٤٧) بسبب نشر الفصول الخمسة الأولى من المقالة في فروسيا قبل إنجلترا.

(١٤٨) خطاب من جمعية النبلاء القدامى. ربما يكون التهديد بسبب آرائه ضد طبقة النبلاء.

بالأسف الشديد عليها. إنها تمر بنقطة تحول. تزلجت قليلاً. إن ذلك دلالة على حالتي الروحية غير الفعّالة، وبالتالي لم أكتب شيئاً. قرأت اليوم قصة تشيخوف «على متن العربة». رائعة في تصويرها، لكنها خطابية من حيث رغبته في إضفاء معنى عليها. انجلت لي القصة على نحو رائع بسبب كتابي «عن الفن».

٢٦ ديسمبر.

أنا مريض منذ أول أمس، ولم أتعافَ حتى الآن. أقرأ كثيراً. حالتي المعنوية سيئة.

٢٩ ديسمبر - صباحاً.

فكّرت في (الحاج مراد). استغرقت الأمس كله في التفكير في مسرحية كوميدية: الجثة^(١٤٩). لم أتعاف بعد. بالأمس كنت عند بيرس. وصلتنى خطابات تهددني بالقتل^(١٥٠). للأسف ثمة من يكرهونني، لكن هذا لا يشغلني إلا قليلاً، ولا يقلقني بتاتاً. دوّنت بعض الأفكار.

تحدثت مع تروبتسكي. يا له من شاب بائس! يفهم كل شيء، ومع ذلك غير قادر على وضع شيء في نصابه الصحيح؛ لأنه يعيش في فوضى لا يمكن تصورها. فكّرت في الآتي:

١ - عادة ما يقولون إن التعليم المسيحي الحقيقي، لا التعليم الكنسي، من شأنه أن يدمر كل وحدة ويخلق نزعة فردية ويفصل الناس

(١٤٩) العنوان النهائي لها: (جثة حية).

(١٥٠) خطاب مجهول من جمعية باسم (الصليبيون الجدد) هدّدت تولستوي بالقتل كعدو للقيصر والبلاد.

عن بعضهم البعض. كم هذا كاذب! لا تعظ المسيحية بالخلاص الشخصي «أو الفردية» كما يقولون؛ إلا لأن هذا الخلاص ضروري للجميع ويمكن للجميع نيله كما أنه يبعث السرور في قلوب الجميع، وبالتالي يُوحّد الناس لا محالة، لا بطريقة آلية عن طريق فعل عنف خارجي، ولا بتنويرهم بالثقافة، بل بتفاعل داخلي يُحقّق وحدة سرمدية.

٢- ثمة أناس، خاصة من النساء، يعتبرون الكلمة مجرد وسيلة للوصول للهدف، وهي مستقلة تمامًا عن معناها الأساسي؛ هي تعبير عن الواقع. هؤلاء الناس يبدون أقوىاء جدًا. يشبهون بذلك إنسانًا نزع حلية سيفه في مبارزة، في حين أن العدو مرتبط بالالتزام ب... لا، ليست مقارنة جيدة. الآتية أفضل: غشاش في لعب الورق. يود أحدهم مثلاً أن يسرق مال غيره ويقول إنه قد أمر بذلك، ويصدق ذلك فعلاً. حتى يبرهن على كذبه يلجأ إلى كذبة جديدة. يقتل ويقول إن القتل عانى بشدة حتى ترجاه أن يقتله. يريد القيام بأي دناءة أو غباوة كقلب الأثاث مثلاً أو الانهماك في الفسق ويوضح كيف أخبره الأطباء أن عليه فعل ذلك دورياً، ويصدق نفسه فعلاً. عندما يتبين أن الأمر ليس كذلك، لا يستمع، ويجلب حججه، وسرعان ما ينسى حججه وحجج الآخرين. هذه النوعية من الناس مريعة فظيعة!

٣- يقول الأرواحيون إن أرواح الناس بعد الموت تحيا وتتواصل معهم. بالصواب تحدث والد سولوفيوف -على ما أذكر- حينما قال إن هذا بسبب إيمان الكنيسة بالقديسين وتشفعهم من أجلنا. بالصواب تحدث أيضاً يفجيني إيفانوفيتش حينما قال الآتي: كما إن الإنجيليين

(طائفة مسيحية) ربطوا كل شيء بعقيدة واحدة؛ الفداء، هكذا هي الأرواحية اكتفت بعقيدة القديسين وربطت بها كل شيء.

٤- بالنسبة لما يتعلق بعقيدة الروح أقول الآتي: الروح التي نقول عنها إلهية أو روحية، محدودة بجسدنا. الجسد وحده ما يحدد هذه الروح الإلهية، وهذا التحدد هو ما يمنحها شكلاً، كما يمنح الوعاء شكلاً للسائل أو الغاز المحصور فيه. نحن لا نعرف إلا هذا الشكل. اكسر الوعاء، وسيتوقف ما فيه عن التحدد بشكله القديم، وسيفيض ويتناثر. هل سيتحد بأشياء أخرى أم سيكتسب هيئة جديدة؟ لا نعرف شيئاً عن ذلك، لكننا نعلم يقيناً أنه قد فقد شكله القديم الذي اكتسبه عندما كان محدوداً، لذا كل ما يحد شيئاً سيزول. هكذا هو الأمر مع الروح، فبعد الموت لا تعود محدودة بالجسد وتصبح جوهرًا إلهيًا وتتحول إلى شيء آخر لا يمكننا معرفة كنهه.

كتبت مقدمة لتشير تكوف^(١٥١).



(١٥١) للترجمة الإنجليزية التي سينشرها تشير تكوف لكتاب (ما الفن؟).

١ يناير.

مر يومان. أشعر بالحزن والكآبة الشديدين، وأبدأ العام الجديد في حالة صحية سيئة. لا يمكنني العمل.

وصلني خطاب مؤثر للغاية من فيدوسيف^(١٥٢) عن الدوخوبوريين. وصلني كذلك خطاب من محرر مجلة «الراشد» عن مذهب الحب الحر. إن توفر لي الوقت أود أن أكتب عن هذا الموضوع. لا بد أن أكتب. ما يهم هنا هو أن أُبين أن الأمر كله يتعلق بأن تضمن لنفسك أكبر قدر من المتعة دون التفكير في عواقب أفعالك. بالإضافة إلى ذلك يدعون إلى أمر موجود فعلاً وهو شديد السوء. لماذا يعتقدون أن غياب أي كايح خارجي من شأنه أن يُصلح الأمور؟ أنا معارض بالطبع لفرض قواعد وأناصر الحرية الكاملة، لكن العفة هي المثال، لا المتعة.

لم أفكر في هذه الفترة إلا في أمر واحد يبدو لي شديد الأهمية: نعتقد جميعاً أن من واجبنا ودعوتنا أن نقوم بأمر مختلف: نُربي

(١٥٢) ثوري وماركسي روسي.

الأطفال ونجني ثروة ونكتب كتبًا ونكتشف قوانين علمية... إلخ، بينما علينا في الحقيقة القيام بأمر واحد: أن نجعل حياتنا مثالية وعقلانية وصالحة. ليس علينا الاهتمام بما نفعله أمام الناس لترك ذكرى طيبة، بل علينا أن نهتم بالسلوك أمام الله. قدّم له نفسك وروحك لتجدهما أفضل مما كانا عليه. اقترب منه وأدعُ له وتوافق معه. التفكير والشعور بذلك أمر صعب للغاية. يتخطى الجميع بسبب السعي لنيل مديح الناس، لكن ما ذكرته سابقاً أمر ممكن وضروري. ساعدني يا رب. أحياناً أشعر بذلك، وهو ما أنا عليه الآن.

٤ يناير.

تحسنت حالتي قليلاً. أريد أن أعمل. بالأمس التقيت بستاسوف وريمسكي كورساكوف^(١٥٣)، وشربنا القهوة معاً، ودار بيننا حوار غبي عن الفن. متى سوف أتبع القاعدة التي تقول إن مزيداً من الحديث يعني مزيداً من الضيق؟ عليّ أن أدوّن أمراً واحداً: تتسم حياة الجميع بالجنون، إلا حياة من يهدف إلى خدمة الله وإنجاز عمله، وهو الأمر الذي يستحيل تحقيقه كاملاً من جانبنا. سأنام الآن. وصلت ماشا اللطيفة ثم تانيا وساشا.

١٣ يناير.

لم أدوّن يومياتي منذ أكثر من أسبوع. لم أفعل شيئاً تقريباً. كنت مريضاً طوال الوقت. أشعر بالكآبة. تارة أكون هادئاً وفي حالة جيدة، وتارة أخرى العكس. أول أمس كنت مكتئباً. جاءني بعض الفلاحين:

(١٥٣) الموسيقار الروسي الشهير مؤلف سيمفونية شهرزاد.

بالأخوف بصحبة ستيبان بيتروفيتش (من الدوخوبوريين) وفلاحان آخران من تولا. حينها شعرت بالراحة والسرور. يجب ألا نستسلم للدائرة المحيطة بنا. يمكننا دائمًا أن نلتحق بدائرة الله ومَن ينتمون إليه. لم أشعر بمثل هذه الكآبة منذ وقت طويل. وصلني خطاب من بوشا. كتبت له ولإيفان ميخايلوفيتش ولآل تشيرتكوف ولمود وبولانجي. لا أزال أحاول أن أجد صيغة مُرضية لـ (الحاج مراد) ولكن بلا جدوى. بالرغم من ذلك يبدو أنني أقرب منها. بالأمس احتفلنا بيوم قديس تانيا^(١٥٤). شعرت بالضيق. وصلني برقية عن مقالة (ما هو الفن؟)^(١٥٥)، دَوَّنت بعض الملاحظات أظن أنها مهمة:

١- أمر شديد الأهمية ويجب التعبير عنه على نحو جيد: أي تنظيم أو منظمة من شأنها أن تحرّر الناس من الواجبات الإنسانية الشخصية أو الأخلاقية هي مصدر لكافة الشرور على هذه الأرض. أناس يُجلدون حتى الموت وآخرون يعيشون فسادًا ويُخدِّرون الناس ولا أحد مذبذبة! في قصتي «إعادة تشييد الجحيم» ستكون هذه هي الوسيلة الرئيسة الجديدة.

٢- كل واحد منا يُشكل النور والجوهر الإلهي، هو الحب، هو ابن الله، محصور في الجسد. الأمر يشبه مصباحًا ملوَّنًا زيناؤه بعواطفنا وعاداتنا حتى إننا لم نعد نرى شيئًا إلا عبر هذا المصباح. من المستحيل أن نتخطاه، فأعلاه سنجد الزجاج الذي نرى الله من خلاله وهو ذات الزجاج الذي رسمنا على جداره. لكن بإمكاننا فعل أمر واحد؛ ألا ننظر

(١٥٤) تقليد ديني في روسيا يحتفلون فيه باليوم الذي وُلِد فيه القديس الذي سُمِّي المرء على اسمه.
(١٥٥) برقية من تشيرتكوف يخبره فيها ببدء طباعة المقالة في إنجلترا.

عبر هذا الزجاج، ونستغرق في أنفسنا حتى نكتشف النور الذي أضاء هذا المصباح. هذا هو الخلاص الوحيد من خداع الحياة وصنوف المعاناة والإغواءات المختلفة. هذا أمر ممكن دائمًا ويبعث السرور في القلب. أنا أفعل ذلك، لذلك أنا بخير.

٣- ليس الحلم سوى النظر إلى العالم عبر إطار من الزجاج، ليس ذلك وحسب، بل النظر إلى الصفائر المتشابكة المرسومة على هذا الزجاج.

٤- عندما تحب المرأة رجلاً، يمكنها أن ترى فيه دائماً فضائل ليست فيه بالحقيقة، ولكن لأنها غير مبالية، لا يمكنها أن ترى فضائل الرجل إلا بحسب آراء الآخرين.

يبدو ذلك خاطئاً!

٥- عندما دَوَّنت الآتي بدا لي شديد الأهمية: يسعى المسيحيون إلى زيادة الوحدة فيما بينهم وكذلك مع الآخرين من خلال أداة الوحدة المسيحية؛ ألا وهي التواضع والحب. لكن ثمة أناس لا يعرفون أداة الوحدة هذه، ولا يثقون فيها؛ لأن الجميع يسعون إلى ذلك، يحاول أولئك الناس تحقيق الوحدة بوسائل مادية عن طريق العنف والتهديد. يستحيل أن نطلب من أولئك الناس الذين لا يعرفون ولا يستطيعون فهم الوسيلة المسيحية لتحقيق الوحدة، ألا يستفيدوا بما لديهم من وسائل. في الوقت ذاته من الجائر وغير المنطقي تماماً أن يُجبرنا أولئك الناس غير المسيحيين على التقيّد بوسائل الوحدة خاصتهم، في الوقت الذي ندرك وسائل أسمى لتحقيق ذلك ونستفيد منها فعلاً. يُقال: أنتم أيها

المسيحيون تستفيدون من وسائلنا. أنتم آمنون من السرقة والقتل بفضلنا. يجب المسيحيون عن ذلك بقولهم إنهم ليسوا في حاجة إلى كل ما يتحقق بالعنف، وهذا هو الحال معهم فعلاً. بالتالي إن كان مشروعاً لأولئك الذين لا يدركون وسائل سامية لتحقيق الوحدة أن يستفيدوا من وسائلهم الدنيا، من غير المشروع إذن أن ينظروا إلى الآخرين ويُجبرونهم على استخدام ما هم ليسوا في حاجة إليه.

الخطوة الأولى أمام الإنسانية الآن هي ألا يكتفي الناس بالاعتراف بالوسائل المسيحية لتحقيق الوحدة والسماح لها بالعمل، ولكن يعترفون كذلك أنها أسمى من بقية الوسائل وأن البشرية ستسعى إليها جميعاً لا محالة في يوم ما.

٦- عندما تبدو ممتلئاً بالطاقة، فأنت تعيش - ويجب أن تعيش - من أجل هذا العالم. عندما تمرض فأنت تموت؛ أي أنك تبدأ في العيش من أجل ذلك العالم الذي ستذهب إليه بعد الموت. يُبنى العمل على هذه القاعدة. عندما تمرض وتحتضر عليك أن تتركز في ذاتك وتفكر في الموت والحياة بعد الموت، ولا تجعل الأمر يحزنك. كلتا العمليتين طبيعية، وفي كليهما نجد سمة حالة العمل.

أشعر أنني أفضل قليلاً روحياً.

١٨ يناير.

تحسنت صحتي قليلاً. نحن الآن في المساء. كتبت خطابات لتشيرتكوف ودوبروفين ودوبروفسكي وتفير وناكاشيدزي وإيفان

ميخايلوفيتش. انجلت لي اليوم خطة (الحاج مراد) أكثر من ذي قبل.

١٩ يناير.

أشعر بالضيق والكسل. لا أستطيع العمل. تذكرت أكثر من مرة أن كل ما يزعجني ليس إلا صحوة للتقدم في طريق الكمال. ساعدني يا أبي! تعال وحلّ فيّ. لقد حللت فيّ فعلاً، وأصبحنا واحداً. كل ما عليّ هو أن أدركك في داخلي. أكتب الآن مليئاً بالأمانى وأعرف تحديداً من أنا.

٢ فبراير.

أقضى الوقت كله إما في القراءة وإما في تصحيح بروفات الطباعة الخاصة بمقالة (ما الفن؟)، عليّ أن أكتب الكثير، لكن ليست لديّ القوة ولا الرغبة. لم تحدث أحداث مهمة، ولم أستلم خطابات.

٣ فبراير.

لا أزال غير مثمر عقلياً. لم أفعل شيئاً في الصباح لذا توجهت إلى جروت، ومن هناك إلى هيئة التحرير^(١٥٦). وصلت المنزل في الثالثة. قرأت وغفوت وتغديت. جاء تاروفاتي ثم مينشيكوف وبعدها بوبوف وجوربونوف ثم جولينكو وسولير. قرأت قصيدة ليابونوف «الفلاح»، وأثّرت فيّ بشدة. دوّنت الآتي:

١ - تريد في لحظات الكتابة أن تطلب العون من الله، ويمكنك هذا فعلاً. لكن لا يمكنك أن تطلب سوى العون الذي من شأنه أن يساعدك ولا يعوق أحداً آخر. يقتصر هذا النوع من المساعدة على أمر واحد:

(١٥٦) جريدة (أسئلة الفلسفة وعلم النفس).

الحب. الأمر لا يقتصر على أن كل مساعدة أخرى مادية يمكنها أن تضر بالمصالح المادية للآخرين، بل لا بد وأنها ستفعل ذلك. أما الحب فواحد وزيادته في النفس هي ما تُرضي الجميع، وتحقق ما تريده دون أدنى تعارض مع خير الآخرين. «تعالَ وحلّ فينا» (صلاة مسيحية).

٢- لا تستخدم النساء الكلمة من أجل التعبير عن أفكارهن، بل من أجل تحقيق أهدافهن. إنهم يبحثون عن تلك الفكرة في كلمات الآخرين، وبالتالي كثيرًا ما يفهمون الناس بطريقة عكسية، وهو أمر شديد السوء.

٣- يتلخص معنى الحياة في أمر واحد: السعي صوب كمال الذات، وتصفية روحك. «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ». (متى ٥: ٤٨).

عندما تشعر بالضيق ويعذبك هذا الشعور، تذكر أن هذا أهم ما في حياتك، وحينها ستشعر بالراحة والسرور. كما يُسر الغني بجمع ثروته، هكذا يجب أن تُسر إن اعتبرت أن ذلك هو أهم ما في حياتك. لا يمكن لأي عائق أن يقف في طريقك لتحقيق ذلك. كل ما يبدو لك كالجبل؛ كل عائق في الحياة، هو بمثابة درجة تحت قدميك تعينك على الصعود.

٤- إن كانت لديك القوة للقيام بنشاط ما، فلتجعله نشاطًا يشي بالحب، وإن لم تكن لديك القوة وشعرت بالضعف، فلتجعل ضعفك يشي بالحب.

٥- إن وصفنا شيئًا بأنه غير عضوي، فهذا لا يعني إلا أننا لا نستطيع فهم الحياة فيه. يعتقد البرغوث ظفري شيئًا غير عضوي. يُعتبر الشر من نفس المنظور أمرًا جيدًا لكن لا يمكننا فهمه.

٦- أخدم الله والناس... ولكن كيف؟ وما الوسيلة؟ قد يكون الأمر غير ممكن. لا... غير صحيح. لقد وُهِّبنا إمكانية أن نقوم بما هو أفضل دائماً.

٧- الإنسان مبعوث من الله كما قال المسيح، خاصة بمعنى أن أهم ما لديه هو أن يُنفَّذ ما كُلِّفَ به دون أن يبالي بآراء الناس فيه. إن ظنوا فيه شراً، أحياناً يكون ذلك ضرورياً، ولكن ما يهم هو أن يُنفَّذ ما كُلِّفَ به.

٨- أحد أكثر الضلالات انتشاراً هي أن نعتبر الناس طبيين أو أشراراً، أغبياء أو أذكىاء. الإنسان بمثابة تدفق يتضمن بداخله كافة الاحتماليات: أن يكون غيباً أو ذكياً، أن يكون شريراً أو طيباً، والعكس صحيح. في هذا تلخص عظمة الإنسان، ولهذا تحديداً لا يمكننا أن ندين إنساناً. فمن هو تحديداً؟ إنك تدين واحداً، بينما هو شخص آخر. يستحيل أن تقول: لا أحب فلاناً؛ لأنك تتحدث عن شخص وهو شخص آخر.

٩- يُقال إن القيصر ليس مذنباً، بل المذنبون هم مَنْ حوله. هذا غير صحيح. إنه وحده سبب كل شيء. يمكننا أن نشفق عليه، ويجب علينا ذلك، لكن في الآن ذاته علينا أن نعرف السبب.

١٠- القول إن الهدف الوحيد في الحياة هو تصفية الذات والعمل على كمال الروح الخالدة، هو قول صحيح؛ لأن أي هدف آخر لا معنى له في ضوء الموت.

١١- إن ارتكز الإنسان في أفعاله على عواقبها، فهذا يعني أن دوافعه غير دينية.

١٢- انقلبت السكين وسقطت على ركبتيَّ بفعل الجاذبية. بدا لي أنها حيَّة وجفلت. ما السبب؟ ذلك لأن ثمة التزام تجاه جميع الكائنات الحية، وخشيت ألا أكون قد وفَّيت بالتزاماتي ودمَّرت كائنًا حيًّا.

١٣- القوة في يد الشعب العامل. إن تحمَّل الظلم الواقع عليه، فما من سبب لذلك إلا أنه مُنومٌ. ما عليه فعله إذن هو أن يفيق من هذا التنويم.

١٤- لا يسع المرء إلا أن يرغب في أن تكون أعمالنا معروفة ومُصدَّقا عليها. أولئك الذين لا يؤمنون بالله يريدون ذلك، أما من يؤمن بالله فيكفيه أن يعرف الله. بهذا الإجراء يمكننا أن نعرف ما إن كان هذا الإنسان يؤمن بالله أم لا.

٥ فبراير - الخامسة مساءً.

لا أريد أن أكتب شيئًا. شعرت طوال الأيام الماضية، خاصة بالأمس، أنني أضيف إلى حياتي الآن وعيًا بأن هدف الحياة واحد: أن أكون كاملاً كأبي السمائي، وأن أفعل أفعاله وأحقق إرادته لنا؛ أي أن أحب، وأن أجعل الحب مرشدًا لي في لحظات العمل المليئة بالطاقة، وألا أتنفس سوى الحب في أقصى لحظات الضعف. عندما تشعر بالضيق أو المرض، ليس عليك إلا أن تتذكر ما سبق، وستجد كل شيء قد تلاشى ولم يتبقَّ لك سوى شعور بالبهجة.

عندما يستخدم المرء عقله بجدية سيجد من الواضح أمامه أن كافة الأهداف لم تعد مقبولة عقلاً، ولن يتبقى له سوى أمر واحد عقلاً؛ أن يعيش من أجل الوفاء بمتطلبات الله وضميره وطبيعته السامية... جميعها

تعبيرات مختلفة تشير إلى أمر واحد. إن عبّرنا عن الأمر داخل نطاق الزمان، سنقول: يعيش من أجل إعداد روحه للانتقال إلى عالم أفضل. إن عبّرنا عن الفكرة بصورة أدق خارج نطاق الزمان، ستعني: أن يمزج حياته بجوهره غير الزمني؛ بالخير، بالحب، بالله.

أخشى أمرًا واحدًا؛ أن يضعف بداخلي هذا الأثر القوي والنافع لوعيي بوحدة العقل والحرية والفرحة بالحياة في ضوء وجه الله. أخشى أن أفقد ما ينتشطني من وحل الحياة ويُحرّرني منه. ليت ذلك لا يحدث! في ضوء ذلك فكّرت مساء اليوم في ظواهر مختلفة في الحياة، وكان ذلك جيدًا وبعث في السرور. عليّ أن أنتظر الاختبار. سوف أستعد له.

بينما كنت أدوّن ما سبق نسيت الآتي:

١ - كم هي سخيصة حجة أعداء الكمال الأخلاقي التي مفادها أن الإنسان الغيري فعلاً يُضحى بكماله عبثًا من أجل خير الآخرين! إنهم يريدون أن يستعدّ الإنسان إذنًا ليكون شريرًا حتى يتصرف على نحو جيد! ربما تعني بذلك أن على الإنسان أن يكون مستعدًا أمام الناس لفعل الشر حتى يفي بمتطلبات ضميره، لا لخدمة قضية معينة ولا من أجل الناس. لكن يمكن أحيانًا أن يحدث اتساق بين خدمة قضية معينة وخدمة الناس من جهة وبين متطلبات الضمير من جهة أخرى، وفي أحيان أخرى يمكن ألا يتسقا معها. الأمر يختلف من حالة لأخرى.

٢ - لا يمكن لأحد أن يشك في أن جذر كافة الشرور هو قطعًا التعليم الديني الزائف إلا ذاك الذي لا يفكر في أسباب الظواهر الاجتماعية اليومية. تعود أسباب كل هذه الظواهر إلى أفكار الناس. كيف يمكن ألا

يكون للأفكار الزائفة تأثير هائل على النظام الاجتماعي؟ يتحسن حال البعض داخل نظام زائف مؤسس على أفكار زائفة، ومن الطبيعي أن يساندوا تلك الأفكار الزائفة والتعليم الديني الزائف.

٣- غير قادر على الكتابة وإجبار نفسي على ذلك وأشعر بالكآبة. يا لعباء تفكيري في أن الكتابة هي حياتي! إن الحياة لا تتمثل حتى في أي نشاط خارجي آخر، ولا فيما أرغبه، بل فيما يريده الله. يمكن أن تزداد كملاً وضخامة من دون كتابة. عليّ أن أتعلم أن أحياء دون كتابة. هذا أمر ممكن.

٤- لقد دوّنت هذا سابقاً؛ أي أن السعي إلى الكمال لا يعني الاستعداد للحياة المستقبلية. نقول ذلك فقط كنوع من تبسيط الفكرة، لكن السعي إلى الكمال يعني الاقتراب من أساس الحياة، وهو أمر خارج إطار الزمان، وبالتالي ما من موت؛ أي أنك تنقل أنك رويداً رويداً من المجال الجسدي إلى الروحي.

٥- حكى يفجيني إيفانوفيتش عن آنا شارابوفا. لا تهدأ إلا عندما ينشغلون بها. أي نشاط آخر بعيد عنها لا يهمها، بل إن أنشطة الآخرين التي لا تتمحور حولها تسيء إليها. إنها تعتقد أنها تدعم حياة كافة من حولها، وأنهم كانوا ليضيعوا تماماً من دونها. عند أدنى توبيخ لها تسيء إلى الجميع. في غضون عشر دقائق تنسى ما فعلته ولا تشعر بأدنى تقريع ضمير. هذه درجة قصوى من الأنانية والجنون، ولكن ثمة درجات كثيرة تقترب منها. في الحقيقة مجرد التفكير في أنني أعيش من أجل نفسي ومتعتي ونيل المديح هو نوع كامن من الجنون الكامل. لا يسع المرء إلا

أن يعيش من أجل نفسه. لا يسعه إلا أن يدافع عن نفسه عندما يتعرض للهجوم، وأن يندفع إلى تناول الطعام عندما يشعر بالجوع، لكن إن اعتقد أن هذا هو معنى الحياة، وإن استخدم الفكرة التي وُهب إياها من أجل أن يدرك عدم إمكانية العيش بهذه الطريقة، في تدعيم هذه الحياة الفردانية، فهذا جنون كامل.

٦- تقترب الزوجة من زوجها بفتنة وتقول له ما لم تقله من قبل. يتأثر الزوج. كل ذلك لأنها تسلك على نحو دنيء!

٧- يقول جين جراف^(١٥٧): إن الثورة لا تتم إلا عندما تكون مثمرة؛ أي عندما يكون الفرد معتدلاً فاضلاً، غير نهم، مستعداً لمساعدة قريبه، ولا يتمتع بالكبرياء ولا يدين الآخرين، واعياً بقيمته؛ هذه هي السمات المسيحية باختصار! ولكن كيف يمكنه أن يحوز تلك الفضائل عالمًا أنه مجرد مجموعة من ذرات التصقت عشوائيًا ببعضها؟ كل هذه الفضائل ممكنة وطبيعية، ولا يمكن حتى غيابها عندما يحوز المرء منظوراً مسيحياً للعالم مفاده أنه ابنٌ لله، مبعوث منه لتحقيق إرادته. لكن هذه الفضائل تتنافر تمامًا مع المنظور المادي للعالم.

الساعة الآن الثانية. سأهبط إلى الطابق السفلي. سأكتب غداً.

١٩ فبراير.

لم أدوّن شيئاً منذ مدة طويلة. في البداية كنت مريضاً. تحسنت

(١٥٧) كان جان غراف ناشطاً مهماً في الأناركية الفرنسية وحركات الشيوعية الأناركية الدولية.

كان رئيس تحرير ثلاثاً من الدوريات الفوضوية الرئيسة، Le Révolté - - La Révolte Les

Temps Nouveaux

حالتي منذ خمسة أيام. انشغلت طوال هذه المدة في المراجعة والإضافة إلى الفصول الأخيرة في مقالتي (عن الفن) وأفسدت فيها الكثير. قررت إرسال مقالة كاربنتر مع مقدمتي لها إلى جريدة «الرسول الشمالي». راجعت المقدمة. انطباعي العام عن هذه المقالة «عن العلم» بالإضافة إلى الفصل العشرين هو الشعور بالندم. أعتقد أنه حقيقي وضروري، لكن يؤلمني أن عليّ أن أحزن وأزعج الكثيرين من الطيبين المضللين. من الواضح أن ٩, ٩٩ من الناس لا يفهمون من الأساس ما أدنيه تحديداً في علمنا المعاصر، وسوف يصيبهم الارتباك. لذا عليّ أن أقوم بذلك بطيبة شديدة. في هذا أنا مذنب، لكن الوقت قد تأخر. في المرة الأخيرة التي دَوَّنت فيها يومياتي أعربت عن خوفي فيما يتعلق بنقل نفسي من الحياة الدنيوية المادية المسيئة المربكة إلى الحياة في ضوء وجه الله؛ الحياة الأبدية (هنا - الآن)^(١٥٨) التي اختبرتها وأود ألا تتلاشى مني أو تصدأ. ولكن مر ثلاثة عشر يوماً، طوال هذه الفترة شعرت - ولا أزال - بالسرور. سأبدأ الآن في قراءة البخت بورق اللعب وسأستمع لحوار غاضب متناقض، ولن أشعر بالرضى عن كتابتي وسأدين الناس وأندم على شيء ما، وفجأةً أتذكر أن الأمر يبدو لي كذلك؛ لأنني أنحني وأحفر في الأرض، في الوقت الذي لا يلزمني فيه إلا أن أستقيم بكامل طولي. حين أفعل ذلك لن يتوقف الأمر على أن كل ما كدّرني سيتلاشى، بل سيجلب لي كذلك فرحة كبيرة بكل ضعفي الإنساني. لكنني لم أختبر

(١٥٨) انتقل الحديث الدائم لبعض المتصوفين عن العيش في اللحظة الراهنة (هنا - الآن) إلى مدرسة الجشتلظ بعلم النفس حيث استخدمت التعبير ذاته (هنا - الآن).

بعد هذه المعاناة الجسدية الشديدة، فهل سأحتملها؟ يجب أن أحتملها. ساعدني يا سيدي. الأمر يبعث فيَّ السرور؛ أقصد أن حالة جديدة قد انجلت لي في أعوام الشيخوخة من نعمة كبير لا يمكنني التعبير عنها. إنها ليست محض تخيُّل، بل حالة واعية بوضوح، تزداد دفئًا أو برودة حسب حالة الروح؛ إنها حالة الخروج من التيه والمعاناة إلى الوضوح والهدوء، إنها حالة مُفارقة الاتكال على الذات. الأمر يشبه نمو الأجنحة. ما إن تشعر بالصعوبة والألم سيرًا على الأقدام حتى يكون بإمكانك أن تفرد جناحيك وتطير. ولكن لماذا لا تطير دائمًا؟ من الواضح أنك لا تزال تشعر بالضعف. ربما لم تعند الأمر بعد، وربما تلزمك الراحة. من المهم أن أعرف ما إن كانت هذه الحالة مرتبطة بالشيخوخة، وهل يمكن للشباب أن يمروا بها أم لا. أعتقد أن ذلك ممكن. لذا عليَّ أن أتأقلم معها. كانت هذه هي صلاتي: «يجب أن أخفي شيئًا، يجب أن أخشى شيئًا. يجب أن يعذبني شيء، وألا أصل لشيء ما». وفجأة أصبَحْتُ: «لا تخفِ شيئًا، لا تخش شيئًا، ولا تجعل أمرًا يعذبك، ولا تُرد شيئًا. أهم ما في الأمر أن تنتقل من مجال حكم الناس إلى حكم الله. آه لو تبقى كذلك حتى الموت! أشكرك يا أبي على كل ما أمر به.

دَوَّنت الآتي:

١ - لا يمكن للناس أبدًا أن يتواءموا مع فكرة عدم واقعية العالم المادي. عادة ما يُقال: «الطاولة موجودة دائمًا، وعندما أترك الغرفة ستظل موجودة بالنسبة للجميع كما كانت بالنسبة لي». لكن عندما تطوي إصبعين وتدرج كرة وتنظر عبر الإصبعين، ألن ترى كرتين لا محالة؟

هذا يعني أنك في كل مرة تتناول فيها كرة واحدة وتقوم بنفس الفعل ستظن أنها كرتان، وهذا ما سيحدث مع الآخرين إن قاموا بنفس الحركة في حين أنها كرة واحدة. كذلك الأمر مع الطاولة؛ تبدو لي واحدة فقط إن طويت أصابعي، ويمكن أيضًا أن تبدو نصف طاولة أو ٠,٠٠٠١ من الطاولة ولا تمثل حتى جزءًا من الطاولة، بل شيئًا مختلفًا تمامًا.

هكذا أفقد دائمًا انطباعي بما يبدو لي واقعيًا، وأستمد من انطباعات الآخرين.

٢- من الغريب أن تانيا كانت تمرح مع طبيب الأسنان، حتى إنه عالج السن الخاطئ، وهذا أكثر ما أكد لي خطئي بنقل الملكية إلى أبنائي. كان يمكن لحالهم من دونها أن يكون أفضل. كان عليّ أن أفعل ذلك دون أن أمزق رابطة الحب بيننا، لكنني لم أستطع.

٣- تندهش حينما تجد أناسًا أذكاء صالحين يؤيدون خرافات الكنيسة القاسية والعنيفة والبربرية. لكن يلزمك أن تتذكر الوعي بالظلم والاضطهاد الذي بدأ في اختراق عقول الطبقات العاملة، وسترى أن هذا مجرد شعور بالحفاظ على الذات. هذا وحده ما يفسر لنا حيوية الوطنية والكنيسة.

٤- حكى لي فاريسوف (صحفي وكاتب روسي) عن تعاليم ماركس. كل ذلك كان رائعًا ومسيحيًا. «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ». لكن ما كان سيئًا في الأمر هو أن كل ذلك كان بهدف التأثير على الناس دون تحقيق أي رضى داخلي ودون محاولة الإجابة عن سؤال الحياة. التأثير على الناس هو كعب

أخيل^(١٥٩)، لذا قد يكون موقعي الخاطئ بالنسبة للناس هو الموقف المطلوب تحديدًا.

٥- حتى يُكفّر القس عن خطيئته عليه أن ينحني عند مدخل الهيكل أمام الجميع ويقول: «أخطأت يا إخوتي سامحوني». ياله من مشهد قوي وحقيقي!

٦- إن فننا المعاصر، بما يقدمه من تسليّة للطبقات الغنية لا يشبه فقط الدعارة، لكنه ربما أسوأ منه.

٢٥ فبراير.

لم أدوّن شيئًا. صحّحت قليلًا. كتبت اليوم أكثر من سبعة خطابات. لكنني لا أستطيع أن أكتب شيئًا مع أنني لم أتوقف عن التفكير في (الحاج مراد) و(البيان).

١٩ مارس.

لم أدوّن يومياتي لأكثر من ثلاثة أسابيع. أنهيت كافة خطاباتي. في تلك الفترة كتبت خطابات مهمة إلى الجماعة الأمريكية^(١٦٠)، وإلى صحف بطرسبرج عن الدوخوبوريين، وعن الأمر ذاته إلى الصحف الإنجليزية، كما كتبت خطابًا لدار نشر إنجليزية يتضمن مقدمة لمقالتي (ما الفن؟)، وكتبت خطابًا آخر عن الإفساد الذي تقوم به الرقابة.

(١٥٩) مصطلح يشير إلى نقطة ضعف مميتة على الرغم من كل القوة التي يمتلكها الشخص، والتي إن أُصيبت تؤدي إلى سقوطه بالكامل. يعود المصطلح إلى الميثولوجيا الإغريقية. راجع أسطورة أخيل.

(١٦٠) خطاب إلى جورج جيسون أحد أعضاء جماعة أمريكية تُدعى "الكومنولث".

حياتي الداخلية على نفس الحال. الأمر كما توقعت سابقًا: بدأ وعيي الجديد بالحياة في ضوء وجه الله وكمال الحب يبهت ويضعف، وعندما احتجت إليه منذ أيام، تبين لي أنه غير فاعل، بل أقل فاعلية مما توقعت. الحدث الرئيس في تلك الفترة كان السماح للدوخوبوريين بالهجرة. يبدو أن مقالتي (ما الفن؟) قد انتهت تمامًا. بالأمس رحلت صوفيا إلى بطرسبرج. حالتها متقلقلة تمامًا. طوال تلك الفترة لم أعمل إلا قليلًا.

دوّنت أفكارًا كثيرة. سأحاول نقلها هنا:

١ - واحدة من أعظم الضلالات في الحكم على إنسان ما، هو أن نحكم عليه بالذكاء أو الغباء أو الطيبة أو الشر أو القوة أو الضعف، بينما يتضمن الإنسان كافة الاحتماليات، فهو بمثابة تيار يتدفق كهذا الشكل:



هذا موضوع جيد لعمل فني، كما أنه شديد الأهمية والصالح؛ لأنه يدمر أحكامنا الشريرة التي تشبه السرطان، ويفترض إمكانية أن يتحول أي شخص إلى الخير. إن العاملين لدى الشيطان؛ أولئك الواثقون بحضور الشر في الإنسان يحققون نتائج رهيبة: خرافات - إعدامات - حروب. أما العاملون لدى الله فكان بإمكانهم تحقيق هذه النتائج لو ازداد إيمانهم بإمكانية حضور الخير في قلوب الناس.

٢- يود الروس واليابانيون والإنجليز والألمان أن يستولي كل منهم على الصين، وتستعر النزاعات ويشتعل النضال الدبلوماسي، وسرعان ما سيتحول إلى نزاع عسكري، وكل هذا بمثابة تخمير للجنس الأصفر في عجين الشعوب المسيحية ونشر واستيعاب للأفكار، كما حدث مع الحملات الصليبية وحروب نابليون.

٣- يكتب جوستاف لوبون^(١٦١): «الأمر لا يقتصر على أن الطعام سوف يُنتج في المعامل، بل لن تكون لدينا حاجة للعمل»^(١٦٢). وزع الناس مهامهم على نحو سيئ بين الغذاء والعمل، وبدلاً من أن يبعثا فيهم السرور، أصبحا مصدر عذاب، لذا يريدون التخلص منهما. كما لو أن الناس قد شوهوا هيئاتهم من فرط العرق واللهات فبحثوا عن وسائل اصطناعية أخرى تؤدي وظيفتهما.

٤- كلما طالت حياتك، قصر ما تبقى لك منها. لكن من منظور الحياة اللانهائية لن يكون هناك معنى لمدة الحياة.

٥- لن تعيش حياة حقيقية حرة إلا عندما يخرج الزمن من اعتبارك، فلا يعود ثمة ماضٍ ومستقبل، وحينها لن يقف أمامك عائق، ولا تعود تتذكر الماضي بما فيه من إساءات وتناقضات، وحتى مواطن ضعفك الشخصية، ولن تفكر في المستقبل وتتساءل هل سيحدث كذا أم لن يحدث. سيتحقق ذلك عندما تعيش في تلك النقطة التي تتحد فيها مع

(١٦١) طبيب ومؤرخ فرنسي. كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا، وعُني بالحضارة الشرقية.
من أشهر آثاره «سر تقدم الأمم» و«روح الاجتماع».
(١٦٢) من كتاب (سيكولوجية الاشتراكية) للوبون.

الله وتعايش جوهرك الإلهي؛ أي في الحاضر وحده، حتى وإن كنت تعيش حياة حيوانية. ما إن تستخدم العقل في تَخَيُّل ما سيحدث حتى تجده ضعيفاً تافهاً، وما إن تستخدمه في تحقيق إرادة مَنْ أرسلك حتى تجده قويّاً وحرّاً. يمكنني رؤية ذلك الآن من ملاحظة كيف تضعف قواي عندما أفكر في عواقب أفعالي.

٢١ مارس.

أواصل تدوين أفكارِي. حالتي الصحية سيئة وأشعر بالضعف، لكنني هادئٌ حمداً لله، وأعيش في الحاضر. رَتَبْتُ لتوي أوراق مقالتي عن الفن.

٦- لن يتمكن الاشتراكيون أبداً من القضاء على الفقر والظلم وعدم تكافؤ الفرص. سوف يستفيد الأكثر ذكاءً وقوة من غباء وضعف الآخرين. لا يمكن تحقيق العدالة والمساواة في نيل الخيرات بطريقة أخرى سوى المسيحية؛ أي إنكار الذات وإدراك أن معنى الحياة في خدمة الآخرين.

٧- للعيش مع الله وبه وفيه عليك ألا تسترشد بأي شيء خارجي؛ لا بما حدث ولا بما يمكن أن يحدث. عليك أن تعيش في الحاضر وحسب، ففيه وحده تتحد بالله.

٨- يعترف الأذكىء من الاشتراكيين بأن الوصول إلى أهدافهم يتطلب في الأساس رفع حالة العمال عقلاً وبنياً. لا يمكن لشيء أن يحقق ذلك سوى التربية الدينية، وهم لا يقرون بها، لذلك يضع عملهم كله هباءً.

٩- «اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكَوَتَ اللَّهِ وَبِرَّهْ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُرَادُّ لَكُمْ». (متى ٦:

٣٣) هذه هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ أهداف الاشتراكية.

١٠- بخصوص البيان: الجميع متفقون على أننا لا نعيش كما ينبغي. يتلخص العلاج بالنسبة للبعض في الجبرية الدينية، والأسوأ منها عند الآخرين هي الجبرية التطورية. وهناك آخرون يواسون أنفسهم بحقيقة أن كل شيء سيتحسن بمرور الوقت من تلقاء نفسه. يمكننا أن نطلق عليهم: «التدريجيون». ثمة مجموعة ثالثة تعدنا بأن كل شيء سوف يتم تصحيحه حينما تصل إلى أسوأ مستوى ممكن؛ هؤلاء هم الاشتراكيون. يقولون إن الحكومة والطبقات الثرية سوف تصل إلى سيطرة كاملة على الجميع؛ أي العمال، وحينها ستتقل السلطة بطريقة ما من تلقاء نفسها إلى يد العمال على نحو مفاجئ، لكنهم سيكونون عمالاً معصومين من الخطأ، لا ييغون مصلحتهم الشخصية، منكرين لذواتهم، قديسين، وسيد يرون كل شيء دون ارتكاب أخطاء أو شرور. أما المجموعة الرابعة فتقول إن تصحيح كل الأوضاع يتوقف على إبادة اليهود والأشرار. لكن ليس لدينا ذلك الخط الذي يفصل بين الأشرار وأولئك الذين نأمن ضررهم إن لم نقل حتى إنهم طيبون. إما أننا لن نستطيع القضاء على الأشرار كافة، وإما كما يحدث في الثورات الكبيرة، سوف يسيطر الأشرار على الأخيار. إن حكمت على الناس بصرامة، لن تجد بريئاً واحداً. ما العمل إذن؟ لدينا وسيلة واحدة: إحداث تغيير ديني في عقول الناس. هذا تحديداً ما تعوقه كل تلك الأدوية المتخيلة.

١١- إن جسدي ليس إلا ذلك الجزء الذي يمكنني التحكم فيه من الكل.

١٢- ليس العالم سوى ما أشعر به. ولكن مَنْ أنا؟ أنا مَنْ أتصرف الآن.

١٣- كم سيكون من الجيد إن كتبت عملاً فنيًا أعرب فيه بوضوح عن كيان الإنسان المتدفق، وكيف أنه وغد وملاك وحكيم وأبله وجبار البأس وعديم القوة في الآن ذاته!

١٤- لا يبلغ الإنسان الكمال في كل شيء. لا بد أن يكون أكثر كمالاً في شيء عن آخر، لكنه يضع هذه الدرجة من الكمال شرطاً لغيره ويدينه وفقاً لها.

١٥- يستحيل على المرء ألا يخدم الله أو الشيطان، كما يستحيل عليه خدمتهما معاً. كل أنواع خدمة الشيطان تعيق خدمة الله. يشكل الصمت والوحدة وحتى الملل شروطاً لخدمة الله. أكثر الناس بربرية في موسكو هم المتدينون، أما في باريس فهم أكثر بربرية.

١٦- ثمة دمية إنجليزية يدعونها *peepshow*^(١٦٣)، تارة تكشف أدنى العدسة عن شكل، وتارة عن شكل آخر. هذه هي الطريقة التي يجب أن أكشف بها عن (الحاج مراد)؛ كزوج ومتعصب و... إلخ.

١٧- اختبرت منذ فترة قريبة شعوراً بأن كل ما هو مادي، وحتى جسدي، مجرد نتاج لتصوري ولروحي، وأن لا شيء موجود سوى روحي. كان شعوراً مبهجاً جداً.

١٨- تقوم الخدمة العسكرية بما تقوم به التربية الدينية الزائفة من

(١٦٣) لعبة تشبه صندوق الدنيا، حيث تعرض صور متنوعة عبر عدسة أو ثقب صغير.

جانب آخر؛ ألا وهو تعويد الناس على التنصل من العقل.

١٩ - ثمة رؤيتان في العالم:

أ- للعالم وجود محدد؛ أي إنه موجود في صور معينة.

ب- ليس العالم سوى تيار متدفق، يمضي في اتجاه ما.

تبدو الحياة الإنسانية للوهلة الأولى مُحدّدة هي أيضًا، تتألف من الاستخدام الهادئ لخيرات العالم. مع هذه النظرة يستمر الشعور بعدم الرضى عن نظام العالم إلى الأبد، فهو لا يفي بالمتطلبات. طبقًا للنظرة الثانية يُدرك العالم على أنه شيء يغير من نفسه بنفسه مما يسهم في تغيير وتحقيق أهداف العالم. لا يمكن أن نشعر بعدم الرضى عن نظام العالم مع هذه النظرة، وإن شعرنا بعد الرضى سيقصر هذا الشعور على النفس بسبب نقص توائمها مع حركة العالم وبالتالي قلة دعمها لهذه الحركة. ما كتبه غير واضح.

٢٠ - قد يبدو الطموح في الوظيفة وطمع البخيل جذابين من فرط بساطتهما. يختلف الأمر مع أي هدف آخر في الحياة، يتوجب عليك أن تفكر وتتأمل كثيرًا، ولن ترى النتائج بوضوح أبدًا. لكنه في هذه الحالة شديد البساطة: النجمة تصبح اثنتين، والمليون مليونين... إلخ.

٢١ - تحدثت مع يفجيني إيفانوفيتش، وقلت له إنني أحسده على حريته. قال إن هذه الحرية تحديدًا هي ما تُثقل كاهله للغاية، بل وكذلك السلطة والمسؤولية المرتبطة بها، وهكذا يظن المرء أن هذا أفضل وذاك أسوأ، هذا قوي وذاك ضعيف، هذا معافى وذاك مريض، هذا غني وذاك

فقير. اتضح لي فجأة أن كافة اختلافات مواقفنا في العالم ليست إلا محض مقارنة بحالاتنا الداخلية. لا يهم ما إن كان سقوط أحدهم من مركبه قد تم في بحر آزوف^(١٦٤) أم في البحر الأسود أم في البحر المتوسط أم في المحيط، فالأمر سيات. ما يهم وحده ما إن كان يستطيع العوم أم لا.

٢٢- تحدثت مع بيشكوبا (كاتبة وصحفية) عن قضية المرأة. ليست هناك قضية للمرأة من الأساس، القضية هي حرية ومساواة البشر جميعاً، أما الحديث عن قضية للمرأة وحسب هو مجرد إثارة للحماسة والتشاحن.

٢٣- كلما ازداد شعوره بالذنب أمام نفسه، وأخفى ذلك عن ضميره، رغب تلقائياً في اصطيد ذنوب الآخرين، خاصة أولئك الذين أذنب في حقهم.

٢٤- ما إن تمض نحو الماضي أو المستقبل، حتى تجد نفسك قد فارقت الله، ومن ثم تجد نفسك وحيداً جزعاً مفقداً لحررتك.

٢٥- فكّرت في نفسي وإساءاتي وحياتي المستقبلية، ثم استجمعت شتات نفسي. هكذا كان من الطبيعي أن أقول لنفسي: وما الذي يهملك في أمر ليف نيكولايفيتش (تولستوي)؟ وأصبح الأمر جيداً، إذ تبين أن ثمة من يعوق ليف نيكولايفيتش الوغد الغبي المتكبر الشهواني.

٢٦- ما إن أبدأ التفكير في المستقبل، حتى أجدني أقرأ البخت بورق اللعب^(١٦٥). هذا جنون! لا بد أنني سأصاب بهذا الجنون؛ لأن التفكير في

(١٦٤) بحر متفرع من البحر الأسود في جزئه الشمالي ويتصل به عن طريق مضيق كيرتش.

(١٦٥) عادة لازمته منذ فترة الشباب.

المستقبل هو بداية الجنون.

انتهيت من تدوين أفكارى. الساعة الآن الثانية، واليوم يوافق ٢١ مارس.

١٢ إبريل.

كان وصول الدوخوبوريين^(١٦٦) من ضمن أحداث تلك الفترة، بما يتضمنه من تفاصيل إعادة توطينهم في مكان آخر. في تلك الفترة أيضًا مات براشنين^(١٦٧). انشغلت بـ «لا بد من تدمير قرطاجة»^(١٦٨) و«الحاج مراد». عملت قليلًا إلى حد ما، لكن حالتي المعنوية أفضل إلى حد كبير. كان أغلب الزوار من شباب الفلاحين، وكانوا طيبين. منذ الأسوأ وأنا في حالة معنوية سيئة إلى حد كبير. لا تُسلم نفسك أو تتحدث مع أحد غير الله. أعتقد أن هذا أمر شديد الأهمية. من المهم جدًا أن أصمت وأتحمل. سوف تنتقل هذه المعاناة إلى الآخرين وتجبرهم على الشعور بها، ومن ثم تنصهر بداخلك. هذا أغلى من كل شيء. تساعدني كثيرًا فكرة مفادها أن هذه هي مهمتي وفرصتي للسمو والاقتراب قليلًا من الكمال. تعال وحلّ فيّ وأزل مني دناءاتي. استيقظ في داخلي. أرغب طوال الوقت في البكاء. فكّرت في الآتي ودوّنته:

١ - كل انتصار على العدو يزيد من قواك. أنا في حاجة ماسة لتذكر ذلك الآن. ثمة حرب مستعرة في داخلي بين أناني الروحية والجسدية،

(١٦٦) سمح لهم القيصر أخيرًا بمغادرة روسيا، كما طلب تولستوي في بيانه للقيصر.

(١٦٧) تاجر روسي كان على علاقة ودية بتولستوي.

(١٦٨) سلسلة من المقالات التي كتبها تولستوي لمناهضة الحرب والخدمة العسكرية.

وكل نصر أحققه للأولى يُضعف من الثانية. أنتقل من وعاء لآخر. إن سقطت ستكون بداية طريقي صوب الإغواء، وإن تحملت ستكون بداية طريقي للخير.

٢- مدهش هو اعتيادنا على وهم تفردنا وانفصالنا عن العالم. نرى الحياة ونشعر بها تُجبرنا في كل دقيقة على الشعور برابطتنا بالعالم واستقلالنا عنه في الآن ذاته، ونصدق أن بإمكاننا أن نعيش من أجل الآن الخاصة بنا. في الوقت ذاته، عندما تدرك أن هذا وهم، تتعجب وتتساءل: كيف يمكنك ألا تدرك أنك لست جزءاً من الكل، بل تجلّ زمني ومكاني لشيء غير مكاني ولا زمني؟

٣- تعترف النساء دائماً بسلطة الرجال عليهن. لا يمكن ألا يكون الأمر كذلك في عالم غير مسيحي، فالرجل أقوى، ومن ثم استطاع أن يفرض هيمنته. حدث ذلك في العالم كله باستثناء ما حدث مع الأمازونيّات، وهي روايات مشكوك في صحتها، وكذلك هو الأمر مع قانون الأمومة. هكذا مضت الأمور حتى الآن مع ٩٩,٩٪ من البشر. ثم ظهرت المسيحية واعترفت بالكمال، لا في القوة، بل في الحب، وبالتالي حرّرت كافة المستضعفين والأسرى والعبيد والنساء. لكن حتى لا يتحول تحرير العبيد والنساء إلى كارثة يجب أن يُكرّس المحرّرون حياتهم لخدمة الله والناس، لا لخدمة أنفسهم. تحرّر العبيد والنساء دون أن يؤمنوا بالمسيحية. لذلك تبدو شخصياتهم مريعة، فهم يدعمون مصادر كافة بلايا العالم. ما العمل إذن؟ أنعود لاستعباد العبيد والنساء؟ هذا مستحيل فلن يفعل أحد ذلك. لا يمكن للمسيحيين أن يخضعوا،

ولن يواصل غير المسيحيين الاستسلام للعبودية مجدداً، وبالتالي سيكون هناك نزاع. إنهم يتقاتلون فيما بينهم ويقاتلون الآخرين ويُخضعون مسيحيين ويستعبدونهم. ماذا علينا أن نفعل إذن؟ علينا بأمر واحد: أن نجذب الناس صوب المسيحية ونحولهم إلى مسيحيين. لا يمكننا فعل ذلك إلا بتنفيذ قانون المسيح في حياتنا.

ساعدني يا سيدي. ساعدني... حلّ فيّ واستيقظ بداخلي.

٢٧ إبريل - جرينيوفكا (١٦٩).

إنه يومي الثالث هنا. أنا بخير. حالتي الصحية سيئة بعض الشيء. رحلت صوفيا صباح اليوم وكانت حزينة ومضطربة. إنها تشعر بالضيق الشديد، وأشعر بالأسف الشديد عليها ولا أستطيع أن أساعدها. في الفترة الخيرة بموسكو أنهيت «لا بد من تدمير قرطاجة». أخشى ألا أكون قد أنهيتها فعلاً ويعيدون لي المخطوط ثانية. لم أعمل هنا شيئاً. لم تصل كارثة المجاعة هنا إلى نفس الدرجة التي وصلت إليها في عام ١٨٩١. نجد هنا الكثير من الكذب في كل أفعال الطبقات العليا، وقد تلوّخ كل شيء بالكذب حتى أصبح من المستحيل أن تجيب على أي سؤال؛ مثلاً: هل ثمة مجاعة هنا فعلاً؟ سأحاول توزيع أموال التبرعات بأفضل شكل ممكن. بالأمر تحدثنا عن الأمر ذاته: هل الحب الحصري (١٧٠) أمر حسن؟ هذه هي الخلاصة: سينظر الإنسان المسيحي إلى ذلك نظرتة إلى

(١٦٩) ضيعة ابنه إيليا. توجه تولستوي من موسكو إلى هناك لمساعدة الفلاحين الذي عانوا هناك من فشل موسم الحصاد، وتقديم الطعام لهم وشراء ما يلزمهم من متطلبات بأموال المتبرعين. (١٧٠) أي الحب الموجّه لشخصية واحدة بعينها لا غير.

أمر شرير، سواء كان متزوجاً أم لا، وسوف يناضله. أما الآخر الأدنى أخلاقياً سيعتبره فضيلة وسيحث عليه. أما الإنسان الذي لا يتمتع بأدنى درجة من الفضيلة فلن يفهمه حتى وسيسخر منه.

لقد حظروا إصدار بعض الصحف بسبب الدوخوبوريين وبسببي^(١٧١). أمر مؤسف وقد أشعروني بالحزن.

١- حكمة: لا تريح ثروة لابن صالح، ولا تترك ثروة لابن طالح.

٢- «لا يعلم الله متى سوف تكون صحوة البشر». هذا يعني أن الحياة البشرية هي صحوة وتنوير تزداد قوتها أكثر فأكثر. الناس أنفسهم هم من يصنعون الصحوة والتنوير؛ أي بواسطة الله الموجود داخلهم. هذه هي الحياة والنعمة، لذا لا يمكن انتزاعهما من البشر أبداً.

٣- تأسست صحوتي على الشك في حقيقة العالم المادي. لقد فقد بالنسبة لي كل معنى.

٢٩ إبريل - نهاراً.

شعرت بضعف شديد، لكن حالتي تحسنت منذ الأمس، رغم ذلك لم أستطع كتابة شيء. ذهبت إلى قرية لوباشينو، وأعدت نسخ مقالتي^(١٧٢). قرأت في كتاب بوكاتشيوف^(١٧٣). ها هي بداية فن السادة غير الأخلاقي. لم تصلني خطابات. جاء سيريوجا. سأواصل كتابة أفكارني:

(١٧١) لجأ وزير الداخلية إلى حظر نشر جريدتين بسبب الدعوة التي وجهها تولستوي عبرهما إلى جمع المال من أجل الدوخوبوريين.

(١٧٢) مقالة بعنوان (هل ثمة مجاعة أم لا؟).

(١٧٣) مؤلف وشاعر إيطالي من أعلام عصر النهضة الأوروبي.

١- انظر إلى حياة إنسان خاصة إن كانت امرأة، وتأمل رؤيته للعالم التي ينبع منها سلوكه، وسترى لا محالة كيف تصد سلوكياته هذه كل الأفكار والحجج المناهضة لهذه الرؤية للعالم، ولن تتخيل حتى كيف يمكن لهذه النظرة إلى العالم أن تتغير، وكيف نشأت، مثل صعوبة تصور بداية قطعة حجرية. لكن ثمة بعض الظروف تضمن حدود التغيير من الداخل وإتمامه. يمكن دائمًا للإنسان الحي أن يولد من جديد كما يمكن للبذرة أن تنبت.

٢- أحاول التكهّن متسائلًا: إن سلكت كما يجب، ومضى كل شيء على ما يرام، هل ستزول العواقب من أمامي؟ سؤال لا معنى له، وكأنني أتساءل: هل ستكون ثمة عوائق عندما أسلك في مجال لا عوائق فيه؟

٣- من المدهش حقًا مدى ما نتمتع به من جهل وعدم عرفان في الآن ذاته! لقد ربّ الله حياتنا بحيث يكون بالإمكان جمع شملنا جميعًا من هذه الطرق الزائفة المضرة التي تُفضي بنا إلى الهلاك والمعاناة إلى الطريق الوحيد الذي يوفر لنا الحرية والسرور دائمًا؛ إنه طريق الحب. رغم ذلك لا نسير في هذا الطريق ونشكو من معاناتنا بسبب محاولتنا للسير في الطرق الزائفة المهلكة.

٤- أحد أكثر احتياجات الإنسان إلحاحًا، وتعدل، إن لم تكن تفوق احتياجه للطعام والشراب والجنس وكذلك احتياجه للوجود الذي كثيرًا ما ننساه، هو احتياجه لإثبات ذاته، ولأن يعلم أنه هو مَنْ فعل الفعل الفلاني. يمكن تفسير عدد لا نهائي من الأفعال في ضوء ذلك الاحتياج. على المرء أن يتذكره عندما يُعلّم الناس أو يتعامل معهم. بيت القصيد

هو أن تحاول أن تضمن تجلي هذا الاحتياج في صورة فعل حقيقي، لا في صورة تباه.

٥- لماذا يصل الأطفال والحمقى إلى هذا الارتفاع المريع أكثر من بقية الناس؟ لأن عقولهم لم يفسدها أو يخدعها إيمان زائف أو إغواء أو خطية. لا شيء يقف في طريقهم صوب الكمال، بينما يلتقي البالغون في طريقهم بالخطية والإغواء والخداع. علينا في البداية بالسير، ثم النضال.

٦- تحدثنا عن الحب والعشق واستنتجت الآتي: يناضل الإنسان الأخلاقي العشق والحب الحصري، أما غير الأخلاقي فينغمس فيه.

٧- استغرقت في التفكير في موائد الطعام المجانية للفقراء وشراء الطحين والمال، ومن ثم شعرت بالنجاسة والحزن في داخلي. المجال المالي؛ أي كل استخدام للمال هو خطيئة. أخذت المال وقبلت استخدامه لسبب وحيد ألا وهو وأن تكون لديّ ذريعة للرحيل من موسكو، لكنني تصرفت على نحو سيئ.

٨- فكّرت كثيرًا أمس واليوم في بيان الإيمان. واضح إلى حد كبير من ناحية اختصار فوضى الحياة في الخداع الديني. إن لم تنجل الأفكار في ذهني تبدو الحياة بليدة ولا أشعر بالرغبة في شيء.

٩- حلمت اليوم أن أكثر التعبيرات اختصارًا عن معنى الحياة هو الآتي: العالم يتحرك ويتطور صوب الكمال، أما عمل الإنسان فهو المشاركة في هذه الحركة والخضوع لها ودعمها.

أشعر بالضعف طوال الوقت. دوّنت أفكارني على نحو شديد السوء.

بالأمس امتلأ المنزل بالضيوف: آل تسيركوف^(١٧٤) وإيلينسكايا (جارة لتولستوي) وستاخوفيتش. لم أفعل شيئاً نهاراً. في الصباح كتبت خطاباً لتشيرتكوف وصوفيا وشخص آخر. أول أمس كنت في قرية سيدوروفو عند سيريوجا. في الصباح قرأت مقالة تشيرتكوف. جيدة جداً. في الأول من مايو جاء ليندبرج والمعلم وذهبنا معاً إلى قرية كامينكا. في ٣٠ إبريل ذهبت إلى قرية جوباريكا. يحزنني أنني أشعر كما لو أنني فقدت القدرة تماماً على الكتابة. أشعر حتى باللا مبالاة تجاه الأمر، مما يشعرني بالخزي. مؤخراً بدأت أفكر في أحلامي بحيوية في مسألة العلاقة بين الشعب المسحوق وساحقيه، لكنني لم أدون شيئاً عن الأمر. اليوم، وفي الأيام الماضية أيضاً، شعرت كما لو أن رواية (الحاج مراد) تنجلي لي لكنني غير قادر على الكتابة^(١٧٥). فكّرت في الآتي:

١- كما يتوجب على الرياضي أن يزيد من قوة عضلاته، هكذا يتوجب علينا أن نزيد قدر الحب بداخلنا، أو على الأقل نُقلّل من قدر الكراهية والكذب، وحينها ستمتلئ حياتنا بالبهجة.

٢- دار جدال بالأمس عن سؤال قديم: ما الأفضل المشاركة في الشر محاولين تقليل قدره (الخدمة العسكرية) أم الامتناع عن المشاركة فيه من الأساس؟ وهذا هو الاعتراض الأبدي:

(١٧٤) مالك أراضٍ، وعمل عضواً في محكمة مقاطعة تولا. أمد تولستوي بتفاصيل إجرائية تتعلق بالمحاكم، استغلها الأخير في رواية "البعث".

(١٧٥) انقطع العمل على (الحاج مراد) منذ تلك الفترة حتى فبراير ١٩٠١.

- ستسود الفوضى .

- حسنًا، لكننا الآن نمر بما هو أسوأ من الفوضى؛ إنه الظلم.

- هكذا سنبدأ كل شيء مجدّدًا، ويقمع القوي الضعيف ثانية، أليس كذلك؟

- نعم سنبدأ من جديد مع فارق واحد؛ أننا الآن نواصل القسوة والظلم اللذين بدءا في عصور الوثنيين والهمج، بينما نعيش الآن في ضوء المسيحية، وبالتالي لن يكون الظلم والوحشية بنفس القدر. لم أعبر بدقة عما أريده، ولكن لا بأس به.

٣- أنظر إلى الخطوط المرئية أمامي وألائمها مع الشكل الذي في مخيلتي. أرى لونًا أبيض في الأفق، فأجد نفسي تلقائيًا أكسبه شكل كنيسة. أليس ذلك هو ما يحدث مع كل ما نراه في العالم، من حيث إنه يكتسب الشكل الذي يعيش داخل تصوراتنا فعلًا بعد أن انتزعناه من العالم المادي؟

الطقس فاتن. خريف حار عذب. أنا هادئ وعلى ما يرام.

٩ مايو.

في تلك الفترة زارني ماشا وفيرا. أسافر كل يوم إلى مكان ما لأؤسس طاولة طعام جديدة للفقراء. لا أكتب شيئًا، وأشعر بالضعف. بالأمس كنت كسولًا. ذهبت إلى قرية بوبريك، واليوم ذهبت إلى نيكولسكوي. ذهبت إلى جوبارينكا، وفي طريق عودتي عبر الغابات قلت في نفسي: كل شيء حولي رائع كما يجب أن يكون. بعد أن دوّنت أفكارى تذكرت فكرتين أخريين مهمتين:

١- لا أستطيع أن أتخيل أن ذلك هو ما كان يعذبني سابقًا؛ دمار نفسي.

٢- بدأت هذه الحياة تجذبني، لكن الرحلة ذاتها مريعة. لو تمكنت فقط من الارتحال بأمان، سيكون كل شيء حينها على ما يرام.

٣- فكرت اليوم في أن هدف الإيمان هو واحد؛ إنه الله. عليّ أن أكتب المزيد عن ذلك لأوضح الفكرة. أنا اليوم في حالة معنوية منخفضة جدًا.

١١ مايو.

بالأمس كتبت قليلًا في البيان. ثم ذهبت إلى قرية ميخايلين برود. حلمت بسترخوف يقول لي إن عليّ أن أكتب بوضوح عن الله للإنسان البسيط: "اكتب ياليف نيكولايفيتش". آلمتني اليوم معدتي بعض الشيء. لم أتناول الغداء، وكتبت كثيرًا في البيان. يبدو أنه يتطور. لم أشعر منذ وقت طويل بحيوية في أفكاري كما هو الأمر الآن. جعلتني تماريني الرياضية أقتنع للمرة الأولى أنني عجوز وضعيف وأن عليّ التوقف تمامًا عن التمارين البدنية. بدا لي ذلك أمرًا لطيفًا. نسيت قاعدتي السلوكية الخاصة بالأنا أنظر شيئًا من الآخرين، وأفعل ما لا بد لي من فعله أمام وجه الله، وبالتالي سمحت لشعور سيئ أن يراودني تجاه صوفيا، لكنني تذكرت القاعدة بعد ذلك وسلكت بطيبة وأصبحت على ما يرام^(١٧٦).

(١٧٦) بناء على يوميات صوفيا، يبدو أنها كانت في هذه الفترة شغوفة للغاية بالموسيقى تانيف؛ الأمر الذي أزعج تولستوي كثيرًا وأجج فيه الغيرة كما ذكرنا في مواضع سابقة.

١- ثمة هدف واحد للإيمان؛ ألا وهو الله، فهو مَنْ أرسلني، والذي يشكل كل ما أعرفه جزءاً منه فحسب. هذا إيمان ضروري وكافٍ. لو توفر هذا الإيمان لن يكون هناك مكان لغيره. كل ما عداه يمكننا أن نسميه: «ثقة» لا «إيمان». لا يمكن أن نؤمن إلا بما لا شك في وجوده لكننا لا نستطيع إحاطته بالعقل.

٢- بالأمس فكّرت في أن أطر التفكير ليست سبعة ولا أربعة: السببية - المادة - الفضاء - الزمان، بل ثمة إطار واحد؛ ألا وهو الحركة التي تتضمن بداخلها كل شيء آخر. تُشكل الحركة تغيير المكان، ومن ثم أصبحت هي الفضاء، ويمكن أن يتم تغيير المكان على نحو أسرع أو أبطأ. فيما يتعلق بالزمان: الحركة السالفة هي ما تنتجه. السبب: بمثابة لاحق أو نتيجة لما سبق، أما المادة فهي ما تتحرك.

الحركة هي كل شيء. حتى الإنسان نفسه يتحرك دون توقف، لذا ينجلي له كل شيء بالحركة وحدها.

٣- أسوأ عواقب الفعل الشرير هي أن الإنسان عندما يرتكبه، يُحرّر نفسه من متطلبات ضميره. نأكل الحيوانات، فلماذا لا نصطادها؟ نقبل الحرب فلماذا نسالم ذويها؟... إلخ.

١٥ مايو- صباحاً.

ذهبت أول أمس إلى قرية مانستيفو وكوكوفكا، وذهبت بالأمس إلى باستيفو. كتبت في (الحاج مراد) دون رغبة، وعدت مجدداً للتمرين البدني. غباء! كتبت خطاباً سيئاً لبوشا. كل شيء من حولي هنا يبدو لطيفاً. أعدت الآن قراءة هذه اليوميات ولم أشعر بالرضى إطلاقاً. ليتني

أتذكر دومًا وضعي الانتقالي هنا كخادم لله! لم أدوّن شيئًا. لولا ألم فقراتي، لقلت إن حالتي الصحية جيدة. بدأت في كتابة خطابات لكنني لم أستمِر. عليّ أن أنتظر بهدوء وأعيش أمام وجه الله.

١٩ مايو.

جاءت صوفيا. وصلت في يوم ١٧ ورحلت اليوم. حاولت في هذين اليومين أن أكتب، ولكن بلا جدوى. أشعر بضعف شديد وألم في عمودي الفقري.

٢٠ مايو- مساءً.

كتبت كثيرًا في الصباح في البيان. في المساء كتبت ١٣ خطابًا. لم أخرج إلى أي مكان. تحسنت حالة ظهري. أهم شيء هو أن عقلي يعمل، وهذا يسعدني. وصلني ٥٠٠ روبل ثم ١٠٠٠ روبل. لا أستطيع أن أكتب أكثر من ذلك مع أن ثمة الكثير مما لم أدوّنهُ بعد.

٢٧ مايو- صباحًا.

في هذه الفترة كتبت في البيان، وكتبت مقالة عن وضع الشعب^(١٧٧). أكتب الآن بهدف تدوين الكثير مما يجب تدوينه. كل ما قيل في إصحاح ١٣ من رسالة بولس إلى أهل كورنثوس عن المحبة لا بد أن يُقال وأكثر عن إنكار الذات. لا يمكنك أن تصنع الحب في نفسك، لكن يمكنك أن تنكر نفسك. يلزمك فقط أن تنكر نفسك، وحينها سيظهر الحب. أفكر في ذلك لأنني تذكرت صباح اليوم كل المشاكل التي يمكن أن تظهر

(١٧٧) هل ثمة مجاعة أم لا؟

بسبب توزيع التبرعات، وكل ما يجب القيام به من أجل الدوخوبوريين في كتاباتي، وكل ما لم أفعله، وكل ضعفاتي وأخطائي وما يحرمني من بهجتي، وكل ما سار على عكس ما أردت مثل حياة أبنائي وعدم اتساقهم، وقلت في نفسي إن كل ما يلزمي هو أن أنكر ذاتي ومتطلباتي، وسرعان ما سيزول في لحظة واحدة كل ما هو خاطئ، وسيزول كذلك الماضي والمستقبل، ولن يبقى سوى أمر واحد؛ المطلب الخاص بخدمة الله في الحاضر. كم من المدهش أن يتلاشى الزمان من وعيي بمهمتي!

١٢ يوليو- ياسنايا بوليانا.

ذهبت بصحبة صوفيا إلى آل تسيريكوف وأفريموف وليفيتسكي. كان انطباعي جيداً جداً، وأحببت الكثيرين منهم، لكنني مرضت ولم أستطع العمل. وصلت صوفيا شاعرة بالمرض، تملؤها المخاوف مني بفضاعة. إنه يومي الرابع منذ أن وصلت إلى ياسنايا. عملت على نحو جيد بالمراجعة والتصحيح. كتبت خطابات كثيرة. وصلني ما يقرب من ٤٠٠٠ روبل لا يمكنني استخدامها في هذا العام. ماشا هنا بصحبة زوجها وكذلك إيليوشا. أنجبت دورا (زوجة ليوفا ابن تولستوي)، أما تانيا فتستعد للزواج^(١٧٨). أشعر بالأسف من أجلها، ولكن ربما هذا ضروري من أجل روحها. وجدني اليوم على حين فجأة أنني «الأب سرجيه». لم تصلني أخبار من إنجلترا. دَوَّنت الكثير من الأفكار:

١- مع أنني دَوَّنت ذلك سابقاً لكنني لا أستطيع ألا أكرره: تعود قوة الحكومة إلى امتلاكها دائرة من السلطة تنمو بشكل ذاتي: التعليم الزائف

(١٧٨) راجع حاشية رقم ٩٣.

ينتج سلطة، والسلطة لا تمنح فرصة الانتشار سوى للتعليم الزائف، وتزِيل من طريقه كل ما يقاومه ليظهر وحده على الساحة.

٢- يعيش الناس بهدوء في نظام لا يقضي بإمكانية انتقال السلطة الفجائي من يد شخص أو مجموعة من الناس لآخرين فحسب، بل يسمح أيضًا لفرد أو مجموعة أن يتسلطوا على نفوس الآخرين. هكذا يمكن تربية الناس وضبطهم على النغمة التي يريدونها فجأة من يمسك زمام السلطة، وقد يكون فاسدًا منحلاً، سواء أكان فردًا أم مجموعة. لو فهم الناس ما يخاطرون به في وضع كهذا لما تمكنوا للحظة واحدة من العيش في مثل هذه الظروف.

٣- حياة العالم واحدة؛ أي أننا لا يمكن أن نطبق عليها فكرة العدد. لا تنشأ التعددية إلا نتيجة أقسام الوعي المختلفة، لكن ما من عدد لوعي العالم، وبالتالي ما من تعددية.

٤- لا تعود أهمية عدم المقاومة لفكرة أنه من المهم أن يسلك الإنسان هكذا حتى يحقق كمال الحب وحسب، لكنها أيضًا تعود إلى أن عدم المقاومة هو الأمر الوحيد الذي يمكنه أن يوقف الشر وبتلعه بداخله ويُحيده، ولا يسمح له بالمضي قدمًا كما يحدث لا محالة حيث تستمر الحركة تلقائيًا إن لم تظهر قوة من شأنها أن تمتص هذه الحركة. لا يتمثل السلوك المسيحي في أن تسلك أو تقوم بشيء مسيحي، لكن في قدرتك على ابتلاع الشر. أريد حقًا أن أكمل كتابة «السند المزيف».

٥- الموت هو انتقال من مرحلة وعي إلى أخرى، من تصور للعالم لآخر، تمامًا كما يبدلون ديكورات المسرح من مشهد لآخر. أثناء انتقالنا

يتضح لنا أن ما نعتبره حقيقة هو مجرد تصور لا أكثر، وبالتالي نتنقل من تصور لآخر. أثناء قيامنا بهذا الانتقال نرى أو نشعر بالواقع الحقيقي فعلاً، وهذا ما يُكسب لحظة الموت أهميتها الشديدة.

٦- لا وجود للمادة في الوعي الكلي أو بالنسبة لله. ليس للمادة وجود إلا للكائنات المستقلة عن بعضها. فعل الانقسام هذا هو ما نسميه «المادة» بكل أشكالها اللانهائية.

٧- يستحيل أن تذكر كفاية أن حياة كافة الكائنات المختلفة هي حركة لا تنتهي. تنبع كافة بلايانا تقريباً من أننا لا ندرك ذلك أو ننساه.

٨- نحن جميعاً نهبط منحدرًا، ونقترب رويدًا رويدًا من الاستواء على السطح. كل محاولة للبقاء في مكاننا لن تؤدي بنا إلا إلى السقوط ومزيد من التأخر.

٩- لقد أرسلنا لنمر بهذا الطريق المنحدر، وثمة نور يخترقه، وهو النور الذي عهد به إلينا. كل ما يمكننا عمله هو أن نساعد بعضنا كي نجلب النور على هذا الطريق، بينما نحن نقوم بالعكس؛ نوخر بعضنا ونتصادم ونطفئ أنوارنا وأنوار غيرنا. لا، لم أعبر عن الفكرة بشكل جيد.

١١- عندما يتشاءب الناس أمامي أعرف أن عدواهم قد تنتقل إليّ، لذا أقول لنفسني: لا أريد أن أتشاءب ولن أفعل. تعلمت فعل ذلك عندما يتعلق الأمر بالتأوب، لكنني لم أتعلم فعله بعد عندما يتعلق بالضغينة.

١٢- كم هو أمر غريب ومزعج لي أن أرى أبنائي ملاكًا للأراضي،

يجبرون الآخرين على العمل من أجلهم. أشعر بتأنيب ضمير رهيب. هذه ليست فكرة، بل شعور شديد القوة. هل أذنبت بعدم منحي الفلاحين هذه الأرض؟ لا أعرف.

١٣ - لقد استخدم ليسكوف فكرتي على نحو سيئ^(١٧٩). فكرتي الساحرة كانت عن ثلاثة أسئلة: ما أهم الأوقات؟ من هو أهم الناس؟ ما هو أهم عمل؟

أهم الأوقات هي اللحظة الآنية، وأهم الناس هو الإنسان الذي أتعامل معه الآن. أما العمل الذي من شأنه أن يُخلّص روحي فهو عمل الحب.

١٤ - لا يمكن لشيء أن يُخلّص إنساناً من الوقوع في براثن الخداع الذي سقط فيه بإرادته. يمكن للشعور الديني وحده أن يقاوم هذا الخداع ويهزمه.

١٤ يونيو - مساءً.

استغرقت اليومين الأخيرين في الكتابة في الأب سيرجيه. بدأت تنجلي لي على نحو لا بأس به. كتبت بعض الخطابات. اليوم تم العِماد^(١٨٠). لا أستطيع أن أتعامل طوال الوقت بطيبة مع ليوفا. الأمر صعب، لكنني لن أستسلم لليأس.

(١٧٩) كانت علاقات الكاتب نيكولاي ليسكوف بتولستوي ودية، وثمة مراسلات بينهما تكشف عن ذلك. استخدم ليسكوف فكرة تولستوي في قصة «الفتاة الحكيمة» في كتابة قصته «ساعة الإرادة الإلهية»، لكنها لم تُرَقِّ لتولستوي، وردًا على ذلك كتب قصته «الأسئلة الثلاثة».

(١٨٠) عماد حفيد تولستوي من ابن ليوفا.

مرضت بشدة في يوم ١٦. لم أشعر أبدًا بهذا الضعف إلى حد الاقتراب من الموت. أشعر بالخزي من كوني مُحاطًا بهذه الرعاية الفائقة. لم أستطع أن أفعل شيئًا سوى القراءة وكتابة بعض الخطابات. حالتي اليوم أفضل كثيرًا. رفض أختومسكي نشر المقالة^(١٨١). أرسلت برقية لمينشيكوف ليحاول نشرها في جريدة «أنباء أوروبا» أو في «العمل الروسي». أخشى أن يضايقه. لقد طردوا الشباب بعد أن منعهم من توزيع الدقيق الذي جلبوه^(١٨٢). تحدث ليوبا عن قصته^(١٨٣). حدثته بطريقة مؤلمة قائلاً إن ما فعله لم يكن فعلًا «متحضرًا»، وهو تعبيره المفضل، بالإضافة إلى حقيقة أنه عمل غبي يفتقر إلى الموهبة. رحل اليوم حماه وحماته، وصحيح أنهما يتحليان بالفضيلة ونقص الثقافة لكنهما طيبا القلب.

وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. وصل ديتريخس وكذلك دوناييف اللطيف، وحكا لي عن تمرد كبير من قبل العمال. سأواصل الكتابة فيما بعد.

(١٨١) محرر جريدة أنباء بطرسبرج، وقد رفض نشر مقالة (هل ثمة مجاعة أم لا؟) قائلاً إنها تهدد بغلق جريدته.

(١٨٢) ستة طلبة اشتروا طحينًا بما جمعه من مئات الروبلات من أجل توزيعه على ضحايا المجاعة من الفلاحين، ومنعتهم السلطات من فعل ذلك.

(١٨٣) قصة ألفها ليوبا ابنه بعنوان (افتتاة شويين)، تعارض بشدة ما طرحه تولستوي من آراء عن الجنس في سوناتا كرويتزر.

٢٨ يونيو - مساءً.

تعافيت لتوي. الآن أشعر بمتعة التعافي. أشعر بالطبيعة على نحو شديد القوة وتبدو لي أفكارى شديدة الوضوح. كتبت قليلاً في البيان. اليوم عاودت العمل على الأب سرجيه، ومضى العمل على نحو جيد في العاملين على السواء. كتبت خطابات كثيرة. وصلنتي بالأمس خطابات مزعجة، سواء خطاب مونيت (محررة جريدة إيطالية) أو بالأخص خطاب جاليا الذي أخبرني فيه أنهم تشاجروا مجدداً^(١٨٤). بوشا سوف يذهب إلى سويسرا، أما بولانجي فإلى بولغاريا. بالأمس ذهبت تانيا إلى ماشا، وجاء إيليا. اليوم وصل ميشا وساشا. ميشا فقير الروح جداً. مضت الأمور بصعوبة شديدة مع ليوفا، ومن الواضح أن الذنب ذنبى. فهمت وشعرت بذلك على نحو خاص بعدما وصلنتي أخبار المشاجرات في إنجلترا. لم يُعهد إلينا سوى بمهمة واحدة حقيقية؛ أن نعيش بمحبة مع أشقائنا ومع الجميع، وهذا يتطلب منا إنكار ذواتنا. كتبت عن ذلك للأصدقاء، وسأحاول القيام بذلك بنفسى.

قرأت الآن هنا في يومياتي أن كل أمر مزعج يتلاشى عندما تُنحى عنك وهم الحياة الشخصية وتعترف بدعوتك إلى خدمة الله، وأن من الأفضل لك أن تختبر صنوف المعاناة الجسدية. ولكن هل يمكنك فعلاً تحمل صنوف المعاناة الجسدية؟ كانت هذه فرصتي لاختبار الأمر، لكنني نسيت ولم أستطع التحمل. يا للأسف! سأنتظر المرة القادمة.

(١٨٤) مشاجرة بين تشيرتكوف وبيريوكوف وبولانجي بشأن الجريدة الروسية التي انتووا نشرها في روسيا.

دَوَّنت الآتي:

١- بشكل عام يقدم بول أدام وصفًا قاسيًا لشخصية الفلاح والعامل^(١٨٥): يصفه بالفظاظة والأنانية والتعصب والعبودية. كل ذلك يمكن أن يكون صحيحًا، لكن الأمر الوحيد المهم هنا هو أن بإمكانه أن يعيش دون حاجة إلينا، لكننا لا نستطيع أن نعيش من دونه. بالتالي ليس من حقنا أن ندينه. (ثمة أمر ما غير صحيح).

٢- يزعجني على نحو خاص أولئك الذين عاشوا وفكروا قليلًا ولا يصدقونني أو يفهمونني ويجادلونني في المسائل الأخلاقية. تمامًا كما يحدث مع الجراح البيطري عندما يجادله أناس لا يفهمون شيئًا في تخصصه. الفارق الوحيد هو أن فن الجراحة البيطرية أو الطهي أو صنع السماور أو أي فرع آخر من الفنون أو العلوم لا يعمل به إلا من درسوا هذا المجال، أما في مجال الأخلاق، يعتبر الجميع أنفسهم مؤهلين له، لأن كل إنسان في حاجة لتبرير نمط حياته، ولا يمكن للحياة أن تُبرَّر إلا بالنظريات الأخلاقية، وبالتالي يدبر كل إنسان نظرية تصلح له.

٣- فكَّرت كثيرًا في العشق؛ عشق مثالي صالح لا يتضمن أي طابع حسي، ولم أجد له موضعًا أو معنى إلا في النضال بين شهوات الجسد والعفة. لا بد من العشق لأولئك الشباب غير القادرين على البقاء في البتولية، ولا بد أن يسبق الزواج ويُخلَّص الشباب في أخطر سني حياتهم، في الفترة العمرية التي تتراوح بين ١٦ - ٢٠ عامًا، من صراعهم المرير. هذا هو مكان العشق. أما عندما يتفجر في حياة الناس بعد الزواج، يكون

(١٨٥) كان تولستوي يقرأ رواية الكاتب الفرنسي بول آدم Le Cuivre.

غير مناسب ومُنْفَر.

٤- كثيرًا ما يسألني الآخرون النصح فيما يتعلق بمسألة ملكية الأرض. أجيهم وفقاً لعادتي القديمة قائلاً إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة بشكل سليم غير ممكنة، تمامًا كما لا يمكن تقديم إجابة سليمة على سؤال يتعلق بكيفية الاستفادة من الملكية أو العمل القائمين على ضرائب الأبقان.

٥- أولئك الذين لديهم منظور ديني وأخلاقي متدنٍ للعالم، لا يفهمون، ولا يمكنهم أن يفهموا الناس الذين في مستوى سام. لإتمام الوحدة بين الفريقين، أُعطى أولئك الذين في مستوى متدنٍ أن يشعروا بالاحترام والتقدير صوب الفئة الأخرى. إن لم يتوفر مثل هذا الاحترام والتقدير يسوء الوضع بشدة. يقل هذا الاحترام بشدة في مجتمعنا الذي يزعم أنه مجتمع مثقفين.

٣٠ يونيو.

حالي الصحية سيئة طوال الوقت، وأشعر بالضعف الشديد، لكن يبدو أنني بدأت في التعافي. حالي المعنوية جيدة. أول أمس وصلني خطاب بشأن النزاع في إنجلترا. كتبت لهم. أمر محزن بشدة وشديد الدلالة. وصلني بالأمس خطاب من خيلكوف عن الدوخوبوريين. كتبت خطابًا لكروسبي وويلادر وخيلكوف. موضوع الدوخوبوريين مهم وضخم، ومن الواضح أن شيئًا ما سينتج عنه لن نرضى عنه كعمل إلهي. وصلت أنينكوف اليوم. أرسل مينشيكوف برقية يفيدني فيها بأن جايديوروف وافق على نشر مقالي. في الأيام الأخيرة انشغلت بالكتابة

في (الأب سرجيه)، لكنني لست راضيًا عما كتبته.

سأواصل تدوين أفكارِي:

٦- لا ينصب اهتمام الحكومة بأكمله على تنظيم حياة المحكومين على نحو أفضل، بل لإثبات أن ما يقوله الناس عن أن الحكومة شريرة أمر غير صحيح. بالتالي تعمل الحكومة بكل ما لديها من قوة لا من أجل الشعب، بل لإثبات خطأ مُتَّهَميها.

٧- الإنسان كائن مستقل عن الجميع، وهو يعي حدود كيانه. من ضمن الحدود المشتركة التي تفصله عن بقية الكائنات هي حدوده المشتركة مع كيان لا يمكن الإحاطة به؛ ألا وهي الأرض. الموت بمثابة إزالة لكل هذه الحدود المشتركة المختلفة مع الكائنات الأخرى، ودائمًا ما يكون الأمر كذلك مع حدوده مع الأرض، أي أنه يتحد مع الأرض. كل مرض أو جرح أو تقدم في الشيخوخة هو بمثابة تدمير لهذه الحدود.

٨- قلنا إن أهم عمل في الحياة هو أن نحب، ولكن من المستحيل أن نحب عن عمد أناسًا غير جديرين بهذا الحب. يمكننا على الأقل ألا نكرههم، ونعاملهم بالحسنى في كل دقيقة.

٩- قال الكاهن للقاتل: «لا تحزن». هل تعتقد أن الله لا يغفر لخطاةٍ مثلك؟ لا تخجل، بل صَلِّ. وانخرط القاتل في البكاء.

١٠- في السابق بدا خير الشعب الأمريكي عظيمًا ثابتًا، ولكن تبين أنه مقلقل، مثل كل خير لا يتأسس على قانون المسيح. أشير هنا إلى

الحرب الإسبانية الأمريكية^(١٨٦) والشوفينية.

١١ - كثيرًا ما صليت من دون إيمان أو اختبار ليرتّب الله حياتي كما أريد. اليوم صليت صلاتي الصباحية ببساطة وانتباه شديد. بعد هذه الصلاة تذكرت رغبتني وأردت أن أضيف إلى صلاتي هذه الرغبة، وحاولت التوجه إلى الله بذلك، وحينها شعرت تمامًا بخطئي؛ لأن من الأفضل تمامًا أن تسير الأمور لا بحسب إرادتي بل بحسب إرادته. حينها قلت لنفسي بسرور دون أدنى جهد: فلتكن إرادتك لا إرادتي.

١٢ - الحياة الروحية هي أن ترى الرابطة بين الأسباب والنتائج في نطاق عالم الروح، وأن تسترشد بها. لا يرى الماديون هذه الرابطة، وبالتالي لا يسترشدون بها في سلوكياتهم، بل يسترشدون بالسببية المادية، وهي شديدة التعقيد إلى حد أننا لن نفهمها تمامًا أبدًا؛ لأن كل نتيجة هي نتيجة لنتيجة أخرى. أما السبب الرئيس لكل شيء فهو روحي. عبّرت عن الفكرة بشكل غير واضح، لكنها فكرة مهمة.

١٣ - تحدث عن ذلك أبكتيتوس عندما وبّخ الناس على إبدائهم انتباهًا شديدًا لظواهر العالم المادي الخارجة عن سلطاننا، ولا يبدون نفس الاهتمام لظواهر عالمهم الداخلي، رغم أنه تحت سلطانهم.

١٤ - يبدو للكثيرين أننا إن استثنينا الشخصية من الحياة وحبنا لها، لن يتبقى لنا شيء. يبدو لهم إن ما من حياة دون شخصية. لكن هذا ما يبدو لأولئك من لم يختبروا إنكار الذات. أنكر الحياة الشخصية واهجرها

(١٨٦) في عام ١٨٩٨ انخرطت أمريكا في حرب مع إسبانيا لتواصل مسيرتها الاستعمارية في أميركا اللاتينية والفلبين، حيث استولت على الفلبين وبورتوريكو وكذلك كوبا.

وسيتبقى لك ما يُشكّل جوهر حياتك.

١٥ - للبيان: يربط الناس أنفسهم بمثابرة حتى يصبح من الممكن لإنسان واحد أن يُحرّكهم جميعًا، ثم يُقدّم هذا الحبل الذي ربط الحشود جميعًا لشخص ما. ثم يتعجبون بعد ذلك من أنه إنسان شرير! خداع مدهش! يلم الناس شملهم ويتحدون لمواجهة خطر مشترك. لا تبقى أمامهم مخاطر حقيقية ويواصلون الارتباط ببعضهم ويصبحون دُمية في يد من يتسلط عليهم.

٦ يوليو.

صحتي بخير تمامًا. ودّعت دونايف وأنيكوف، فقد كانا هنا. أعيش على نحو سيئ جدًا. لا أستطيع التصالح مع إرادة الله. فكّرت اليوم في الآتي: لحياة المسيح أهمية خاصة كنموذج لا يمكن للإنسان فيه رؤية ثمار عمله. كلما قلّت رؤيته لثمار عمله ازداد شأن العمل. استطاع موسى دخول الأرض الموعودة مع شعبه^(١٨٧)، لكن المسيح لم يستطع أبدًا أن يرى ثمار تعاليمه، ولم يكن باستطاعته حتى إن عاش إلى يومنا هذا. هذا ما نحتاج إلى تعلمه، لكننا نقوم بعمل الله ونريد أن ننال مديح الناس.

١٧ يوليو.

لم يحدث شيء ذو أهمية خاصة في الأحد عشر يومًا الأخيرة. قررت أن أجعل العائد من نشر روايتي (البعث) - (الأب سيرجيه) لصالح

(١٨٧) حسب القصة التوراتية لم يدخل موسى الأرض الموعودة بل نظرها فقط من بعيد.

الدوخوبوربيين. رحلت صوفيا إلى كييف^(١٨٨). ثمة حرب داخلية تستعر في داخلي. إيماني ضعيف بالله. أنا غير قادر على الابتهاج باختباره لي، وأشعر بالضيق من الاختبار، معترفًا مُقَدِّمًا أنني لن أتحمله. لم أُنم طوال الليل. استيقظت مبكرًا وصليت طويلاً. وصل اليوم آل ديتريخس وآل جوربونوف. شعرت بالسرور في حضورهما. عكفت على العمل على «البعث»، ومضى الأمر على نحو جيد في البداية، ولكن منذ أن اكتتفني القلق لم أستطع العمل ليومين كاملين. تنزهت نزهة جيدة. كتبت خطابًا لإيرنيفيلت^(١٨٩). هذا أمر مهم جدًّا، ولكن تنقصني القوة لمقاومة الإغواء المعتاد. تعال وحلِّ فينا وابعث قوتك فينا.

دَوَّنت الكثير، وسأحاول بقدر الإمكان نقل أفكارني هنا:

١ - تُفضي بنا الأفكار إلى الأحلام، والأحلام إلى الشهوات، والشهوات إلى شياطيننا. (من الفيلوكاليا)^(١٩٠).

٢ - اللذة الجمالية التي ننالها من الطبيعة تناسب الجميع. يستوعبها كل إنسان بطريقة مختلفة، لكنها تؤثر على الجميع في كل الأحوال. هكذا يجب أن يكون تأثير الفن.

٣ - كم من الصعب أن يعيش المرء حقًّا من أجل الله وحده! تظن

(١٨٨) السفر بهدف زيارة شقيقتها.

(١٨٩) أرفيلد إيرنيفيلت: كاتب فنلندي متحمس لآراء تولستوي. أعرب تولستوي في الخطاب عن رغبته في السفر إلى فنلندا.

(١٩٠) مجموعة من النصوص التي كتبها المعلمون الروحيون بين القرنين الرابع والخامس عشر، وهي من التقاليد الصوفية للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. كانت مكتوبة في الأصل لتوجيه وتعليم الرهبان في "ممارسة الحياة التأملية".

أنك تعيش من أجل الله، ولكن ما إن تسوء الأوضاع حتى ينهار السند المادي الذي كنت تستند إليه، وسرعان ما ستشعر أنك لن تجد القوة في الله وتنهار.

٤- «أن تعيش كلية من أجل أهداف مادية» يا لها من ضلالة واضحة! عندما لا يكون الهدف أنانيًا ضيق الأفق في الحياة، لا يمكن بلوغه سريعًا. لم يدخل موسى أرض الموعد ولم يأس المسيح من رسالته.

٥- لا عزاء لمن يعيش من أجل أهداف دنيوية وسط الناس، أو لمن يعيش من أجل أهداف روحية بمفرده. لا يجد العزاء إلا ذاك الذي يعيش من أجل خدمة الله بين الناس.

٢٠ يوليو.

وصلني خطاب من صوفيا. لا أزال غير قادر على النوم، ولكن كما هو الحال دائمًا تفيد المعاناة روحي. بالأمس كنت في أوفسيانينكوف وتحدثت مع إيفان إيفانوفيتش. كتبت بالأمس في (البعث) على نحو جيد. نحن الآن في الصباح. لن أنقل ما دوّنته من أفكار في دفثري، لكنني سأكتب الآن ما فكرت فيه ومنع عني النوم: إنه أمر قديم، نسيته من قبل رغم أهميته، ويجب أن أقوله لتانيا التي كنت أحدثها بالأمس. الأمر تحديدًا هو:

١- الحياة من أجل الذات عذاب، لذا لا يمكن أن تشعر بالسعادة إن أردت أن تعيش من أجل وهم غير موجود ولا يمكن أن يكون موجودًا من الأساس. الأمر يشبه أن تكسو وتطعم ظلاً. لا حياة إلا خارج الذات في

خدمة الآخرين، لا في خدمة الأقرباء والأحباب، فهذا نوع آخر من خدمة الذات. لكن معنى الحياة في خدمة أولئك الذين لا تحبهم، والأفضل من ذلك خدمة الأعداء. عونك يا سيدي! إنها ضلالة عظيمة أن نخلط الحب الجسدي للأبناء والأصدقاء بحب الناس في الله، أو حب أولئك الذين لا نبالي بهم، أو بالأحرى حب الأعداء؛ أي حب الضالين.

٣ أغسطس - بيروجوفو^(١٩١).

كل شيء على حاله مجددًا. عادت حياتي إلى دناءتها ثانية. لم أحتمل الاختبار. لكنني لن أياس وأود الخضوع للاختبار مرة أخرى. ربما أدبّت الاختبار على نحو سيئ بسبب نيتي في العبور إلى الضفة الأخرى^(١٩٢). عليّ أن أنحّي هذه الأفكار جانبًا حتى أتعلم على نحو أفضل. عادت صوفيا في هذه الفترة، وجاءت العزيزة تانيا كوزمينسكايا. عكفت على العمل على البعث، ومضت الأمور على نحو شديد السوء مع أنني ظننت أنني فكرت في العمل على نحو أفضل. وصلت بيروجوفو أول أمس. سيريوجا لا يبدو بخير كما كان سابقًا، وروحه المعنوية منخفضة. مريومان ولا شيء يتبادر إلى الذهن. في هذه الفترة وصلني ذلك الخبر المقلق عن أوضاع الدوخوبوريين^(١٩٣)، وعن إلقاء م. ن.

(١٩١) ذهب إلى هناك على متن جواده للقاء أخيه.

(١٩٢) يقصد الموت.

(١٩٣) أخبر تشيرتكوف تولستوي أن خيلكوف ذهب إلى قبرص لبحث عن إمكانية إقامة الدوخوبوريين هناك، لكن الأخير أرسل لتشيرتكوف قائلاً إن الأوضاع هناك متقلقة، ونصح بعدم إرسال الدوخوبوريين إلى هناك.

روستوفيتسيفا في السجن^(١٩٤). لم تصلني خطابات من آل تشيرتكوف منذ فترة طويلة. ربما اعترض أحدهم الخطابات. سأواصل تدوين ما لم أنقله هنا من أفكار:

١- يريدون القضاء على سوء استخدام السلطة أينما كانت؛ أي العنف. كأن أحدهم يريد التخلص من الدخان أثناء اشتعال الحريق. لا، ليست مقارنة جيدة. يمكن أن تخفيها عن نفسك، لكنك لا تستطيع القضاء عليها؛ لأن السلطة هي سوء استخدام للقوة في حد ذاتها، أي أنك تثبت هنا صحة قانون داروين من منظور آخر. البقاء للأصلح من بين كل مرتكبي العنف؛ أي أكثرهم صلًا وانعدامًا للضمير. بالتالي حيثما يوجد عنف يوجد دائمًا سوء استخدام له.

٢- لدينا نوعان من النشاط البشري. في الغالب لدينا نوعان أيضًا من الناس يقومان بهما: النوع الأول هم أولئك الذين يستخدمون عقولهم ليدركوا ما هو صالح وما هو شرير، ويسلكون بحسب هذه المعرفة. أما النوع الآخر فهم أولئك الذين يسلكون بحسب ما يحلو لهم، ثم يستخدمون عقولهم بعد ذلك من أجل إثبات صلاح ما فعلوه وطلاح ما لم يفعلوه.

٣- من الواضح تمامًا أن من الأنفع أن نتعاون في كل شيء لكننا لا نزال نفتقد إلى الحجج اللازمة لإثبات ذلك. إن كانت الحجة كافية

(١٩٤) أثناء عودة ماريا نيكولايفنا روستوفيتسيفا من عند آل تشيرتكوف بإنجلترا إلى بطرسبرج قبضوا عليها بعد أن وجدوا بالتفتيش بعض المخطوطات الممنوعة بحوزتها. سرعان ما أطلقوا سراحها.

لا تضح ذلك منذ زمن بعيد. إن حقيقة أن الرأسماليين^(١٩٥) يدركون ذلك لا يمكنها إقناع الناس بالعيش معًا. بالإضافة إلى القول بأن هذا مفيد، لا بد وأن يكون القلب مهينًا لهذه الطريقة من العيش؛ أي يجب أن تتسق رؤية العالم مع ما يشير إليه العقل، وهذا غير متوفر ولن يحدث أبدًا ما دامت رغبات القلب لم تتغير؛ أي رؤية الناس للعالم.

٤- حتى إن حدث ما تنبأ به ماركس، فلن يعني ذلك سوى تغير وجه الاستبداد. استبد بنا الرأسماليون في البداية، والآن سيستبد بنا العمّال.

٥- يتلخص خطأ الماركسيين، وهذا ليس خطأهم وحدهم، بل خطأ كافة المدارس المادية، في عدم قدرتهم على رؤية أن دافع الحياة البشرية يعود إلى نمو الوعي وتطوير الدين بهدف الوصول إلى فهم أكثر وضوحًا للحياة لإمدادنا بإجابات شافية لمسائلها المختلفة، لا لإمدادنا بالعوامل الاقتصادية الرئيسة.

٦- يتلخص الخطأ الرئيس في نظرية ماركس في افتراض أن رأس المال سوف ينتقل من يد أفراد مستقلين إلى يد الحكومة، ومن يد الحكومة التي تُمثّل الناس إلى يد العمّال. إن الحكومة لا تُمثّل الناس، بل هي مجرد مجموعة من الأفراد يتمتعون بالسلطة، وهم لا يختلفون كثيرًا عن الرأسماليين. بالتالي لن تنقل الحكومة أبدًا رأس المال إلى يد العمّال. إن

(١٩٥) أشار إريش فروم في كتبه إلى الفارق بين رأسمالية القرن التاسع عشر ورأسمالية القرن العشرين. تنحو الرأسمالية الآن إلى عكس ما كانت تنحو إليه، ويشير إليه تولستوي حيث إنها تثبط من كل دعوة لعيش الناس معًا، وتشجع أكثر الخصومية المفتعلة في الوقت الذي تعمل فيه على تدجين الجموع بالدعايا.

فكرة تمثيل الحكومة للناس هي محض خيال وخداع. لو توفر نظام يمكن فيه للحكومة أن تمثل إرادة الناس فعلاً، لن تكون مثل هذه الحكومة في حاجة للقوة، ولن تكون هناك أدنى حاجة للحكومة نفسها، بمعنى السلطة.

٧- لا شيء يُرَقِّق القلب مثل إدراكه لذنبه، ولا شيء يُحَجِّرُه مثل إدراكه لبره.

٨- القبض على العمال والاستيلاء على الأراضي وفرض الضرائب وفرض الخدمة العسكرية... يبدو كأن ما من خلاص! الخلاص الوحيد في الاعتراف بالحقيقة والتبشير بها.

٩- يثبتون قانون حفظ الطاقة، لكن الطاقة ليست إلا مفهوماً مجرداً، تماماً كما هو الأمر مع مفهوم المادة. تتشابه المفاهيم التجريدية دائماً. الأمر يماثل أن نخطر في إثبات أن قانون الجاذبية موجود دائماً في كل شيء بالرغم من انحرافاته الواضحة.

تعبير غير واضح عن الفكرة، وربما خاطئ.

١٠- يتضمن الإيمان بالمعجزة في أساسه وعياً بأن عالمنا نتاج لحواسنا. الخطأ الوحيد هو افتراض أن المعجزة أي ما يناقض قانون العقل المرتبط بحواسنا، يمكن أن تحدث لنا من قبل أدوات وعينا؛ أي حواسنا. ما يناقض قوانيننا العقلية المرتبطة بحواسنا يمكن أن يحدث لكائنات أخرى تتمتع بحواس مختلفة كأدوات لوعياها. إن حواسنا هي مجرد حالة واحدة من بين عدد لا نهائي من الحالات الأخرى المحتملة.

١١- إنها ضلالة كبرى أن نعتقد أن عقل الإنسان كامل ويمكنه أن

يستوعب كل شيء. تظهر محدودية العقل بأقصى وضوح ممكن في عدم قدرة الإنسان على حل مسائل لا حصر لها، خاصة عندما لا يدرك أنه لا يستطيع ذلك. خلف كل زمان ثمة زمان آخر، وخلف كل مكان ثمة مكان آخر، وخلف كل عدد ثمة عدد أكبر، وهكذا لا يمكن إدراك كل شيء حتى وإن كان في نطاق الزمان والمكان.

١٢ - إن عقل الإنسان شديد الضعف والضعف، وفي الآن ذاته أقوى بنسبة لا يمكن حسابها من عقل برغوث البحر مثلاً أو الأميبا. مقارنة عقل الإنسان بالعقل الأسمى، أو حتى بعقل أسمى منه تماثل محاولة فهم مسألة رياضية معقدة، أو محاولة فهم الجبر من إنسان يجهل الرياضيات، لذا تبدو له المسألة غير قابلة للحل، كما تبدو لنا بالضبط مسألة لا نهائية الزمان والمكان. لكن هذه المسألة الرياضية تبدو بسيطة وواضحة لمن يجيد الرياضيات. يتلخص الفارق الوحيد في أن الرياضيات يمكن تعلمها، أما حل مسألة لا نهائية الزمان والمكان لا يمكن تعلمها أبداً. هذه حدود إمكانيات وعينا العقلي.

١٣ - أصليّ لله ليُخلّصني من هذه المعاناة التي تُعذّبني. لكن الله هو مَنْ أرسل لي هذه المعاناة كي يُخلّصني من الشر. يضرب السيد ماشيته بالسوط حتى يبعدها عن مكان الحريق وينقذها، بينما كل ما ترغب فيه الماشية هي أن تتخلص من هذا السوط.

١٤ - عادة ما يبدي الآخرون سوء فهم لما أقوله، أحياناً يكون متعمداً وأحياناً لا يكون كذلك. أمثلة:

أ - عندما لا أقر أن الله خلق العالم في ستة أيام وأن ابنه الذي أرسله

هو الله ذاته، وأقول إن الله هو خير غير مُدْرَك وهو أصل كل شيء، يقولون إنني أنكر الله.

ب - أقول: لا حاجة لنا لمواجهة العنف بالعنف، فيدعون أنني أقول إن لا حاجة لنا لمقاومة الشر.

ج - أقول إن علينا أن نسعى صوب العفة، وإن أفضل درجات هذا الطريق هي البتولية، ومن بعدها الزواج الطاهر، والدرجة التي تليه هو الزواج غير الطاهر، أي الزواج المتعدد لكنه زواج على أي حال، بينما يدعون أنني أنكر الزواج وأدعو إلى وقف الجنس البشري.

د - أقول إن الفن نشاط مُعَدٍّ، وكلما زادت عدواه صار أفضل. أما مسألة جودة أو سوء هذا الفن، بمعزل عن مدى تلبيةه لمتطلبات الفن؛ أي مدى قدرته على نقل عدواه للآخرين؛ فتعتمد على مدى وفائه بمتطلبات الوعي الديني أي الأخلاق والضمير. لكنهم يدعون أنني أدعو إلى الفن المؤدلج.

١٥ - المرأة أداة الشيطان بحسب الأساطير. إنها بشكل عام غبية، لكن الشيطان يدعمها بعقله عندما تعمل من أجله. يا للعجائب العقلية التي تقوم بها ويا لقوة بصيرتها وكدها من أجل القيام بدناءات، لكن ما إن لا يتطلب منها الأمر القيام بأي فعل دنيء، لا يكون بإمكانها أن تفهم حتى أبسط الأشياء، ولا يمكن لتفكيرها أن يتجاوز اللحظة الآنية، ولا تتمتع بأي قدر من الصبر أو الاحتمال؛ إلا عندما يتعلق الأمر بإنجاب الأطفال والعناية بهم.

١٦ - ينطبق كل ما سبق على كل امرأة فاسقة غير عفيفة، مثل كل

نساء عالمنا المسيحي. آه! كم أردت أن أكشف للمرأة معنى أن تكون عفيفة! إن المرأة العفيفة سوف تنقذ العالم، لذا لم تُخلق أسطورة مريم العذراء عبثاً.

١٧ - الناس جميعاً مشغولون بثلاثة أمور:

أ - الغذاء؛ أي تدعيم وجودهم.

ب - التكاثر؛ أي دعم استمرار الجنس البشري.

ج - تنفيذ ما أرسل الناس من أجله إلى هذا العالم؛ أي تأسيس ملكوت الله، والتي يتطلب تأسيسها السعي صوب كمال الذات.

أغلب الناس تقريباً منشغلون بالأمرين الأولين، وغالباً ما ينسون الأخير، رغم أنه يُعتبر في واقع الأمر هو الوحيد الحقيقي.

١٨ - يتمثل انحدار الوعي الإنساني الأخلاقي في حقيقة أن جزءاً من الناس يجدون أنفسهم في ذلك الوضع الذي يقتصر فيه اهتمامهم في الحياة على الطعام والتكاثر. هذا يماثل أن يرعى أحدهم ماشيته ويحرص على أن يطعمها حتى لا تموت جوعاً وتكاثر، دون أن يصيب منها أي دخل سواء عن طريق حليبها أو صوفها أو أي عمل تؤديه من أجله.

يطلب منا سيدنا الذي أرسلنا إلى هذا العالم عملاً آخر لازماً له، بالإضافة إلى وجودنا والحفاظ على استمراريته.

١٩ - لرواية (البعث): كان من المستحيل عليه أن يفكر في خطيئته ويتذكرها وفي الآن ذاته يشعر بالرضى. كان في حاجة للشعور بالرضى

عن نفسه حتى يعيش، وبالتالي لم يفكر في الأمر ونسأه برمته^(١٩٦).

٢٠- من المستحيل أن نطلب من المرأة أن تُقدّر قدرتها الاستثنائية على الحب على أساس أخلاقي. لا يمكنها أن تفعل ذلك؛ فليس لديها شعور أخلاقي يسمو فوق كل شيء.
أفكر اليوم في العودة إلى المنزل.

٤ أغسطس - ياسنيا بوليانا.

لسبب ما أذكر يوم ٤ أغسطس وكأن شيئاً مهماً حدث فيه، لكن لم يحدث فيه شيء مهم.

٢٤ أغسطس.

لم تصلني في هذه الفترة خطابات من تشيرتكوف؛ الأمر الذي حيرني بشدة. أعتقد أن الدوخوبوريين جاؤوا في هذه الفترة^(١٩٧).
وصلتني خطابات من خيلكوف وإيفان ميخايلوفيتش. أجبت على كافة الخطابات. اليوم وصل سولر^(١٩٨). أعمل طوال الوقت على البعث وأشعر بالرضى جداً. أخشى فقط المصادمات. صوفيا ليست بصحة جيدة، لكن حالتها المعنوية جيدة. أنا بخير. المنزل مليء بالناس: ماشينكا - ستاخوفيتش - فيرا كوزمينسكايا - فيرا تولستايا. هذا ما دَوْنته من أفكار:

(١٩٦) الحديث عن بطل رواية (البعث) نيخليودوف.

(١٩٧) وصله وقد منهم ليخبروه عن حقيقة أوضاعهم.

(١٩٨) لبحث معه سُبل توطين الدوخوبوريين بالخارج.

١- أُرسل البشر إلى هذا العالم ليقوموا بعمل الله، فتعاركوا وتقاتلوا، ووصل الوضع إلى أن بعضهم ليس لديه الوقت لعمل الله؛ لأنه منشغل طوال الوقت في البحث عما يقوته، والبعض الآخر ليس لديه الوقت لعمل الله؛ لأنه منشغل طوال الوقت بحراسة ما استولى عليه من الآخرين. يا لتبديد القوى! يشبه ذلك أن تُرسل عمالاً إلى العمل وتعطيهم طعاماً. استولى بعضهم على الطعام، فتحتم عليهم حراسته، بينما تحتم على الآخرين محاولة استرداده.

٢- يعيش الناس في العالم دون أن يتمموا دعوتهم، كعمال تركوا عملهم وانشغلوا بالبحث عن مسكن وبالطعام والتنزه.

٣- واحد من أهم الأعمال الواجب على الناس القيام بها هي تربية امرأة عفيفة.

٤- كثيرًا ما أفكر في أن العالم ليس له وجود إلا لأني مستقل عن بقية الكائنات. ما إن تنتهي هذه الحالة من الانفصال حتى تُزال هذه الحدود وتظهر حدود أخرى، وأرى العالم على نحو مختلف تمامًا.

٥- أتريد خدمة الإنسانية؟ حسنًا، لقد أردت فعل شيء وحدث شيء آخر. هل أنت راضٍ الآن؟ لا، لستُ راضيًا لأن ما يهمني ليس ما يحدث، بل ما أقوم أنا به؛ أي عملي الشخصي. هذا هو أفضل إثبات على أن ما يهم حقًا ليس العمل ذاته بل الحركة صوب الخير في حد ذاتها. هل أتقدم حقًا؟ ساعدني يا سيدي.

٦- كم من الصعب أن تُرضي الناس! أحدهم يريد شيئًا، وآخر يريد

شيئاً آخر، وذلك يتطلب مني الاهتمام بالماضي والمستقبل. أما الله فواحد، ورغبته تجاهي واحدة. إنه لا يريد سوى حاضري؛ أي ما أفعله الآن. أما ما حدث وما سيحدث فليس من شأني.

٧- يمكن تبرير الأنانية، وكل مظاهر الحياة الأنانية ما دام العقل لم يستيقظ بعد من سباته. فور أن يستيقظ لا يمكن تبريرها إلا بالقدر الذي يحتاج إليه صاحبها لدعم وجوده كأداة لخدمة الناس. إن دور العقل هو خدمة الناس. أما استخدامه من أجل خدمة الذات هو أمر مريع حقاً.

٨- يستسلم المرء لوهم الأنانية ويعيش من أجل ذاته ويعاني. لا يلزمه سوى أن يعيش من أجل الآخرين، وحينها سيراً من معاناته وينال أفضل نِعَمِ العالم: حب الناس.

٩- كما يفظمون أنفسهم عن التدخين والعادات السيئة، يمكن - بل ويجب - أن نفظم النفس عن الأنانية. إن أردت زيادة شعورك بالبهجة وإظهار نفسك واستثارة حب الآخرين لك، توقف! إذا لم يكن هناك ما تفعله من أجل الآخرين، أو إن كنت لا تريد فعل شيء لهم، لا تفعل شيئاً، ولا حتى لنفسك.

١٠- حكى لي ألماني من إقليم بافاريا عن حياتهم. يتباهى بدرجة الحرية الكبيرة التي يتمتعون بها هناك، وفي الوقت نفسه تُفرض عليهم بوقاحة التعاليم الكاثوليكية. هذا من أفظع أنواع الاستبداد، بل أسوأ حتى من استبدادنا الروسي.

٢ نوفمبر.

يرعيني التفكير في طول المدة التي لم أدوّن فيها يومياتي. لقد مر أكثر من شهرين. الأمر لا يتوقف على أن شيئاً سيئاً لم يحدث في تلك الفترة، لكن كل شيء أصبح جيداً. لم يكن الاحتفال بعامي السبعين منفراً ثقيل الوطأة كما كنت أعتقد. تعاملت على نحو جيد مع بيع نسخ الرواية وحصولي على ١٢ ألف روبل كرستها لصالح الدوخوبوريين^(١٩٩). تضايقت من تشير تكوف^(٢٠٠) وأرى أنني أنا المذنب. أأتاني دوخوبوري من يكو تسك. أحبته جداً. سيريوجا (ابنه) قريب مني جداً، بالقول والفعل على السواء. أتعهد ألا أضايقه أبداً بكلماتي. أموري مع صوفي في أفضل حال. يزداد حبي لها عن الماضي. أشعر بالأسف على ماشا من فرط ضعفها، لكن روحها قريبة مني. حسمت تانيا الأمر^(٢٠١)، لكن حالتها متقلقلة تماماً. تزوج أندريوشا من أولجا ديدريخس وتقاربا مني. ميشا وأندريوشا (ابناه) غرباء عن بعضهما تماماً. لكن كل الحمد والشكر لله لأنه استيقظ وتأجج بداخلي، حتى إنني أصبحت أحب بطريقة طبيعية وأبتهج، أو أحب وأشفق. يا لها من سعادة!

بالأمس وصل أرشر^(٢٠٢) من عند تشير تكوف. أحبته. لدينا الكثير

(١٩٩) منح الناشر تولستوي ١٢ ألف روبل مقدماً لنشر رواية (البعث)، بواقع ألف روبل لكل ملزمة.

(٢٠٠) يشير إلى خطاب تشير تكوف له حيث طلب منه إرسال كل المال المخصص للدوخوبوريين وأخبره بمفاوضات مود مع الحكومة الكندية بشأن نقل الدوخوبوريين إلى هناك، كما نقل له طلبات عدة دور نشر أمريكية كي يرسل الخطوط العريضة لروايته (البعث).

(٢٠١) رفضت طلب سوخوتين بالزواج منها.

(٢٠٢) من معاوني تشير تكوف فيما يتعلق بقضية البحث عن موطن جديد للدوخوبوريين.

من العمل، لكنني منهمك تمامًا في (البعث). وكأني أحفظ كمية قليلة من الماء لأستخدمها من أجل إرواء عطشي إلى (البعث) وحسب. أعتقد أنها سوف تكون جيدة. يمتدحها الناس لكنني لا أصدقهم^(٢٠٣). دوّنت بعض الأفكار وتبدو جميعها شديدة الأهمية. سوف أستنسخهم هنا فيما بعد، لكنني أريد أن أدوّن الآن أنني تنزهت مساء اليوم على الطريق، ولم يقتصر الأمر على أنني فكرت في الآتي بوضوح، بل شعرت به كذلك:

١ - أرض صلبة متجمدة تحت قدمي، وعدد هائل من الأشجار من حولي، وسماء ملبدة بالسحب فوق رأسي. أشعر بجسدي، وبالآلم في رأسي من فرط التفكير في البعث، ولكن في الوقت ذاته أشعر وأدرك بكامل كياني أن الأرض الصلبة المتجمدة والأشجار والسماء وجسدي وأفكاري ليسوا إلا نتاجًا لأفكاري، عالم خيالي شيدته بنفسني؛ لأن استقلاليّتي عن العالم قائمة كما هي. عندما أموت سيتلاشى كل ذلك، تمامًا كما تتغير خشبة المسرح بين المشاهد المختلفة، فتصبح الأجمات والأشجار قصورًا وأبراجًا... إلخ. ليس الموت سوى تبدّل يعتمد على علاقة مستقلة أخرى بالعالم؛ أي أنه يعتمد على شخصية جديدة. الآن أعتبرني هذا الجسد وتلك الحواس، لكن حينها سيختلف كياني، وبالتالي سيختلف العالم بأكمله بالنسبة لي. يبدو لي العالم على هذه الصورة لا غير؛ لأنني أعتبر نفسي على هذه الصورة لا غير، لكن يمكن أن يظهر العالم بصور لا نهائية. قد تبدو الفكرة غير واضحة للآخرين، لكنها واضحة تمامًا لي.

(٢٠٣) كان تولستوي في تلك الفترة يعمل على تحرير الطبعة الرابعة منها، حيث أجرى فيها بعض التغييرات.

لم ألحظ مجددًا مرور فترة طويلة، تصل إلى ١١ يومًا. غرقت تمامًا في «البعث»، وأحرز فيها تقدمًا جيدًا فعليًا. أقارب على الانتهاء منها. جاء سيريوجا وسولر، وذهب كلاهما إلى القوقاز ومعهما خطابي إلى جوليتسين^(٢٠٤). وصلت صوفيا بالأمس. الأمور على ما يرام. مر وقت طويل لم أشعر فيه بأني في حالة جسدية وعقلية جيدة كما أنا الآن.

لا أستطيع التيقن ما إن كنت قد كتبت ذلك سابقًا أم لا:

١- كم هو صعب أن تُرضي الناس! يتطلب إرضاءهم عليك أن تنشغل تمامًا بالماضي والمستقبل، أما إرضاء الله فلا يتطلب منك سوى إرضاء متطلبات الحاضر.

٢- يبدو العيش من أجل الناس شاقًا، تمامًا كما يبدو العمل. لكن كما يجد الإنسان مكافأته في العمل ذاته، كذلك سيجد في العناية بالآخرين أفضل جزاء ألا وهو حب الناس. صحيح أنه يمكن ألا ينال ذلك، لكنه سينال مكافأة داخلية. سيقول لنفسه: لقد عملت كفاية وأنهكت وأشعر أنني بخير.

٣- إن لم تسمح لنفسك بالعيش من أجل ذاتك، ستجد نفسك تعيش من أجل الآخرين بدافع الملل.

٤- وُهبَت النساء حسًا وعقلًا كالرجال، لكن الفارق يتمثل في

(٢٠٤) خطاب توصية إلى الحاكم المدني كي يزيل أي عواقب في طريق سولر وسيرجي ابنه كي يصطحبا الدوخوبوريين من القوقاز إلى موطنهم الجديد بكندا.

إن القطاع الغالب من الرجال يعتبر أن ما يمليه عليه العقل أمرًا إلزاميًا وأسمى من المشاعر. أما المرأة فلا تعتبر أنها ملزمة بإملاءات العقل ولا تجده أسمى من الحس. يمكن تطبيق الفارق ذاته في مواضع أخرى.

٥- تشعر بالغضب من أفكار ذلك الشخص الذي يجد أن الطبيعة المادية هي أساس الحياة، لكنه لا يعرف الطبيعة الروحية، بل يعرف المادية النابعة منها وحسب، فكيف يمكنه أن يتوصل إلى حكم آخر؟

٦- تعتقد أنك وحيد، وتعاني من وحدتك، لكنك لست فقط متسقًا مع الآخرين، بل أنت مُتَّحِدٌ بهم. تلك الحدود التي تفصلك عنهم مصطنعة وبإمكانك إزالتها. أزلها وستتحد بالجميع. إن وظيفتك في الحياة هي إزالة هذه الحواجز بقدر إمكانك.

٧- إن اعتبر الإنسان نفسه كيانًا حيوانيًا، سيعتبر الله هو الآخر كيانًا ماديًا، يحكم العالم المادي بطريقة مادية. لكن الله ليس كذلك. الله روح، لا يتسلط على أحد، بل يتخلل كل شيء.

٨- أنظر إلى هؤلاء الذين يُقَبَّلون الأيقونات الدينية ويزحفون صوبها ويعشقونها حد العبادة ويخشونها. إن أمكن خداع الناس بهذه الطريقة، يمكن خداعهم بكل طريقة أخرى مهما كانت.

٩- يتجلى الله في وعينا. لا وجود لله إذن في غياب الوعي. الوعي وحده هو ما يوفر لنا إمكانية فعل الخير وضبط النفس والخدمة وإنكار الذات.

يعتمد كل شيء على توجُّه الوعي. من شأن الوعي الموجَّه صوب

الأنا الحيوانية أن يشل الحياة ويقتلها، أما الوعي الموجه إلى الأنا الروحية، يوقظ الحياة ويسمو بها ويحررها.

يزيد الوعي الأول من قوة الشهوة ويؤججها، وينتج خوفًا وصراعًا وموتًا مريعًا، أما الثاني فيحرر قوى الحب. هذه فكرة شديدة الأهمية وسأكتب عنها إن شاء الله.

١٠ - الموت هو تغيير الوعي بما يتضمنه ذلك من وعي لذاتي. الخوف من الموت إذن هو خرافة مريضة. الموت حدثٌ سارٍ رابضٌ في نهاية كل حياة. المعاناة الحقيقية إذن هي إبقاء الناس بعيدين عن الموت. كل من يفهمون الحياة والموت سيسعون صوب الأخير. لا يمكنني الآن الاقتراب من الموت إلا عبر المعاناة.

١١ - الوعي بالذات هو أعظم أفعال الحياة. تتوقف روعة عواقبه أو فظاعتها على توجه الوعي صوب الجسد أم الروح.

١٢ - لدينا طريقتان للتخلص من المعاناة الأخلاقية، وحتى الجسدية: إما القضاء على مصدر المعاناة، وإما شعورنا بها. الأول خارج نطاق سلطانتنا، أما الثاني فداخل نطاق سلطانتنا. (أبكتيتوس).

١٣ - يجري تقدم الإنسانية الأخلاقي من خلال وجود الشيوخ. إنهم يتعاملون بطيبة وحكمة وينقلون خبراتهم للأجيال القادمة. لو لم يحدث ذلك، لما تقدمت الإنسانية. يا لها من وسيلة بسيطة!

١٤ - إن نظر الإنسان إلى الحياة بطريقة مادية، لن تتحسن أوضاع الشيوخ بل ستسوء، ولن يحدث تقدم.

١٥- يرحب الجميع بالتقدم المادي ويشجعونه، لكن الكهنة يحولون دون حدوث تقدم أخلاقي وديني. هذه هي البلية الرئيسة في الحياة.

٢٥ نوفمبر.

بدأت لي المدة التي لم أدوّن فيها يومياتي كأنها ثلاثة أيام، لكنها عشرة أيام.

رحلت صوفيا في حالة معنوية جيدة، ووعدتها بأن أحضر في أول ديسمبر. ميشا يعذبها، وذلك يحزنها. أريد أن ألحق بها سريعا. أريد أيضا الذهاب إلى بيروجوفو. أنا هنا بمفردي مع تانيا وماشا وكوليا. لا أحد سوى ليزا أبولينسكايا. لا أزال أعمل بكد على (البعث). فكرت ليلة أمس في كتابة مقال عن: لماذا يفسد الناس؟ ليس لديهم إيمان. يعمدون الأطفال قسرا، ويتعاملون بعد ذلك مع أي جدال حول الإيمان على أنه كفر بالله، وأي انحراف عن الاتجاه المرسوم يعتبر فعلا إجراميا. لا أحد منهم لديه إيمان حقيقي إلا بعض أعضاء الطوائف المنشقة. ربما سأكتب عن ذلك بالبيان. أمر مؤسف! فكرت على نحو جيد بالمساء. البعث تزداد حجما. ستتضمن على أقل تقدير مائة فصل. دوّنت الآتي، ويبدو أنه شديد الأهمية. عليّ أن أنقله في بيان الإيمان:

١- اعتدنا تماما على التفكير في كيفية تنظيم حياة الآخرين، أو البشر بشكل عام. لا تبدو لنا مثل هذه الأفكار غريبة. لا يمكن لمثل هذه الأفكار أن تظهر بين متدينين حقيقيين، وبالتالي أحرار. هذه الأفكار من ميراث الاستبداد الذي كرس لفكرة سلطان إنسان أو مجموعة من الناس على

الآخرين. هكذا يتجادل المستبدون وأولئك الذين أفسدهم المستبدون؛ يقولون: لو تمتعت بالسلطة لفعلت بالآخرين كذا وكذا. هذه ضلالة، ولا يتوقف ضررها على أنها تُعذَّب وتشوه الناس الذين يتعرضون لعنف المستبدين، لكنها تُضعف أيضًا في الناس وعيهم بضرورة إصلاح أنفسهم، بينما هذه هي الوسيلة الوحيدة الفعالة للتأثير في الآخرين.

٢- من ناحية أخرى فكَّرت اليوم في الآتي: تذكرت تلك العبارة الإنجيلية: «لَيْسَ التَّلْمِيزُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلًا يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ». (لوقا: ٦: ٤٠). نحن الأثرياء وأبناء الطبقات الحاكمة نُعلِّم الشعب. ماذا إن علِّمناهم أن يسلكوا مثلنا؟!

٣- يتكلمون ويكتبون ويعظون عن معرفة الله. يا للامتهان المريع الذي يكشف عنه ذلك! ليس امتهانًا فقط، لكنه أيضًا اعتراف بعدم فهم الآتي: الله موجود، ونحن كذلك. نحن مجرد أجزاء من الكلي اللانهائي، ولا يقتصر الأمر على أننا نود أن نفهم هذا الوجود اللانهائي، لكننا نريد كذلك أن نفهم مصدره وجوهره. يا لها من حماقة. هذا اعتراف واضح بالحادنا وبأن الله غير موجود. كل ما يمكننا معرفته هو أنه موجود، وأنه الكائن الكلي الذي له وجود في ذاته.

٤- ليس الحب سوى اعتراف بأن الله ليس جسدًا ولا شهوة ولا أنانية ولا شر.

فكرة ملتبسة.

قلبت صفحتين. سأعود للخلف.

٥- قصة خلق العالم هي واحدة من أشد الخرافات ضررًا في نظرنا الكنسية للعالم. لقد اعتدنا على هذه الحماقة، فلم يعد الأمر يقتصر على انخراطنا في الإجابة عن سؤال: كيف بدأ العالم؟ -ويا لحماقة هذا السؤال!- بل أصبح يبدو لنا أمرًا غريبًا ألا تكون لدينا إجابة على مثل هذا السؤال! في الواقع يبدو من الواضح تمامًا لكل إنسان عاقل وحر أنه كان موجودًا هو والعالم، وأنهما موجودان وسيظلان كذلك إلى الأبد، وأن لا حدود للعالم زمنيًا ومكانيًا، ويبدو له كذلك أن الأسئلة التي شغلته مثل: ما الموجود؟ كيف وُجد؟ ما العلاقة بين الموجودات؟ ليست هي المهمة، بل كان يجب عليه الانشغال في الأساس بالآتي: ماذا عليّ أن أفعل؟ إن التساؤل عن كيف بدأ العالم هو محض حماقة؛ لأننا لا يمكننا أن نتوقف أبدًا عند إجابة مفادها: الله خلق العالم. سيتوجب علينا أن نتساءل: ومن أوجد الله؟ كل هذا محض امتهان لله أو تصور وثني عنه. تشغل هذه الإجابة أكوامًا رهيبية من الكتب، من بينها كتاب داروين عن أصل الأنواع.

٢٦ نوفمبر - صباحًا.

لم أستطع النوم. فكّرت في الآتي:

الشر هو مادة الحب. دون شر لا يمكن للحب أن يتجلى. الله محبة؛ أي أن الله يتجلى فينا في الانتصار على الشر؛ أي يتجلى في الحب. التساؤل عن أصل الشر محض حماقة، تمامًا كالتساؤل عن أصل العالم. لا نحتاج إلى معرفة من أين يأتينا الشر، بل نحن في حاجة لأن نعرف كيف نقهره وكيف نُفعل الحب.

٢ يناير.

كانت آخر مرة دَوَّنت فيها يومياتي في ٢٥ نوفمبر الماضي. مر شهر وأسبوع إذن. كتبت في ياسنايا بوليانا ثم ذهبت إلى موسكو، ولم أكتب شيئاً هناك. ذهبت إلى بيروجوفو في نهاية نوفمبر. عدتُ في أول الشهر^(٢٠٥)، ومنذ ذلك الحين وحالتي الصحية ليست بخير. عانيت - ولا أزال - من آلام أسفل الظهر. في الفترة الأخيرة أُصبت كذلك بحمى مصحوبة بإفراط في إفراز الصفراء. هذا يومي الثاني منذ أن تحسنت حالتي. عملت طوال هذه المدة على «البعث» وحسب. كان عليَّ القيام كذلك ببعض الأمور المتعلقة بالدوخوبوريين، بالإضافة إلى كومة هائلة من الخطابات. كوليتشكا جي معي هنا. أشعر بالراحة في حضوره. الأمور ليست بخير في العائلة: مرضت ماشا واضطرت بالأمس إلى الإجهاض، أما تانيا فتكاد تموت من فرط القلق. ميشا مجنون وأندريوشا مريب. تمضي أموري بخير مع صوفيا. أشعر بهدوء الشيوخ. هذا كل ما في الأمر. لديَّ عدد كبير من الملاحظات لأعيد تدوينها هنا. سأدونها في الصفحات التي فوّتها. يبدو كما لو أن اهتمامي قد ضعف قليلاً بالبعث،

(٢٠٥) عاد إلى موسكو، ومكث هناك حتى ١٩ ديسمبر، ثم عاد إلى ياسنايا.

وأشعر بالابتهاج من شعوري بأهمية أمور أخرى مثل تفهم الحياة والموت. يبدو أنني فهمي لهما يزداد وضوحًا:

١- نريد أن نعرف الله، ولا نريد أن نعرف قوانينه. لسنا في حاجة لشيء سوى معرفة قوانينه. إننا نشعر بحاجتنا إلى معرفة الله بسبب وجود قوانينه التي تجعلنا نفكر في ضرورة أن يكون لها مُشرّع.

٢- تدلف الطبيعة إلى الإنسان عبر أنفاسه، حتى لا يعود بإمكان الإنسان إلا أن يشعر أنه جزء منها وهي جزء منه.

٣- يشبه فننا المرق الذي يُضاف إلى الطعام. إن لم يكن لدينا سواه سنجدّه لذيذًا، لكنه لن يُشعرنا بالشبع، كما أنها ستفسد معدتنا.

٤- إن فهم الناس أن التكاثر الإنساني الحقيقي والمشروع هو الحب، لأدركوا أنه ما دام الحب غائب، علينا أن نتوقف عن العيش. يشبه الأمر وعاء نملؤه بالخمير؛ إن ترسب شيء فيه فهذا يعني أنه غير جاهز بعد، وإن سكبنا الخمير سنفقد الخمير والترسب.

٥- يحكم العنف عالماً؛ أي الضغينة، بسبب الوجود الدائم لأغلبية في المجتمع تتسم بالوضاعة والتقلقل: نساء - أطفال - أغبياء، تتم تربيتهم جميعاً على الضغينة، وبالتالي ينتقلون إلى صفها. حتى يحكم العقل والخير العالم، لا بد أن يُربّى الجميع على الخير فينتقلون إلى صفه. حتى يتحقق ذلك يجب أن يتجلى العقل والخير بوضوح ويعلنان عن وجودهما. هذا أمر شديد الأهمية.

٦- تعقّد المعرفة سمة لزيّفا، فالحقيقة بسيطة.

٧- يا لسوء أن يغتم الساعون صوب الكمال بالوشاية والكلمة الشريرة التي يستحقونها! الأفضل أيضًا أن يتعرضوا لها دون أن يكونوا مستحقين لها. الوشاية والكلمة الشريرة تمنحنا الفرصة لأن نُقيّم أفعالنا بناءً على ضمائرنا فحسب، وتنفعنا صوب ذلك. صحيح أن ذلك نادر وصعب لكنه مفيد. تعمل الحماقة بشكل لا إرادي كأفضل مدرسة للخير.

٨- تعود أهمية العمل البدني إلى أنها تحول بين العقل والعمل بتكاسل دون هدف.

٩- تتسم النساء بالضعف، والأمر لا يقتصر على عدم رغبتهن في إدراك ضعفهن، بل إنهن يريدن كذلك التبحر بقوتهن. ما الذي يمكنه أن يشير التقزز أكثر من ذلك؟

١٠- يكفي الإنسان الصالح ألا يعترف بأخطائه ويحاول تبريرها حتى ينقلب إلى مسخ.

١١- إن كافة عناية الحُكام ليست موجهة أبدًا لتوطين الدين في نفوس الشعب كما يدَّعون، بل على النقيض؛ لسلب الناس دينهم. لقد حققوا ذلك تقريبًا في روسيا.

٢١ فبراير.

لم أدوّن يومياتي لأكثر من ستة أسابيع. لا أزال في موسكو. في البداية مضى العمل على «البعث» على نحو جيد، ثم اكتنفتني البرودة صوبها كاملاً. كتبت خطابًا إلى رقيب عسكري وآخر إلى الصحف

السويدية^(٢٠٦). مرت ثلاثة أيام منذ عودتي إلى العمل على البعث. إضراب طلابي. يحاولون دفعي للتورط في الأمر. نصحتهم بالحفاظ على السلمية، لكنني لا أريد أن أكتب إليهم خطاباً. تانيا ضعيفة، روحاً وجسداً. تحسنت حالة ظهري. يقيم هنا معنا رجل فرنسي مثير للاهتمام ويتسم بالحيوية^(٢٠٧) يُدعى سينيت. أول فرنسي متدين! لديّ كثير جداً من الأفكار المهمة التي عليّ أن أدونها هنا. كنت في حالة معنوية شديدة السوء، لكنني الآن بخير.

٢٦ يونيو- ياسنايا بوليانا.

لم أدوّن يومياتي منذ أربعة أشهر، ولن أقول إنني قضيت هذه الفترة على نحو سيئ. كنت أعمل بكد على «البعث». ثمة الكثير مما هو جيد فيها؛ الكثير مما كتبت من أجله الرواية في الأساس. مرضت بشدة مؤخراً، لكنني الآن بخير. صوفيا في طريقها اليوم إلى أبنائنا. كانت مريضة بشدة، ولا تزال واهنة. لم تنتهِ اللحظات الحاسمة بعد. كثيراً ما أشعر بالأسف الحنون عليها، وهكذا كنت اليوم عندما ودّعتها. تمضي أمور طباعة وترجمة البعث بصعوبة^(٢٠٨)، لكنني هادئ معظم الوقت. أهملت مراسلاتي. يرسل الجميع لي مალّا من أجل الجوعى، وأنا لا أستطيع

(٢٠٦) خطاب إلى رقيب عن عدم توافق الحرب مع المسيحية، وإلى الصحف السويدية بسبب طلب بعض الناشطين السويديين من أجل السلام من تولستوي أن يكتب لهم كلمة بخصوص مؤتمر السلام المنعقد في لاهاي.

(٢٠٧) فنان فرنسي رفض أداء الخدمة العسكرية، فأرسلوه إلى كتيبة تأديبية بالجزائر، وهرب من هناك.

(٢٠٨) الإشارة إلى نشر (البعث) في إنجلترا وروسيا في الوقت ذاته، وظهور بعض الخلافات بين دور النشر الإنجليزية والروسية بصدد الأمر.

فعل شيء سوى إرسال المال بالبريد. كوليشكا هنا معي، يساعديني في العمل. في كل مرة يأتي فيها سيريوجا (ابنه) أبتهج. تزعجني تانيا بطيشها، وقد اندفعت إلى هذا الحب الأناني. آمل أنها سوف تعود. أو اصل إعادة نسخ ما دونته من أفكار في دفترى هذا:

١٢ - عندما تقترب من وجهتك، يزداد تفكيرك في المكان الذي أنت ذاهب إليه. هكذا أقرب من الموت وتغير مكاني.

١٣ - آه لو أتذكر دائماً أن لا معنى للحياة أو طريقة أخرى لنوال الفرحة سوى تنفيذ إرادته! كم سأعيش حينها في هدوء وسعادة!

١٤ - في أوقات المرض يتمثل الانصياع لإرادته في الاستعداد للانتقال إلى حياة أخرى.

١٥ - يبدو لنا أن العمل الحقيقي هو العمل على شيء مادي، كتشيد أو جمع شيء مثلاً: ضيعة - منزل - ماشية - ثمار. أما العمل على الروح يبدو لنا خيلاً. الحقيقة أن كل عمل خلاف العمل على روحك وتعويد نفسك على الخير هو محض ترهات.

١٦ - الناس لا يطيعون الله، ومع ذلك يعبدونه! خير لك أن تطيعه ولا تعبد!

١٧ - مهما فعلت كن مستعداً لترك عملك. لذا اختبر دائماً ما إن كان بإمكانك ترك عملك أم لا.

١٨ - الآلة الحكومية مريضة. لو كنا قد فهمنا بخطورتها بوضوح، لما سمحنا لها بالعمل أبداً.

١٩- يبدو لي غريباً ولا أخلاقياً ألا يشعر الكاتب والفنان بالتعاطف مع معاناة الناس بقدر ما ينهمك في الملاحظة بهدف إعادة إنتاج هذه المعاناة فنياً. لا، لا يمكننا أن نصف ذلك بأنه غير أخلاقي. إن معاناة شخص واحد أمر تافه مقارنة بالتأثير الروحي الذي سينتجه عمل فني إن كان عملاً جيداً حقاً.

٢٠- الإنسانية حيوان ضخم يبحث عن مراده ولا يمكنه أن يجده. تأثير انطباعاتنا أحاسيسنا ببطء شديد، ومن ثم تنتقل الأحاسيس إلى العقل، الذي ينتج التصرفات. يعتبر نشاط الاشتراكيين والليبراليين والثوريين بمثابة محاولات لإثارة هذا الحيوان وإجباره على التحرك، بإثارة أعصابه الحركية وعضلاته كهربياً. لكن لدينا عضو واحد هو الذي يُنتج كل شيء إن كان سليماً؛ إنه المخ في الحيوان، والدين في الشعب.

٢١- أشعر بالضيق وأطلب من الله عوناً. لكن عملي هو أن أخدم الله، لا أن يخدمني هو.

٢٢- الحياة الفردانية والشخصية هي وهم. إنها غير موجودة، لكنها مجرد وظيفة أو أداة لشيء آخر.

٢٣- الطبقة العسكرية هي بمثابة شيء بقي ولم يعد له نفع، كالزائدة الدودية.

٢٤- نشكو من انخفاض روحنا المعنوية، لكن هذا ضروري. أحياناً لا يمكن للإنسان أن يظل في ذروة ارتفاعه. يرتفع الإنسان ثم يُنَوِّم نفسه ليمر بلحظة السقوط. في وقت السقوط يسلك على أساس ما كُثِّف

له إبان وقت الصعود. كل ما عليه فعله هو أن تكون لديه القدرة على الاستفادة من لحظات الصعود وتنويع نفسه إبان لحظات الهبوط.

٢٥- يعود شر العالم إلى سبب بسيط للغاية. الجميع ينشدون تعقيد الأمور بلا داعٍ، ويقومون بذلك في المجال الاقتصادي والسياسي على السواء. قرأت لتوي الجدل الذي دار في البرلمان الألماني عن كيف يمكنهم أن يحولوا بين الفلاحين والاندفاع صوب المدن. لكن هناك حل واحد لكافة المشاكل، ولا أحد يريد أن يدركه أو ييدي به اهتمامًا. إنه حل واضح لا يمكن دحضه: أولئك الذين اعتلوا كرسي السلطة فسدوا بسبب ما لديهم من سلطة، وبسبب أنهم ابتكروا لأنفسهم عقيدة دينية تتناسب مع فسادهم، وهم يغرسون هذه العقيدة في نفوس الناس منذ الطفولة بقوة. ليس ثمة خلاص إلا في أمر واحد؛ القضاء على التعليم الزائف.

٢٦- يتمثل الفارق بين الناس في الآتي: فلان يفكر في الموت، لكن ذلك لا يقوده إلى ما هو أبعد من: كيف يترك ماله؟ ولمن؟ وأين يجب أن يُدفن؟

٢٧- أفضل طريقة لتوفير الظروف المثلى للقيام بأقصى الأفعال الممكنة هي تعيين هذه الكتل المتراصة من الموظفين الذين نجدهم في الدولة.

٢٨- ما من مستقبل. نحن من نصنعه.

٢٩- لا نهائية الزمان والمكان ليست دلالة على عظمة العقل الإنساني، بل على قصوره وعلى حتمية الزيف.

٣٠- نفكر في المستقبل، ونحاول التكهن به، ولا نصل إلى شيء مهم؛ لأن ما يهم حقاً هو القيام بفعل الحب الخلاق، وهو فعل يمكن القيام به في كل الظروف الممكنة، لذا لا أبالي أبداً بما سيحدث في المستقبل.

٣١- نغضب من الظروف ونحزن بسببها، ونود أن نغيرها، رغم أن كافة الظروف الممكنة ليست إلا إشارة إلى المجالات التي يجب أن نتصرف فيها. أنت في حاجة، اعملْ إذن! أنت في السجن، فكّر إذن! أنت في يسر مادي، تحرر إذن!... إلخ.

الأمر يماثل أن يغضب الجواد من الجهة التي يُوجّهونه إليها.

٣٢- الصحافة هي الكذب ممزوجاً بالرغبة في الانتقام.

٣٣- كل شيء مبعر، ولا يوحدنا سوى الله الذي يحيا فينا جميعاً. لذلك الله محبة.

٣٤- دائماً ما يتقوض مفهوم الله عند الإنسان المتدين ويتبدل بمفهوم جديد أسمى.

٣٥- العسكرية لا تعني فقط ضياع المصالح أو فقدان الحياة، لكنها تعني في الأساس: هلاك الخير.

٣٦- هل يمكنك أن تجد اشتراكاً عاماً يؤمن بقداسة لوحة العذراء؟ لذلك التحرر الديني مطلوب قبل أي شيء آخر.

٣٧- كيف نتفق جميعاً على أن الحر الوحيد هو من يتغلب على شهواته، ورغم ذلك نُوجّه كافة عنايتنا لتحرير الناس من شهواتهم؟

٣٨- الإدانة المعقولة ليست كاملة، والقناعة الكاملة غير معقولة، خاصة لدى النساء.

٣٩- قابل الشر بالخير، وستقضي على كل مشاعر الرضى التي ينالها الإنسان الشرير من شره.

٤٠- الله محبة. لا نعرف الله إلا بالحب الذي يوحدنا جميعاً. ندرك الله بداخلنا في السعي صوب تلك الوحدة.

٤١- يتوقف كل شيء على الأفكار، فالفكرة أصل كل شيء. بالفكر يمكننا أن ندير أمورنا، لذا عمل الكمال الرئيس هو العمل على الفكر.

٤ يوليو.

كنت مريضاً طوال تلك المدة بمرض معدتي المعتاد. توقف العمل الذي أثار حماسي بشدة^(٢٠٩). أقرأ في كتاب «نظرة عامة مقارنة للأناجيل الأربعة»^(٢١٠) (بالألمانية). يتوصل إلى أن المسيح أسطورة. قرأت كذلك كتاب كينورثي، ورواية عقلانية لحياة المسيح. أفضلهم هو الكتاب الأول. نحن في حاجة إلى الحقيقة الميتافيزيقية والأخلاقية والاقتصادية؛ أي الحقيقة الدينية. إنها موجودة.

فكرت في كثير من الأفكار الجيدة. في مرضي أقرب من الموت. كثيراً ما أفكر بألم في أخي سيريوجا.

فكرت في الآتي:

(٢٠٩) يقصد العمل على رواية (البعث).

(٢١٠) كتاب I. G. Verus.

١- تهدم الحكومة أركان الإيمان. الإيمان ضروري. البعض يكرهون أنفسهم ويؤمنون بالخوارق والحماقات، والبعض الآخر يؤمنون بالعلم. ولكن أي علم؟ العلم المعاصر! ٩٩٪ من علمنا المعاصر محض كذب وضلال. هكذا هو الأمر مع كل علم معاصر. الحقيقة التي كشفها لنا الله سليمة لا محالة. الدين والحقيقة والعلم الذين يتوصل إليهم العقل البشري يمثلان الحقيقة بالطبع، ولكن الفارق بينهم هو الفارق بين ما كشفه لنا الله، وما يكتسبه العقل البشري.

٢- الموت هو زوال تلك الأدوات التي أدرك بها العالم كما يبدو لي في هذه الحياة. الموت هو تحطم الإطار الزجاجة الذي كنت أنظر عبره، ليُستبدل بآخر.

٣- بعض المثقفين لا يستخدمون ما اكتسبوه من ثقافة من أجل تنوير وتحرير الطبقات العاملة، بل من أجل تخديرهم، وهم في ذلك يشبهون العمال الذين لا يستخدمون قواهم من أجل تدعيم الحياة، بل تدميرها. من أمثلة هؤلاء المثقفون: بوجاتشيف^(٢١١) - ستينكا رازين^(٢١٢)، لكنهما أكثر ضررًا بآلاف المرات.

٢٨ سبتمبر.

استغرقت طوال الوقت في العمل على (البعث). تعثرت الآن في العمل على الجزء الثالث. لم أحرز أدنى تقدم منذ فترة طويلة.

(٢١١) تزعم أكبر حركات العصيان في القرن الثامن عشر. أُعدم في موسكو في عام ١٧٧٥.
(٢١٢) أحد القوزاق الذين قادوا عصياناً في القرن السابع عشر. هُزم في نهاية الأمر وأُسروه، ثم أُعدم في موسكو في عام ١٦٧١.

صوفيا في موسكو. حققت لنفسي حالة من الهدوء لم يخرقها شيء بعد. لا أتحدث، وأعرف أن ذلك ضروري وأناي لا بد أن أحيا في هذه الظروف. إيليا هنا، وكذلك صوفيا (زوجة إيليا) والأطفال، وأندريوشا وزوجته وماشيا وزوجها. أستغرق في التفكير أكثر فأكثر في التعريف الفلسفي للمكان والزمان. سأدوّن بعض أفكار اليوم إن استطعت.

قرأت في كتاب شيق عن أن المسيح لم يظهر أبداً، وأن كل ذلك محض أسطورة^(٢١٣). ثمة الكثير مما يمكن أن يُقال عن أرجحية صحة ذلك، وكذلك عن خطئه. رتبت بالأمس كل الخطابات بمساعدة ماشيا. لديّ كثير من الخطابات لم أُجب عليها بعد. في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

لا أزال مريضاً. لا يمر عليّ يوم تقريباً دون ألم. لا أشعر بالرضى عن نفسي أخلاقياً أيضاً. تركت نفسي أنساق بعيداً: لا أقوم بعمل بدني ومشغول البال بنفسي وصحتي. كم من الصعب أن أحتمل المرض بإذعان وأن أذهب إلى الموت دون مقاومة! لكن ذلك ضروري.

١ - تطالب النساء بالعمل كالرجال، وبنفس القدر من الحرية، وربما يطالب الجزء الغالب منهن عن دون وعي بنفس القدر من الانحلال الذي لدى الرجال، وبالتالي ينحدرن كثيراً عن مستوى الأسرة، وهن يعتقدن أنهن يسمون عنه.

(٢١٣) كتاب L. G. Verus الذي ذكر سابقاً.

٢- ما طبيعة الذاكرة التي تجعل مني كائنًا واحدًا من الطفولة وحتى الموت؟ ما طبيعة هذه السمة التي تربط كائنات منفصلة زمنياً عن بعضها لتصبح كائنًا واحدًا؟ الأجدى بالمرء أن يتساءل عما يفصل هذه الكائنات عن بعضها لا عما يوحدّها.

ما يفصل هذه الكائنات هي خاصية الزمن، وليس بإمكانني أن أرى نفسي خارج نطاقه. أنا كيان واحد لا ينقسم، من الميلاد حتى الموت، لكن عليّ أن أثبت نفسي وأميزها داخل نطاق الزمن. أنا الآن ذلك الكيان الذي كان، والذي سيكون، لكن يتوجب عليّ أن أثبت نفسي وأميزها داخل نطاق الزمن، وذلك حتى أتمكن من التعامل مع الكائنات الأخرى والتأثير فيها.

٣- قطفت زهرة ورميتها. لدينا الكثير من الزهور لذا لم آسف عليها. نحن لا نُقدّر ذلك الجمال الذي لا يُضاهى للكائنات الحية، ونقضي عليه دون أدنى شعور بالأسف. لا نقوم بذلك مع النباتات والحيوانات وحسب، بل مع الناس أيضًا، ونقول في أنفسنا: لدينا الكثيرون منهم. ليست الثقافة والحضارة سوى تدمير لكافة مظاهر الجمال. من أجل ماذا؟ من أجل الحانة والمسرح... إلخ.

٤- يوبخونك على الضغينة والانحلال والكذب والسرقة ويجلبون الأدلة على ذلك. ما العمل؟ تجيبهم بسؤال واحد: كم الساعة؟ هل ستذهب للسباحة؟ أرايت فلانة الفلانية؟ هذه هي الوسيلة المثلى والوحيدة للابتعاد عن الذنوب، بل وحتى تبريرها!

٥- العلاقات الطيبة بين الناس هي أهم ما في هذا العالم. لا يمكن

تدعيم مثل هذه العلاقات عن طريق الحوار، بل على العكس؛ الحوارات تفسدها. علينا أن نتحدث بأقل قدر ممكن، خاصة مع أولئك الذين نريد أن ننخرط في علاقات جيدة معهم.

٦- في حياتي أزيل الحدود القائمة بيني وبين بقية الكائنات. بإنجابي الأطفال أقوم بالأمر ذاته. يمكننا أن نرى نتائج إزالة العوائق المادية، أما إزالة العوائق الروحية وما يترتب عليها من وحدة، لا يمكننا أن نراها، وذلك لسبب واحد؛ ألا وهو اتساع مجالها.

٧- الناس منفصلون عن بقية الكائنات، وذلك يبدو لهم في نطاق المكان. أما حقيقة أنهم لا يشعرون بانفصالهم عن أنفسهم، تتجلى لهم عبر الزمان. هذا ما دَوَّته. المكان يُقسَّم، والزمان يُوحَّد. لكن هذا غير صحيح. الزمان والمكان، كلاهما يُقسَّم، لكن ثمة إمكانية للوصول إلى الوحدة.

عبَّرت عن الفكرة بشكل غير واضح، لكنني أفهم المقصود. سأوضح فيما بعد.

٨- أُخوَّة البشر أمر طبيعي وفطري، لكن هناك مَنْ لا يَدَّخر جهدًا من أجل زرع الفرقة في قلوبهم.

٩- أحيانًا أود أن أشكو لله بطريقة طفولية، وأطلب عونه. أهو شعور جيد؟ لا... شعور سيئ ينم عن ضعف وجحود. أكثر ما يشبه الإيمان هي صلاة الطلبة، لكنها تشي تحديدًا بعدم الإيمان؛ عدم إيمان بأن ليس للشر وجود حقيقي، وعدم إيمان بأن ليس هناك ما يمكن أن تطلبه، وإنك إن شعرت بالسوء، فهذا لا يكشف لك إلا عن حاجتك للشفاء من مرضك،

وعن أن ما يحدث هو ما يجب أن يحدث، وأن عليك أن تقوم بما يجب عليك القيام به.

١٠ - أكتب عن ذلك الآن ببرودة، محاولاً تفهم تلك الحالة التي لا أعيش فيها إلا من أجل الله. يكشف لي ذلك عن أن هناك بشراً لا يفهمون ذلك مطلقاً، ولا يفهمون سوى تلك الحياة الدنيوية. أعرف هذه الحالة، لكنني لا أستطيع استدعاءها بداخلي، بل أتذكرها وحسب.

١١ - كل ما يعيش دون وعي، كما هو حالي أثناء النوم، وكما عاش الموتى في مقابرهم، لا يعيش على نحو مادي؛ أي أنه لا يدرك المادة، بل يحيا وحسب. ليست الحياة سوى كيان روحي. أحاول تذكر حالتي قبل الوعي، أو على أطراف الوعي، ولا أعرف شيئاً سوى مشاعر الضيق والرضى والمتعة والمعاناة، لكن ليس لديّ أي مفهوم عن جسدي أو أي جسد آخر. لا يظهر مفهوم الجسد؛ أي المادة إلا بظهور الوعي. إنه يظهر لنا لأن الوعي يمنحنا مفهوماً عن شيء موجود في حد ذاته وهو جوهر كل شيء؛ ألا وهي الروح. في الوقت الذي أدرك فيه أنني أصل كل شيء، أدرك كذلك فيه أنني لا أشكل الجوهر الكلي كاملاً، بل أنا مجرد جزء منه. أدرك هذا التجزؤ وهذه الحدود التي تفصلني عن الكيان الكلي في صورة جسدي وأجساد الآخرين التي تحيط بي.

١٢ - إن رغبت في شيء، وخشيت من شيء، فهذا يعني أنك لا تؤمن بإله الحب الكامن في داخلك. لو كنت مؤمناً به لما رغبت في شيء ولما خشيت شيئاً؛ لأن الله كلي القدرة، ولا يوجد ما يمكن أن تخشاه لأن لا شيء مرعب أمام الله.

١٣- لا تظن أنك تعرف إرادة الله تحديداً، بل تحلّ بالتواضع،
وحينها ستكون مُحِبّاً، وهذه هي إرادة الله لك وحسب.

١٤- أولئك الذين يؤكدون للآخرين أننا لا يمكن أن نسترشد
بالعقل في الحياة، قد تشوه عقلهم؛ لذلك يرون بوضوح أنه يقودهم
صوب مستنقع.

١٥- الحالة الوحيدة التي يمكن فيها للإنسان أن ينشغل بنفسه، بل
ويتوجب عليه فعل ذلك هي الحالة التي يشعر فيها بالتعاسة. التعاسة
أفضل ما يدفع الإنسان صوب تصفية ذاته أو الارتقاء إلى مستوى أسمى،
إنها معيار على عدم كمال المرء. علينا أن نبتهج بهذه الظروف، فهي تعد
المرء للعمل. إنها بمثابة طعامه الروحي.

١٦- إما أنني إنسان بسيط يُدعى ليف نيكولايفيتش، وإما أنني مبعوث
الله. هذا وذاك هما نفس الإنسان، لكن هذا يمثل الجمهور، وذاك يمثل
القاضي مرتدياً رداءه الرسمي في سلسلة من ممارساته لأسمى واجباته.
كثيراً ما أكون كالقاضي، لكنني في الآونة الأخيرة قد تراجعت، ومن ثم
أشعر بالضعف.

١٧- الإنسان كائن خارج نطاق الزمان والمكان، يُدرك نفسه داخل
نطاق الزمان والمكان.

١٨- تعود جاذبية الألعاب والورق والتنس وسباق الخيول لفكرة
إنها ابتكرت خصيصاً لأجل مَنْ يشعرون بالضجر. لذا ليس من الغريب أن
حرّمها المعلمون الحكماء. الألعاب المصطنعة مفسدة. إنها لازمة لمن
يشعرون بالضجر، أما الشعب العامل فتكفيه أبسط الأمور دون إعداد.

١٩ - لن تحب العدو وتبعث في قلبك محبة حقيقية إلا عندما تضطر لمواجهة الإساءة بالحب.

٢ أكتوبر.

حالي الصحية سيئة تمامًا. لا أعاني لكني أشعر بتهديد دائم. حالي الأخلاقية أفضل. يزداد تذكري لله والموت. أظن أنني تجاوزت ذلك الجزء الصعب بـ (البعث)^(٢١٤). تغير أندريوشا صوب الأفضل بدرجة مذهلة. قد تسوء حالته مجددًا، لكن الحقيقة ستبقى وستترك آثارها. رحل كوليتشكا ووصلت صوفيا. ليست بخير. أواصل إعادة نقل أفكاري من الدفتر الخاص بالأفكار إلى هذا الدفتر:

١ - تنشأ فكرة المكان من وعينا بالحدود وباستقلاليتنا. أنا واحد، وفي هذا العالم ثمة حدود تفصلني عن ٢، ٣، ٤ ... ∞. لا يمكن لهذه الكائنات أن تتواجد إلا في نطاق المكان. وينشأ فهمنا للزمان عن وعينا بالحدود أيضًا... لا، عبّرت بطريقة سيئة.

لقد أعدت التفكير في كل ما سبق، ويمكنني أن أعبر الآن عن الفكرة على النحو الآتي:

لا يمكننا أن نحيط كاملاً بالأننا، لكن بإمكاننا أن نعبر عن الانفصال أو الاستقلالية باعتبار النفس جزءًا من المادة المتحركة. المادة التي نعتبرها أنفسنا هي ما تمنحنا مفهوم المكان، بينما يمنحنا مفهومنا عن

(٢١٤) الجزء الثالث والأخير من الرواية الذي تمت مراجعته بعناية وامتدت فصوله لتصبح ٢٨ فصلاً بدلاً من ٦.

الزمان جزءاً من الحركة التي نعتبرها أنفسنا. ولا يمكننا أن نعتبر أنفسنا جزءاً من المادة إلا في حدود المكان، ولا يمكن أن نعتبر أنفسنا جزءاً من الحركة إلا في نطاق الزمان. تنبع فكرة المكان إذن من عدم إمكانية تصور شيئين أو أكثر خارج نطاق الزمان. أما فكرة الزمان فتنبع من عدم إمكانية تصور شيئين أو أكثر خارج نطاق المكان. المكان هو إمكانية تصور شيئين أو أكثر في نفس الوقت، والزمان هو إمكانية تصور شيئين أو أكثر في نفس المكان. كل منهما يؤدي إلى الآخر إذن.

لا يمكن للتقسيم أن يكون في مكان واحد، خارج نطاق الزمن. لو لم يكن هناك زمن (حركة) لكان كل شيء ثابت لا يتحرك داخل نطاق المكان، ولما اعتبرناها أشياء كثيرة، بل شيء واحد لا ينقسم؛ مكان مليء بالمادة. كذلك لا يمكن للتقسيم أن يتم في زمان واحد خارج نطاق المكان. لو لم يكن هناك مكان، لما أمكن أن تكون هناك حركة، ولما انفصلت عن أي شيء آخر.

جسدي الذي أظنه أناي، وكل شيء آخر أعيه من حولي، هو جزء من المادة يتحرك في وقت محدد ويُسكّل مكاناً محدداً.

عبرت عن الفكرة على نحو سيئ، غير واضح، وغير سليم إلى حد ما.

٢- الأناركية تعني غياب المؤسسات التي تُجبر الناس على الخضوع بالعنف، لا المؤسسات التي يخضعون لها طواعية بشكل عقلي. يبدو لي أن أي مجتمع يضم كائنات عاقلة لا يمكن أن يتشكل على نحو آخر.

٣- لماذا لا تتبع ارتكاب الخطيئة معاناة صاحبها؟ لو أدرك من

البداية هذه المعاناة ربما لم يكن ليرتكبها من الأساس.

الناس لا يعيشون بمعزل عن بعضهم، بل في مجتمع، وإن عانى الجميع من خطيئة كل واحد منهم، سيتوجب على الجميع معارضة الخطيئة.

٤- الضمير هو ذاكرة المجتمع التي يدركها كل فرد على حدة.

٥- عندما يهرم المرء يشعر بما يشعر به المرء في رحلة: في البداية يفكر في المكان الذي سافر منه، ثم في الرحلة ذاتها، ثم في المكان الذي يقصده. يزداد شعوري بذلك بقوة بينما أفكر في الموت.

٦- حقاً يمكن أن تسدي خطيئة ضخمة فائدة لصاحبها حينما تبعث فيه شعوراً بالتوبة أمام الله، بغض النظر عن أحكام الناس. تنبع مثل هذه الخطيئة من مجال الحكم البشري، من الكبرياء الذي يستولي على الإنسان ويخفي عنه علاقته بالله.

٧- ليس النمو الجسدي سوى إعداد المؤمن اللازمة لعمل الروح لخدمة الله والناس؛ تلك الخدمة التي ستبدأ بعد ذبول الجسد.

١٣ أكتوبر.

لا أزال في حالة صحية غير جيدة. هذا ضروري، لكن هذه الحالة لا تعوقني عن العيش والتفكير والتوجه صوب الحدود المُعَيَّنة لي. أتقدّم على نحو سيئ في البعث. أرسلت أربعة فصول، لا أعتقد أن الرقابة سوف تُمرّر هذه الفصول. لكن على الأقل أعتقد أنني قمت بتغيير ضروري، وأني لن أقوم بأي تغييرات مهمة أخرى. لا أتوقف عن التفكير

في أخي سيريوجا^(٢١٥)، لكنني لا أستطيع الذهاب إليه بسبب الطقس وحالتي الصحية. يبدو أن تانيا اتخذت قرارًا نهائيًا بالزواج. كانت صوفيا في موسكو، وستعاود الذهاب اليوم إلى هناك. اليوم بالنسبة لي بمثابة عطلة عقلية. ليس اليوم وحسب، بل الفترة الأخيرة. فكّرت في مشاهد جيدة لـ (البعث). يزداد تفكيري قوة ووضوح في الوجود المنفصل الذي يبدو لنا كمادة في المكان وحركة في الزمان. وصلنتني من أمريكا كتيبات ويستريب^(٢١٦) عن المال، وقد أثارت إعجابي بتوضيح كل ما كان غامضًا بشأن المسائل المالية، وقد ردت كل شيء إلى عنف الحكومة، وهي نظرة سليمة.

سأدوّن أفكاري إن استطعت. لا تزال لديّ فكرة مبهجة. رغم أنها قديمة لكنها خطرت على ذهني كأنها جديدة، وهي تبهجني بشدة. الفكرة تحديدًا كالآتي:

١ - السبب الرئيس للتعاسة الأسرية هو أن الناس قد نشأوا على فكرة أن الزواج يؤدي إلى السعادة. تجذبهم الرغبة الجنسية إلى الزواج، وتتخذ هذه الرغبة شكل العهد، وكذلك تجذبهم آمالهم في السعادة، المدعومة بالرأي العام والأدب. لكن الأمر لا يقتصر على أن الزواج لا يجلب السعادة، لكنه معاناة دائمة يسدد الإنسان ثمنها من أجل إشباع رغبته الجنسية. تتمثل المعاناة في صورة أسرهِ وعبوديته وتخمتة ونفوره، وكافة أنواع العيوب الجسدية والروحية للزوج أو الزوجة التي على

(٢١٥) كان سيريوجا معتمًا بسبب العلاقات الزوجية السيئة لابنتيه فارفارا - فيرا.

(٢١٦) ألفريد ويستريب: كاتب أمريكي. الكتاب المقصود Plenty of Money.

القرين الآخر أن يتحملها كالضعينة والحماقة والكذب والكبرياء والشكر والكسل والبخل والنهم والانحلال... كافة الرذائل التي يصعب تحملها في الآخرين لا في النفس؛ الرذائل التي يتوجب على المرء أن يعاني منها وكأنها رذائله الشخصية، بالإضافة إلى العيوب الجسدية كالقبح والقذارة والرائحة الكريهة والجروح والجنون... إلخ، وهي عيوب تزداد صعوبة تحملها عندما تكون في الآخرين. كل ما سبق، أو على الأقل بعض منه، سيبقى دائماً، وسيحتتم على الجميع أن يتحملوه. أما الأمور التي كان من شأنها أن تُعوّض ذلك كالعناية والرضى والعون، تُستقبل جميعها كأنها واجبة وحتمية، في حين لا تُستقبل العيوب بالشكل ذاته، وتزيد المعاناة منها لأولئك الذين كانوا في انتظار أن ينالوا السعادة بالزواج. يعود السبب الرئيس لهذه المعاناة إذن إلى انتظار شيء غير موجود، وعدم انتظار شيء موجود فعلاً. لا خلاص إذن من صنوف المعاناة السالفة إلا بعدم انتظار ما يبهج القلب، بل ما يكئبه، والاستعداد لتحمله. إن أعد المرء نفسه لكل ما سلف ذكره سابقاً في ليالي ألف ليلة وليلة؛ استعد لتحمل الشكر والتنانة والأمراض المقززة والعناد والكذب، سيسعد حينها بعدم حدوث ما كان يمكن أن يحدث؛ أقصد هنا الأمور التي حدثت في ليالي ألف ليلة وليلة، لا الجنون والسرطان وما إلى ذلك. حينها سيقدر المرء حقاً كل شيء جيد.

ألا يعتبر ذلك الوسيلة الرئيسة لبلوغ السعادة بشكل عام؟ ألا يفسر سبب تعاسة الناس؛ خاصة الأغنياء؟ بدلاً من توطين أنفسهم على أن يكونوا في وضع العبد الذي يتوجب عليه أن يكدح من أجل نفسه ومن

أجل الآخرين، وأن يكدح كما يريده سيده، لكن الناس يتصورون أن كافة أشكال السعادة في انتظارهم، ولن يكون عليهم سوى الاستمتاع بها فحسب. كيف يمكن للمرء مع مثل هذا التوجه ألا يصبح تقيسًا؟ في هذه الحالة، سيبدو كل شيء كالعمل الشاق والعوائق والأمراض والشروط الضرورية للحياة أمرًا مفاجئًا وكارثة مفاجئة. لذلك يبدو الفقراء أقل تعاسة؛ لأنهم يعرفون مقدمًا أنه يتحتم عليهم أن يكدحوا ويناضلوا، وأنهم سيلقوا العوائق في طريقهم، وبالتالي يثمنون كل ما يمنحهم بهجة. أما الأثرياء فلا ينتظرون سوى المسرات، ويرون كل عائق في طريقهم كأنه كارثة محققة، ولا يلاحظون الخيرات ولا يثمنونها. طوبى للفقراء لأنهم سيتعزون. طوبى للجياح لأنهم سيشبعون. الويل للأغنياء...

٢٧ أكتوبر.

أنا هنا بصحبة تانيا التي اقترب أوانها وتبدو بائسة، وكذلك أولجا وأندريوشا وجولي وأندريه ديمتريفيتش^(٢١٧). الأمور بخير، لكنني أمرض كثيرًا. أكون مريضًا في غالب الأيام، وذلك يجعلني أكتب قليلًا. أرسلت ١٩ فصلًا لم أنها كما يجب. أعمل الآن على الخاتمة. لدي الكثير من الأفكار، وتبدو لي جيدة.

١ - عن حرية الإرادة ببساطة: الإنسان حر في كل ما هو روحي؛ أي في الحب. يمكنه أن يحب أو لا، بالقدر الذي يريده. في كل شيء آخر ليس حرًا، وبالتالي غير حر في كل شيء مادي. يمكن للإنسان أن يُوجّه

(٢١٧) أولجاي زوجة أندريوشا ابن تولستوي، وجولي فتاة صديقة لتانيا، أما أندريه ديمتريفيتش فقد كان معلمًا لأبناء تولستوي وجاء إليه لمساعدته في إعادة نسخ النسخة النهائية من (البعث).

قواه لخدمة الله أو لا يفعل ذلك. إنه حر إذن في ذلك وحسب، لكن هذا أمر مهول؛ أي بإمكانه أن يسوق أو يُساق.

٢- تعد الحرب والمحاكم والإعدامات واضطهاد العمال والدعارة وأمور أخرى كثيرة نتيجة وشرطاً ضروريين حتميين لتنظيم المجتمع على هذا النحو الوثني الذي نعيش فيه، ولا يمكن تغيير شيء أو أكثر منها. ما العمل إذن؟ تغيير نظام الحياة نفسه. كيف نفعل ذلك؟ أولاً: لا نشارك فيه أو في أي شيء يدعمه مثل الجيوش والمحاكم والضرائب والتعاليم الزائفة وما إلى ذلك.

ثانياً: نقوم بالأمر الوحيد الذي نكون أحراراً فيه تماماً؛ أي أن نستبدل بكل نواع حب الذات وكل ما ينبع منها من ضغينة وأناية وعنف في أرواحنا، الحب وكل ما ينبع من العقلانية والتواضع والرحمة... إلخ. كما أننا لا نستطيع تحريك عجل السيارة بالقوة، فهي جميعاً مرتبطة بالتروس وبقيّة العجلات، بل يتوقف الأمر على إطلاق البخار الذي من شأنه تحريكها بسهولة أو عدم إطلاقه، كذلك من الصعب جداً أن نغير ظروف الحياة الخارجية، ولكن من السهل أن نكون أشراراً أو أحياناً. هذا الأمر الأخير هو الذي بإمكانه تغيير ظروف الحياة الخارجية كاملاً.

٣- إن حياتنا بمثابة تحرر مما يُقيّدنا وتوسيع لحدودنا التي يعمل بداخلها جوهرنا غير المحدود. تتمثل لنا عملية توسيع حدود المادة في الحركة. أما توسيع حدود المكان فتتمثل لنا في المادة. جزء من هذه المادة التي نظنها أنفسنا نطلق عليها: «جسدنا» والجزء الآخر نطلق عليه «العالم». أما توسيع الحدود في نطاق الزمان نطلق عليه «الحركة».

نطلق على جزء من هذه الحركة «حياتنا» والجزء الآخر نطلق عليه «حياة العالم». إن الحياة بأكملها هي بمثابة توسيع لهذه الحدود وتحرر منها. كل ما كتبه غير واضح وغير دقيق.

٢٠ نوفمبر - موسكو.

لم أدوّن الكثير. أنا في موسكو. رحلتُ ثانية مع سوخوتين لسبب ما^(٢١٨). أمر مسيء ومثير للأسف. منذ سبعين عامًا ورأيي يزداد انحدارًا في النساء، ولا يزال في حاجة لمزيد من الانحدار. ثم يقولون: قضية النساء! كيف يمكن أن تكون هناك قضية للنساء من الأساس؟ المسألة لا تتعلق بأن النساء قد بدأن السيطرة على حياتنا، بل كل ما عليهن فعله هو أن يتوقفن عن تدميرها.

لم أعد أنهمك في الكتابة طوال الصباح. فكّرت في أمرين:

١ - نتحدث عن هدف الحياة بالرغم من أنه غير مفهوم لنا، لكنه مفهوم للعقل الأسمى. الهدف بشكل ما هو السبب. السبب مرتبط بالماضي، والهدف مرتبط بالمستقبل. لا يتضح لنا فهم السبب، وبالتالي فهم الهدف، إلا في وجود الزمن؛ أي أن فهم أي كائن هي عملية محدودة بالزمن. لذا لا يوجد هدف بالنسبة لله أو الإنسان الذي يحيا حياة إلهية. ثمة حياة ينمو فيها الوعي وحسب.

٢ - قطرة تتحد بقطرة أكبر منها فتكوّن بركة صغيرة. بهذا ينتهي وجود ويبدأ وجود آخر.

(٢١٨) تزوجتُ ثانية من سوخوتين، وسافرا للخارج.

لم أدون شيئاً منذ شهر تقريباً. كنت مريضاً بشدة. استمر مرضي بشدة لمدة يوم كامل، بعد ذلك ساد الهدوء والضعف. لم يعد الموت مجرد شيء طبيعي، بل أصبح مرغوباً. يبقى الآن أنني أتعافى. هذه مرحلة جديدة تبعث السرور في القلب. أنهيت «البعث». ليست جيدة، ولم تُراجع جيداً. لقد أسرعته للغاية في مراجعتها، لكنني تحررت منها، ولم تعد تثير اهتمامي.

معي هنا سيريوجا وماشا وزوجها وماريا ألكسندروفنا. أشعر أنني بخير. لم أبدأ في كتابة شيء بعد. أكثر ما يثيرني الآن هي الفلسفة لكن ليست لديّ رغبة كبيرة في فعل أي شيء. إنني أستريح الآن. كتبت بعض الخطابات، وسأحاول أن أنقل هنا ملاحظاتي التي دوّنتها في دفتر الملاحظات:

١- تعدد الأصوات (بوليفونية - هارمونية) هي أمر تافه. لا بد أن يقول الصوت شيئاً ما، لكن مع تعدد الأصوات لا يقول كل صوت أي شيء.

٢- واحد من الأسباب الرئيسة لشر حياتنا هي التربية التي تلقيناها في عالمنا المسيحي حيث لقنونا الإيمان بإله يهودي شخصي، في حين أن السمّة لرئيسة لله - إن جاز التعبير - هو أنه غير محدود بشيء، وبالتالي ليس إلهاً شخصياً.

٣- علينا أن نقهر الموت. لا... لا أقصد الموت، بل الخوف من

الموت الناشئ عن عدم فهمنا للحياة. إن تمكنا من فهم الحياة وكيف أن الموت شرط ضروري وخيرٌ لها، سنتوقف عن الخوف منه ومقاومته. إن توقفنا عن الخوف منه سنتوقف عن خدمة النفس الفانية، وسنخدم الله الخالد، الذي جئنا منه، وإليه نذهب.

٤ - المادة هي كل ما يمكن للحواس أن ترصده. يُجبرنا العلم على افتراض وجود مادة لا يمكن للحواس رصدها. في هذا المجال قد تكون هناك مخلوقات قد تكونت من هذه المادة التي لا يمكن لحواسنا رصدها، وبالتالي يمكنها أن تعيها. لا أظن أن مثل هذه الكائنات موجودة، لكني أعتقد أن مادتنا وحواسنا التي تستطيع رصدها يشكلان مجرد احتمالية من احتماليات الحياة التي لا تُحصى.

٥ - أنا عبد، أنا دودة، أنا قيصر، أنا إله. صحيح أنك عبد ودودة، لكن ليس صحيحًا أنك قيصر وإله. عبثًا يولي الناس أهمية وعظمة بالغين لعقولهم. إن حدود العقل الإنساني تتسم بضيق الأفق، بل ويمكننا أن نراها. تتمثل هذه الحدود في لا نهائية الزمان والمكان. يرى الإنسان أن الإجابات النهائية على الأسئلة التي يطرحها على نفسه تزداد مراوغة، كما أنه يدرك أنه لن يجد إجابة نهائية داخل نطاق الزمان والمكان؛ لأن كليهما لا نهائيان. حدود عقل الإنسان ضيقة الأفق. ما يلائم العقل تمامًا هو أن يجد إجابة على سؤال: كيف يجب أن يعيش الإنسان؟ هذا هو المجال الوحيد الذي يمكنه أن يجد فيه إجابة نهائية.

٦ - قرأت شيئًا عن كتاب إنجلجارت «التطور كتقدم للوحشية». أعتقد أنه يتضمن جزءًا كبيرًا من الحقيقة. تزايد القسوة على نحو خاص

بسبب تقسيم العمل وما لحق به من زيادة الثروة المادية لدى الناس. يتحدث الجميع عن مميزات تقسيم العمل دون أن يلاحظوا أن أحد الشروط الضرورية لتقسيم العمل، بالإضافة إلى آلية الإنسان، هو القضاء على الشروط التي تسمح بزيادة التواصل الأخلاقي بين الناس. إن فعلنا ما يفعله المزارعون تمامًا، سيكون من المفهوم أن يتأسس بيننا نظام قائم على التعاون بتبادل الخدمات. لكن ليست هناك أدنى إمكانية لقيام تعاون بين راعي الغنم وعامل مصنع النسيج.

يبدو ذلك غير صحيح... سأعيد التفكير في الأمر.

٧- كيف يجب أن يتعامل الله مع الصلوات الموجهة إليه، إن كان هناك وجود فعلاً لإله شخصي يمكن التوجه إليه بالصلاة؟ سيتعامل معها كما يتعامل سيد المنزل الذي تتوفر لديه مياه مع مَنْ يأتونه طلباً للمياه. الماء موجود، وكل ما عليك أن تفتح الصنبور. هكذا أُعد للناس كل ما يمكن أن يكونوا في حاجة إليه. إن جلب البعض المياه من مستنقع فاسد بدلاً من استخدام المياه النظيفة، فليس الله هو المذنب في ذلك، حتى لو شعر الآخرون باليأس من قلة المياه، وصلُّوا من أجل أن يمنحهم الله المياه بكثرة.

٨- طبقاً للمنظور المنتشر الآن بين الناس للعالم، فإنَّ النظام الاقتصادي والسياسي القائم الآن هو الأفضل، وبالتالي لا بد من وجود الجيش والمحاكم ورأس المال والبغاء والكنيسة. هذا يعني أن كل إدانات النظام القائم لا أساس لها، وكل محاولات تغيير النظام أو تحسينه بطرق مادية فجة دون تغيير منظور الناس للحياة، مثلما هو الأمر

مع الإلحاد وخرافات الكنيسة على السواء، ستمضي بلا جدوى.

٩- يمكننا عن طريق التجربة الشخصية أن نتأكد من حقيقة أن الأنا هي جزء من الله، والحب جزء آخر. ما إن يتحطم الحب حتى تتوقف الحياة، وتشعر أنك لا تريد فعل شيء، وأن كل شيء يبعث فيك الضيق. على النقيض من ذلك ما إن يتواجد الحب وتتصلح مع مَنْ تشاحنت معهم، وتغفر ويُغفر لك، حتى تشعر أنك تريد الحياة بهذه الطريقة، وسيبدو كل شيء لك ممكنًا وسهلاً.

١٠- سيكون من الجيد أن نعبر بأرقام تقريبية ثم برسومات بيانية عن مقدار أيام عمل العمال التي يستفيد منها الأغنياء في حياتهم. يمكن إلى حد بعيد التعبير عن ذلك بالمال. إن أنفقت مثلاً عشرة روبلات فهذا يعني أن عشرة أفراد يعملون من أجلي. لا... الفكرة غير واضحة.

١١- عادة ما يُقال إن هذا تفكير عميق للغاية، وبالتالي ليس واضحاً كفاية. هذا غير حقيقي. كل ما هو عميق شديد الوضوح كالمياه، قد يبدو سطحها عكراً، لكن كلما توغلت إلى عمقها ازدادت صفاءً.

١٢- نسبة صغيرة من الناس، قد تصل إلى ٢٠٪، مجنونة من تلقاء نفسها، استولى عليها جنون الغرور وسيطر على مركز القوى الروحية فيهم. أما الجزء الأكبر البالغ ٨٠٪ من الناس تقريباً فقد تم تنويمه من قبل العلم والفن والدولة، والدين قبلهم جميعاً، وهم لا يستخدمون عقولهم. لذا المجانين هم مَنْ يحققون نجاحاً في هذا العالم، ويصلون إليه بالجنون الذي استولى على غالبية الناس.

١٣- عندما أمرض، أشعر بالسلوان والرضى؛ أي عندما يلحق الدمار بحدود شخصيتي. ما إن أتعافى حتى أختبر العكس؛ أختبر قلقاً وعدم رضى. لكن هل ثمة علامات واضحة على دمار حدود الشخصية في هذا العالم، واللاحاق بعالم ذي حدود جديدة؟

٢٠ ديسمبر.

لست بصحة جيدة. حالتي المعنوية جيدة، وأشعر أنني مستعد للموت. في المساء يأتي كثيرون من الزوار، حتى أشعر بالإرهاك. لم تُنشر البعث في العدد ٥١ (من مجلة النيفا) وشعرت بالأسف. هذا أمر سيئ. أفكر في تعريفات فلسفية للحياة. فكّرت اليوم على نحو جيد في قصة السند المزيف. ربما سأكتب فيها.

فيما يتعلق بتعريف فلسفي للحياة:

الإنسان جزء من الكل، أو على نحو أدق، يدرك حياته كجزء من الكيان الكلي. إنه يدرك نفسه كجزء؛ لأنه محدود بحدود الجسد؛ الأمر الذي يؤثر على إدراكه. يشير حسه إلى هذه الحدود، وحسه أو شعوره واحد، سواء كانت ملامسة موجات الأثير لعينه، أو أمواج الهواء لأذنه أو الرائحة لأنفه أو المذاق للسان. لو لم تكن لدى الإنسان هذه الحواس لما أدرك بالجسد. كل ما يعرفه يعتمد على الحركة، والجسد يمثل حدود الجزء والحركة.

الفكرة غير واضحة كفاية...

١ يناير - موسكو.

في غرفتي، والجميع من حولي في استقبال العام الجديد. لم أكتب شيئاً طوال تلك الفترة، ولم أكن بخير صحياً. عليّ أن أكتب الكثير.

١ - أنا كائن مستقل ومتصل بالكيان الكلي. أدرك استقلاليتي من الناحية المادية، داخل نفسي وخارجها على السواء. أما اتصالي بالكيان الكلي أدركه بالحركة، داخل نفسي وخارجها على السواء. تتمثل حدود التواصل في الحركة داخل إطار الزمن. أدرك نفسي على أنها جزء من هذه المادة والحركة، وأدرك العالم والكيان الكلي على أنهما الجزء الآخر. هذه هي الحياة.

أدرك الحدود بين ما أعتبره نفسي وما لا أعتبره نفسي بالمادة في حدود المكان. تتمثل الحياة في إدراكي لنفسي على أنها جزء من المادة والحركة.

ليس ثمة مادة أو حركة بالنسبة للكل. إن المادة والحركة هما أساس الإدراك الذي لا ينبع سوى من الوعي باستقلالية كل كائن عن بقية

الكائنات وتواصله معها أيضًا. المادة هي الوعي بحدود استقلالية كل كائن، والحركة هي الوعي بحدود التواصل.

لو لم يكن لدينا مفهوم للمادة، لما كان هناك وعي باستقلاليتنا، ولو لم يكن هناك وعي بالتواصل لما ظهر لدينا وعي بالحركة.

يسعى الإنسان في الحياة لتخطي هذا الحد أو ذاك. يُخرجه الحب من هذا، والعقل من ذاك. يقضي الحب على استقلالية أو انفصال الكائن عن بقية الكائنات، أما العقل فيَنشط في ذلك المجال الذي ليس ثمة حركة فيه.

لا... لم أنجح في التعبير عن الفكرة بدقة، لكنني اقتربت.

٢- إن شَرَّبوا ذهن الطفل فكرة أنه يجب أن يؤمن بأن الله إنسان، وأنه واحد وثلاثة في الآن ذاته، وأن $2 \times 2 = 5$ ، سيشوهون أداة إدراكه إلى الأبد ويكسرون ثقته في عقله. هذا تحديدًا ما يفعلونه مع الأطفال جميعًا... يا له من أمر مريع!

٣- لماذا تقضي الأمور ألا نتمكن من رؤية ثمار نجاحنا مثلما لم يتمكن موسى من دخول أرض الموعد؟ لتتصرف غير واضعين في حسابنا فكرة النجاح، بل خلاص أرواحنا؛ أي حتى لا نسترشد بدوافع خارجية مخادعة، بل داخلية لا شك في صحتها.

٤- تذكرت صباي وبقاعتي وشبابي. لم أكن أسترشد بأي مبادئ أخلاقية، وكان الكثيرون من حولي يدخنون ويشربون بكل ثقة وينهمكون في الفسق على نحو خاص، ويضربون الآخرين ويطالبونهم بالعمل.

ارتكبت الكثير من الأفعال السيئة التي لم أكن أرغب فيها، ولم يكن ذلك سوى بدافع من محاكاة الغالبية.

٥ - لدينا ثلاثة بواعث للعمل في الحياة:

أ - إرضاء شهواتنا الشخصية.

ب - الرغبة في نيل استحسان الناس ومديحهم.

ج - تحقيق دورنا في الحياة؛ أي إرادة الله.

الانتقال من الأول إلى الثاني؛ أي أن نقوم بالفعل من أجل نيل مديح الناس أكثر من قيامنا به لإرضاء شهواتنا الشخصية، يعني أن نُضَحِّي بالشهوة من أجل نيل مديح الناس، وهو أمر سهل لكنه غير حسن. الانتقال من الثاني إلى الثالث؛ أي أن تقوم بدورك في الحياة بدلاً من أن تسعى إلى إرضاء شهواتك أو نيل مديح الناس، وأن تضحي بشهواتك من أجل تحقيق إرادة الله أمر صعب لكنه رائع وضروري. نادراً ما أدرك ذلك فعلاً وأحاول تحقيقه. تعالَ وحلَّ فيَّ وساعدني على أن أعود نفسي على ذلك. هذا ممكن.

٦ - حاول أن تحيا من أجل شهواتك وحسب، وسترى أن الأمر لن يقتصر على أنك لن تُرضيها وحسب، بل إنك ستزيد من اضطرامها بشكل لا يتلاءم مع إمكانية إشباعها، وبالتالي سيزداد شعورك بعدم الرضى. إن عشت من أجل نيل مديح الناس وإرضاء شهواتك، سيجعلك ذلك غير قادر على إشباع الأولى كما يجب، وبالتالي لن تشعر بالرضى. لكن إن عشت من أجل تحقيق إرادة الله ستصل إلى الرضى الكامل دائماً.

٧- تحدث سيريوجا مع أوسوف عن المفاهيم المختلفة لنظام العالم وما إن كانت المادة أبدية أم لا . هكذا أفهم الحياة والعالم: ليست المادة سوى تصور ينبع من استقلالنا عن العالم. الحركة هي تصوري عنها النابع عن اتصالي بالعالم، وبالتالي ليس لديّ أي تساؤل عن أبدية المادة.

٨- من على متن عربة يجرها الخيل نظرت إلى المنازل واللافتات والمتاجر والسائقين والمارة، وفجأة انجلى لي بوضوح أن هذا العالم كله بما فيه حياتي ليس إلا احتمالاً من قلب عددٍ لا يُحصى من الاحتماليات لعوالم وحيوات أخرى، ومرحلة من قلب عددٍ لا يُحصى من المراحل التي يبدو أنني أمر بها عبر الزمن.

٩- جندي قتل عدوه وتم القبض عليه، وهذا نص استجواب الله له:

- ألم تكن تعرف أن عليك ألا تقتل؟

- عرفت ذلك.

- كيف؟

- من وصية الله.

- لماذا قتلت إذن؟

- هذه هي أوامر السلطة.

- ولكن ما دمت قد عرفت أن الله لم يأمرك بذلك، لماذا لم تدرك

أن السلطة تخدعك؟

- لقد لقتني السلطة بعض الأمور عن الله وأخبرتني أن بإمكانني أن

أقتل إن أمرتني بذلك.

لو كان الله قد سمح للناس بتعليم الناس، لما كان لديه ما يقوله، لكنه هو نفسه يُعلِّم الناس بشكل مباشر، وقد أدرك الجندي في قرارة قلبه أن عليه ألا يقتل، لذا فهو مذبذب.

١٠- بُجِّل رجال الحاشية والقياصرة والكهنة والأساقفة... إلخ حد العبادة لسبب واحد؛ كلما ارتفع مركز مَنْ نخضع له بالنسبة للفائدة التي نجنه منها، تبررنا أكثر، لا في عين الناس وحسب، بل أيضًا في عين أنفسنا.

١١- أغوت حواء آدم، وهكذا هو الأمر دائمًا. تقرر الأنثى كل شيء. صُمِّمت طبيعة الذكور بحيث لا يمكنهم مقاومة الأنثى، وذلك حتى لا تبقى الأنثى عزباء. نرى ذلك في الحيوانات: الكلاب- الذئاب- الأرانب البرية- الغزال. لذا يبدأ الفساد من طرف المرأة. صحيح أن الجميع يفسدون، وأن الرجال يُفسدون النساء، لكن البداية دائمًا من طرف المرأة. إن خلاص العالم من الفساد لن يتم إلا من طرف المرأة، بحيث تعود في البداية إلى الوضع الحيواني، ثم تتخطى تلك المرحلة حتى تصل إلى العفة.

١٢- الإنسان غير منفصل عن العالم والكيان الكلي، أما الحدود التي تفصله عن العالم تعود لإدراكه المادة. إنه يدرك وحدته بالعالم عن طريق الحركة.

لا... عبَّرت عن الفكرة على نحو خاطئ. سأعيد كتابة أفكار أعمالي الأدبية المقترحة.

٢ يناير.

أعدت لتوي قراءة اليوميات بأكملها حتى أنقل منها بعض الأجزاء. حالتي الصحية سيئة طوال الوقت، وليست لديّ طاقة للتفكير. لا أفعل شيئاً طوال تلك الفترة. أشعر بالأم دائم. قرأت ما كتبته عن إدراكي بوضوح أن الحياة بأكملها تتلخص في تحقيق إرادة الله، وخشيت أن أفقد مع الوقت هذا الإدراك، ويبدو أنني فقدته فعلاً.

٨ يناير.

لم أفعل شيئاً لعدة أيام. نَحَيْت عني خطابي إلى الدوخوبوريين^(٢١٩)، واكتفيت بمراجعة مقالتي عن يوم الـ ٣٦ ساعة عمل^(٢٢٠)! اقتربت من الانتهاء منها اليوم. ماشا هنا. كنت سأكتب حالاً عنهما، لكنني توقفت لأنني أعرف أنهما سيقرآن ذلك^(٢٢١). روعي المعنوية مرتفعة رغم حقيقة انحدار حالتي الصحية الشديد. أشعر بمخاض الموت؛ أي الولادة الجديدة. لا يمكنني أن أتعامل معه على نحو آخر، خاصة عندما أكون مريضاً. كلما اشتد مرضي ازداد تعاملتي معه وضوحاً وهدوءاً. ودّعني ستاسوف لتوه ورحل. إنه نموذج للإنسان المثقف. كم أريد التعبير عن ذلك! هذا موضوعٌ جديدٌ تماماً.

(٢١٩) خطاب إلى الدوخوبوريين الذين انتهى بهم المطاف في كندا، ويبدو أن بعضهم قد عاد إلى نظام الملكية الفردية، فكتب لهم تولستوي خطاباً بصدد ذلك.

(٢٢٠) يشير إلى مقالته (أرخص بضاعة).

(٢٢١) كانت ماشا وزوجها يساعدان تولستوي في نسخ بعض أجزاء اليوميات لإرسالها إلى تشير تكوف لنشر بعض أفكار تولستوي.

وصلتني اليوم أخبار من سيزران^(٢٢٢). أشعر بالأسف على سيريوجا.
ليس لديّ الكثير من الأفكار لأدونها:

١- أقرأ الصحف والمجلات والكتب، ولا أزال غير قادر على عزو
أي أهمية لفلسفة نيتشه أو مسرحيات إيسن (كاتب مسرحي نرويجي)
وماترلينك (كاتب مسرحي بلجيكي) وعلم لومبروزو^(٢٢٣). يقينًا هذا
يعبر عن الفقر التام للفكر والإدراك والمشاعر.

٢- أقرأ عن الحرب في الفلبين^(٢٢٤) وإقليم الترانسفال، وأشعر
بالهلع والنفور. لماذا؟ كانت حروب فريدريك^(٢٢٥) ونابليون حقيقية، لذا
لم تُحرم تمامًا من بعض الأبهة. كذلك كان الأمر في حرب سيفاستوبول.
أما حروب الأمريكيين والإنجليز تدور في عالم يُدين فيه الناس الحرب،
حتى طلبة المدارس منهم. أمر مريع حقًا.

٣- تذكرت اليوم كلمة غير لطيفة قالها لي سيريوجا، وشعرت
بالضيق. عندما تشعر بالضيق من شيء ما، هذه دلالة حقيقية على أنك
تعيش من أجل شهواتك أو نيل مديح الناس، لا من أجل خدمة الله.
تذكرت ذلك ونَحَّيت عني هدفي الكاذب، وكشفت لنفسي الهدف

(٢٢٢) المدينة التي كانت تقطن فيها فارفارا ابنة سيريوجا شقيق تولستوي، وقد أثر فشل زواجها
بشدة على أبيها.

(٢٢٣) راجع حاشية رقم ١٠٢.

(٢٢٤) دارت بين القوات المسلحة الأمريكية والفلبين من سنة ١٨٩٩ حتى سنة ١٩١٣ بهدف ضم
الفلبين إلى السيطرة الأمريكية.

(٢٢٥) ملك بروسيا من سلالة آل هوهنتسولرن. اشتهر بدهائه في الحملات العسكرية وفي تنظيم
الجيش البروسية. صار يعرف بفريدريش العظيم، وكان يُلقب فريتس العجوز.

الوحيد الحقيقي، ومن ثم شعرت بالراحة.

١٦ يناير.

لم أعمل شيئاً. أخفي اعتلال صحي. ضعيف روحياً لكني لم أرتكب شراً؛ الأمر الذي يُبهجنِي. وصلت ليزانكا^(٢٢٦) من سيزران وفورويوف من نالتشيك^(٢٢٧). لا يمكن أن يحدث ما هو أسوأ من ذلك. لا، هذا غير صحيح: هناك ما هو أسوأ. لذا ليس عليّ الشعور بالأسف. كثيراً ما تؤدي صنوف المعاناة الجسدية والمعاناة بسبب حب الذات والكبرياء والخيلاء إلى إحداث تقدم روحي. دائماً ما يحدث ذلك، خاصة مع المعاناة الناتجة عن الكبرياء. لكننا نحن الأغبياء، نشكو من ذلك. وصلني خطابان جيدان من سان جون وسينيه (رسام فرنسي).

فكرت اليوم في أن وضعي -أيّا كان- مفيد لي. لقد وُهِبَت عصا سحرية. كل ما عليّ هو أن أتعلم كيفية استخدامها. لا بد من الإشارة كذلك إلى الآتي:

جاء جوركي. دار بيننا حوار رائع. أُعجبت به. إنه إنسان حقيقي من قلب الشعب حقاً.

يا لقدرة النساء المذهلة على تمييز مدى منزلة أحدهم! إنهن لا يميزن ذلك من الانطباع الذي يتركه فيهن، بل من رؤيتهن لطريقة ركض الجموع واتجاهها. كثيراً ما لا ينلن أي انطباع من الشخص، ويكون

(٢٢٦) ابنة شقيقة تولستوي، وكانت في زيارة لفارفا ابنة سيريجوا؛ أي ابنة خالها.

(٢٢٧) ربان سفينة سابق، جاء ليسأل تولستوي النصح فيما إن كان يجدر به ترك الزراعة من أجل العمل بالأدب أم لا.

ذلك غير متناسب مع حقيقة الشخص، ومع ذلك يكون تقديرهن له صحيحاً (٢٢٨).

فكرت في الآتي:

١- لا يمكنك أبداً أن تتحلى بالحذر الكافي من الكبرياء وحب نيل مديح الناس. إن أراد أحدهم أن يحطم عدوه، فأفضل شيء أن يمتدحه. يشجع المديح على الوصول إلى حساسية مَرَضِيَّة تؤدي بدورها إلى حالة من الارتخاء والكسل، وحينما تتعرض للتوبيخ تشعر بالضغينة والكآبة. باختصار، يُزيد المديح من الاعتلال والحساسية الزائدة.

٢- قرأت قصة تشيخوف (السيدة صاحبة الكلب). كل ما فيها هو صوت نيتشه. أولئك الذين لم يتوصلوا بعد إلى تكوين منظور واضح للعالم خاص بهم، بحيث لا يكونوا قادرين على التمييز بين الخير والشر، كانوا في السابق يخجلون من ذلك ويواصلون البحث، أما الآن، يعتقدون أنهم تجاوزوا حدود الخير والشر، وبالتالي يمكنون في نفس مواقعهم؛ أي في مرحلة حيوانية.

٣- زيادة الإنتاج بينما يعاني الناس من الجوع ليست إلا دلالة على العبودية؛ لأن ذلك يعني أن الناس لا يعملون من أجل أنفسهم، بل من أجل سادتهم. يعني ذلك أيضاً أن العبودية أصبحت مالية، أي إن السادة يسيطرون على العبيد بالحوال بين العبيد وما يحتاجونه وعدم تقديمه إليهم.

(٢٢٨) الإشارة إلى جوركي حيث تصاعد نجمه سريعاً جداً.

لا... ليس الأمر كذلك. عليّ أن أعيد التفكير.

٤- كل من الحاجة والإغراء يدفعان الناس إلى المصانع. مع التوزيع غير المتكافئ للثروة يستحيل رسم خط واضح بين الحاجة والإغراء. عاش الناس سابقاً من دون شاي وسكر وأحذية جلدية. هل يعتبر كل ما سبق إذن حاجة حقيقية أم إغراء؟

٥- يقول الفلاحون: خلاص الروح، أما نحن فنقول إن هذه محض غباوة. هذا واحد من أهم عمليين في الحياة. علينا أن نقوم بعمل الله باستمرار ونعد أنفسنا لحياة أفضل بدءاً من هذا العالم.

٦- يمكننا أن ننظر إلى الاحتياج الجنسي كواجب ثقيل الوطأة للجسد. هكذا نظرت إليه طوال حياتي. يمكننا كذلك أن ننظر إليه على أنه متعة. نادراً ما وقعت في خطيئة النظر إليه على هذا النحو.

٧- أفضل طريقة للتعامل مع الشهوة الجنسية هي أن تقمعها تماماً. ثاني أفضل طريقة أن تكون لديك علاقة جنسية بامرأة واحدة طاهرة لديها نفس إيمانك، وتُنشأ أطفالك معاً على أن يساعد كل منهما الآخر. المرحلة السيئة التي تلي ذلك هي أن تذهب إلى الماخور حينما تعذبك الشهوة. الأسوأ من ذلك أن تكون لديك علاقات جنسية بنساء عديدات دون أن تعيش معهن. الأسوأ من ذلك أن تكون لديك علاقة جنسية بامرأة ثم تهجرها. الأسوأ من ذلك أن تقيم علاقة مع زوجة أحدهم. أما أسوأ شيء ممكن هو أن تواصل العيش مع زوجة خائنة لا أخلاقية.

عليّ أن أمزق تلك الورقة.

٢٧ يناير.

لم أدون يومياتي لأسبوعين تقريباً. ذهبت لحضور عرض «الخال فانيا» وامتعضت^(٢٢٩). أردت أن أكتب في مسرحيتي «الجثة» (يقصد: جثة حية) وكتبت موجزاً لها. انزعجت بشدة من ظهور (ج)^(٢٣٠). لم تنتهِ عقوبتي بعد. عليّ أن أخدم الله على نحو صحيح. أردت أن أعيد نسخ بعض الأفكار من دفترتي، لكنني لا أستطيع. كنت بحالة جيدة رغم أن حالتي الذهنية لم تكن حيوية. ساءت حالتي على نحو خاص في اليومين الأخيرين.

١٣ مارس.

لم أدون يومياتي منذ أكثر من شهرين. رحلت ماشاً، ثم رحل أندريوشا بصحبة أولجا. تحسنت صحتي في تلك الفترة على نحو رائع. انتهيت من كتابة خطابي إلى الدوخوبوريين وأرسلته. واصلت كذلك الكتابة في مقالتي عن الوطنية، وراجعتها عدة مرات، ووجدتها ضعيفة جداً حتى إنني قررت إما أن أتخلص منها وإما أن أبدأها من جديد، ويبدو أنني لديّ ما أقوله إن بدأتها من جديد. عليّ أن أشير إلى أن الوضع الحالي، خاصة ما يتعلق بمؤتمر لاهاي، قد كشف لنا أننا لا يمكننا أن

(٢٢٩) حضر تولستوي عرض مسرحية تشيخوف، وبشكل عام لم ترق مسرحيات تشيخوف لتولستوي.

(٢٣٠) يشير إلى جاشا: أجرافيا ميخايلوفنا تروبتسكايا: خادمة سابقة لدى شقيقة تولستوي. كان تولستوي على علاقة بها قبل زواجه وقد اعترف لزوجته بذلك، وقد سبب ظهورها ضيقاً شديداً لصوفيا.

نتنظر شيئاً حسناً من السلطات العليا، وأن لا خلاص من ذلك الموقف المريع المدمر إلا بجهود الأفراد الشرفاء.

يبدو أن مقالة يوم الـ ٣٦ ساعة عمل، سوف تخرج إلى النور. سوف تكشف في الأساس عن أن التحرر الحالي والقريب لن يكون مجرد تحرر من حق القناة؛ لأن ذلك يعني الخلاص من قيد واحد، بينما تبقى بقية القيود. أُبطلت العبودية حينما أكدوا على حق القناة، وأُبطل حق القناة عندما انتزعت الأرض وفُرضت الضرائب. الآن يتحررون من الضرائب بينما ينتزعون أدوات العمل نفسها. سيعيدون أدوات العمل للعمال، أو على الأقل ينوون ذلك، ولكن بشرط أن يصبح العمل إلزامياً للجميع.

في تلك الفترة جاء بعض المولوكانيين^(٢٣١) يريدون الهجرة. كذلك جاء اثنان من الدوخوبوريين من مقاطعة أرخانجيلسك. وصلتني أخبار عن سجن ٥ منهم في إقليم فلاديكافكازيسك. وصل بولانجي اللطيف وكذلك سولر وكونشين الودودان. يعيش كوليتشكا هنا معي ويساعدني. سيريوجا (ابنه) هنا معنا. إنه طيب، لكنه للأسف بعيد عني.

كثيراً ما تراودنا مشاعر سيئة. أحياناً أكافح وأصل تماماً حتى الجذور. لكن الوقت وحده عندما ينجلي لي، يكشف لي عن أن الحياة ليست إلا خدمة، والخدمة لا تتم إلا بالحب. بالأمس تمشيت وفكرت في ذلك. تراودني الشكوك، أنضع وأتحمل الإساءة وأظهر مشاعر طيبة باسم الحب، لكن لا أحد يعرف ماذا يعمل حقيقةً في روحي. قد يكون

(٢٣١) راجع حاشية رقم ٨٨. توجه ٥٠٠٠ آلاف بطلب لتوستوي كي يساعدهم في السماح لهم بالهجرة إلى أمريكا أسوة بما حدث مع الدوخوبوريين.

الدافع إلى اتضاعك ومشاعرك الطيبة هو ضعفك وعدم إخلاصك وتصنعك. بهذا أنت لا تقدم مثلاً على المشاعر الجيدة اللازمة للخدمة وحسب، لكنك تقدم أيضاً مثلاً على العكس. أ تكون هذه خدمة حقيقية؟ هكذا تُحدِّث نفسك في لحظات الضعف. نعم، ستكون حقيقية. عليك أن تدرك دائماً أن ليس بمقدورك تقييم عواقب أفعالك؛ لأنها ستوارى عنك وسط عدد لا نهائي من العلاقات المعقدة. عليك أن تستمع لسيدك وحسب. ألا يعني ذلك أن نظرية الطاعة الدينية للكنيسة أو البابا أو القلب صحيحة، لكن الخطأ يتلخص في تحديد هوية من يجب أن تطيعه؟ علينا أن نطيع الله وحسب بالمفهوم البسيط والواضح لوصيته عن بعث الحب في نفوسنا ونفوس الآخرين.

لن يندهش العمال الذين يشيدون بيتاً ويعرفون ذلك إن طلب منهم المهندس أحياناً أن يهدؤا جداراً معيناً بدلاً من تشييده. إنهم يعرفون جيداً أن ذلك سوف يؤدي إلى تشييد المنزل حتى لو لم يفهموا تفاصيل ذلك بالضبط. هكذا هو الأمر مع طاعتنا لمتطلبات الله منا التي تتلخص في قانونه الوحيد؛ الحب. لكن الطاعة لازمة لهذا القانون وحسب؛ لأنه وحده أسمى من العقل الإنساني.

استفدت أكثر من مرة في تلك الفترة أثناء قراءتي لإدانات موجهة لي. إنها تذكّرة لي بالطريق الزائف.

فيما يتعلق بالزمن: لأكثر من شهرين وأنا أكتب القليل، ويبدو كذلك أنني لم أكتب شيئاً مهماً. سأدوّن بعض أفكار:

١- أهم عمل، بل العمل الوحيد المهم والمخفي عن الناس هو

زيادة الحب في النفس وفي الآخرين. زيادة الحب أمر ممكن، ويتضح عمل الله من حقيقة إن الحب ما إن يتجلى في أحدهم حتى يزيد تلقائيًا فيه. كما أن ظهوره في أي شخص يزيد من قدره داخل المُحب من تلقاء نفسه. لا يمكن أن يمضي الأمر على نحو آخر؛ لأن الله محبة.

لذا أهم عمل هو زيادة الحب بداخلك وبداخل الآخرين، وهو عمل يستحق أن نضحى من أجله بكل شيء آخر. ثمة الكثير من الأعمال الصالحة مثل تربية الأطفال وزراعة الأرض ونشر الأفكار الجيدة... إلخ، لكن يلزمك أن تدرك الأهم والأثمن من بين كل هذه الأفعال.

٢- ثمة ثلاث رؤى للعالم: العيش من أجل المتعة - العيش من أجل خلاص الروح - العيش من أجل تحقيق إرادة الله.

الرؤى الثلاث مشروعة لكن واحدة منها فقط تتضمن الآخرين بداخلها. إن عشت من أجل المتعة، ستفسد روحك وستعيش ضد إرادة الله. إن عشت من أجل خلاص روحك، ستُحرم من متعة الحياة ولن تحقق إرادة الله. لكن إن عشت من أجل تحقيق إرادة الله، فهذا وحده ما يضمن لك أن تنال أكبر قدر من المتع كما يضمن لك السعي إلى كامل روحك.

تعتبر الرؤية الأولى عن حياة الأبيقوريين، وهي حياة الناس جميعًا تقريبًا، أما الثانية فتعبر عن حياة الزهاد الدينيين، والثالثة تعبر عن الحياة المسيحية. ليتني أعيشها دائمًا!

٤- ليت النساء يتمكنّ من فهم جمال البتولية حتى تبعث في أنفسهن أفضل المشاعر! إن حدث ذلك ربما يتمسكن بها. لكن ما يحدث هو أنك ترى دائمًا السقوط الرهيب للبتولية، أو الانخراط في شهوة فظة

مغلقة بكافة وسائل الخداع الغبية للعشق، أو حتى شعور بالندم على سمو العشق وجماله!

٥- حلمت بأحدهم واقفاً فوق عمود^(٢٣٢)، والناس من حوله يمتدحونه، وآخر يرقص فوق المسامير كي يتفوق على الأول، بينما الثالث كان ببساطة مجرد رجل صالح.

٦- الفنون كالشعر من قبيل: «لشواطئ الوطن البعيد...» (قصيدة لبوشكين) والرسم، والموسيقى على نحو خاص تعطينا فكرة عن منبعها، وما إن كان المنبع يتضمن أمراً ما جيداً جداً أو صالحاً أم لا. لكننا لا نجد فيها أي شيء صالح. إنها تبدو كالثياب القيصرية التي لا تبدو ملائمة إلا لحياة القيصر.

لم أُعبر عن الفكرة على نحو جيد، لكنني هكذا كتبتها.

٧- كم من الجيد ألا تعرف عواقب أفعالك! إن عرفت بعض العواقب غير النهائية - فليس بإمكانك أبداً أن تعرف العواقب النهائية - وأدركت عواقب بعيدة جداً عن اللحظة الراهنة لما استطعت أن تقرر شيئاً أبداً. إنك تتخذ قراراتك الآن لا لمعرفتك بالعواقب، بل لأن هذا ما يتحتم عليك فعله.

٨- حتى أشد الناس شراً يتورد وجهه عندما يخبرونه أنهم يحبونه. هذه إذن هي أكبر سعادة للناس. لدينا وسيلة واحدة لتحقيقها؛ أن نحب. أحب الناس، وسيحبونك.

(٢٣٢) بعض النساك في سوريا والشرق كانوا يقطنون فوق أعمدة أو قمم ضيقة وأطلق عليهم "العموديون".

٩- أحد الأسباب الرئيسة لأخطائنا في الحياة هي أننا ننسى أننا لن نقيم إلى الأبد هنا، بل إننا مجرد رَحَّالة... لسنا حتى رَحَّالة، بل إننا نستقل مركبة على الطريق أو في البحر.

١٠- أمضي بالقرب من سائق عربية مستهتر. يتقدم وسط فلاحين بائسين. ارتدى الرجل ثيابًا لائقة وحلق لحيته، ولاحت عدة الجواد المزركشة وقفطان السيد من فرو السمور، وهو يعرف كيفية التعامل مع السادة المحرمين. كيف يمكننا أن نقنعه أن كل هذا لا يهم إطلاقًا، وأن المهم هو الالتزام بالقانون الأخلاقي؟ إنه لا يسمع ذلك في المنزل أو الكنيسة ولا في الصلوات التي يستمع إليها، مثل الصلاة التي حضرتها في إحدى إصلاحيات الأحداث.

١١- في إحدى الإصلاحيات سمعت الكاهن يفسر للناس الوصية الأولى من العظة على الجبل^(٢٣٣)، موضحًا لهم أن الغضب أمر ممكن وواجب، مثلما تغضب السلطات، كما أن القتل ممكن إن كان بأوامر من السلطة. كان هذا مريعًا.

يمكن التسامح مع كل شيء إلا تشويه هذه الحقائق السامية التي لا تصل الإنسانية إليها إلا بصعوبة.

١٢- على ما أذكر، ليسنج^(٢٣٤) هو من قال إن كل زوج يقول أو يعتقد أن زوجته هي الزوجة الوحيدة السيئة والخائنة في العالم، يعود

(٢٣٣) فصول من الإنجيل تضم وصايا كثيرة للمسيح تعد بمثابة دستور المسيحية الأخلاقي.
(٢٣٤) جوتنهولد فرايم ليسينج: فيلسوف، ومسرحي، وناقد فني ألماني، وهو أحد أهم ممثلي عصر التنوير، مسرحياته وكتابات النظرية أثرت بصورة كبيرة على تطور الأدب الألماني.

ذلك إلى أن الزوجة تبدو ككتاب مفتوح لزوجها ولا يمكنها أن تواصل خداعه كما تخدعه بقية النساء.

١٣- فلتضرب جدران القفص. يفيدك ذلك لأنه يجبرك على أن تتذكر أن الحرية بالقمة، وأن لديك أجنحة. فلتصعد! ثمثّل الجدران شروط الحياة الدنيوية، وتمثّل القمة الله، وجناحاك هما إيمانك بالله.

١٤- إنك تنسى ما تقوم به بإيحاء من الآخرين. هذه ليست حياة، فالحياة ليست إلا ما تصنعه باتساق مع قوتك الروحية السامية. تذكر أن هذه وحسب هي الحياة. عليّ أن أفكر كثيرًا في ذلك وأقدم له تفسيرًا معقولًا.

١٥- يريدون مساواة النساء بالرجال، لا في أفضلية العمل، بل يريدون إزالة الفوارق بينهما. كل أنثى، بدءًا من ملكة النحل وحتى المرأة، تجذب العديد من الذكور، جميعهم مستعدون لإرضائها. تختار من بينهم. هذه وظيفتها. أما الذكر والرجل لا يواجه هذا الموقف. هذا هو الفارق الرئيس.

١٦- لا ينجح الإيحاء إلا في وجود تربة من الأفكار المعروفة والمقبولة. يمكننا تصور الأفكار كدرجات متصاعدة. تتمثل حركة الحياة في الصعود من درجة للأخرى. تقاوم حركة الصعود قوة إيحاء الدرجات الدنيا، أو على أقل تقدير تمنح صاحبها الفرصة للتحرر من أسرها.

لم تتضح الفكرة بعد.

١٧ - الصلاة هي نوع من الإيحاء الذاتي. بهذه الطريقة أحاول أن أوحى لنفسي أن حياتي ليست إلا خدمة وحسب.

١٨ - تصلي لله، فيسألونك:

- أي إله؟ كيف يمكنك أن تتيقن من أنه يستمع إليك؟

- الإله الموجود بداخلي يستمع إليّ. لا شك في ذلك أبدًا.

- أهذا يعني أنك تصلي لنفسك؟

- نعم، لكنني لا أصلي لنفسي الدنيا، ولا لكل النفس، بل لما هو إلهي

فيها، لما هو أبدي، للمحب بداخلي. وهو يستمع لي ويجيبني.

- أشكرك وأحبك يا سيدي الذي يحيا بداخلي.

١٤ مارس - صباحًا.

ليست لديّ رغبة في العمل. بالأمس جاء عدد رهيب من الزوار. أنا بخير، خاصة مع الوضع القائم، فإن حدث ما أريده، لساء الأمر.

١٩ مارس.

أعمل قليلًا وعلى نحو غير ناجح، مع أن حالتي الصحية جيدة. أفكر على نحو جيد. أقرأ في علم النفس ويسديني ذلك نفعا كبيرا وإن كان يفيدني لهدف مختلف عن الهدف الذي أقرأ من أجله.

وصلتُ تانيا. تبدو راضية وسعيدة. أنا سعيد من أجلها وفي حضورها. تؤسفني غرابة آراء سيريوجا الناتجة عن طيشه وثقته المفرطة في نفسه، رغم أنه طيب. أشعر بالأسف كذلك من عدم وجود تقارب

كامل بيني وبينه، بعكس علاقتي مع ماشا وتانيا.

بالأمس فكّرت في ضرورة الصلاة، وأن أُوحي لذاتي، لكن لا يجب أن تتحول الصلاة إلى فعل آلي. حتى تنجح في ذلك فلتعد مثلاً مجموعة من الصلوات تكفيك لـ ١٢ يوماً. علاوة على ذلك فلتقم بتأليف صلاة قصيرة تذكرها مع كل صراع تخوضه في كل ساعة. على سبيل المثال: تذكر الآتي أثناء صراعتك:

١- تذكر الموت، وأن حياتك ليست إلا محطة في طريق الموت؛ أي أن حياتك مجرد استراحة في عرض مسرحي.

٢- تذكر أن حياتك ليست إلا خدمة، وأن الخدمة نوعان: عمل الفكر والعقل - عمل الحب.

٣- تذكر أنه أفضل لك ألا تفعل شيئاً من أن تفعل شيئاً سيئاً.

٤- تذكر أن وجود كل إنسان هو دعوة للقيام بأسمى وأهم عمل.

٥- تذكر أن من الأفضل والأجدي لك أن تتضع وتشعر بالخزي من أن تُمتدح وتتكبر.

٦- تذكر أن اللحظة الآنية لن تتكرر أبداً.

٧- لا يمكن لشيء أن يضايقك بشدة. إن حدث ذلك فهذا يعني أنك مرتبك.

٨- تذكر أن كل شر حتى وإن كان عملاً تافهًا له ضرر بالغ، فهو يجعلك تعتاد طريقه، وكل فعل خَيْر له أثر عكسي.

٩- تذكر ألا تُدِن.

١٠ - تذكر تصرفاتك عندما تناقش تصرفات الآخرين.

١١ - تذكر أن العالم الروحي؛ أي الحب، أهم بملايين المرات من العالم الجسدي.

١٢ - تذكر أنك مبعوث الله وممثله، فلا تُخزِه.

يجب أن تتألف الصلاة في الأساس من كل ما تقرأه وتفكر فيه وتعرفه.

مثلاً: قد تكون هذه هي صلاتي الثانية بعد صلاة: "أبانا الذي (٢٣٥)..."
الاعتيادية:

«نَجِّنِي يا سيدي، يا الله الذي بداخلي، من التجربة الأولى؛ ألا وهي العناية بكل ما هو مادي سواء كان خبزاً أو مسكناً أو أي أغراض أخرى. نجني من مديح الناس، واجعلني أتذكر دوماً أن حياة الإنسان تتلخص في زيادة العقل والحب وحسب. نجني من التجربة الثانية؛ ألا وهي الشعور باللا مبالاة من التفكير في أن الله كل شيء، وأني لا أمثل أي شيء فأتوقف عن بذل الجهد. اجعلني أتذكر دائماً أنني خادم لك ومبعوثك لتنفيذ إرادتك. نجني من التجربة الثالثة؛ ألا وهي أن أخدم أي شيء آخر أكثر من خدمتي لك. نجني يا الله، واجعلني أتذكر دائماً أن كل فعل لا

(٢٣٥) وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَعَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا رَبُّ، عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يوحنا أيضاً تَلَامِيذَهُ» فَقَالَ لَهُمْ: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِنَكُنْ مِثْلَيْكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. خُبزنا كَمَا فَتَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ، وَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلَا نُدْخِلُنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ.» (لوقا ١١: ٤ - ٥).

يكون صالحًا إلا إن كان بمثابة تنمة أو عاقبة لخدمتك.

سأفكر في المزيد. لديّ أمور أخرى سأدونها فيما بعد.

لم أدوّن اليوم ١٢ صلاة. ليس من الضروري التقيد بمجموعة من الصلوات المعدة مسبقًا. ما يلزمي حقًا في كل ساعة هي تلك الصلاة: أعني يا الله حتى أخدمك.

لا بد أن تتسق الصلاة مع الموقف أو اللقاء الآني. مثلاً:

١- ما العمل عندما تكون وحدك والاختيار لك؟ تذكر أن عمل حياتك الوحيد هو الخدمة وزيادة العقل والحب.

٢- عندما تكون وحيدًا وحزينًا، تشعر بالضجر والمرارة، تذكر أنك إن لم تكن قادرًا على الخدمة، فحري بك ألا تفعل ما يناقضها، وتذكر أنك مبعوث الله.

٣- عندما تكون بصحبة أحدهم تذكر أن هذه هي أهم لحظة لديك.

٤- عندما تكون مع امرأة تذكر أنها أم وابنة، والأهم من ذلك أنها شقيقة لك، لا مجرد أنثى.

٥- ابتهج عندما يسيئون إليك، فهذا سيجديك نفعًا.

٦- عندما تشتعل غضبًا تذكر أن هذا يشوه أكثر ما فيك من قداسة، ويحطّمك.

٧- لا تُدنّ.

٨- عندما تجادل أحدهم تذكر خطاياك.

خضعت تانيا بالأمس لعملية رهيبة^(٢٣٦). أدركت بوضوح تام أن هذه العيادات التي أنشأها التجار وأصحاب المصانع الذين دمروا - ولا يزالون - حياة عشرات الآلاف من الناس هي أمر شرير بلا شك. حقيقة أن بإمكانهم علاج ثري واحد أمام تدمير حياة المئات إن لم يكن الآلاف من الفقراء هي أمر شرير جدًا. أما فكرة أنهم بهذه الطريقة يقللون من حجم المعاناة ويطيلون الحياة فليست أيضًا فكرة صالحة؛ لأن الوسائل التي يستخدمونها من أجل تحقيق ذلك - حتى الآن على حد تعبيرهم - لا يمكنها فعل ذلك سوى مع نسبة مختارة من الناس، وأظن أنها في جوهرها ستبقى كذلك إلى الأبد، وذلك لأنهم لا يهدفون في الأساس إلى زيادة العناية والوقاية الصحية، بل إلى علاج التشوهات التي ستستمر إلى الأبد.

تارة أكتب في مقالة الوطنية، وتارة في مقالة العبودية المالية. قمت بالكثير من التحسينات في الأولى، لكنني لم أكتب شيئًا منذ يومين. أقرأ في علم النفس. قرأت لفونت^(٢٣٧) وهوفدينج^(٢٣٨) ووجدت كتاباتهما

(٢٣٦) عانت تانيا من التهاب شديد بالجيوب الأنفية، فخضعت لعملية تعديل جزء من عظام الجمجمة.

(٢٣٧) طبيب وعالم فيزيائي وفيلسوف وأستاذ، يُعرف اليوم كواحد من مؤسسي علم النفس الحديث. فونت أول شخص يُطلق على نفسه عالم نفسي، وهو الذي ميز علم النفس كعلم من الفلسفة والبيولوجيا. يُعتبر على نطاق واسع «والد علم النفس التجريبي». أسس فونت أول مختبر رسمي للبحوث النفسية في جامعة لايبزيغ في عام ١٨٧٩.

(٢٣٨) فيلسوف دنماركي وعالم لاهوت.

مفيدة جدًا. مصدر خطئهما واضح. لقد أرادا الالتزام بالتجربة وحسب ليتحليا بالدقة. صحيح أن هذا أمر دقيق، لكنه من ناحية أخرى غير مُجَدِّ تمامًا، وقد دفعهم إلى القيام بإسقاطات غامضة بدلًا من فكرة مادية الروح التي أرفضها.

لم أُعبر عن الفكرة جيدًا، كان عليّ أن أوضح الفكرة كالآتي:

عندما يمتطي أحدهم متن جواد، يمكن أن نقول إن الرجل يقود الجواد جزئيًا، والجواد كذلك يقوده جزئيًا. ينظر إليه الناس ويتجادلون؛ يقول بعضهم: «هو من يقود الجواد»، ويقول آخرون: «الجواد هو من يقوده وهو المسؤول عن اتجاهه وحركته»، بينما يظهر فريق ثالث ويدين الفريقين الأولين ويعلن إعلانًا هامًا: «ثمة انساق بين حركة الفارس والجواد؛ كلاهما يهز الآخر ويوجّهه». كل ذلك جائز، لكنه لا يثير الاهتمام، فالأمر الوحيد المثير للاهتمام حقًا هو: من أين أتى؟ إلى أين يذهب؟ من أرسله؟

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١ - قراءة البخت هي نوع من الإيحاء. إنها وعد بتحقيق ما تريد تحقيقه، وبالتالي تُدعم طاقتك اللازمة لتحقيق مرادك.

٢ - السعي إلى الوحدة هو تحرر من الانفصال. يُوسّع الحب من الحدود المادية المكانية، بينما يزيل العقل حدود الحركة الزمانية.

٣ - لا يمكن أن يحدث تحرر كامل، وبالتالي لا وجود لحرية كاملة، لكن بوسع الإنسان أن يقترب من الحرية بالانحداد بجوهره الحر اللا

محدود بالحب والعقل.

٤- يمكن أن يكون الإيحاء مفيداً وضرورياً حينما ينقل رؤية ما هو متقدم لمن هو متأخر، لكنه يكون مدمراً عندما يُبقي على وضع مَنْ هو متأخر كما هو.

٥- توجيه كافة عنايتنا لخير الناس يشبه ما يفعله إنسان يطأ البراعم الصغيرة ويطمرها تماماً، ثم يحاول بعد ذلك أن يعالج كل شجرة صغيرة وقطعة عشب على حدة. ينطبق ذلك تحديداً على التعليم. مذهل حقاً العمى الذي نتسم به تجاه قضية التعليم.

٦- يسري قانون بقاء المادة والطاقة على كافة الكائنات وتخضع له جميعاً. في كل مكان يتم الأمر على هذا المنوال؛ تتسبب حركة في إحداث حركة أخرى أو تُحدث مجموعة من التراكمات التي تتحرر بعد وقت. كل هذا حسن، ولسنا في حاجة لمذهب الحيوية^(٢٣٩)، لكن تبقى أهم ظاهرة غامضة أمامنا؛ ألا وهي انقسام الكائنات الحية واستقلالها عن بعضها، وكيف أن كل كائن حي هو كيان منفصل في حد ذاته، يُدعم وجوده وحده. إن كان من الممكن - وبالطبع ذلك غير ممكن - أن نكتشف كيف انقسمت الكائنات الحية طبقاً لداروين، سيظل الوعي الذاتي لأي كائن أمراً مستغلقاً على أفهامنا.

٧- الإدراك العاقل هو إدراك الله. لن تدرك نفسك ككيان كلي شامل إلا حينما تدرك نفسك ككيان منفصل مستقل. لا يمكن أن ينشأ

(٢٣٩) مذهب يعتقد أن الحياة في كافة الكائنات الحية تنبع وتستمر بفعل قوة مختلفة تماماً عن كافة القوى الكيميائية والمادية الأخرى.

مفهوم الانفصال دون توفر مفهوم عدم الانفصال أو التلازم. لذا من شأن الوعي أن يُزيل حدود المادة بالحب وحدود الحركة بالعقل.

٦ إبريل - مساءً.

سيريوجا يلعب، ولسبب ما أشعر أنني أكاد أن أبكي، كما أشعر بانجذاب للشعر. لكني لا أستطيع الكتابة في مثل هذه اللحظات. أعيش على نحو لا بأس به. أوصل نفس العمل الذي وقف في طريق عملي الأدبي، لكني مشتاق للكتابة الأدبية. أنطلع بشدة إليها.

حضرت محاضرة أبولينسكي وحدث شيء غريب؛ تحدثت مع ابنه^(٢٤٠). حدث شيء غريب آخر أيضًا: في نفس المساء الذي ذهبت فيه إلى أولسوفيف^(٢٤١) لأسلمه عريضة من المولوكانيين إلى القيصر وصل أحد المبشرين الأمريكيين ومعه عريضة يريد تسليمها للقيصر بخصوص التسامح الديني مع الطوائف المنشقة في القوقاز. شعرت بالضيق من فكرة أن أكون مدينًا لأولسوفيف بشيء رغم طيبته.

أطبّق أحيانًا في هذه الفترة صلواتي الخاصة بكل مناسبة. تحدثت مع ساشا عن ذلك. يسود الهدوء بيني وبين ليوفا، لكن ما هو سيئ هو أنني أحيانًا أزدريه. يا سيدي الكائن بداخلي... أشعل نارك فيّ وهبني حبًا. دَوّنت الآتي:

١ - اقتربت من مجموعة من الحوزية، ووقفت أمام رأس جواد شاب

(٢٤٠) كان جالسًا إلى جانبه، وتحدثنا معًا ولم يكن تولستوي يعرف أنه ابن أبولينسكي.

(٢٤١) كان أولسوفيف ضابطًا مرافقًا لنيكولا الثاني، وبالتالي كان قادرًا على تسليمه العريضة.

طيب قوي زغبى أسود، وفهمت شخصيته وأحبته. هكذا اتضح لي دون شك أن المعرفة الأولى التي تشكل أصل كل شيء، والتي قد نبعت منها كافة المعارف الأخرى، هي وجودي المنفصل عن بقية الكائنات، والأمر كذلك مع كل كائن.

٢- ترى ما هي إرادة مَنْ أرسلني؟ لا يمكنني فهمها. لكن بصعودي إلى العقل الإلهي، ورغم إنني لا أعرف ما هي إرادته، أدركت أنها تشكل معنى حياتي.

٣- الناس عديمو الضمائر هم أولئك الذين يعيشون في ضوء أدنى درجات العقل. الضمير هو تجلُّ للعقل الإلهي الأسمى.

٤- مَنْ بدأ يسلك طريق الكمال الداخلي يعرف دون أدنى شك أنه طريق لا ينتهي. يُقال: وحده مَنْ يؤمن بالحياة الأبدية يمكنه أن يُوجِّه قواه إلى طريق الكمال. لكن هذا ليس إلا جزءاً من الحقيقة. الإيمان بالحياة الأبدية والكمال ينبعان من مصدر واحد، ولا يمكن أن يظهر أحدهم بمعزل عن الآخر.

٥- كل الالتزامات الخارجية تعيق وتؤخر أهم التزامات المرء تجاه نفسه. يربون أولئك القياصرة البائسين منذ الصغر على الالتزام بعدد هائل من الالتزامات الخارجية بحيث لا يتبقى أي مكان لأي التزام تجاه النفس. لاحظت ذلك عندما كنت أقول إن قيصرنا عليه قبل كل شيء أن يحقق الالتزامات الأخلاقية، واتضح أن ذلك لا يعني للناس شيئاً إلا إخلاصه لزوجته، أما الإعدام والنهب والفساد فجميعها أمور واجبة عليه!

٦- فكرة مشكوك فيها بشدة: يظهر السعي إلى الاتحاد بالكلي في

أدنى درجاته في صورة ضرورة الطعام، كما يحدث ذلك في الأمييا.
٧- «يا سيدي، استيقظ بداخلي وقدّسني وقدّس حياتي». يجب أن تكون هذه هي صلاة كل ساعة.

٨- عندما تشعر بالتعاسة، تذكر مدى تعاسة الآخرين وكيف كان من الممكن أن تصيبك.

٩- لا يمكنني شرح الفكرة، لكن يبدو أنها غير صحيحة. أقصد الفكرة التي مفادها أن ذاكرة الإنسان هي إرثه.

١٠- يوجد رأي ساذج شائع مفاده أن الزوج، خاصة إن كان أكبر عمراً من زوجته والأخيرة لا تزال شابة، يمكنه أن يُعلّم ويُشكل زوجته. هذا خطأ فح. للنساء تقاليدهن الخاصة وطريقتهن الخاصة لنقل تلك التقاليد كما لو أن لديهن لغة خاصة بهن. لذا لن يمكن للرجل أبداً أن يؤثر على زوجته إلا عن طريق رغبتها في إغوائه. تعيش النساء في عزلة كاملة عن حياة الرجال الروحية. بالطبع ثمة بعض الاستثناءات لكنها نادرة جداً. ولا تستسلم النساء أبداً لتأثير أزواجهن في الوقت الذي يكون لهن تأثير غير مباشر بفضل عنادهن ومكرهن على الحياة كلها، وبالتالي على الرجال، لكنه تأثير غير مباشر لأن الرجال لا يفهمون هم أيضاً لغة النساء.

١١- يتمثل دور المرأة من حيث كونها «إنسان» فيما هو واجب على الرجل أيضاً، وذلك في حالة بتوليتهما؛ أي خدمة الله وتحقيق إرادته وتأسيس ملكوت الله عن طريق الكمال الداخلي، أما دورها كأمراة فيتمثل في استمرار النسل. المرأة المثالية هي التي تنجب الأطفال

وتربيههم على الفكر المسيحي؛ أي على فكرة أن يكونوا خدماً لله وبشراً حقاً، لا كائنات طفيلية على الحياة.

ثمة أمر ما غبي فيما كتبتّه.

٧ إبريل.

لم أدوّن أهم ما فكرت فيه أثناء نزّهتي.

١٢ - منذ فترة طويلة وتلك الفكرة تزعجني: طبقاً لرؤيتي للحياة، ما المعنى الذي تؤدي إليه عدم قابلية المادة والطاقة للفناء؟ المادة نوع من الحدود، لذا كل تغيير فيها يُغيّر شكل الحدود: ما كان ثلجاً هو الآن ماء وسيكون بخاراً، والأكسجين يتحول إلى ثاني أكسيد الكربون. كل ما سبق إذن يواصل دوره كحد بيني وبين الكرة الأرضية بغلافها الجوي. لكن الأمر ليس كذلك مع الطاقة. الطاقة التي بإمكاننا ملاحظتها مليّاً، كالحركة مثلاً، لها وجود حقيقي، والأمر ليس أنها تبدو لي كذلك وحسب. هناك طريقة واحدة لتصور وحدتي مع العالم، لذا فإن موقفني السابق عن أن الحركة هي ما يُوحّدني مع العالم أجمع هو تصور غير صحيح. الحركة هي الحياة ذاتها.

الحياة بمثابة توسيع للحدود المحيطة بالإنسان. تتمثل هذه الحدود للإنسان في صورة المادة داخل نطاق المكان. هذه الحدود هي ما تفصلنا عن بقية الكائنات وتفصل الكائنات عن بعضها. يتعرف الإنسان على هذه الحدود في الكائنات الأخرى قياساً إلى نفسه. عندما لا يستطيع التعرف على هذه الحدود يُطلق عليها «غير عضوية»؛ أي أنه يعترف أنه لا

يرى ولا يعرف ذلك الكيان المجاور له. الأرض والهواء والنجوم كائنات تجاورنا.

لا يمكننا أن نتصور توسيع الحدود إلا في صورة الحركة، وهي العملية التي نطلق عليها: الحياة. ندرك هذه الحياة في أنفسنا وفي بقية الكائنات، وبالتالي يمكننا أن نفترض وجودها في تلك الكائنات التي لا يمكننا فهمها تمامًا ولا نرى فيها سوى الجانب الميت منها.

طبقًا لهذه الرؤية إلى العالم يبدو لي أنني فهمت معنى قانون حفظ الطاقة. إنه يشير إلى المادة الميتة وحسب، أي أنه في حالة عدم وجود حياة لا يمكن أن تحدث أي زيادة في الحركة.

يمكنني شرح الأمر فيما بعد، لكنني الآن منهك وأخشى أن أزداد ارتباكًا.

٢ مايو.

لم أدون يومياتي منذ شهر تقريبًا. انشغلت طوال تلك الفترة بالمقاليتين. أود أن أنهيهما. مررت تلك الفترة بأمور شاقة وأخرى جيدة. أكثرها كانت جيدة. لم أفكر خارج نطاق العمل إلا قليلًا، فقد ابتلعتني تمامًا. غدًا سوف أذهب إلى ماشا.

دوّنت الآتي في دفتر أفكاري:

١- تغضب أحيانًا من الناس عندما لا يفهمونك ولا يتبعونك أو يسايرونك رغم كونك تقف بجانبهم تمامًا. يشبه ذلك أن تسير في متاهة - مثل المتاهات التي نجدها في الحدائق - وتطلب من رجل يقف

بجانبك من الجانب الآخر من الجدار أن يسير في نفس الاتجاه معك. للحاق بك عليه أن يسير فرستًا كاملاً، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل عليه أن يسير في الاتجاه المعاكس كي يلتقي بك. لكنك لا تعرف أن عليه هو أن يتبعك لا العكس إلا لأنك مررت بالبقة التي هو فيها الآن.

٢- يُحدّد كل فن حقلاً خاصاً به لنفسه كرقعة على لوح الشطرنج. لكل فن نوع آخر من الفنون متاخم له، تمامًا كما لكل رقعة شطرنج قطعة متاخمة لها. عندما تُشغل الرقعة التي تمثل السطح الخارجي، يتوجب القيام بمزيد من التعمق حتى نصل إلى شيء جديد. هذا أمر صعب. يستولي الناس على ما في الرقعات المتاخمة وينتجون من هذا الخليط شيئاً جديداً. نجد هذا الخليط مثلاً في الموسيقى مع المسرح أو الرسم والقصائد الشعريّة... إلخ، لكن هناك ما هو فن حقيقي، وما هو إفساد للفن.

٣- الحياة توسيع للحدود. تتمثل لنا الحدود في صورة المادة. لا يمكننا إدراك الحدود بطريقة أخرى سوى بالمادة التي نعتبر أنفسنا جزءاً منها، ونعتبر العالم الجزء الآخر منها. أما وحدتنا مع العالم فنتصورها بالحركة، ولا يمكننا تصورها بطريقة أخرى.

بعد تحقيق أكبر قدر من توسيع تلك الحدود من خلال الحركة حتى نصل إلى حدود الجسد الإنساني الذي نحن فيه، نبدأ في إنشاء وحدة جديدة داخل حدود أوسع من السابقة، وهو أمر يستحيل إتمامه داخل الحدود الموجودة الآن، وبالتالي لا يمكن تحقيقه إلا بإزالة تلك الحدود.

٤- إن حياتنا نحن السادة قبيحة جداً لدرجة أننا غير قادرين حتى

على الفرح بميلاد أطفالنا. نحن لا ننجب أطفالاً سيصبحون خدماً للناس، بل أعداء لهم؛ كائنات طفيلية. تؤكد كافة الاحتماليات على إنهم سوف يصبحون كذلك.

٥- من الأجدى للأخلاقين ألا يؤمنوا بأن العالم يتحرك بواسطة قوى روحية صوب الخير خطوة بخطوة. لذا نجدهم يؤمنون بقوانين ثابتة تبدو إرادتهم خاضعة لها.

٦- أحياناً تفقد علاقتك بالله وتشعر كأنه غير موجود. كم تشعر بالفرحة عندما تجده ثانية!

٧- علاوة على وجود أناس لا يستطيعون أن يسلكوا على نحو شرير، ثمة أناس لا يمكنهم أن يفهموا أن تصرفاتهم الشريرة شريرة حقاً. أنهكت. أنهيت كافة الخطابات واليوميات.

٥ مايو- بيروجوفو.

وصلت سالمًا في تمام الصحة. أنعشني وجودي في الريف. التقيت بسيريوجا. كان حزينًا لكن بحالة جيدة فعلاً. رحلت تانيا. يبدو أن ماشا أجهضت مرة ثانية.

فكرت في أن أبدأ مقالتي عن العبودية من جديد، وأجريت فيها اليوم الكثير من التعديلات والتصحيحات.

لم أدوّن شيئاً. فكرت في الآتي: أولئك الذين لا يعرفون التوبة هم سعداء وبؤساء في الآن ذاته. فبعد أن يجلبوا التعاسة للآخرين، سيموتون وهم متيقنون من أنهم أسدوا لهم صنيعاً. سيكون من الصعب عليهم جداً

أن يفهموا ذنبهم. لا يمكن لذلك أن يُحسّن من حالهم، بل سيسحقهم.
أفكر في قصتي الفلاحية (٢٤٢).

١٧ مايو.

استيقظت من فرط انشغالي بالأفكار. شغلني أيضًا يوم أمس
وصدمني التفكير في الآتي: ماذا عن التوائم المسوخ والمحدودين
والسقط (الجنين الملقى قبل إيبانه)؟ الحياة هي السعي لتوسيع الحدود.
الحب الجسدي هو سعي مخادع في هذا الاتجاه؛ إنه سعي من طرف
واحد. يبدو أن ذلك هو ما يحدث: مع الرجال يستمر لمدة قصيرة، ومع
النساء لمدة أطول في وجود الأطفال، لكنه ينتهي بالعزلة والفصل لما
بدا أنه توسيع للحدود، وبالتالي يتضح أن الجزء الغالب منه هو محض
معاناة. لا يفلت أحد من المعاناة إلا عندما لا يحدث تعارض بين عملية
الفصل وحياته بحيث تتسبب في إعاقة عملية توسيع الحدود، بل تحدث
هذه العملية في الحياة الجديدة. إن أردنا التعبير عن الفكرة بلغتنا العادية
نقول: يحدث ذلك عندما يرتبط الوالدان بأطفالهما بمشاعر أخلاقية،
ويسعى كلا الفريقين صوب الكمال. بالطبع نادرًا ما يحدث ذلك. عادة
ما يستمر إلى الأبد ذلك الصراع بين نزعة الانفصال لدى الأبناء من جهة،
والرغبة في الوحدة وفرض الإذعان من جهة الوالدين.

بالأمس كتبت الفصل الثاني من مسرحية الجثة (يقصد: جثة حية).
الساعة الآن السابعة صباحًا.

(٢٤٢) لم تتحقق الفكرة.

١٩ مايو- ياسنايا بوليانا.

سأبدأ التدوين في دفتر جديد. وصلت بالأمس من بيروجوفو حيث قضيت هناك خمسة عشر يوماً رائعين. أنهيت مقالة (العبودية)، وكتبت فصلين. أنا بخير هنا. تحسنت حالتي الصحية. الآن أنا أفضل. قرأت كومة من الخطابات. لم أجد فيها شيئاً مهماً. كتبت اليوم الفصل الأخير. تأخر الوقت. غداً سوف أنقل هنا بعض الأفكار التي دونتها في دفترى.

٢٣ يونيو.

لم أدون يومياتي لأكثر من شهر. قضيت هذه الفترة التي امتدت إلى ٣٥ يوماً على نحو لا بأس به. مررت بحالات مزاجية كثيفة، لكن الشعور الديني استيقظ بداخلي. لم أتوقف طوال هذا الوقت عن العمل بكد على مقالة «عبودية زماننا». أضفت ووضحت الكثير. أشعر برغبة رهيبة في كتابة عمل فني، غير مسرحي، بل ملحمي، يكون بمثابة تنمة للبعث، يتناول حياة نيخليودوف (بطل البعث) الريفية. للطبيعة تأثير رقيق عليّ: المروج والغابات، القمح والمحراث والحصاد. أتساءل ما إن كان هذا صيفي الأخير في هذه الحياة. حسناً، لا بأس. أشكرك على نعمك التي لا تُحصى عليّ. كيف يمكنني أن أشكرك إلى الأبد؟ كم سيبعث ذلك السرور في قلبي!

في هذه الفترة جاءني الأمريكي «كورتين»^(٢٤٣) وبولانجي وسان جون. أنا بخير صحياً.

(٢٤٣) أمريكي دارس للغة الروسية، وترجم العديد من الأعمال الروسية إلى الإنجليزية.

لديّ الكثير لأدوّنهُ. أهم ما فكرت فيه هو أن كافة المخلوقات - بما فيها أنا - نقوم بصنع دائرة، أو نصف دائرة أو خط آخر داخل الحدود المعينة، وفي خلال الفترة التي نتواصل فيها مع بقية الكائنات نحبهم ونوسع حدود الأنا لنعدّها للتوسع الذي سيحدث في إطارها القادم.

١٢ يوليو.

تانيا هنا. تبدو بائسة. لا أزال كل يوم أكتب في مقالة «عبودية زماننا». اعتقدت مرتين سابقاً أنها جاهزة، وهذه هي المرة الثالثة التي أعتقد فيها ذلك.

لم أكن بصحة جيدة. بالأمس شعرت بدوار غريب. كم من الحسن أن يتذكر المرء دوماً الموت أثناء حياته، ويدرك أنه سائر صوبه وعليه أن يسير صوبه!

عليّ أن أدوّن الكثير، لكنني لا أتذكر أين توقفت:

١ - عملي هو تحقيق إرادة من أرسلني. لا يمكنني أن أعرف ما هي إرادته بالتحديد، ولكن بالسمو إلى منظور العقل الأسمى يمكنني أن أتحرّك باتساق مع عقل الله، وبالرغم من أنني لا أعرف أفكاره، لكن بإمكانني أن أعرف أن ثمة فكرة معينة، وأعرف ماذا عليّ أن أفعل كي أحييا في اتساق مع تلك الفكرة. عليّ أن أقوم بما يؤخّدي به.

٢ - ليس الضمير إلا اتساق عقلك مع العقل الأسمى.

٣ - من يرى معنى الحياة في السعي صوب الكمال لا يمكنه أن يؤمن بالموت؛ أي لا يمكنه أن يؤمن بأن ثمة شيئاً يمكنه أن يعيق طريق الكمال

فجأة. ما يسير في اتجاه الكمال لا يتوقف، بل يُغيّر من شكله وحسب.

- ٤ - عندما يحمل أحدهم على عاتقه الكثير من الالتزامات، يهمل التزاماته صوب نفسه، بالرغم من أنها الالتزامات الوحيدة المهمة. يا لهؤلاء القياصرة البؤساء الذين يعتقدون أن لديهم الكثير من الالتزامات!
- ٥ - الحركة هي وسيلة المرء ليعي وحدته مع الكل. يتمثل السعي صوب الوحدة في أدنى صورته في تناول الطعام؛ حتى في الأميبا.
- ٦ - يا سيدي، استيقظ بداخلي وأنزّ كياني وحياتي. عليّ أن أتذكر ذلك دائماً.

٧ - عندما تشعر أنك تعيس، تذكر تعاسات الآخرين وكيف كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ معك. هذا ما كتبته سابقاً، لكنني نسيت أمرين مهمين: تذكر أنك إن لم تكن مذنباً حينها، فأنت الآن مذنب. الأهم من ذلك أن ما تسميه «تعاسة» هو أمر أرسل إليك بهدف أن تختبر احتماليات الكمال وتتعلم كيف يمكنك أن تحب أعداءك بفرح.

٨ - لا يفهم لغة المرأة سوى المرأة.

٩ - تغضب من الناس لأنهم لا يفهمونك، وتنسى أننا فيما يتعلق بالأفكار نسير كما لو أننا في متاهة، وبالرغم من أننا نظن أننا اقتربنا، لكن لا نزال بعيدين، أحياناً بمسافة طويلة. تنسى كذلك أننا لا نجتمع معاً إلا عند المدخل والمخرج.

١٠ - كل فن بمثابة رقعة على لوح الشطرنج، وعليك أن تتعمق حتى تجد رقعة شاغرة. أولئك غير القادرين على المزيد من التعمق، يستولون

على فنون أخرى ويضمونها إلى رقعتهم، ويعتقدون أنهم بهذا يبتكرون
فنًا جديدًا: شعر مع الموسيقى، أو العكس، أو رسم مع الشعر... إلخ.
هذا ما تستند إليه الأوبرا مثلاً.

١١ - الحياة هي توسيع للحدود. تظهر لنا الحدود في هيئة مادة
داخل إطار المكان، نعتبر أنفسنا جزءًا منها، ونعتقد أن العالم هو بقية
أجزائها. ندرك وحدتنا مع العالم في صورة الحركة داخل نطاق الزمان.
١٢ - بعد أن يحقق الإنسان أكبر حد من توسيع حدوده في الجسد
ببلوغ سن الرشد، يسعى صوب حدود جديدة أكثر رحابة، لكن تحقيق
مثل هذه الحدود غير ممكن وهو قابع داخل حدوده القديمة، لهذا تنهدم
حياة الجسد.

١٣ - لا يمكنني الابتهاج بولادة أطفال في الطبقات الغنية، فالأمر
ينتهي بهم ليصبحوا كائنات طفيلية.

١٤ - تغضب من الناس لأنهم يفعلون الشر ولا يستحون من ذلك،
لكنهم لا يرون في أفعالهم الشريرة شرًا، ولا يدركون أنهم مذنبون. ليتني
أتذكر ذلك دومًا!

١٥ - الصلاة هي الوضع الوحيد الذي يقف فيه الإنسان وجهًا إلى
وجه أمام الله، وبالتالي عليه أن يكون صادقًا مع نفسه. لكن الناس رتبوا
القيام بهذه الصلوات الجماعية العامة التي تضمن للناس أن يكونوا فيها
كذابين على نحو خاص.

١٦ - اللا نهائية - سواء أبدت كبيرة أم صغيرة - ليست إلا دلالة

على لا واقعية العالم المادي بأكمله وكذلك المكان.

١٧- إن قبلنا المسيحية بإخلاص حقًا سيوازي تأثيرها أشد أنواع الديناميت، حيث ستفجر كل ما هو قديم وتفتح لنا آفاق جديدة لا نهائية.

١٨- لا يأتينا الشر من الأذكياء أو الأغبياء، بل من القابعين في مرحلة متوسطة بينهما على حد تعبير باسكال.

١٩- الحركة هي وسيلة الاتصال الوحيدة مع الكائن الأسمى. لن تكون ثمة حركة ولا زمن بالنسبة للكائن غير المحدود.

٢٠- تتحرك الأراضي والكواكب والنجوم؛ لأن لها حدود تفصلها عن بقية الكائنات المتصلة بالعالم. يتمثل لنا وجودها في الحدود المرئية لنا، أما اتصالها بالعالم فيتمثل لنا في حركتها.

٢١- الحركة هي وسيلة الوحدة. كما أن الحركة لا نهائية، كذلك لدى الإنسان إمكانية تحقيق الوحدة الشاملة مع الكل في المستقبل. يمثل الإنسان الكيان الكلي، لكن في حدود الزمن، أما الله فيمثل الكيان الكلي خارج حدود الزمن.

لا... لم أمعن التفكير جيدًا في تلك الفكرة.

٢٢- إنهم لا يهددون الطفل ليُخلَّصونه مما يجبره على الصراخ، بل يهددونه حتى لا يعود قادرًا على الصراخ. هذا ما نفعله بأنفسنا بالإغواءات والعواطف الدنيوية.

٢٣- كل مولود جديد من طبقة غنية يجد نفسه في وضع الوغد الذي يتوجب عليه أن يربح من حياته غير الشريفة ما يقارب ٨٠٠٠ روبل في العام.

٢٤- نقوم بمحاولات لتحرير أنفسنا من الحدود التي تحدّها في
الحلم والسُّكْر والحب الجنسي. لكن كل هذه المحاولات لن يُكتب لها
النجاح. لدينا ثلاث وسائل فقط لتحرر:

أ - الاستعداد للتحرر بالحب المسيحي.

ب - التحرر بالعقل.

ج - التحرر الكامل بالموت.

٢٥- علِّم قلبك ولا تتعلم منه. حكمة بوذية.

٢٦- لدى قناعة حقيقة بأن العالم بما يتضمنه من دول وملكيّات
ومنازل يديره أناس مجانيّن تمامًا. أما العاقلون فيمتنعون عن المشاركة
في إدارته، أو ربما هم غير قادرين.

٢٧- كل كائن - أيّا كان شكله - يمر عبر دائرة، يتواصل عبرها مع
الكائنات الأخرى، ويوسّع حدوده من أجل الحياة الأخرى.

٢٨- نخلط بين مفهوم الحياة الحقيقية والحياة الأخرى. ونحن على
حق في ذلك. كل ما نقوله عن الحياة الأخرى سيكون صحيحًا إن قلناه
عن الحياة الحقيقية.

٢٩- كثيرًا ما يفهم الإنجيليون والأرثوذكس والأرواحيون
والبوذيون الحقائق الدينية على نحو صحيح بغض النظر عن حاجتهم
لكذبة تمكّنهم من التلاؤم معها.

٣٠- ندمر ملايين الزهور حتى نشيد قصورًا ومسارح مزودة بإضاءة
كهربائية، ولكن نبتة شائكة واحدة أغلى من آلاف القصور.

٣١- ليتني أتذكر دومًا أنني لست إنسانًا خاصًا، بل مبعوث، تتلخص واجباته في الآتي:

- أ - ألا يخذل أبدًا كرامة مَنْ يمثله؛ أي الكرامة الإنسانية.
- ب - أن يسلك في كل شيء بحسب ما لديه من توجيهات؛ أي بالحب.
- ج - أن يعمل دائمًا من أجل العمل الذي أُرسِل من أجله؛ أي ملكوت الله.

- د - أن يُضحّي دائمًا بمصلحته إن تصادمت مع مصالح الآخرين.
- ٣٢- أقوى القناعات هي المؤسسة على المصلحة. القناعات المؤسسة على العقل دائمًا ما تخضع للفحص والنقاش، أما المؤسسة على المصلحة فتجدها دائمًا قاطعة وحاسمة، كما لو أنها لا تناقض العقل.
- ٣٣- ثمة أناس لا يمكنهم الاسترشاد بالقناعات العقلية، بل بالمصلحة وحسب، بينما تحاول أن تقنعهم بالحجة!
- ٧ أغسطس.

مرضت تانيا، ولا تزال طريحة الفراش. مرضت أنا أيضًا بشدة. شعرت بآلام رهيبة، وطال وقت مرضي. تحسنت حالتي اليوم. أشعر باقتراب الموت، وأحاول أن ألقاه بهدوء، ويبدو أنني سألقاه بهدوء فعلاً. لكن ما دمت معافى، كما أنا اليوم، لا يمكنني تصور عملية الانتقال بوضوح.

أنهيت مقالة "عبودية زماننا" ومقالتي عن اغتيال أومبيرتو الأول (٢٤٤)
وأرسلتهما. أعتقد أنني فعلت ما توجب عليّ فعله. مينشيكوف هنا الآن،
وكذلك فيودور ألكسيفيتش ستراخوف. إنه واضح تمامًا. أنا أحبه.
كتبت اليوم مشهدًا في مسرحية «جثة». سأنقل بعضًا مما دوّنته في
دفتر أفكارى.

أموري في المنزل بخير. كثيرًا ما أتذكر صلاة كل ساعة التي مفادها:
ليس ثمة شيء في غياب الحب سوى الموت. تجديني نفعًا هذه الصلاة.
ماشيا وزوجها كانا هنا. إنها عزيزة جدًا على نفسي. كتبت عددًا كبيرًا من
الخطابات.

١ - يقولون إن الله محبة أو إن العقل هو الله أو الله هو العقل. كل
هذا غير سليم. الحب والعقل من سمات الله، وهما ما يمنحانا إمكانية
أن ندرك وجود الله. بالحب والعقل نعرف إنه موجود، لأننا لا نستطيع
أن نعرفه في ذاته.

٢ - نعرف جميعًا أن الأنانية الشخصية أمر شرير، لكننا كثيرًا ما لا
ندرك أن الأنانية الأسرية أسوأ، بل إننا كثيرًا ما نعتبرها أمرًا طيبًا. أما
الأنانية القومية فهي أمر مريع. الأمر لا يقتصر على أنهم لا يخشونها
لكنهم أيضًا يعتبرونها خيرًا عظيمًا.

٣ - يشعر الناس أن الحياة بأنانية ليست فقط أمرًا شريرًا لكنها

(٢٤٤) ملك إيطاليا في الفترة من ٩ يناير عام ١٨٧٨ حتى وفاته. كان مكروهًا للغاية في الأوساط
اليسارية، وخاصة بين الأناركيين، بسبب موقفه المحافظ المتشدد ودعمه معجزة بافا بكاريس
في ميلانو. اغتاله الأناركي غايتانو بريشي بعدها بعامين.

كذلك مصدر عذاب، ويحاولون الخلاص منها، فيتحولون منها إلى الأسرة أو الشعب أو حتى ينهمكون تمامًا في العمل، خاصة الذهني مثل الشطرنج أو العلم أو الفن، لكن كل هذا غير قادر على تخليصهم. ما من خلاص إلا في النظرة المسيحية للعالم؛ أي الحياة من أجل خدمة الله والناس.

٤- كما أن للعين جفنًا يحميها، كذلك للأحمق ثقته في ذاته لتحمي كبرياءه من التعرض للإصابة. كلما ازداد كلاهما عناية بنفسه قلت رؤياه؛ لأنه يغلق عينه.

٥- مشاعرنا صوب الناس تصبغهم جميعًا بلون واحد. عندما نحبهم يبدو لنا جميعًا باللون الأبيض، وعندما نكرههم يبدو لنا جميعًا بالأسود. في الحقيقة جميعهم يتضمن اللونين. ابحث عن الأسود في من تحبهم، والأهم أن تبحت عن الأبيض في من تكرههم.

٦- ثمة حب جسدي، وآخر روحي. ينبع الجسدي من التعاطف والمصلحة التي ندركها بشكل غامض وكذلك من الشعور باللذة. أما الروحي، سنجد الجزء الغالب منه على النقيض ينبع من صراعنا ضد مشاعرنا السيئة، ومن وعينا بضرورة ألا نكره، وأن نحب. الحب الروحي موجه في غالبيته صوب الأعداء، وهو أفضل وأعز حب.

١٥ أغسطس.

طوال هذه الفترة كنت بصحة جيدة، واصلت الكتابة في مسرحية «جثة» حتى أنهيتها. إنها تجرني إلى شباكها أكثر فأكثر.

رحلت صوفيا أندريفنا إلى موسكو لزيارة بعض الأصدقاء. وعبي
بضرورة الحب يدعمني. ألاحظه في علاقتي بليوفا. تحسنت حالة تانيا.
دوّنت بعض الأفكار:

١- ثمة سوء تفاهم غريب بين الشباب والكبار، إن كانا كلاهما
في حالة طبيعية. عندما يتعامل شاب بلغ عمره عشرين عامًا مع طفل
بلغ عامه الخامس، يعرف الفارق بين درجة فهمهما ويتعامل معه على
أساس سليم. أما الإنسان الذي بلغت سنه خمسين عامًا فلا يتعامل بذات
الطريقة مع من بلغت سنه ٣٥ أو حتى ٢٠ عامًا. هكذا هو الأمر كذلك
بين من بلغا ٨٠ عامًا - ٦٥ عامًا. لهذا علينا أن نحترم كبار السن، وعليهم
أن يحترموا أنفسهم ولا يضعوا أنفسهم في نفس الدرجة مع الشباب
ويتعاركوا معهم. ما يزيد من سوء التفاهم بينهما أيضًا هي حقيقة أن
البشرية كلها تتقدم، وأن الشباب بعد أن يكتسب ما يلائم زمانه يعتقد أنه
قد تقدم عن الشيخ، وأن الأخير ليس لديه ما يعلمه إياه.

٢- إن أردت أن تعرف نفسك، لاحظ ما تذكره وما تنساه. إن أردت
أن تعرف ما تعتبره مهمًا وما لا تعتبره كذلك، لاحظ ما تنساه وما تذكره.
ما تذكره يمكن أن يكون موضوع عمل فني. مثلاً: لماذا يُذكرك شخص
ما بشخص أو حادث معين؟ تتضمن هذه العلاقة أهم ما في نظرتك
للعالم. يمكنك أن تعرف نفسك من خلال هذه الإشارات.

٣- يا للوضع المريع الذي فيه مجتمعنا حيث يعيش أفرادهم دون
أي إرشاد أخلاقي أو ديني! لو اقتصررت وصايا موسى كلها على وصية
واحدة: «لا تقتل» لكان هناك أمل في تنفيذها، لكن عندما يبلغ عددها

عشر وصايا ويكون منها وصية عن يوم السبت وأخرى عن الأصنام وثالثة عن القسم، سينحو الإنسان بشكل تلقائي نحو تنفيذ الأسهل منها، ويتجنب الأصعب. الوضع في المسيحية أسوأ، فبدلاً من يوم السبت تجد سر التناول والكفارة. علاوة على ذلك لم تأمر المسيحية بتجنب القتل وحسب، بل كذلك تجنب الغضب، وطلبت حتى عرض الخد للطم. لكنهم قالوا: هذا غير ممكن وأبطلوا كافة الوصايا.

الأمر الرئيس أن القتل كان شرطاً ضرورياً للوجود في عالمنا المسيحي. عندما تضع قاعدة مفادها: «لا تقتل» في مجتمعاتنا، يشبه ذلك أن تكون في بنك وتضع قاعدة مفادها: «لا تقبل الفائدة على المال». عليّ أن أوضح هذه الفكرة رغم أنها قديمة.

٤- بالطبع الزواج أمر جيد وضروري من أجل استمرار الجنس البشري، ولكن إن كان كذلك - وهنا أقتبس اقتباساً رائعاً من نيتشه - على الوالدين إذن «أن يتحليا بالقوة اللازمة حتى لا يجعلوا من أبنائهما مجرد طفيليات»، بل خَدَمًا لله والناس. ليتحقق ذلك عليهما أن يتحليا بالقوة التي تجعلهما يعيشان من عرق جبينهما لا على كد وكدح الناس، وأن يقدموا أكثر مما يأخذان. لكن لدينا تلك القاعدة البرجوازية التي مفادها أنك لا تستطيع الزواج إلا عندما تجلس بإحكام فوق أعناق الناس أي أن تكون لديك ثروات. لا بد لنا من العكس. مَنْ بإمكانه أن يربي طفله دون أن تكون لديه ثروات هو وحده القادر على أن يربي أطفاله على نحو حسن.

٥- ليست الحياة بأكملها في هذا العالم إلا تعلم العيش في شكل

جديد من الحياة، ندرك في وعينا أنه يعتمد على الحب. الشعور بالحفاظ على الذات في فترة الشباب، وبشكل عام حتى يصبح المرء كهلاً ليس إلا مقاومة كل ما يخرق عملية تعلم العيش في شكل جديد من الحياة. عندما يجهز شكل الحياة الجديد، على الإنسان أن يجتاز إليه بهدوء وسرور؛ أي أن يموت.

٢١ أغسطس.

كتبت في المسرحية، لكنني لا أشعر بالرضى عنها تمامًا. بالرغم من أنني صححت فيها الكثير وغيّرت في شخصياتها، لكن ليس لديّ شعور قوي بأنها من عمل الله.

لا أزال أمر بنفس الاختبار، ولا أزال أمارس نفس الأفعال. تحسنت الأمور قليلاً. اليوم عاودني ذلك الإغواء القديم^(٢٤٥). قرأت في كتاب جورج إليوت وراسكين ووجدتهما قيمين.

تنجلي لي اليوم أكثر فأكثر فكرة فضح الإيمان الزائف، كما تنجلي لي فكرة ضرورة أن يُغصب الملكوت^(٢٤٦).

دوّنت الآتي:

١ - إنها ضلالة كبيرة أن نعتبر أنفسنا -نحن الشيوخ- مجرد بالغين على بعد ميل واحد من الشباب، وننسى أن العمر الذي يفصل بين شاب

(٢٤٥) يقصد رغبته في الهروب من المنزل.

(٢٤٦) «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْعَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ». ربما يشير تولستوي إلى ما تشير إليه الآية من ضرورة التحرك سريعاً صوب الملكوت والاستيلاء عليها كما يستولي السارق على غنيمة.

في الخامسة والعشرين ورجل في الخمسين يوازي العمر الذي يفصل بين طفل في الثالثة وشاب في الخامسة والعشرين. كذلك يظن الشاب عندما تنمو لحيته أنه نظير للجميع.

٢- لماذا تتذكر هذا ولا تتذكر ذلك؟ لماذا أخلط بين سيريوجا وأندريوشا؟ ثمة شخصية مسجلة في الذاكرة بلا اسم أو لقب. ما يجمع هذه الوجوه والمواضيع والمشاعر المختلفة هو موضوع الفن. هذا أمر مهم جدًّا، وعليَّ أن أوضحه فيما بعد.

٣- عندما لا تحب، لا تحاول أن تحب، بل حاول أن تُقوِّم روحك، كحقيقية تود أن تصلحها حتى لا ينسكب ما بداخلها.

٤- يتجلى الوعي بالحياة الروحية والجوهر الروحي نفسه عندما يبدأ النضال، وغالبًا ما يكون الجزء الأكبر منه ضد الشهوة الجنسية. إن كان هناك صراع داخلي مع قوى خفية لا يעדك بتحقيق منفعة ما، كالصراع من أجل ضبط النفس عن القيام برذيلة ما، وليس صراعًا خارجيًا لا تعرف ما إن كان من الأجدى لك أن تشارك فيه أم لا، فهذا يعني أنك تصارع من أجل جوهرك الروحي، وأن هذا الصراع يدور باسمه. لا يعرف الأطفال مثل هذه الصراعات ولا يعرفون الجوهر الروحي، وثمة أناس بالغون على نفس الحال أيضًا، ومعظمهم من النساء.

٥- دلالة انحلال عالمنا هو أن الناس لا يخجلون من الشراء المادي، بل يفخرون به.

٦- اتضح لي فجأة كم هو جائر أن يقول أحد الشيوخ: «لقد عشت طويلًا كفاية، وحن موعد موتي». ليس لدى الشيخ الحق في قول ذلك.

إنه ثمرة، أو حبة قمح. يمكن أن يطأ أحدهم الساق، لكن الحبة يجب أن تؤكل. هذا لا يعني أن على الشيخ أن يخشى الموت، بل على العكس؛ عليه أن يعيش دون أن يخشى الموت، وحينها فقط ستصبح حياته سهلة ومفيدة.

٧- غريب هو وضعي في أسرتي. ربما يحبونني، لكني لا أنفعهم بشيء، بل وربما أشكل عبثًا على كاهلهم. وإن جلبت إليهم فائدة ما، فهي نفس الفائدة التي أجلبها لأي شخص آخر. لكن أفراد أسرتي لا يستطيعون رؤية أي فائدة مني أكثر من الجميع، لذا مكتوب: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ». (مرقس ٦: ٤).

٨- ليس لدينا أي إيمان، لذا لدينا دين وعلم وفن مزيفة.

٢٦ أغسطس.

كنت بصحة جيدة طوال تلك الأيام، ورغم ذلك لم أكتب. بدأت أكتب عن عدم الإيمان. غيّرت بعض الأجزاء في المسرحية للأفضل، لكن لا شيء يجذبني للعمل رغم شعوري بالإعجاب ببعض المواضيع. سأحاول تدوين أفكار:

١- عيب العمل العقلي هو أنك ستظل تشعر بالتبطل حتى تنجذب إليه. لن تقبل كذلك على عمل بدني -مثل حياكة الأحذية- لأنك ستشعر أنه صعب، وبالتالي لن يبدو لك طبيعيًا. فكّرت في أن المرء إن لم يكن بإمكانه أن يعمل عملاً بدنيًا أو عقليًا، عليه أن يُكرّس كافة قواه وتركيزه في أن يكون محبًا. هذا عمل سام، وهو ممكن دائمًا، حتى في الوحدة. فكّرت في الناس بحب.

٢- ثمة أناس وُهبوا مشاعر أخلاقية وفنية رفيعة، وثمة أناس محرومون تقريباً من ذلك. يبدو أفراد المجموعة الأولى كما لو أنهم قد فهموا وأدركوا فكرة التكامل سريعاً، أما أفراد المجموعة الثانية يُجرون حسابات معقدة لا تُفضي بهم في النهاية إلى أي نتائج نهائية. يبدو الأمر كما لو أن أفراد المجموعة الأولى قد أجروا حساباتهم سابقاً، والآن يتمتعون بالنتائج.

٣- مناشدة للعسكريين: عندما تلتقي بلص شهير، لن تكتفي بعدم محاولة الاقتراب منه بل على العكس ستبتعد عنه تماماً. ما الأسوأ: القتل أم السرقة؟ يبدو أنه القتل. إن عملك وشغلك الشاغل هو تعلم القتل. أنت تحمل بين يديك أداة القتل. كيف تود إذن ألا يخجل الناس منك؟! ٤- ثمة أناس يبحثون عن التضحية، مستعدون دائماً لها، دون أن يعرفوا لمن يضحون بالتحديد أو ما الهدف من تضحياتهم. وثمة أناس يريدون التحلي بالطيبة ولكن دون أن يتوجب عليهم القيام بأي تضحيات. الأولون يخدمون الله والناس، والآخرون يعوقون عمل الله ويرتكبون الشرور في حق الناس.

٣٠ أغسطس.

لم أستطع العمل طوال تلك الفترة. ليست لديّ رغبة. أفكر على نحو جيد، حمداً لله أنني سلكت على نحو طيب. فكَرْتُ صباح اليوم في الآتي:

ثمة طريقان ووسيلتان وشكلان لمعرفة وإدراك الله: الحب والعقل.

الحب هو السعي صوب الخير، وما دمنّا حتى الآن نرى معنى حياتنا في إطار استقلالنا عن الآخرين، فهو إذن سعي صوب الخير الشخصي، ولكن ثمة جوهر حقيقي للحياة يتمثل في السعي صوب خير الجميع. يكشف لنا العقل عن الوسائل التي تُمكننا من تحقيق هذا الخير. ما دامت حياتنا لا تزال في الإطار الشخصي سيعمل العقل على الوصول إلى الخير الشخصي، ولكن عندما يصبح معنى الحياة في السعي صوب خير الجميع، سيعمل العقل على الكشف عن الوسائل التي تحقق ذلك.

سألت نفسي ذات مرة: هل أؤمن حقاً؟ هل أؤمن فعلاً أن معنى الحياة يتمثل في تحقيق إرادة الله، وأن إرادته هي زيادة الحب والتفاهم في النفس والعالم، وأن بزيادته وإتمام الوحدة بيننا فإنني أمهد الطريق لحياة أخرى بالنسبة لي؟ وجدت نفسي مجبراً على الإجابة بأنني لا أؤمن بذلك بهذا الشكل المحدد. بما أؤمن إذن؟ أجبت بصدق قائلاً إنني أؤمن أن عليّ أن أكون خيراً؛ أي متواضعاً، وأن عليّ أن أسامح وأحب. أؤمن بذلك بكل كياني.

في الأيام الأخيرة دعمتني وواستني ووجهتني بشدة تلك الفكرة الإلهية التي مفادها أنني يجب أن أكون مشابهاً لله. كتبت الآتي عن ذلك:

١ - حتى يصبح المرء مشابهاً لله، عليه ألا يرغب في شيء، وألا يخشى شيئاً، بل يحب وحسب. ما إن تحب لن تعود بك رغبة في شيء ولن تخشى شيئاً. إنه كبرياء مجنونة أن تود أن تشبه الإله جوبيتر أو الله

الثالث أو إله الصباؤوت^(٢٤٧)، أما السعي إلى الشبه بالله الذي لا نعرفه إلا بالحب والعقل فلا يقتصر على أنه ليس خطية بل هو عمل ضروري من أجل التخلص من صنوف المعاناة والتحلي بالهدوء والسرور. حتى تشبه الله عليك فقط أن تحب، وكي تحب عليك فقط أن تنكر ذاتك. فلتخلص مما حَبَبَ عنك مصدر المياه الحية؛ أي الحياة الإلهية الموجودة بداخلك.

٢- ما يفعله الأب يفعله الابن. كل فعل يحدث في هذا العالم هو بمثابة اتحاد طوعي لما هو متنافر. على الابن - أي الأنا - أن يقوم بالشيء نفسه؛ أي أن يجلب الحب والوحدة لكل ما هو متنافر.

٣- كما أن الدورة الدموية والتغذية هما نتيجة للحركة الفيزيائية، وبالتالي يتمكن الجسد من النمو، كذلك هو التواصل المحب نتيجة للحركة الروحية، وبالتالي يتمكن الكيان الروحي لحياتنا المستقبلية من النمو.

٧ سبتمبر.

كنت مريضاً، لكنني تحسنت اليوم. أناضل نفسي طوال الوقت. أحياناً تتحسن الأمور. إنها لا تسوء أبداً، وهذا أمر جيد. صوفيا عند ماشا. أندريوشا راحل. يريمني حجم المون التي ملأ بها عرباته. سالومون وسيريوجا هنا. لم يتم العمل ولم تؤسس المجلة^(٢٤٨). حاولت الكتابة في المسرحية، ولكن بلا جدوى.

(٢٤٧) الصباؤوت كلمة تعني الجيوش أو الجماهير، وهو أحد أسماء الله في العهد القديم اليهودي.
(٢٤٨) أراد بولانجي تأسيس مجلة أسبوعية يشارك فيها تولستوي، لكن الحكومة رفضت أن تمنحهم الإذن.

دَوَّنت الآتي:

١ - الناس جميعًا يخدمون؛ أي يؤدون عملاً ما، لكنه غير مُرضٍ في الوقت الحالي. بالإضافة إلى الطعام والنوم ثمة حاجة للقيام بنشاط ما، وهنا تظهر الخدمة. يمكنك أن تخدم نفسك وتُعدها من أجل المستقبل، ويمكنك أن تخدم أسرة أو شعب أو سادة أو رؤساء أو قياصرة. الجميع يخدمون إذن، بغض النظر عن هوية من يخدمونه، لكنهم لم يتوصلوا بعد إلى أن الله الذي أرسلنا إلى هذا العالم هو وحده المستحق للخدمة. من الواضح أن نجاح الخدمة مرهون بأن تكون لله وحده. لماذا؟ لأنك لن ترضي ذاتك أبداً مهما خدمتها. كلما زدت من إعدادها ازداد احتياجها. أما خدمة الآخرين فأكثر ملائمة؛ لأنك ستفعل ما تظنه ضرورياً من أجله أو من أجلهم، وهذا سيبعث فيك الراحة. الأمر الوحيد غير المجدي فيما يتعلق بذلك هو أنك ستخدم أيضاً كائنات فانية يستحيل إرضاؤها. هكذا هو الأمر أيضاً مع خدمة شعب ما، بل وحتى الإنسانية كلها. الله هو الكيان الوحيد الذي يرضيه كل شيء تفعله من أجله، بل وحتى أقل القليل، وهو الكيان الوحيد الذي لا يفنى.

أكتب وأفكر: لا، الله لا يرضى بالقليل، ويطالبنا بالمزيد أكثر فأكثر. لكن هذا غير حقيقي. إن أسديت فعلاً خيراً للشخص ما سينساه ولن يشعر بالرضى لأنك لم تفعل المزيد. أما الله فلا ينسى ويرضى بما فعلته.

فكرة غير واضحة... محض غباوة.

ليت الناس يربون أطفالهم على أن معنى الحياة في خدمة الله! هذا أمر ممكن.

٢- ما الأفضل: محبة الصالحين وكرهية الأشرار والخوف منهم، أم محبة الأشرار والشعور بالشفقة والازدراء للصالحين؟ يبدو الاختيار سهلاً.

٣- أندريوشا راحل بمفرده في عربته، ويبدو له ولكل من على شاكلته أنه إن سافر وارثدي ثياباً على هذا النحو الرائع فإنه سيتمتع أيضاً بخصال رائعة مشابهة لطريقة سفره وثيابه. كنت أشعر دومًا بذلك عندما أرثدي ثياباً فاخرة وأكون في بيئة ساحرة. يا للضرر الذي يلحقه الترف بالحياة الروحية! إنه أكثر ما يضرها، فهو يزيد المقام دون زيادة مُعَادِلَة في البسط (٢٤٩).

٤- يا للروعة التي ترتبت بها الحياة الروحية! كثيرًا ما استأت من ضعف الفكر والعقل وعدم نشاطهما. لكنني عندما لاحظت نفسي أدركت أن في هذه اللحظات تحديدًا يعمل الحب بقوة ويتجلى، أو على الأقل يُتاح له المجال لفعل ذلك. عندما يعمل العقل يتمثل الكبرياء في كل ما لا يشغل العقل. أما في لحظات عدم فاعليته، إن لم يستسلم صاحبه لليأس، يستيقظ الخير والحب داخل القلب بقوة شديدة.

٥- إن مصدر كافة البلايا التي يعاني منها الناس هي رغبتهم في توقع المستقبل. في البداية يعملون من أجل أنفسهم بهذا الدافع، ثم من أجل أسرهم، ثم من أجل الناس. ما هو متاح للإنسان هو أن يعمل فقط ما يتوجب عليه فعله، ويجب أن يدع الحياة تأخذ مجراها حسبما تريد الإرادة العليا أو القدر. العبد في التفكير والرب في التدبير.

(٢٤٩) راجع حاشية رقم ١١٥.

ولكن لماذا وُهِبَ الإنسان القدرة على توقع المستقبل؟ ليست لديّ إجابة. إنني أرى أن توقع المستقبل والعمل على هذا الأساس هو مصدر بلاء، لكنني أرى كذلك أنه ضروري للحياة؛ من الضروري لعملية الزراعة مثلاً أن نتوقع المستقبل ونعرف أن الصيف قادم ومن بعده الخريف وأن البذور ستنمو... إلخ. سوف أعود إلى الأمر فيما بعد.

٦- لا حاجة للبحث عن الأفراح وإعداد النفس لها، بل يمكنك بينما تخدم أن تأخذ هذه الأفراح التي تلتقيها في طريقك.

٧- أردت أن ألحق باليوميات ملحقاتاً بأعمال الخدمة التي أقوم بها، لكنني فكرت بعدها في أن ذلك يخرق قاعدة: «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ». (متى ٦: ٣).

٨- شعرت بوضوح بأفضلية خدمة الله عن خدمة الناس والبحث عن إرضائهم. أمام الناس، سترغب بشكل لا إرادي في أن تظهر في أفضل صورة ممكنة، وستشعر بالضيق حينما تبدو لهم في صورة سيئة. أما أمام الله فلا شيء من ذلك. إنه يعرفني ويعرف حقيقتي، ولا يمكن لشيء أن يشوهني أمامه، ولن أعرض نفسي أمامه في صورة أفضل من حقيقتي.

٩- الانخراط في الشرح غالباً ما يترك انطباعاً بأن ما بدا سابقاً واضحاً ومفهوماً أصبح غائماً ومعقداً.

١٠- لا شيء يمكنه أن يساعدني حينما أشعر بمشاعر سلبية تجاه الناس بقدر تذكري لفكرة أنني يجب أن أكون شبيهاً بالله. حينها أنسى الماضي كله وأتجاهل أي فكرة عن المستقبل وأفعل الخير بهدوء. حتى

أستدعي الله بداخلي وأعرفه وأعيش به عليّ أن أنكر نفسي داخل إطار الزمن وأعيش في الحاضر وحسب. من المدهش كيف يمكنني القيام بذلك بطريقة عملية حتى الآن دون ارتكاب أخطاء!

١١ - بالنسبة لمسرحيتي الضخمة^(٢٥٠) فكرت في كيفية تصوير كائن خيرٍ صالح وفي الآن ذاته غير قادر تمامًا على فهم النظرة المسيحية للعالم.

١٢ - ما يسمونه الآن «الديانة المسيحية» ليس إلا عادة من اللياقة، مثل الصيغ الجاهزة في الخطابات: العزيز فلان، أو المخلص لكم فلان... إلخ.

١٣ - كل شيء في الحياة شديد البساطة ومرتبطة بالآخر في نظام واحد ويمكن تفسيره بشيء آخر... كل شيء عدا الموت. الموت خارج تمامًا عن هذا السياق، ويخالف كل ما سبق، ولذلك عادة ما يتجاهلونه. هذا خطأ كبير. علينا فعل العكس؛ أي علينا أن نجعل حياتنا متسقة مع الموت، بحيث تصبح الحياة جزءًا من جلال وغموض الموت، ويصبح الموت جزءًا من وضوح وبساطة الحياة.

١٤ - بالنسبة لمسرحيتي الصغيرة^(٢٥١)، بينما يموت فيديا يقول: ربما كنت مخطئًا، ولكن قُضي الأمر، وعليّ تحمل العواقب.

(٢٥٠) يشير إلى مسرحية (الضوء يسقط في الظلام).

(٢٥١) يشير إلى مسرحية (جثة حية).

٢٢ سبتمبر.

عملت على نحو سيئ طوال تلك الفترة، بل وأحياناً كان العمل بلا فائدة. أرسلت لي جاليا تشيرتكوف تسألني أن أرسل لها البيانين اللذين لم أنتهِ منهما بعد حتى تطبعهما. بدأت في مراجعتهما، ولا أزال حتى الآن. كتبت على نحو لا بأس به في واحد منهما عن أن الشعوب المسيحية لا تدين بأي دين على الإطلاق.

روحي المعنوية منخفضة طوال الوقت، ولم تعد فكرة أن الله بداخلي تسديني نفعاً.

ذهبت لماشا وأخي سيريوجا، وكنت في خير حال عند أندريوشا. أتطلع لشيء ما... لكن لا شيء لأتطلع إليه سوى عمل إلهي صالح بالإضافة إلى الموت. حالتي الصحية ضعيفة. في الآونة الأخيرة شعرت بالكآبة وانتابتنى حمى ورعشة. في هذه الدقيقة؛ في الحادية عشرة مساءً أشعر أنني بخير. رحلت تانيا. وصلني منها اليوم خطاب لطيف. صوفيا في موسكو.

دَوَّنت الآتي:

١ - يبدو لي الآتي: كما أن هناك فترة جنسية حاسمة يُحسم فيها الكثير، كذلك ثمة فترة روحية حاسمة، ربما تكون في الخمسين، يبدأ فيها المرء في التفكير بجدية في الحياة، ويحاول أن يحل مشكلة معناها. عادة ما يتعذر تغيير ما يُحسم في تلك الفترة. لذا فهي بلية حقيقية إن كان ما توصل إليه المرء خاطئاً في تلك الفترة.

٢- يتمثل لي المكان والزمان في هذا الجسد وحسب، وكلاهما يبدو لي بسبب كياني المستقل. يُشكل المكان حدودي، بينما يَتَج الزمان عن ملامسة هذه الحدود. ليست ثمة حدود بالنسبة لله، ولا مكان ولا زمان، وليس ثمة مكان وزمان أيضًا بالنسبة لجوهري الروحي.

الفكرة غير واضحة.

٣- يتمثل خلاصك الوحيد والوسيلة التي تمكّنك من العيش بهدوء وسرور في صهر إرادتك في إرادة الله؛ أي ألا تكون لديك إرادة خاصة بك وألا ترغب في شيء. أدرك البوذيون ذلك، فإن لم ينكر المرء رغباته ستفتقر حياته إلى المسرات والمعنى. ولكن إن كانت إرادة الله الذي أرسلنا إلى هذا العالم ألا تكون لدينا رغبات وأن ننكرها جميعًا، فهو إذن طاغية مستبد، فلماذا تكون لديّ رغبات ويتوجب عليّ إنكارها؟

تُعَلِّم المسيحية الأمر ذاته الذي يدعو إليه الرواقيون والبوذيون، وتطالب أيضًا بإنكار الذات والانصهار في إرادة الله، ولكن الفارق يتلخص في أن معنى الحياة في المسيحية لا يتمثل في القضاء على الرغبات، بل توجيهها حيث يريد الله؛ أي تحقيق ملكوت الله على الأرض. يعني ذلك أن نستبدل بالصراع والعنف الحب والتفاهم. في المسيحية يزداد السرور شيئًا فشيئًا بإقامة ملكوت الله على الأرض، والله في المسيحية ليس طاغية مستبدًا، بل سيد عاقل صالح ونحن العاملين لديه.

٤- فكّرت في صلاة الطلبة. هل يمكن أن نطلب شيئًا من الله؟ مستحيل، والسبب الرئيس هو أن كل ما يمكننا أن نطلبه من أجل خيرنا

الحقيقي قد وُهِبنا إياه بوفرة. أن نطلب الخيرات من الله يماثل أن نطلب شرب الماء ونحن واقفون أمام ينبوع. ربما هذا هو معنى قول المسيح إنه ينبوع الماء الحي ودعوته للعطشان أن يشرب منه.

٥- حياة العالم من وجهة نظر موضوعية هي صراع بين الحياة الجسدية طبقاً لقانون التكرار والمحاكاة الذي ينتقل إلى الأجيال القادمة، والحياة الروحية التي تطالب بعدم تكرار شيء، بل بإحداث مزيد من الاتساق مع متطلبات العقل. هكذا هو الأمر أيضاً من وجهة نظر ذاتية؛ كل إنسان يستسلم للحياة الجسدية، يحاكي ويكرر، أما من تتجلى فيه متطلبات العقل يُقدم على خطوات جديدة. الحياة الذاتية هي صراع بين هذين المبدئين.

٥ أكتوبر.

لا أزال مشغولاً بالأمر ذاته. أرسلت مقالة عن الأرض (٢٥٢)، ولا أزال أعمل على المقالة الأخرى. وصلني بولانجي المرح. لم يوافقوا على إصدار المجلة. سنرى ما سيحدث. صحتي بخير. كنت مكتئباً، لكنني أخطأت حينما قلت إن وعيي بوجود الله بداخلي لم يسدني نفعا. لقد أسداني نفعا فعلاً. أقرأ الآن في الكلاسيكيات الصينية. إنها مهمة جداً. كتبت ١٠ خطابات. لديّ ما أود تدوينه، لكن ليس لديّ وقت اليوم.

٩ أكتوبر.

صحتي لا تزال بخير. أتاني الكثير من الزوار؛ جميعهم من المشتغلين

(٢٥٢) بعنوان (هل هذا ضروري حقاً؟).

بالأدب إلا دوناييف وابنته وبوتشكاريف. فيسيلييتسكا (صحفية) لطيفة للغاية، وحضر كذلك توتوميانتس (عالم اجتماع) وهو ماركسي شاب ويتمتع باللفظ أيضًا. بالأمس جاء بوسي^(٢٥٣) وجوركي. هؤلاء كانوا أقل لطفًا بالنسبة لي. حالتي المعنوية متوسطة.

كنت لتوي عند ماريا ألكسندروفنا، وعدت على متن الجواد، وشعرت بوضوح أن عالمنا هذا هو واحد من بين عوالم كثيرة، وكذلك حياتي. لا يمكنني حتى استدعاء الإيمان بداخلي مجددًا بواقعية هذا العالم؛ أقصد الإيمان بأن هذا العالم واحد وأن حياتي واحدة، لكنني أرى أن نفسي هي حالة عرضية تمامًا في هذا العالم.

لا أزال أحاول الانتهاء من مقالة «هل هذا ضروري حقًا؟». يبدو أنني سأنتهي منها اليوم تمامًا وأرسلها غدًا. أقرأ قليلًا ولا أبذل جهدًا فكريًا كبيرًا الآن.

الحدث المهم في تلك الفترة هو الآتي: لا أتذكر المناسبة بالتحديد، لكنني بعد أن أثبت أبنائي على ما أذكر، بدأت أسترجع كل الأفعال الدنيئة التي ارتكبتها. استرجعتها بحيوية شديدة، أو على الأقل معظمها، وشعرت بالهلع. حياة الآخرين وحياة أبنائي أفضل من حياتي كثيرًا. عليّ ألا أفخر بالماضي، ولا حتى بالحاضر، بل عليّ أن أشعر بالخزي والتواضع، وعلى أن أتواري طالبًا السماح من الناس. كتبت في البداية «طالبًا السماح من الله» ثم شطبت الكلمة. ذنبي أمام الله أقل وطأة من ذنبي في حق الناس. هو الذي جبلني وسمح لي أن أكون على هذه

(٢٥٣) أراد نشر مسرحية تولستوي (جثة حية)، لكن تولستوي رفض لأنها لم تكتمل بعد.

الصورة. عزائي الوحيد هو أنني لم أكن شريرًا أبدًا. ثمة فعلان أو ثلاثة لا تزال مصدرًا لعذابي. لم أكن أيضًا قاسيًا أبدًا، ومع ذلك فأنا كائن بغیض مُنفّر. كم من الجيد أن أدرك ذلك وأتذكره دائمًا! لقد أصبحت الآن طيبًا في تعاملتي مع الناس، وهذا هو الأمر الرئيس، وهو ما يهم.

١- لا يتذكر الشيوخ كل ما حدث لهم مؤخرًا. الذاكرة هي ما تربط كل ما يحدث عبر الزمن بـ«أنا» واحدة. هذا يعني أن أنائي انتهت الآن وبدأت أخرى جديدة.

٢- نغزو أهمية وقيمة غير ملائمة للكتاب وأعمالهم، ويعود ذلك إلى أن الصحافة التي تشكل الرأي العام بين أيديهم. هذا وحده ما يفسر قيام النقد بكل هذا العمل الفكري والمتأني الغريب حول أهمية أبطال القصائد والروايات. هذا ما يفسر كذلك الأهمية المبالغ فيها التي تُعزى إلى الفن. إنهم جميعًا عصابة واحدة.

٣- أنت غير مذنب إن وجدت شيئًا لا صاحب له، وإن أخذت نبتة أو اقتلعت شجرة من سهل أو غابة ليسا ملكًا لأحد. لا ذنب أيضًا لمالك الأرض أو مالك المصنع إن تقاضى أي منهما المال في حالة إن لم يعرف كيف نال المصنع أو الأرض، ومن هم الذين يدفعون الضرائب. لكن إن علم الحقيقة، وعرف أن ثمة صاحبًا لهذه النبتة أو الشجرة وكيف تم الاستيلاء عليها فهو لص إن أخذها. إن علم هذا اللص الحقيقة، لا بد إذن أن يكون الجميع قد أدركوا كيف يتم الاستيلاء على الأراضي والمصانع وكيف يتم تحصيل الضرائب وكيف تتم الاستفادة منها لصالح هذا أو ذاك، وبالتالي جميعهم لصوص.

٤ - مشكلة مريعة لم تُحسم بعد: كيف يمكن لأناس أذكاء ومثقفين سواء أكانوا كاثوليكين أم أرثوذكسيين أن يؤمنوا بهذه التعاليم الكنسية الحمقاء؟ لا يمكن تفسير ذلك إلا بالتنويم. يتعرض الناس في لحظات الطفولة، ثم في لحظات الكآبة الشديدة للإيحاء بأفكار معينة، وتنغرس فيهم هذه الأفكار بقوة حتى لا يعود بإمكانهم التحرر منها فيما بعد. في العام الماضي، بينما كنت أقرأ كتابًا عن التنويم، لم أجد فيه إجابة على السؤال الآتي: كيف يتحرر الناس من أثر التنويم؟ أعتقد أن ثمة طريقًا واحدًا، يتمثل في قطع العلاقة بالمنوم وعيش نمط حياة طبيعي، والأهم من ذلك أن يحدث تقدم في مجال النشاط الروحي داخل الفرد.

يجب أن أمعن التفكير في ذلك، فهو أمر شديد الأهمية.

يقولون: يجب أن يُحاكم المنومون لإيحاءهم للناس بأفعال مناقضة للقانون. ولكن الإيحاء للأطفال ولكل من هم في عمر شديد التأثير بالإيحاء بكافة تلك التعاليم المرعبة للكنيسة غير ممنوع، بل الممنوع هو محاولة منعهم من القيام بذلك! أمر مريع.

٥ - يتضح لي أكثر فأكثر أنه كلما قلت قوة المشاعر والأفكار الأصلية سهل انتقال أفكار الغير للمرء. ثمة تنويم يحدث في التعليم أيضًا. وفي الحالات الهيستيرية تسري العدوى بقوة غريبة. أولئك الذين يمرون بحالات هيستيرية يؤثرون بقوة على الآخرين وينومونهم؛ لأن ما من أفكار أو مشاعر أخرى سوى التي تستولي عليهم في اللحظة الراهنة. إنهم يبدون كالحديد الممغنط، يتحول إلى حجر مغناطيس.

أبذل طوال الوقت جهدًا كبيرًا في الكتابة بسبب الكسل.

١٠ أكتوبر.

في الصباح لم أستطع لفترة طويلة أن أقبل على العمل، ثم عاودت تصحيح الخاتمة، وأشعر أنني لم أنتهِ منها بعد. تنزهت. أمطار.

في ذلك الوقت اكتنفتني انطباع سيئ لم أستطع الفكاك منه حول كتابة ليوفا ومساعدة شقيقاته له في نسخ قصصه. أن تفهم كل شيء يعني أن تصفح عن كل شيء.

مضيت على متن الجواد بعيداً على طريق تولا بينما أفكر في أمر ما. سأدون أفكارني هنا مباشرة بدلاً من تدوينها أولاً في دفتر أفكارني:

١ - إن تحدث إنسان ما طوال الوقت عن كل ما هو شعري، فاعرف إنه يفتقد الحس الشعري. كذلك هو الأمر مع الدين والعلم والخير والشر؛ خاصة مع العلم.

٢ - أجد نفسي طوال الوقت تشعر بعدم واقعية هذا العالم. لماذا يأتي الربيع والصيف والخريف؟ هل يستحيل أن يجري الأمر على نحو مختلف؟ أليس من الواضح أن ذلك مجرد $\frac{1}{\infty}$ من المصادفات العارضة؟ هذا ما أشعر به. هذا العالم ليس شيئاً سواي؛ سوى روحي.

تذكرت كيف كنت أنظر إلى العالم إبان طفولتي. كيف كان أمراً لا يرقى إليه الشك أن هذا العالم هو الوحيد. ليس الوحيد وحسب، بل الحقيقي أيضاً، وكل شيء عداه هو محض وهم. الآن أعرف أن هذا العالم هو محض وهم. وبين هاتين المرحلتين؛ أي النظرة الطفولية إلى العالم المرتكزة على جسدي المادي، وحتى وعيي الصافي الآن بعرضيته

وتفاهته، مررت - ولا أزال - بمراحل عديدة. عليّ أن أوضح ذلك.

٣- هل تعليم الإناث أمر جيد؟ نعم. هل الصفوف الدراسية جيدة كذلك؟ لا، بل دنيئة. لماذا؟ لأن كل المدارس تضع طلابها في وضع يسمح بقبول التنويم. تجد الفتيات أنفسهن منجذبات على نحو خاص إلى ذلك. للمدارس أثر المخدر. أما التعليم الحقيقي والذي لا يضر صاحبه فيكتسبه كل امرئ بمفرده، كما يكتسب المرء كل شيء جيد بمفرده. لا أقصد بمفرده، بل مع الله.

٤- أشعر أنني في حالة بدنية جيدة.

١٦ أكتوبر.

غداً سوف أذهب إلى تانيا إن لم يحُل شيء دون تحقيق ذلك. طوال تلك الفترة كنت بصحة جيدة، لكن معدتي الآن بدأت تؤلمني. منذ ثلاثة أيام أيضاً سقطت وأذيت ذراعي الذي كان يؤلمني من الأساس، لكنني الآن أفضل حالاً.

بالرغم من حالتي الصحية الجيدة لم أقم طوال تلك الفترة بشيء مهم. أنهيت مقالة "هل هذا ضروري حقاً؟"، ومنذ أن أرسلتها لم أبدأ في كتابة أي شيء آخر. أنا بصحة جيدة، لكنني في حالة خمول عقلي. أول أمس تنزهت وخطرت على ذهني أفكار جيدة، لكنني لم أمعن التفكير فيها. جاء نيميروفيتش دانتشينكو من أجل المسرحية^(٢٥٤)، لكن

(٢٥٤) من أجل أن يحصل على نص مسرحية "جنة حية" بهدف إنتاجها مسرحياً، لكن تولستوي رفض لأنه لم ينتهها بعد.

حماسي لها فارقني .

نُشر مقالي «لا تقتل» في جميع الصحف، حتى الإيطالية، لكنهم اقتطعوا منها بعض الأجزاء. أنا في انتظار بعض الزوار إذن^(٢٥٥).

في تلك الفترة دوّنت الآتي:

١- تحدثت سابقاً عن عدم واقعية كل ما ينتقل إلينا عبر حواسنا الخارجية، وبالتالي عدم واقعية كل ما هو مادي. السؤال الذي يطرح نفسه تلقائياً إذن هو: ما هو الواقعي حقاً؟ ما الحياة إن لم تكن كافة الظواهر المادية؟ ما هو حقيقي ومهم في الحياة هو أمر واحد: التحول صوب الوحدة وتشكيل وحدات جديدة عن طريق زيادة الوحدة بين الوحدات القديمة.

٢٨ أكتوبر - كوتشيتي^(٢٥٦).

أنا هنا عند تانيا منذ عشرة أيام، ولم أدوّن في تلك الفترة يومياتي، ولم أكتب أي شيء، رغم أن حالتي الصحية بخير.

تمشيت لتوي وصليت وفكرت. سأكتب أفكار في هذا الدفتر مباشرة:

١- الحياة هي انتقال من إطار لآخر. إنكار الذات؛ أي الخروج من إطار المرء الخاص، لا يحدث إلا قليلاً. علينا أن نشكل الإطار الجديد، وحياتنا في هذا العالم هي بمثابة مادة الإطار الجديد.

(٢٥٥) يقصد في انتظار أفراد الشرطة بسبب ما كتبه في المقالة.

(٢٥٦) الضيعة التي تسكن فيها ابنته تانيا.

سقطت في ياسنایا، وأصبتُ ذراعي التي كانت مصابة من البداية، وبالتالي لا أستطيع رفعها. في الطريق أصبتُ إصبعي أيضًا، فبدأ ظفري ينخلع، ولا يمكنني استخدام هذا الإصبع. أنا هنا بخير.

ميخائيل سيرجيفيتش^(٢٥٧) لا يكن حبًا واحترامًا لتانيا إلا بقدر قليل. تانيا طيبة جدًا، وقد ازدادت اقتربًا مني كرد فعل معاكس لزوجها، لكنها مشغولة دائمًا. وصلنتي من صوفيا خطابات جيدة. أشعر بالأسف الشديد عليها.

فكرت في الآتي:

١ - الحياة عملية خلق مستمرة، أي أنها بمثابة تشكيل أشكال جديدة سامية. عندما تتوقف عملية التشكل في نظرنا أو حتى تراجع؛ أي عندما تتحطم الأطر القديمة، هذا يعني أن ثمة أطرًا جديدة تتشكل، لكنها ليست مرئية لنا. نحن نرى ما بخارجنا، لكننا لا نرى ما بداخلنا، بل نشعر به فحسب، وهذا بالطبع لا يحدث إلا إن فقدنا وعينا وظننا أن ما هو مرئي ومادي هو ما يشكل حياتنا بأكملها. يرى اليسروع (يرقانة الفراشة) نفسه وهو يموت، لكنه لا يرى الفراشة التي ستخرج منه ونطير.

٢ - تُدمر الذاكرة الزمن، حيث إنها توحد ما يبدو أنه يحدث على حدة.

٣ - كنت سائرًا لتوي وفكرت في الآتي: ثمة ديانة وفلسفة وعلم وشعر وفن لغالبية البشر: صحيح أنها ديانة مغطاة بالخرافات، لكن

(٢٥٧) زوج تانيا.

الإيمان بالله هو أساسها، وكذلك الإيمان بحياة لا تُبطل. أما الفلسفة لديهم فهي نوع غير واعٍ من الفلسفة القدرية والإيمان بمادية وعقلانية كل ما هو موجود. بالنسبة للشعر: يتأسس على القصص الخرافية والوقائع الحقيقية والأساطير. الفن: من النوع الذي يعتمد على جمال الحيوانات ومنتجات العمل والأغاني والرقصات. من ناحية أخرى هناك ديانة مسيحية حقيقية وفلسفة ممتدة من سقراط إلى أميل (٢٥٨) وهناك شعر تيوتشيف (٢٥٩) وموباسان، بالنسبة للفن لا أستطيع أن أجد أمثلة على الرسامين، لكن لدينا موسيقى شوبين في بعض أعماله وهایدن. هناك أيضًا ديانة وفلسفة وشعر وفن لدى طبقة المثقفين: ديانة الإنجلييين وجيش الخلاص (٢٦٠) وفلسفة هيغل وعلم دارون وسبنسر وشعر شكسبير ودانتى ومسرح إيسن وفن رافاييل والانحطاطيين وباخ وبيتهوفن وفاجنر.

ظفري المتورم هو ما وجّهني صوب تلك الأفكار. تبقى مكانه لحم ونسيج رقيق. لماذا ينمو الظفر عليهما في ذلك المكان؟ «الظفر تخثر قرني الشكل كان من الممكن أن يظهر عرضًا في أي مكان: على الصدر - على الظهر»: الإجابة طبقًا لداروين هو أن الأظافر نمت في كل مكان، لكنها كانت عديمة الفائدة في كل مكان عدا الأطراف عند المخالب،

(٢٥٨) هنري فريدريك أميل: فيلسوف أخلاقي سويسري وشاعر وناقد.

(٢٥٩) فيودور إيفانوفيتش تيوتشيف: شاعر ودبلوماسي روسي، عاش ما بين ١٢ مايو ١٨٠٣ - ٢٧ يوليو ١٨٧٣.

(٢٦٠) جماعة دينية إنجليزية، تهدف إلى خلاص الأرواح الضالة بالإيمان والصلاة والأعمال الخيرية، ويتعهد أعضاؤها بالتخلي عن الملذات الدنيوية وتكريس حياتهم لجيش الخلاص.

وبالتالي بقيت الأظافر في هذا المكان وحسب. الحيوانات التي كان لها مخالب أنجبت حيوانات أخرى ذات مخالب أيضًا، لكن نواة المخالب التي تشكلت لم تكن لها أي مزايا، حتى في الأطراف، ولم يكن هناك أي سبب بالنسبة للحيوانات التي ظهرت فيها نواة هذه الأظافر عند أطرافها لتنجب حيوانات لها أظافر في مؤخراتها. هذه النظرية الفلسفية يتم التعامل معها على أنها نتاج فكري عظيم!

لدى الداروينية كافة المؤهلات التي تساعدنا على حشد المؤيدين. أولاً هي ليست بسيطة وبإمكانها أن تُحير الناس، ولا تتضح حقيقة أنها غبية مباشرة لأنها ملتوية. التكلفة والغربة والحماقة والالتواء هم سمات هذا النوع من الدين والفلسفة والشعر. هذا ما نجده في دانتى وشكسبير وبيهوفن ورافاييل.

أنا بحاجة إلى أمثلة أفضل.

٤- في الشيخوخة تفقد الذاكرة الأسماء والحوادث الحاضرة. يحدث ذلك بسبب أن الذاكرة تجمع كل ما يحتاجه المرء من أجل الحياة الأخرى المستقبلية.

٥- حتى يعيش المرء على نحو جيد في هذا العالم عليه أن يفهم لا واقعته؛ بمعنى أن يفهم أن هيئته المادية هي واحدة من ضمن عدد لا نهائي من الهيئات الأخرى العرضية، وبالتالي فهي لا شيء. يمثل هذا العالم في حد ذاته $\sqrt{-1}$ أي أنه لا يمكن أن يكون له أي معنى على نحو مستقل، لكن معناه وأهميته تتمثل في كونه مرحلة انتقالية في الحياة.

٦- ٩٩٪ من سلوكيات الناس جميعاً تتم عن طريق المحاكاة وبدافع من الإيحاء والغريزة. ١٪ من السلوكيات تتم بشكل عقلائي حر. هذه النسبة الضئيلة هي ما تحرك الإنسانية وهي ما تشكل الحياة الحقيقية.

٧- يعتمد مسار التقدم الشائع على إنتاج تطورات مادية من شأنها أن تدمر نظامنا الأخلاقي في الحياة. عندما تصبح هذه الفوضى ثقيلة الوطأة تظهر الأسئلة الأخلاقية على السطح وتصحح مسار التطورات المادية، ثم يحدث تقدم مادي آخر تليه خطوة أخلاقية ثانية. هذا هو منبع عدم الرضى عن الحضارة، وهو أمر مبرر تماماً.

٨- فكرت في نفسي قائلاً إني إن عزمت على خدمة الناس بالكتابة، يتوجب عليّ فعل أمر واحد؛ ألا وهو أن أفصح إثم الأغنياء وأكشف للفقراء عن الخداع الرازحين تحت وطاته.

٢٩ أكتوبر.

لا أفعل شيئاً طوال الوقت. فكّرت في كتابة خطاب إلى الصينيين^(٢٦١). دوّنت الآتي:

١- لا مفر من الإيمان، فهو ضروري وكاف. ثمة إيمان بأن الله موجود وأنه أرسلني إلى العالم وأني خليقته وكذلك عامل لديه، وأني جزء منه وسيحدث معي ما لا بد أن يحدث. يشبه ذلك إيمان الطفل بأمه التي تحمله بين يديه. ليس بوسعي الإجابة عن هذه الأسئلة: مَنْ أنا؟ ما طبيعتي؟ ما الهدف من وجودي؟ إلى أين أنا ذاهب؟ الله وحده يعرف

(٢٦١) ترجمت هذا الخطاب ضمن كتاب (في العلم والأخلاق والسياسة) الصادر عن آفاق.

مثل هذه الإجابات، وأنا أؤمن به، وأؤمن بأن كل ما يفعله معي لا بد له أن يحدث وهو حسن.

عبّرت عن هذه الفكرة من قبل بشكل أفضل، لكنني الآن غير قادر على ما هو أفضل من ذلك.

٢- يتمثل خطأ الماديين الفج في بدئهم من مكان وزمان بعيدين ليتمكنوا من توضيح ما هو موجود، متناسين أن الزمان والمكان ليسا إلا دلالة على ضعف عقولنا، وأن علينا أن نبدأ من اللحظة الراهنة والمكان الحالي؛ أي أن نبدأ بمسائلة أنفسنا كما بدأ ديكارت.

٣- يراودني شعور روحي مريح وغريب. ما إن أفكر فيه، حتى أشعر إني بخير. أشعر تحديداً بما يشعر به المرء حينما يستلقي بعد تعب أو يشرب بعد عطش. هذه هي الحالة الطبيعية للكائن الروحي.

لا يزال إصبعي يؤلمني بشدة، لكنني بخير صحياً.

٣٠ أكتوبر.

في الصباح بدأت أكتب رسالتي إلى الصينيين. كتبت في مقدمتها قليلاً وعلى نحو سيئ. تحدثت على نحو حسن مع ألكسندر ميخايلوفيتش وشيبيليف (أحد جيران زوج تانيا) الذي وصل لتوه.

حالي الصحية متقلقلة طوال الوقت. يبدو أنها الحمى، لكن معدتي بخير. لم أدوّن شيئاً، ولم تصلني خطابات.

٣١ أكتوبر.

أكتب في المساء. خرجت على متن الجواد. في الصباح وصلتنني

بعض الخطابات. قرأتها، وكتبت بعض الخطابات. أريد أن أرحل بعد غد. لا أزال في نفس الحالة من الضعف والتبطل. لم أدون شيئاً.

٦ نوفمبر - موسكو - صباحاً.

وصلت هنا منذ ثلاثة أيام. كان الوصول إلى المحطة (٢٦٢) شاقاً وشعرت بالإرهاك واضطربت معدتي. حالتي الصحية سيئة طوال الوقت ولم أكتب شيئاً. لا يزال إصبعي يؤلمني. اكتفيت بتصحيح بعض الخطابات. لم أدون شيئاً.

٧ نوفمبر.

شعرت بالضيق الشديد، حتى أدركت أن ثمة أمراً واحداً أحتاج إلى فعله: لست في حاجة إلى إعداد نفسي من أجل الحياة المستقبلية، بل عليّ أن أستعد لهذه الحياة بأن أحيا حياتي الحاضرة على نحو جيد.

١ - في البداية يعيش الإنسان من أجل كيانه المؤقت العابر، ويشعر أنه أَرْضَاه، ثم يأتيه الوعي بعدم صلابة ما يرتكن إليه، ويرى أن الشيء الحي الوحيد هو الكيان الروحي، وهو ليس في حاجة إلى ما فعله لنفسه؛ أي جسده، بل إن ما فعله يضره. حينها يبدأ في الشعور بأن ثمة معنى واحداً؛ ألا وهو إرضاء هذا الكيان، ولا يرضيه سوى الخير والكمال في الخير؛ أي الحب.

لكن المعرفة شيء والمعيشة شيء آخر. هبطت من على متن الجبال التي عشت فيها من أجل مسراتي التي لست في حاجة إليها، لكنني لا أزال أحاول صعود جبل الحياة المفضي إلى الكمال والحب، لكن الحركة

(٢٦٢) كانت المسافة من ضيعة ابنته وزوجها إلى محطة القطار حوالي ١٥ فرساً.

صعبة. أجدني معظم الوقت في طريق مسدود؛ أهبط من على متن جبل ولا أصعد جبلاً آخر.

٢- فكّرت في كتابة ثلاث مقالات:

أ - خطاب إلى الصينيين.

ب - مقال عن أن كل شيء أصبح قائماً على القتل.

ج - مقال عن حقيقة أن أشباه المسيحيين المعاصرين لا يؤمنون بأي دين.

١٢ نوفمبر - صباحاً.

حالي الصحية ممتازة. لا أكتب شيئاً. أدرس الكونفوشوسية وأشعر أنني بخير. أغترف من القوة الروحية. أريد أن أكتب عن: كيف أفهم الآن التعليم العظيم والتعليم الوسط^(٢٦٣).

اجتزت اختباراً بشتات. في هذه الفترة دوّنت الآتي:

١- بدأت أعتاد على رؤية هدف الحياة في الخدمة، لكنني أخدم بتكاسل شديد.

٢- صعقت من الخبر الذي مفاده أن الأميرة فيازيمسكايا^(٢٦٤)، والتي تعتبر مثال الأرستقراطية، لديها ١٩ حانة باسمها في مقاطعة تامبوف، كل منها يجلب لها نحو ألفين روبل، في الوقت الذي يقول في الناس إنه ليس ثمة شيء يستحق الكتابة عنه فيكتبون عن الخيانات الزوجية.

(٢٦٣) الأولى مقدمة في الأخلاق الكونفوشوسية، والثاني يعتبر واحداً من أشهر كتب الكونفوشوسية.

(٢٦٤) زوجة الأمير فيازيمسكي الذي أصبح راهباً في جبل أثوس باليونان.

٣- من شأن كشف الحقيقة للناس -مثلما يفعل الإنجيل- أن يخلصهم من الشر، ولكن مَنْ يقوم بهذا الكشف لن يواجه سوى المصاعب. اكتب مسرحية أو حتى رواية فاجرة وسيغرقونك بالزهور والمديح والمال. صحيح هو قول أحدهم أن حشود المثقفين الضخمة تشبه الأطفال. يحبون الحديث عن الناس كأنهم أطفال، في حين أنهم هم الذين يشبهون الأطفال؛ أقصد أبناء الطبقات الغنية المسيطرة.

٤- هذا هو جوهر التعليم الصيني:

يرشد التعليم الحقيقي العظيم الناس إلى الخير الأعظم ويجددهم ويساعدهم على البقاء في هذه الحالة. حتى نصل إلى الخير الأعظم يجب أن يكون خيراً للناس جميعاً. وحتى يتحقق ذلك لا بد وأن يكون خيراً للأسرة، وحتى يتحقق ذلك لا بد أن يكون خيراً للنفس. يتطلب الأمر الأخير أن ينصلح حال القلب: «لأنَّه حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا». (متى ٦: ٢١). حتى ينصلح حال القلب يلزم أن نتمتع بحالة واعية من الأفكار. لنصل إلى تلك الحالة علينا أن نصل إلى درجة عليا من المعرفة، وليتحقق ذلك علينا أن ندرس أنفسنا كما وضحت سابقاً.

لكل شيء جذرها وعواقبها. لكل الأفعال بداية ونهاية. للتعرف على التعليم الحقيقي من المهم جداً أن نعرف ما لا بد له أن يكون أولاً وما لا بد له أن يكون أخيراً.

عندما تحدد هدفك الرئيس الذي يجب أن تسعى صوبه، وتُنحِّي عن طريقك بقية الأهداف التافهة، ستحقق الهدوء والاستمرارية. ما إن

تصل إلى تلك المرحلة حتى يكون بإمكانك أن تفكر بصفاء، وإن فُكِّرْتَ بصفاء ستصل إلى هدفك.

كمال الإنسان هو أصل كل شيء. إن أُهْمِلَ الجذر، ربما لا ينمو منه شيء حسن.

حتى ينال الإنسان خيراً عليه أن يدرس قوانين السماء؛ أي إرادة من أرسله. حتى يتجدد عليه ألا يتوقف يوماً واحداً عن إصلاح نفسه؛ أي يعترف بأخطائه ويحاول ألا يسقط فيها ثانية. حتى يستمر معه خيره عليه أن يحظى بأفكار صادقة وكاملة واسعة النطاق. يعرف الطير أين يتوقف، فمتى يدرك الإنسان ذلك هو الآخر؟

تعليم الوسط:

وضعت السماء في الإنسان طبيعة خاصة به. يتمثل طريق الإنسان الحقيقي في إدراك طبيعته: ”أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ“ (يوحنا ١٤: ٦). ما يفعله هذا التعليم هو الإشارة إلى هذا الطريق.

كل انحراف للمرء عن اتباع طبيعته يحرمه من الحياة، لذا يحاول الإنسان الحكيم أن يعرف الطريق قبل أن يرى الأشياء، ويخشى الاصطدام بها قبل أن يسمع عنه، وبالتالي ليس هناك ما هو أكثر أهمية مما هو غير مرئي وغير ملحوظ. لا يمكن للإنسان أن يعرف نفسه إلا حينما لا يقع تحت تأثير شهواته وانطباعاته. حينما يتعرض الإنسان لما يبهجه وكذلك لما يحزنه يجد نفسه في حالة متوازنة، وبالتالي يمكنه أن يعرف نفسه؛ أي يعرف طبيعته وطريقه. عندما تستيقظ هذه المشاعر بداخله بعد أن يدرك نفسه، تمثل له هذه المشاعر حدود واجبة، وحينها تكتنفه حالة من الرضى.

تمثل حالة التوازن الداخلي الجذر الذي تنبع منه أعمال الإنسان الفاضلة، أما الانسجام فهو القانون الشامل لكافة الأفعال الإنسانية.

لو نَعِمَ الناس بحالة التوازن والانسجام، لسادت السعادة العالم وازدهرت كافة الكائنات. لذا يتنبه كل إنسان حكيم لنفسه عندما يكون بمفرده، ويتمسك دائماً بالتوازن والانسجام. ومع أن العالم لا يعرفه ولا يبجله، لكنه لا يأسف على ذلك أبداً. يقوم بأفعاله خفية لكنه يحقق أقصى أهدافه. أفعاله بسيطة في علاقاته مع الناس، لكن نتائجها هائلة للغاية.

يمكن للإنسان أن يعرف دائماً كيف يمكنه أن يصل إلى الكمال. دائماً ما نجد نقشاً على مقبض الفأس. كذلك هو الأمر مع الكمال، فالإنسان يجد نقش الكمال دائماً بداخله، ويشكل نفسه على أساس هذا النموذج المنقوش: "أنتم آلهة... أنتم أبناء الله" (٢٦٥). إن أدرك الإنسان بناء على فهم طبيعته أن عليه ألا يفعل للآخرين ما لا يحب أن يفعلوه به، فهو قريب إلى الحقيقة. يصلح الإنسان الفاضل من نفسه ولا يطالب الآخرين بشيء، وبالتالي لا يزعجه شيء. إنه لا يتذمر من الناس ولا يدين السماء.

لذا يواجه الإنسان الفاضل تدابير السماء بهدوء وقناعة، بينما يسير الدنيء في طرق خاطئة ويشعر بالقلق دائماً ويتوقع أحداثاً سعيدة.

كي يكون الإنسان فاضلاً عليه أن يسلك دوماً كما يسلك الرامي؛ إن لم يصب هدفه، يُرجع سبب فشله إلى نفسه لا الهدف. يشبه الإنسان

(٢٦٥) يشير إلى مزمو ٨٢: ٦، أنا قلت: إنكم آلهة وبنو العلي كلكم.

السالك صوب الكمال عابر سبيل يبدأ طريقه دائماً بمسافات صغيرة، وعندما يود أن يصعد الجبل يبدأ من القاع.

تسلك السماء بإخلاص ووعي. على الإنسان أن يسعى إلى الوصول إلى الوعي. من يحزّ الوعي، يمكنه أن يعرف الصواب دون جهد، ويفهم كل شيء دون أن يمعن التفكير، ويصل إلى طريق الحقيقة بسهولة. من يصل إلى الوعي يختار ما هو صائب ويتمسك به جيداً.

كي يصل الإنسان إلى مرحلة الوعي، عليه بدراسة الخير بعناية، والتفكر فيه والتمييز بوضوح وتنفيذه بجدية. إن قام الإنسان بذلك، حتى إن كان غيباً سيصبح ذكياً، وإن كان ضعيفاً سيصبح قوياً.

إن كان لدى الإنسان عقل نابع من الوعي، فلا بد أن يرد ذلك إلى الطبيعة، وإن كان لديه وعي نابع من العقل، فلا بد أن يرد ذلك إلى التعليم. إن ظهر الوعي تبعه العقل، وإن ظهر العقل تبعه الوعي.

وحده من يصل إلى الوعي الأسمى يمكنه أن يُطوّر طبيعته كاملاً. ما إن يُطوّر طبيعته كاملاً حتى يكون بإمكانه أن يُطوّر طبائع الآخرين والحيوانات وكافة الكائنات. عندما يحقق ذلك يصبح معاوناً للسماء.

من يَرع نبتة الخير بداخله، يقترب من تحقيق ما سبق، ويصبح الوعي فيه مرئياً، وحينها يصبح لامعاً، وعندما يصبح كذلك يمكنه أن يؤثر على الآخرين. هذا يعني أن من لديه الوعي هو من بإمكانه أن يُجدّد الآخرين.

اللا نهائية هي سمة الوعي، وما إن يعمل الوعي في الآخرين، لا يتوقف، وبالتالي يصل الوعي إلى أقصى حدوده. عندما يحدث ذلك

يصبح الوعي لا نهائياً ويصبح وجوده حقيقياً. يعني ذلك أن مَنْ يحوز الوعي يصبح لا نهائياً ويصبح وجوده حقيقياً.

عندما يصبح المرء على طبيعته، يتضح الوعي دون أن يعلن عن نفسه، ويمكنه أن يُحدث تغييرات دون حركة ويصل إلى تحقيق أهدافه دون بذل جهد.

يمكن التعبير عن طريقي السماء والأرض بهذا القول المأثور: ليسا طريقين، بل طريق واحد، وبالتالي بإمكان كليهما أن ينتجا الأشياء بشكل غير مُدرك.

إن حكم الجاهل على أمور لا يعرفها، وعزا المتكبر لنفسه القدرة على حسم القضايا بأحكامه الخاصة، وعاد مَنْ يعيش في الزمن الحاضر إلى أحكام الماضي، سيفقدون جميعهم حياتهم.

لا يسمح الإنسان الفاضل لنفسه أن يُفوّت أدنى وأصغر تجليات طبيعته، بل يحاول أن يوجهها جميعاً صوب الكمال الأسمى. إنه يُقدّر معارفه القديمة ويكتسب دائماً أخرى جديدة.

في الوقت الذي يحاول الإنسان الدنيء المتجّه باستمرار صوب الهلاك أن يربح أكبر قدر ممكن من الشهرة، يُؤثر الفاضل أن يخفي فضائله عندما تزداد شهرته. يُوجّه الفاضل عنايته إلى أمر واحد؛ أن يفحص قلبه حتى يحفظه من كل سوء.

ما لدى الإنسان الفاضل من أمور لا تُضاهى هي تحديداً ما لا يمكن للناس أن يروها. ليس لدى أفعال السماء نور أو صوت أو رائحة. هكذا

هي أفعال الإنسان الفاضل.

١٤ نوفمبر.

وصلتني أخبار سيئة من ماشا^(٢٦٦). كتبت خطابات لسيريوجا وماشا وماريا ألكسندروفنا. أدرس الكونفوشيوسية باجتهاد على ما أعتقد، ويبدو لي كل شيء آخر تافهاً. يبدو أن هذا التعليم الخاص بأن يوجه المرء عنايته لنفسه حينما يكون بمفرده يؤثر عليّ بقوة ويفيدني. ليته يبقى بداخلي طازجاً كما هو الآن.

١٧ نوفمبر.

حالي الصحية سيئة، لكني أعيش بالروح. لم أكتب شيئاً. كم من الصعب أن يعيش المرء أمام وجه الله وحسب! يعني ذلك أن يعيش كما عاش البعض فوق عامود، عالمين أنهم لن يفارقوا أماكنهم، ولن يعرف أحد شيئاً عنهم. على المرء أن يعيش على هذا النحو^(٢٦٧)؛ لأن هذه هي الحياة وحسب. ساعدني يا سيدي.

١٨ نوفمبر.

تحسنت حالي الصحية. لا أريد أن أكتب شيئاً. أفكر في أمر ما دون كسل. علمت بالأمس أنهم سوف يجيزون المجلة. عليّ أن أكون مستعداً لتركها بلا مبالاة.

(٢٦٦) كانت الأخبار بخصوص فيرا ابنة أخيه التي بعد أن تزوجت دون علم أبيها وأنجبت، انفصلت عن زوجها.

(٢٦٧) راجع حاشية ٢٣٢.

فَكَّرْتُ الآنَ فِي الْآتِي:

يمكنني أن أعيش أحياناً من أجل الله، متذكراً الموت، ولا أفكر في شيء سوى الروح ورعايتها، ليس هنا وحسب، بل هناك أيضاً. يمكنني أن أعيش من أجل هذه الحياة، مستسلماً لتطلعاتي. لكني لا أستطيع أن أجمع بين هذا وذاك. هذا هو الأمر الوحيد الذي أنا في حاجة إليه.

سمعت بعض الأحاديث عن عمل ليوفا، وألقيت نظرة على كتابه ولم أستطع مغالبة شعوري بالاشمئزاز والضييق. عليّ أن أتعلم.

١٩ نوفمبر.

أعاهد الكتابة صباحاً، لأن في هذا الوقت لا يكون لديّ ما أفعله. أحاول التعود على ذلك دون تدمير. يتقدم العمل الداخلي، لذا فالأمر لا يقتصر على أنني لا يجب أن أتدمر، بل عليّ كذلك أن أبتهج. لقد خُلق الإنسان على نحو عجيب فعلاً. بإمكانك إما أن تعمل هنا وإمّا أن تعد نفسك للعمل هناك. أفضل عمل هنا هو أن تعد نفسك للعمل هناك.

تمشيت كثيراً مع ميخائيل سيرجيفيتش. ببساطة بدأت أحبه. ذهبت إلى بولانجي. إنه مريض للغاية. تحدث مع فيلوبوف عن الماركسية.

دَوَّنْتُ الْآتِي:

١ - عن حماقة صلاة الطلبة: ماذا سيكون موقف الجسد إن استطاعت كل خلية أن تطلب بنجاح من الله أن ينظم لها بقية الخلايا بالطريقة التي تروق لها، أو ألا تموت هي وبقية الخلايا التي تحبها؟

٢٣ نوفمبر.

لا أزال في نفس حالة الضعف، لكن حمدًا لله أني لا أزال أحافظ على سكوني الروحي، أو على أقل تقدير أحافظ على زيادة الهدوء والخير بداخلي.

لا يزال تعليم الكونفوشيوسية الخاص بأن يوجه المرء كامل عنايته بنفسه حينما يكون بمفرده، مفيدًا لي.

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

نحن أبناء الطبقات الغنية ندمر العمال. نجعلهم يقومون باستمرار بالأعمال القذرة التي لا تنتهي حتى نتمتع بالراحة والترف. بقمعهم بكل هذه الكمية من العمل لا نعطيهم أدنى فرصة لإنتاج ثمار روحية للحياة: لا تسنح لهم الفرصة للشعر أو العلم أو الدين. نستولي على كل ذلك ونعطيهم بدلًا منه شعرًا زائفًا مثل تلك الأغنية القوزاقية التي مطلعها: «لماذا هُرعت إلى منطقة القوقاز المميتة؟ ونعطيهم علمًا زائفًا مثل علم التشريع والداروينية، ونمنحهم دينًا زائفًا مثل الإيمان الكنسي. يا لها من خطية مريعة! لو لم نكن قد استنزفناهم إلى هذه الدرجة لأنتجوا شعرًا وعلمًا وتعليمًا عن الحياة.

حالي الصحية الآن سيئة.

٢٤ نوفمبر.

على قيد الحياة وأكتب. يبدو أنني تحسنت قليلًا. وصلني خطاب

من ماشا وسيريوجا. بكيت من الفرحة^(٢٦٨). كم يمكن أن تجلب البلية
نعمًا!

تذكرت أمرين نسيتهما بالأمس:

١- أمر سهل، أو على الأقل ممكن؛ أن أُكرّس نفسي لخدمة الله
بالصلاة والاعتكاف في دير. لكن هذا النشاط لا يجلب الرضى. دائمًا
ما يراودني شعور بعدم الرضى وبالتالي تكون ثمة إمكانية للتخلي عن
العمل. من الممكن والسهل كذلك أن أقوم بعمل اجتماعي من أجل
الناس، لكن خيبة الأمل ستكون في انتظاري أيضًا. الأمر الصلب الوحيد
هو خدمة الله عبر خدمة الناس. مثل هذه الخدمة لا تتحقق إلا بالحب.
عبرت عن الفكرة على نحو سيئ.

٢- الأمر الوحيد الذي يمكن أن يستولي على كيان ما ولا يجلب
له خيبة الأمل ولا توجد فيه أي منافسة، هو السعي صوب كمال الذات
في الحب. ثمة حد لكل شيء، وكذلك حسد للنجاح الكبير، إلا عندما
يتعلق الأمر بالحب.

٢٦ نوفمبر - صباحًا.

مر أكثر من شهر منذ أن ذهبت إلى تانيا في ١٨ أكتوبر، ولم أكتب
شيئًا. يبدو لي على الأقل أنني لا أستطيع العمل. ليست لديّ رغبة ولا
تراودني أفكار ولا أوّمن بأهمية أفكار، وبالتالي ليست لديّ فرصة
للتعبير عنها. لكنني مبتهج بأن ذلك لا يعوقني عن العمل أخلاقيًا، ويبدو

(٢٦٨) السبب هو أن علاقة فيرا تحسنت بشدة مع أبيها سيريوجا.

أن عملي في هذا المجال لم يضعُ بالكامل عبثًا، فأنا لا أشعر بالضغينة صوب أحد. لا يزال النجاح في الخير أمر جيد؛ لأن من المستحيل على المرء أن يفتخر به أو يشعر بالكبرياء أو العزاء بسببه. هذا النجاح لا يتحقق إلا عندما يكون غير ملحوظ.

أقرأ الإنجيل بالهولندية^(٢٦٩)، وأشعر مجددًا بالذهول من بعض المقاطع. لقد أثرت عليَّ الموعظة على الجبل تأثيرًا هائلًا. كيف يمكن للناس ألا يفهموا ويشعروا أن هذه الموعظة قد تضمنت كل ما هو واجب من أجل المستقبل ومن أجل كل إنسان في اللحظة الحاضرة، وأن فيها وحدها الوسيلة الوحيدة والمثلى للخلاص؟

ذهلت بالأمس عندما قرأت متى ١٨ : ١٤ : «هَكَذَا لَيْسَتْ مَسِيحِيَّةٌ أَمَامَ أَيْبِكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ». عليهم أن يعلقوا تلك الآية في كل مدرسة ويتذكروها في كل لحظة يتعاملون فيها مع الأطفال. لا شيء يمكنه أن يُشعر المرء بالاتحاد بالجميع أكثر من التعامل مع الأطفال. إنهم ليسوا أطفالًا، بل هم البالغون في المستقبل ومعلمو الأطفال فيما بعد. من المخيف أن يفكر المرء في أهمية هذه التعاملات.

ذهلت كذلك من الآية ١٨ من نفس الإصحاح: «كُلُّ مَا تَرَبُّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ». يا للحماقة التي يفسرون بها تلك الآية^(٢٧٠)! هذا أكثر المواضع تفسيرًا لأهمية الحياة بأشكالها المختلفة

(٢٦٩) بدأ في دراسة الهولندية في عام ١٨٩٧.

(٢٧٠) تعتمد الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية على هذه الآية في إقرار سلطان الكهنوت، حيث يعتبرون الكهنة خلفاء الرسل، فينتقل إليهم سلطان الحل والربط.

التي تبدى لنا مع الوقت. ما أشعر أنه مرتبط بي في هذا الموضع هي شهواتي التي لم أبطلها في حياتي الماضية. إن لم أحلها وأتحرر منها هنا، سأكون مرتبطاً بها في المستقبل.

قرأت كذلك آية ١٩، ٢٠ من منظور جديد^(٢٧١)، بمعنى أن كل ما تريدونه ستنالونه إن اتحدثم. لذا لا شيء أكثر ضرورة للناس من اتحادهم.

٢٨ نوفمبر - صباحاً.

لا أزال أشعر بذات اللا مبالاة. بالأمس قرأت مقالة نوفيكونوف وتركت في انطباعاً قوياً^(٢٧٢). تذكرت ما نسيته: حياة الشعب؛ أي الحاجة والإذلال وذنوبنا نحن الأثرياء. آه لو يسمح لي الله بالتعبير عن كل ما أشعره حيال ذلك! عليّ أن أنحي عني مسرحية «الجثة». إن كتبت في أي شيء آخر لا بد أن تكون المسرحية الأخرى أو (البعث).

استغرقت الصباح بأكمله في القراءة. أشعر بتكاسل. لا أستطيع فعل شيء. ربما يكون موتي قد اقترب أو أنه، وهو أمر حسن.

٣٠ نوفمبر.

لا أزال أشعر بالضعف. بالأمس تمشيت وتحدثت طويلاً مع سوفرونوف، وفي المساء مع نوفيكونوف. حدثت كليهما عن اعتراف الإيمان الذي أود أن أكتبه. رغبت في تسجيل فكرتين لكنني نسيتهما.

(٢٧١) «وَأَقُولُ لَكُمْ أَيُّضًا: إِنْ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُم عَلَى الْأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهَنَّاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ».

(٢٧٢) مقالة بعنوان (صوت الفلاح)، تصف أحوال الريف الروسي.

صباح اليوم فُكِّرْتُ في أن الجسد يجذبني، لذا عليَّ أن أنظر إلى هلاكه بسرور. يشير ذلك إلى حدوث تقدم، وهو أمر مبهج.

لا أريد أن أكتب شيئاً. سأؤجل الكتابة.

١ ديسمبر.

رويداً رويداً يزداد اعتيادي على حالتي وأدرك مدى فائدتها لي. بالأمس جاء عدد ضخّم من الزوار. لا أكتب شيئاً، ولا حتى أجيب على الخطابات التي تصلني. أشعر طوال الوقت بالضعف والألم.

١- يا لفضاعة الثقة المفرطة بالنفس والرضى عنها! إنها تجمد الإنسان وتغطيه بطبقة من الثلج لا يمكن أن يحدث عبرها أي نمو ولا تسمح بحدوث تواصل مع الآخرين، ثم تزداد هذه الطبقة الثلجية سمكاً. علاقتي مع الكثير من الناس هي ما أثارت بداخلي هذه الأفكار. أخشى أن أقول إن جميعهم خنازير لا يجب أن نلقي أمامهم شيئاً ثميناً^(٢٧٣). يمكنك أن ترى بؤسه الناتج عن الضلال الراشح تحت وطأته، وتعيش وتحدث معه وتعرف علاجه وكيف يمكن أن تنقذه، لكنك لا تستطيع قول ذلك له....

٢- هل الله لا يحبه لكونه شديد السوء؟ لو وُجد الحب لأمكن أن نجد مدخلاً له في روحه ونتمكن من اختراقها. علينا أن نكون كالغاز، يمكننا اختراق كل شيء، ولا نكون كالمسائل الكثيف أو المادة الصلبة.

(٢٧٣) لَا تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكَلَابِ، وَلَا تَطْرَحُوا دُرَّكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلَّا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فْتَمَرَّكُمْ. (متى ٦: ٧)

بهذا يمكن لكل فرد أن يسعى صوب كمال نفسه. لن تكون قادرًا على كل شيء إلا عندما تكون كاملاً، وبقدر ما تزداد قوة، تقترب من الكمال.

٣- أساس حياة الإنسان أن يضع لنفسه أهدافاً يسعى إلى تحقيقها. في طريق تحقيق الأهداف، أو حتى في عملية السعي في حد ذاتها صوب تحقيقها، قد يواجه الإنسان بعض المعوقات المنيعه: ستزول أملاكك، وسيُستبدل بالمجد النسيان أو الازدراء، وسيموت أي إنسان عشت من أجل إسعاده، ولن يستوعب الناس سلوكك أو رسالتك لهم. كل شيء يمكن أن تتم إعاقته ويتوقف، إلا شيء واحد؛ ألا وهو السعي صوب كمال النفس بالحب أمام وجه الله، أو السعي صوب خلاص الروح على حد تعبير الفلاحين. الحوائط في كل مكان، وثمة باب واحد مفتوح، لذا فهو يمثل الطريق الوحيد الحقيقي؛ أي المناسب للإنسان.

الإنسان محكوم عليه بالسجن الانفرادي. إنه كروبنسون كروزو، لن يلتقي أبداً بالناس، وسيموت وحيداً على جزيرته. لا، الأفضل أن أقول إنه مسجون يحتضر بعد عشرين عاماً في السجن، ولا أحد يعلم عنه شيئاً. أيمكن ألا يكون قد عاش هذه الأعوام العشرين؟ لا، إن هدف حياته يمكن أن يتحقق، وذلك أسهل له من الشخص الذي يعيش في العالم. يمكنه أن يختبر نفسه وقلبه، ويزيل من قلبه كل ما هو شرير ويسعى إلى كمال نفسه في الله. هذا ما حدث مع الديسمبريين

ومع كافة المساجين تقريباً^(٢٧٤). سيسألونني: وماذا عن الحمقى والمجانين؟ لا أعرف، ولا يمكنني أن أشرح سبب وجودهم، ولن أكتب عن ذلك. أنا لا أكتب من أجل الحمقى والمجانين والأطفال، بل من أجل العاقلين.

هذه أفضل فرصة لتضع لنفسك هدفاً؛ أن تسعى صوب تصفية ذاتك، وتحاول الوصول إليه أيّاً كانت الظروف. الوصول إلى هذا الهدف لا يكشف فقط عن أن هذه هي مهمة الإنسان، لكنه يكشف كذلك عن أن هذه المهمة لا يمكن أن تتحقق كاملاً في هذه الحياة. لا يمكن لإنسان أن يُطهّر روحه ويموت في وحدته دون أن يعرف عنه أحد شيئاً ولا يكون لديه هدف. الهدف واحد، ألا وهو أن تصبح الروح في حالة أفضل من أجل الحياة الأخرى. يُحدّثنا مثل الوزنات بوضوح عن ذلك^(٢٧٥). يتضح لنا معنى حياة السجين عندما نُنحّي عنا كل ما كان يربكنا. هكذا هو الأمر مع معنى حياة كل الكائنات في هذا العالم. علينا القيام بأمر واحد؛ ألا وهو تصفية أرواحنا. ما يحدث في العالم ليس إلا نتاجاً لهذه العملية. أولئك الذين يعتقدون أن عملهم في الحياة هو أن ينظموا حياة الآخرين كما يترأى لهم يشبهون الآتي:

(٢٧٤) ثورة الديسمبريين: اندلعت في الإمبراطورية الروسية في ١٤ ديسمبر ١٨٢٥. قاد ضباط الجيش الإمبراطوري حوالي ٣٠٠٠ جندي في احتجاج ضد تولي القيصر نيقولا الأول العرش بعد تنحي أخيه الأكبر قسطنطين بافلوفتش عن قائمة ولاة العهد. بسبب حدوث هذه الأحداث في ديسمبر سُمّي المتنفذون بالديسمبريين. تعرف تولستوي شخصياً على بعضهم بعد عودتهم من المنفى.

(٢٧٥) راجع متى ٢٥: ١٤-٣٠.

استدعى السيد العاملين بالحصاد، وأعطى لكل فرد منهم منجلاً ولو حاً معدنياً وطلب منهم أن يسنوا مناجلهم ويكونوا مستعدين للعمل. هذا ما فعله الأذكىاء منهم، وفي الصباح أرسلهم السيد إلى العمل، فتمكن الأذكىاء من الحصاد بسهولة بمناجلهم الحادة ونفذوا العمل المطلوب منهم بسرور، أما الأغبياء منهم أخذوا يسبون الأذكىاء لأنهم انتهوا من عملهم، ولم يستطيعوا القيام بالعمل المطلوب منهم بهذه المناجل غير المسنونة فأخذوا يحصدون أي شيء كما يترأى لهم وأفسدوا المرج وكسروا مناجلهم وأنهكوا أنفسهم.

لدينا هؤلاء الأغبياء أو المخادعون الذين يقولون: «السعي صوب كمال الذات! هذا كبرياء. علينا أن نعمل من أجل الآخرين ونضحى بأنفسنا من أجل ذلك العمل». وهل يمكن أن نسعى صوب كمال الذات دون أن نعمل من أجل الآخرين؟ هذه المقارنة التي أوردتها هنا غير دقيقة. السعي صوب الكمال الذات يعني تأجيل النيران، وعندما تؤجج النيران ستشتعل بشدة وتحرق ما يأمرك الله به دون أن تلاحظ. العبد في التفكير والرب في التدبير. «نَفْسُ الْإِنْسَانِ سِرَاجُ الرَّبِّ» (سفر الأمثال: ٢٠: ٢٧).

كافة القواعد الأخلاقية، حتى وصايا المسيح الخمسة الآتية: لا تغضب - لا تُقسِم - لا تطلق زوجتك - لا ترتكب عملاً عنيفاً - لا تقتل، مرتبطة بالناس، ولا يمكن تنفيذها أبداً دون فعل الخير للناس. لا يمكن للإنسان أن يُخلَّص روحه حقاً دون أن يفعل خيراً للناس. كل شخص مرتبط بكل ما في حياته المادية. لو التزم الإنسان فقط بأول قاعدة أخلاقية، وفعل للناس ما يود أن يفعلوه له، سيخدم الناس حقاً.

من المريع التفكير فيما هو موجود الآن، وفيما كان من الممكن أن يكون لو عمل الناس جميعاً من أجل خلاص أرواحهم وعاشوا حياتهم؛ أي حياتهم الأبدية بالسعي صوب الكمال، لا تلك الحياة الصغيرة كما هو الأمر الآن.

بدأت أشعر على نحو غائم بإمكانية أن أحيأ من أجل خلاص روحي ومن أجل العمل على صفائها لصالح هذه الحياة والحياة الأخرى، لذا أشعر بالخفة والسرور. آه لو أظل على هذا الحال حتى الموت!

٨ ديسمبر.

وصلني في هذه الفترة خطاب من كندا عن الزوجات اللاتي يريدن اللحاق بأزواجهن في مقاطعة ياكوتسك، وكتبت خطاباً للقيصر، لكني لم أرسله بعد (٢٧٦).

أحاول طوال الوقت أن أتحسن قليلاً؛ أدمر بذور الكراهية في قلبي، لكن لم أحرز تقدماً جيداً بعد. يمكنني أن أكف عن الكلام والفعل، لكني لا أستطيع أن أتكلم وأسلك بحب. خطيتي هي أنني في الأيام الماضية، وخاصة الآن، أشعر بانجذاب شديد صوب الموت؛ أي رغبة في الخروج من كل هذه الفوضى ومفارقة ضعفي، ولن أقول مفارقة شخصيتي، لكن على الأقل مفارقة الظروف التي يصعب معها الالتحاق بمدرسة جديدة. قد يكون هذا ضرورياً، ولهذا لا أزال أحيأ هنا الآن، مناضلاً ضد الشر في نفسي، وبالتالي ضد الشر من حولي كذلك. ربما هذا غير صحيح.

(٢٧٦) ١١ زوجة من الدوخوبوريات اللاتي سافرن إلى كندا، وقد أودن العودة إلى روسيا للحاق بأزواجهن المنفيين في سيبيريا. حقق خطاب تولستوي غرضه ووافق القيصر فعلاً.

عونك إن كان هذا ممكناً! أبكي لسبب ما بينما أكتب ذلك. أشعر بالحزن، وهو أمر جيد. كل شيء غير ممكن سوى الحب. مع ذلك أنتظر الموت كأنه موعد عطلة وراحة. وصلني خطاب لطيف من ماشا. كم أحبها! كم يبعث الحب السرور في قلبي! كم هي صعوبة العكس!

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١- يركز كل تعليم فلسفي وديني في الأساس على الإجابة عن سؤال: ما العمل؟ كيف سنجد تعاليم نيتشه إن قسناها على هذا القياس؟ كم أشعر بالضعف الشديد! كم أشعر بضعف فاتن! ليت الوضع يستمر هكذا دائماً!

٢- أحدهم يخترع لنفسه الذرائع للإسراع في عمل شيء دون أن يستعد له وذلك بدافع من احتياجه، وآخر يرى في كل شيء مبرراً للضعيفة، وثالث يرى في كل شيء مبرراً لإجلال نفسه، ورابع يرى في كل شيء سبباً للحزن، وخامس يرى في كل شيء دافعاً للحب. كل هذه الأحداث التي يستخدمونها من أجل التعبير عن أنفسهم ليست إلا وهماً واحداً. ما يهم حقاً هي السمات الروحية لهؤلاء الناس وتركيبها وطريقة تفاعلها. تلخص الحياة الحقيقية في ذلك وحسب.

٣- قيل في تعليم الوسط الصيني: إن خير الجميع يتطلب رخاء الدولة، ورخاء الدولة يتطلب رخاء الأسرة، وهذا يتطلب بدوره ترقّي الإنسان. يتطلب ترقّي الإنسان إصلاح قلبه أي رغباته. يرى البعض أن إصلاح القلب يتطلب الإخلاص، ويرى البعض الآخر أنه يتطلب صدق النية. أما أنا فأقول إنه يتطلب وحدة

الهدف. للوصول إلى ذلك نحتاج معرفة حقيقية، وهذا بدوره يتطلب التمييز بين الأمور؛ أي بين الخير والشر. أود إذن أن أغير الحاليتين الأوليين على النحو الآتي: يتطلب الخير علاقات صالحة مع الناس، وكى نحقق ذلك يجب على الإنسان أن يكون صالحًا، وكى يكون صالحًا عليه أن يُطهَّر قلبه، وهذا بدوره يتطلب منه أن يحدد هدفه فى الحياة. يتطلب تحديد الهدف أن يتنور الإنسان، وهذا بدوره يتطلب أن يميز بين الخير والشر.

١١ ديسمبر.

طوال لوقت أشعر بالضعف وشروء الروح. أحاول إصلاح حال قلبى. لى تمييز بين الخير والشر، لذا فأنا متنور، لكنى لا أتمتع بوحدة الهدف، وبالتالى لم يتطهر قلبى كلية. أنا شرير وعلاقاتى شريرة ولا أفكر على نحو صحيح فى الخير العام. وصلنى خطاب من آل تشيرتكوف وكتبتهما. حالى الآن أفضل من ذى قبل. أتذكر الموت دائماً وأرغب فيه، وإن كان بدرجة أقل من ذى قبل.

أواصل تدوين أفكارى:

٤- كما ينمو جسد الطفل من تلقاء نفسه، كذلك تنمو روح الشيخ من تلقاء نفسها وتتحرر من الشهوات.

٥- يعيش الطفل من أجل إرضاء شهواته الشخصية وحسب، أما الصبى والشاب فيعيشان من أجل المجد والشهوات على السواء. يعيش الراشد، سواء أكان زوجاً أم زوجة، من أجل خدمة الناس بالعمل،

وخدمة الأسرة والكبرياء والشهوة. يعيش الشيخ من أجل الله، ومن أجل روحه والناس، وكذلك من أجل الكبرياء والشهوة. أما الهرم المُحتَضِر فيعيش من أجل الله وحسب؛ أي من أجل الروح فقط. هذا يعني أن في البداية يعيش الطفل من أجل الجسد وحسب، وفي النهاية يعيش الهرم من أجل الروح وحسب.

٦- أفضل الناس هم الأطفال والشيخوخ؛ الأطفال قد أتوا لتوهم من هناك، والشيخوخ يستعدون للذهاب إلى هناك.

٧- دون إيمان بوجود الله في النفس وبحياة خارج نطاق الزمان والمكان لا يمكن أن تكون هناك أبدًا حياة عقلانية صالحة سعيدة.

كم كانت إجابة إمرسون^(٢٧٧) جيدة عن الملاحظة التي تفيد بأن العالم سينتهي! لقد قال: أعتقد أنني أستطيع تدبر أمري من دونه.

١٥ ديسمبر.

الحدث الوحيد في تلك الفترة هو موافقة دافيدوف على رسالتي للقيصر وتولييه أمر إرسالها. أحاول في داخلي أن أفصل نفسي عن ذلك العمل حتى يكون الاهتمام كله بالعمل وحسب.

صوفيا في ياسنايا. بالأمس كنت مريضًا؛ محمومًا، لكنني اليوم بخير. مربى ليوفا. تحسنت علاقتي به. على الرغم من قيامي بالتمارين الرياضية برخاوة، لكنني شعرت بقوة شديدة.

١- عندما تصل إلى الحالة الروحية المنشودة، لن يكون بإمكانك

(٢٧٧) رالف والدو إمرسون: أديب وفيلسوف وشاعر أمريكي.

أبداً أن تدرك أنك وصلت إليها؛ لأنك عندما تصبح في حال أفضل تزداد متطلباتك. بالضبط كما تريد أن تغفو، وأخيراً تنام، ولا تدرك أنك وصلت إلى مرادك. يمكنني أن أواصل المقارنة: أنت تعرف ما حققته بالتفكير فيما بعد وحسب، لكنك لا تدركه فوراً أبداً. كذلك لا يمكنك أن تعرف أبداً متى أصبحت أفضل.

٢- مررت بالقرب من متجر لبيع الكتب ورأيت (سوناتا كرويتزر) وتذكرت الآتي: كتبت (سوناتا كرويتزر) و(قوة الظلام) وحتى (البعث) دون أدنى نية لوعظ الناس أو جلب أي فائدة لهم، ورغم ذلك جلبت تلك الكتب فائدة كبيرة للناس؛ خاصة (سوناتا كرويتزر)، فهل سيحدث الأمر ذاته مع مسرحية «جنة»؟

٣- خرجت صباحاً وتذكرت أننا قد بلغنا الخميس، وأناي لم أشعر بمرور يومي الثلاثاء والأربعاء. قلت في نفسي: هكذا يزداد مرور الأسابيع والأعوام سرعة، وكل ما سيكون هو كائن بالفعل، لكني لا أراه وحسب لأنني غير قادر على الرؤية من مسافة فرست، وتقتصر رؤيتي بقدر ما أتحرك، لكني في الحقيقة لن أتحرك، فكل ما هو موجود موجود فعلاً.

تصورت بحيوية أن الزمن ليس إلا شرطاً لحياتي، وأنه ليس دلالة على الضعف، بل القوة. الزمان هو إمكانية الحرية والنشاط الحر. لو لم يكن هناك زمن، وكل ما سيحدث كان قد حدث بالفعل، لما استطعت فعل شيء. لا شك في أن كل ما سيحدث موجود بالفعل، لكني أعمل، لذا فأمر من اثنين: إما أن كل أفعالي وحرיתי هي محض وهم، وهذا ما نجده في المذاهب الجبرية والحتمية، وإما أن لأفعالي مغزى بالنسبة لي،

وثمة حرية إلى حدود معينة؛ أي أن الزارع يعرف أنه سينال من حقله مائة بود من الحبوب، لكن هذا لا يمنع سنبلة واحدة - إن كانت حرة - من إنتاج ثلاثة أضعاف إنتاجها أو حتى مائة ضعف. تتحقق إرادة الله في كل الأحوال، أو بالأحرى لا يمكنني أن أقرر أي شيء عن إرادة الله بشكل مستقل عني أو خارج إطار نفسي، لكن يمكنني حرمان نفسي من أقصى درجات السعادة المتمثلة في الاسترشاد بهذه الإرادة والانجذاب إليها. يمكنني أن أجذب نفسي صوب هذه الإرادة بأن أسكنها بداخلي بالحب.

٤ - المادية التاريخية ليست إلا صدى للمادية النفسية، وقد قضى عليها العلماء الماديون بأنفسهم مثل كلود برنارد^(٢٧٨) ودو بويس ريموند^(٢٧٩) وشخص ما آخر. لقد أثبت أن الحياة لا يمكن أن تختزل في عمليات ميكانيكية. إن كان هناك x في الحياة فلا بد وأن ثمة x معادلة لها (Xx) في تاريخ حياة الحيوانات إن جاز التعبير. ولكن لأن الناس في غياب الدين يصبحون أغبياء وهمجًا، يبدو لهم أن من الأسهل فهم (Xx) عن فهم الله. الأمر الرئيس هنا هو أن على أساس (Xx) يمكن الانهماك في ثثرة علمية مزيفة.

٥ - قالت ساشا (ابنته الكبرى) لتوها شيئًا وقعًا. حزنت ثم حاولت استدعاء الحب في داخلي ومر كل شيء. كم هو مدهش الحب! يمكنه أن يحل كل شيء.

(٢٧٨) عالم فرنسي شهير، يُعتبر مؤسس المدرسة التجريبية العلمية. درس الصيدلة ثم أنهى دراسته في الطب في مدينة ليون قبل أن يتخصص في علم الأحياء.

(٢٧٩) طبيب وعالم فيزيولوجي ألماني ومطور الفيزيولوجيا الكهربائية التجريبية.

٦- هذه فكرة مهمة وعزيزة جدًا عليّ: عادة ما يعتقد الناس أن الأخلاق تزدهر كالزهرة على ساق الثقافة. الأمر على النقيض من ذلك. لا تتطور الثقافة إلا في غياب الدين، وبالتالي في غياب الأخلاق (اليونان - روما - موسكو). الأمر كشجرة وافرة النماء ينتظر البستاني الجاهل منها ثمار وفيرة؛ لأن بها عددًا ضخمًا من الفروع، في حين أن هذا العدد الكبير من الأفرع يرجع إلى عدم وجود ثمار، ولن يكون بها ثمار. يشبه ذلك أيضًا عجلًا عاقرًا.

١٩ ديسمبر.

طوال تلك الأيام الأربعة لم أكن بصحة جيدة وشعرت بضعف شديد. اليوم أنا أفضل حالًا. جاء ليوفا وبدأ حديثه عن كتابته. أحرزته بقولي الحقيقة. هذا ليس حسنًا. كان عليّ التعامل بمزيد من اللطف والطيبة.

فكرت في الكثير في تلك الفترة مما يجب تدوينه. سأدوّن الآتي:

١- الإيمان، أو شريعة الله الذي يلقنونا إياها في المدارس والمنازل، تُدرّس لنا بنفس الطريقة التي تعلمنا بها أسوأ مدرسي الرياضيات؛ أي إنهم يجبرونا أن نحفظ غيبًا جداول الضرب والقواعد دون أن يوضحوا لنا سبب أي شيء، في حين أنهم يجب أن يعلمونا قانون الله بالطريقة التي يدرس بها أفضل مدرسي الرياضيات؛ أي بإجبار الطالب على التحقق عقليًا بنفسه من صحة ما يُنقل إليه. هكذا يجب أن يرشدونا إلى شريعة الله.

٢- يجب على الفنان أن يلعب دور الباحث أو يكون عمله الفني بمثابة بحث؛ حتى يترك تأثيرًا على الآخرين. إن فهم الفنان وعرف كل شيء واكتفى بالتلقين أو تسليّة المتلقي عن عمد، فلن يصبح ذا أثر. أما إن بحث وحسب، سينضم إليه القارئ أو المستمع أو المشاهد في رحلات بحثه.

٣- أفضع الأوبئة في زماننا: المسيحية الكنسية أو بالأحرى مسيحية المعجزات التي تُغرس في الناس منذ الطفولة وتُحفظ طوال حياتهم عبر التنويم، والمادية النفسية والأنثروبولوجية، والتاريخية في الأساس؛ أي القناعة التي مفادها أن كل شيء يتم بشكل آلي طبقًا لقوانين آلية وفيزيائية وكيميائية وحيوية، وكذلك نفسية بالمعنى المادي. بالتالي لا فائدة من كل المحاولات التي يمكن أن تُبذل لتكون صالحًا أو لتفعل الصلاح. تقبع هذه المادية في انتظار الناس فور أن يتحرروا من المسيحية الدوجمائية. ما إن يتحرروا من تلك الأكاذيب الكنسية اللا أخلاقية، حتى يسقطوا في حضيض أسوأ؛ ألا وهو كذب المادية.

٤- الحتمية هي الجبرية، لكنها أكثر فظاظة لغياب فكرة الله عنها.

٥- كانوا يقولون عادة: ”فتش عن المرأة“، لكن لا جدوى من التفتيش الآن. من الواضح أن كافة الكوارث، أو على الأقل نسبة هائلة منها، تعود إلى عهر المرأة. ثمة بعض النباتات زهورها مضرّة جدًّا، لكن ثمارها مفيدة ولا ضرر منها. هكذا الأمر مع النساء. إنهن لا يتسببن في الضرر في حالة واحدة؛ عندما ينهمكن في دورهن الأمومي. بعد ذلك يصبح الأمر مريعًا، ولا نأمن ضررهن إلا عندما يتمتن بالحشمة والعفة والتوقير الخاص بالمتقدمات في العمر. تخيلت بوضوح عالمًا انهمكت

فيه كافة الشابات في واجباتهن الأمومية، وانشغلت الصغيرات منهن بالاستعداد لذلك، والكبار بمساعدتهن على ذلك، واتضح لي كم يمكن للعالم أن يتخلص حينها من المعاناة والحزن.

كل هذا غير واضح وغير سليم.

لا يمكنني مواصلة كتابة أفكار أخرى شديدة الأهمية. أشعر بالضعف.

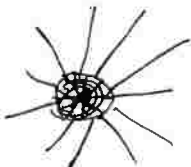
٢٠ ديسمبر.

أواصل الكتابة. لا أزال أشعر بالضعف ذاته. قرأت نصًا بوديًا رائعًا.

١- أنا وكل كائن حي -والكائنات جميعها حية- جزء لا يمكنني إدراكه من الكيان الكلي، يوسّع من حدوده ويؤسس رابطة تزداد قوة أكثر فأكثر مع الكيان الكلي. في البداية كان الكائن كالاتي:



وأصبح:



وسيصبح:

هذا ما يحدث بلا توقف مع الجميع. لا يمكنني فهم حدودي في هذه الحياة؛ أي ما يفصلني عن الكيان الكلي إلا في صورة مادة داخل نطاق المكان. لا يمكنني توسيع حدودي إلا في صورة حركة داخل نطاق الزمان. الزمان هو إمكانية توسيع الحدود، بدرجة تزيد أو تقل.

تتمثل الحرية في أن بإمكانني -آجلاً أو عاجلاً- أن أقوم بتوسيع حدودي وأقترب من الكمال وأعمل على الإسراع من تحقيق ملكوت الله. لقد تحقق الملكوت بالفعل بالنسبة لله؛ لأن ليس ثمة زمان بالنسبة له. لكن الزمان موجود من أجلي حتى يكون بإمكانني أن أشارك وأستوعب هذه المشاركة في داخلي بدرجة ما.

٢- عليك أن تضع قاعدة لنفسك غير الكاملة والشريرة، مفادها أنك عندما تتعامل مع شخص كرهه، تذكر نفسك حتى لا تخطئ. لا يمكنك الاستسلام لسعادة أن تنسى نفسك إلا عندما تحب الناس.

٣- تذكرت بدقة الحالة المرححة للطفل عندما يدرك أن أحد الشيوخ يشعر بالرضى عنه. ليتني أسترجع هذا الشعور، ولكن بعد أن أستبدل برضى الشيوخ رضى الله أو ضميري.

٤- من المفيد جداً لي أن أؤمن بحالي الروحية في وضع الوحدة أو الحبس، مثل روبنسن كروزو الذي كان واثقاً من أنه سيموت في وحدته. العمل الذي سأنجزه على النفس في تلك الحالة، وعثوري على المعنى والسعادة، وإعداد نفسي للحياة الأبدية، هو العمل الحقيقي الذي يجب أن يقوم به المرء دائماً في العالم.

٥- يبدو الإنسان لطيفاً وطيباً عندما يرضى عن نفسه، وهو يشعر

بذلك بسبب رضى الله عنه. لكن الناس بعد أن يختبروا هذه الفرحة بالرضى يسعون إلى ذلك الرضى، لا بسبب رضى الله عنهم، بل لرضاهم هم عن أنفسهم أو رضى من يتملقونهم عنهم.

٦- واحدة من الترتيبات الجيدة للخطايا في البوذية: الشهوة الجنسية - الضغينة - الكسل - الكبرياء - تبرير الذات - الشك. وهذه هي الفضائل المقابلة: ضبط النفس - الوداعة - حب العمل - التواضع - الإيمان. من الحسن أن يفحص المرء نفسه جيداً وفقاً لهذا التقسيم. أكثر ما أخطب فيه: الأولى والثالثة.

٢٩ ديسمبر.

مات طفل ليوفا. أشعر بالأسف الشديد عليهما، ولكن دائماً ما نجد جزاء وفائدة عظمى في قلب الحزن. الحزن ينادي... لقد زارك الله وتذكرك إذن... ولدت تانيا طفلاً ميتاً، لكنها في حالة جيدة وتسلك بتعقل. صوفيا في ياسنايا، وإيليا هنا معي. يتصرف بطفولية مذهلة.

طوال الوقت لا أعمل شيئاً. أشعر بالضعف، وفي الليالي أشعر بالوهن الشديد. ساءت حالتي الروحية عن ذي قبل.

عليّ تدوين الآتي:

١- قرأت عن بعض الآلات المدهشة التي ستعمل بدلاً من الإنسان وتزيل معاناته. لكن هذا يماثل اختراع آلة معقدة يمكننا عن طريقها أن نجلد ونقتل الآخرين دون أن نبذل جهداً. الأسهل أن نكف عن الجلد والقتل. هكذا هو الأمر مع الآلات التي تصنع الجعة والخمور

والمُخمليات والمرايا... إلخ. يعود تعقد حياتنا الحضارية بالكامل إلى حقيقة أن الناس يخترعون لأنفسهم احتياجات ضارة بهم ويؤقلمون أنفسهم عليها، ثم نبذل كافة جهودنا العقلية من أجل إرضائها أو تقليل أضرارها. هكذا هو الأمر مع الطب وعلم العادات الصحية والتنوير المصطنع وكافة مناحي حياتنا الحضارية المضرة. قبل التحدث عن خير إشباع احتياجاتنا، علينا أن ندرك جيداً ما هي الاحتياجات التي تجلب لنا الخير. هذا أمر شديد الأهمية.

٢- قرأت كتاب زرادشت لنيته وملاحظة شقيقته عن الطريقة التي كتب بها الكتاب، وأصبحت على قناعة تامة أن هذا الرجل كان مجنوناً تماماً عندما كتب هذا الكتاب. لا أقصد هنا الجنون بأي معنى مجازي، بل بمعنى مباشر ودقيق تماماً؛ تشوش رهيب، وقفز من فكرة لأخرى وإجراء مقارنات دون إشارة لما يخضعه للمقارنة من الأساس، وأفكار يبدأها دون أن ينهيها، ثم يقفز من فكرة لأخرى للمفاضلة بينهما بالتضاد أو الطباق، وهو يقوم بكل ذلك على خلفية من جنونه وهاجس استولى عليه، مفاده أنه إنكار كافة القواعد السامية للحياة والفكر الإنسانيين يمكنه أن يؤكد على عبقريته التي تتخطى المستوى البشري. كيف سيكون شكل المجتمع إن تم الاعتراف بمجنون -بل مجنون شرير كهذا- على أنه معلم؟

٣- عندما يبحث الإنسان عن خيره في كل شيء عدا الحب، فهو كمن يبحث عن الطريق وسط الضباب. عندما يدرك أن خيره وخير الجميع في الحب، فهو كمن رأى الطريق بعد أن أشرقت الشمس ولا

يمكنه إلا أن يُقبل على خيره.

٤- علاوة على أن الإنسان بعد أن يدرك معنى حياته في توسيع الحدود؛ أي في الحب، تتوقف معاناته بينما يسعى إلى ما لا يدرك، فهو يحقق كذلك القدرة الكلية فيما يشكل معنى وهدف حياته؛ أي توسيع الحدود والكمال في الحب. تعمل العوائق التي تواجهه عمل حجر الشحذ، وكذلك صنوف المعاناة، وتُقرِّبه من تحطيم أطر حدوده القديمة. الموت هو تحطيم الحدود. كل شيء مبهج.

٥- من المسلي أن يستمع المرء للرأي القائل بأنَّ عدم مقاومة الشر بالقوة أو مجازاة الشر بالخير هي قواعد جيدة جدًا للأفراد لكن لا يمكن تطبيقها على الدولة. كما لو أن الدولة أمر مختلف عن اجتماع مجموعة من الأفراد وكأنها كيان مستقل عنهم. يقولون: ”للاكسجين سمات معينة؛ إنها سمات الذرات التي يتكون منها جزيء الأكسجين. لكنه في المركبات الضخمة يكتسب سمات مختلفة تمامًا حد التناقض مع سماته الأولى“. هذا الرأي القائل بأن الدولة تتسم بسمات تناقض سمات أفرادها هو أكبر وأوضح دليل على أن الدولة ككيان قد ولى زمنها.

٦- يتحدث الناس عن المساواة بين الرجل والمرأة. ثمة مساواة كاملة بينهما في الجانب الروحي، لا في الجسدي. ثمة اختلاف كبير بينهما في الجانب الجسدي (الحيواني): الذكر مستعد دائمًا لأي أنثى؛ لأن النشاط الجنسي لا يعوق نشاطه، سواء كان ذلك مع الغزال أو الذئب أو الأرانب أو النحل. ثمة عدد كبير من الذكور يركض دائمًا خلف أنثى. لكن الأنثى ليست مستعدة دائمًا. عندما تستعد، تمنح نفسها تمامًا،

وعندما تنجب لا تصلح لشيء آخر سوى القيام بدورها الأمومي. يمكننا الخروج باستنتاجات عديدة مما سبق.

٧- عندما يراقب الإنسان ظواهر العالم خارج إطار ذاته، يرى نظامًا متناسقًا صارمًا: كل شيء له أسباب ونتائج محددة، وبالتالي يريد أن يُطبَّق هذا النظام الصارم على حياة الناس (التاريخ) متناسيًا أن ظواهر حيوات الناس تتماس معه ومع إرادته، وبالتالي لا يمكن رصدها خارج إطار نفسه.

٣١ ديسمبر.

لا أزال غير قادر على الكتابة، وأشعر أنني دنيء جدًا أخلاقيًا. وصلني الآن خطاب من شخص يؤسس مكتبة^(٢٨٠). بدا كما لو أنه يلومني على حبي للمال المتمثل في بيع كتبي. شعرت باستياء مريع من شكه فيّ وتأنيبه لي دون أن يعرف شيئًا عن موقفي من الأمر. علاوة على ذلك شعرت بكراهية صوبه ولم أعرف كيف يجب أن أتصرف؛ هل أصمت أم أخبره أن يتوجه إلى زوجتي بمستودع الكتب؟ كل هذا كان سيئًا جدًا. أردت أن أسمو عن ذلك ولم أستطع، حتى راودني الشك في أن هذا اختبار لسلوكي تجاهه. عليّ أن أحبه، لا أن أكرهه. عليّ أن أوضح له خطأه وأساعده. نعم، الحب وحده يمكنه أن يحل كل شيء.

فكرت في الآتي:

(٢٨٠) لم يبقَ الخطاب، لكن غالب الظن أنه يطلب منه نسخًا مجانية من أجل مكتبة قروية، أو ما شابه.

١- بخصوص فكرة أن الأطفال بمثابة عدسات مكبرة للشر: عليك فقط أن تعرض أي فعل شرير أمام الأطفال، من تلك الأفعال التي تبدو للبالغين مجرد أفعال غير حسنة، وسيجدها الأطفال مريعة. أقصد شرور من قبيل: انعدام العدالة بين الطبقات الاجتماعية - الانحلال - القتل.

٢- فكرت اليوم في أن أكثر الأمور زيفاً في الأعمال المسرحية هي حقيقة أن كل الأشخاص في المسرحية يتحدثون لمدة طويلة على السواء ويستمتع الناس لهم. الأمر ليس كذلك في الحياة الواقعية، فكل شخص قادر على التحدث والاستماع طبقاً لطبيعة شخصيته ومهارته الخطابية. أردت أن أراجع مسرحيتي فيما يتعلق بذلك، ولكن من الواضح أن مهنتي ككاتب قد انتهت. لا بأس إن كان الأمر كذلك فعلاً.



١ يناير - موسكو.

أكتب صباحًا لأنني لا أفعل شيئًا عدا القراءة. قرأت الأنساق الستة للفلسفة الهندية^(٢٨١) وتقرير وزير المالية^(٢٨٢) وشعرت باللامبالاة تجاه الاثنين. أنا في تمام الصحة باستثناء سيل بعض الدماء بسبب البواسير، لكنني لا أشعر بالحاجة للتعبير عن أفكاري. ليس لديّ فيض كثيف من الأفكار يتطلب التعبير عنه.

٩ يناير.

لم أكتب شيئًا طوال تلك الفترة باستثناء بضعة خطابات تافهة. لم أكن بصحة جيدة في الفترة الأخيرة، ولا أزال. وصلتني خطابات من تشيرتكوف بشأن فكرة عدم استخدام المال بالإضافة إلى لومه لي على نيّتي في المشاركة في الجريدة^(٢٨٣).

(٢٨١) كتاب لماكس مولر، وهو مستشرق بريطاني وعالم لغوي. ألماني المولد. صنّف الأساطير وفقًا للغرض الذي هدفت إليه، ودرس الأديان دراسة مقارنة. اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة.

(٢٨٢) تقرير أعده الوزير للقيصر بعنوان «الأوتوقراطية والديمستفو» (لجان حكم محلية بالريف). يحاول التقرير إثبات أن ثمة تقاربًا بين المؤسستين.

(٢٨٣) الإشارة إلى جريدة الصباح التي لم توافق الرقابة على إصدارها بطبيعة الحال.

في هذه الفترة فكّرت في الآتي:

١ - سيكون من الجيد لو كتبت حكاية رمزية عن كيف يجب على الإنسان أن ينفذ إرادة سيده دون أن يناقشها أو يحاول تخمين الغرض منها، وكيف يعتمد الأمر على الإيمان بالسيد وعقلانيته. ما إن يبدأ في تخمينها حتى يحاول تصحيحها، وبالتالي تبدأ الأخطاء والمعاناة. هنا نجد موضع الإيمان. ابتكرت مقارنة بالسماذ الذي يخصب الأرض، لكنها ليست جيدة.

١٩ يناير.

لم أكن بصحة جيدة طوال تلك الفترة، وكنت أشعر بالضعف. في الأيام التي كنت فيها بخير كتبت خطابًا طويلًا إلى سيريرينيكوف بنيچني^(٢٨٤). حالتي الروحية بخير. ليتني فقط أقلل من الكلام الفارغ. في هذه الفترة دوّنت الآتي:

١ - يعيش الناس بأفكارهم وأفكار غيرهم، بمشاعرهم ومشاعر غيرهم؛ أي أنهم يستوعبون مشاعر غيرهم ويستترشدون بها. أفضل الناس هو من يعيش بأفكاره ومشاعر الآخرين. أما أسوأ الناس فهو من يعيش بأفكار غيره ومشاعره. يتلخص الفارق بين الناس في التركيبات المختلفة لهذه القواعد الأربع التي تشكل دوافع الأفعال.

ثمة أناس لا يحوزون أي أفكار تقريبًا، سواء أكانت خاصة بهم

(٢٨٤) خطابات أرسلها تولستوي عبر بائع الكتب سيريرينيكوف، إلى فلاح عانى من الاضطهاد بسبب آرائه الدينية السلمية.

أم بغيرهم، وليست لديهم مشاعر خاصة بهم، بل يعيشون مسترشدين بمشاعر الآخرين وحسب. إنهم من نوعية الحمقى والقديسين الذين ينكرون ذواتهم. وثمة أناس يعيشون بمشاعرهم وحسب كالحيوانات. وثمة أناس يعيشون مسترشدين بأفكارهم وحسب، وهم العلماء الأغبياء. تنبع كافة موسيقى الشخصيات المعقدة من النسب المختلفة لهذه القوى معًا.

٢- ليس ثمة موجود سوى الله، وهو روح أدركه في داخلي. الأنا إذن تابعة، والله الذي لا أدركه ورغم ذلك أتواصل معه هو عالم الكائنات من حولي.

٣- حتى يدرك الإنسان -أو أي كائن- وجوده لا بد أن يكون محدودًا. لو لم تكن ثمة حدود للكائنات، لما كانت.

نقول إن الإنسان يدرك ذاته لأنه محدود. يمكننا كذلك نقول عن حق إنه محدود لأنه يدرك ذاته.

٤- ينتج وهم الأنا المحدودة بالجسد عن الحدود التي تحد الجوهر الإلهي.

تعبيري غير واضح.

٥- على الرجل أن يرفع نفسه إلى مستوى عفة المرأة، ولا يجب على المرأة أن تحط من نفسها إلى مستوى فجور الرجل كما يحدث الآن.

٦- يتحقق ضمان وفاء المرأة في غالبية الشعوب بالعنف الذي يمارسه الرجال على النساء. العنف أمر شرير، لكن الناس يعتبرون أن

خيانة المرأة أسوأ، لذا لا يمكن التخلص من العنف إلا بعفة المرأة. تظن النساء أن المشكلة كلها في العنف الموجه ضدهن.

٧- تقويم الشر في المجتمع بإجراءات حكومية يعني مواجهة الشر بالعنف. علينا أن نبحث عن وسائل أخرى.

٨- لا يمكن أن نساعد الآخرين في احتياجاتهم إلا بالتضحية. دائماً ما تتم التضحية بهدوء ويسر وسرور. لكن الناس يريدون تقديم المساعدة عبر الآخرين دون تضحية، وكي يتحقق ذلك لا بد من ضجيج وجهود ومعاناة. أولئك الذين يساعدون بهذه الطريقة دائماً ما يتباهون ويشكون.

٩- ما سأقوله الآن هو وصف حقيقي للواقع وليس مجرد تشبيه. جميعنا نشأنا وتربينا في وكر لصوص، ولا يمكننا أن نفهم أين نحن أو ما الذي نستفيد منه إلا عندما نكبر وننظر من حولنا. حينها تظهر الاختلافات بيننا في التعامل مع الموقف. ثمة فريق يبقى ملتصقاً باللصوص ويسرق معهم، بينما يظن فريق آخر أنهم لن يكونوا مذنبين في شيء إن استفادوا من السرقة دون أن يُقروها أو حتى يحاولوا إيقافها. ثمة فريق ثالث يشعر بالسخط ويريدون تحطيم هذا الوكر لكن أفرادهم ضعفاء وعددهم قليل. ما العمل؟

١٠- تتمثل الحياة في توصلنا المتزايد إلى الحقيقة بشأن واجبنا، وعيشنا باتساق مع هذه الحقيقة. تقول كل ديانة كاذبة أن لديها الحقيقة الكاملة في نص مكتوب أو تقليد موروث (الفيدا - التوراة - الإنجيل - القرآن) وثمة طريقة للعيش باتساق مع هذه الحقيقة (الإيمان - الأضحيان - الصلوات - النعمة الإلهية) وبالتالي لا يعود من الضروري

على المرء أن يبحث عن الحقيقة أو يكدح من أجل تحسين حياته. يا له من أمر مريع!

٦ فبراير.

لم أكتب منذ مدة طويلة. يا لفضاعة الأمر! طوال الوقت ثمة متاعب صحية، أو ربما أنا أهرم وأقرب من الموت. لم أكتب شيئاً خلال تلك الفترة سوى بضعة خطابات تافهة. ضعف انتباهي إلى نفسي قليلاً، لكن لا يسعني أن أشكو. لا أزال أحافظ على هدوئي وإرادتي الطيبة. من المفترض أن تصل تانيا اليوم. انعقد زواج ميشا (ابنه). أخشى أنها تفوق حتى معظم النساء في عدم تدينها^(٢٨٥)، وربما العكس... أتمنى أن يكون العكس.

دَوَّنت الكثير من الأفكار وبدأت لي مهمة:

١ - قبل أي شيء آخر علينا أن نحاول القضاء على الخداع الذي تمارسه علينا الحكومة باستمرار؛ ذلك الذي مفاده أن كل ما تفعله هو من أجل إقرار النظام وخير المحكومين. الحقيقة أن كل ما تقوم به الحكومة يُفَعِّل من أجل مصالحها التي تتمثل في سرقة المحكومين أو من أجل وضعهم على الطريق الخاطئ مع التأكيد لهم أن ذلك لصالحهم.

٢ - تكتنف الأحلام حياتنا كما يكتنف المحيط الكرة الأرضية. علاوة على ذلك تكتنف الأحلام حياتنا اللاواعية تلقائياً. لا يحدث ذلك تلقائياً فحسب، ولكن يؤكد معظم الناس عقلائياً على أن هذه هي الحياة

(٢٨٥) يبدو أنه يتحدث عن زوجة ميشا. لم يحضر تولستوي الزفاف في الكنيسة ومكث في المنزل.

الحقيقية، في حين أنهم لا يحوزون أيًا من سمات الحياة الحقيقية. الحياة الحقيقية الواعية بجوهرها الإلهي ليست سوى جزر نادرة في قلب محيط الحياة اللا واعية الهائل هذا الذي تتحكم فيه قوانين مادية محددة. من شأن هذه اللحظات النادرة وحدها أن تُدمج مع بعضها وتستبعد كل ما يحول دون وحدتها وتشكل حياة حقيقية. فيما عدا ذلك هو مجرد حلم.

٣- الماديون على حق تمامًا في قولهم إنَّ الحياة ليست إلا عمليات فيزيو-كيميائية تحدث وفقًا لقوانين محددة. إنهم ينظرون إلى الحياة من منظور موضوعي، وبالتالي لا يمكنهم رؤية شيء آخر. لكن لا يرون سوى الدعامة التي تستند إليها الحياة الحقيقية التي لا يمكنهم ملاحظتها. عندما يتحدثون فيما يتعلق بذلك عن التجربة الداخلية التي يستخدمونها في دراساتهم النفسية، يظهر سوء فهمهم؛ لأنه من المستحيل أن ترصد الراصد.

إنهم محقون تمامًا في البحث عن القوانين التي تحكم العالم المرئي والتوصل إليها، لكنهم مخطئون في افتراض إمكانية توضيح وجود الراصد نفسه وفقًا للقوانين ذاتها، وبالتالي ينكرون أي وجود مستقل للراصد وطريقة رصده المتمثلة في الوعي، رغم أنهم يستفيدون من الوعي في إجراء ملاحظاتهم التي يستحيل إجراؤها في غيابها. لم أعبرَ عن الفكرة بوضوح.

يمكنني قول ذلك بشكل آخر. ثمة طريقتان للوعي: طريقة خارجية يثق فيها الراصد ولا يتطلب فيها وجوده أي شرح، وأخرى داخلية يكون

فيها الراصد ذاته محلاً للبحث، وعلى أساس دراساته يُعترف بمدى موثوقية وجوده الخارجي.

٤- صحيح إن مراقبة ظواهر العالم المادي ليست مفيدة للغاية، لكنها ليست عديمة الفائدة، ومع ذلك أعظم الضلالات هي أن نعتقد إن الحياة بأكملها تتمثل في هذه الظواهر وحسب. الحياة بأكملها هي ما نعيه فقط، وبالتالي لا يمكن دراسة الحياة بأكملها إلا بطرق داخلية. كل ما نرصده موضوعياً ليس إلا نتيجة للحياة. ليست الحياة سوى ما ندرك إنه الحياة. علاوة على ذلك لا يشكل الوعي بالذات - كشخصية مستقلة - الحياة الإنسانية الحقيقية، فالأخيرة لا تبدأ إلا عندما يبدأ الوعي الإلهي؛ أي عندما يدرك الإنسان نفسه كابن وخادم لله. أما أي شيء آخر ليس إلا شبيه بالحياة. الماديون على حق في الأمور الأخرى عندما يعتبرون إن كافة ظواهر الحياة التي يرصدونها ليست إلا عمليات فيزيو-كيميائية.

على من يريد دراسة مصنع ما أن يكون في غرفة المحرك، وإلا لن يدرك سبب الحركة. الأكثر من ذلك إنه إن أقرَّ أن الحركة تحدث على هذه الصورة ولم يُخضعها للبحث سيكون محقاً تماماً إن وصف المصنع كنظام من العجلات والتروس والنقلات تنتج هذه الحركة التي يراها، لكنه سيضل تماماً إن اعتقد أن دراسة هذه الآلية المادية ستقرِّبه أكثر فأكثر من معرفة أسس الحركة ذاتها. من يدخل غرفة المحرك سيعتقد أن الحياة تتمثل في القوة البخارية التي فيها. من يدخل الفرن سيرى أصل الحياة في قوة النيران.

أهم ما أريد قوله هو الآتي:

نراقب في عالم النباتات عملية التمثيل الغذائي وحفظ الذات والنمو والتكاثر والموت، وندرك هذه العمليات في أنفسنا، ونقول: إنها الحياة. نلاحظ بعد ذلك هذه العمليات في العالم الحيواني ونجدها كذلك في أنفسنا، ونقول: إن هذه العملية من النمو لا تمثل الحياة، ونضع خطأً نفصل به بين الحياة واللا حياة من منظورنا. علاوة على ذلك، بينما نرصد الحياة العقلية فينا وفي الآخرين ونصل إلى ما يُحسِّن الحياة من عدة أوجه، نرسم كذلك خطأً يفصل بين الحياة واللا حياة من منظورنا ونقول: هذه حياة حيوانية وهذه حياة حقيقية. بعد ذلك يمكننا تحريك الخط الذي يفصل بين الحياة واللا حياة مجدداً فنزيد تقييد ما نطلق عليها «الحياة». نرصد في حياة أفضل الناس حياة دينية؛ أي حياة ليست من أجل الذات، بل من أجل هدف خارج نطاق الذات، ونلاحظ في أنفسنا هذه السمة ونقول: إننا محقون تماماً إن قلنا: لا حياة حقيقة إلا من أجل الله، لا من أجل الذات. هكذا نُعرِّف الحياة المسيحية.

بهذا أدرك ثلاثة أنواع من الحياة:

أ - حياة نباتية لا واعية.

ب - حياة الذات الواعية بكيانها المستقل.

ج - حياة الذات الواعية بأنها جوهر إلهي داخل حدود الشخصية.

الأخيرة وحدها هي ما يمكننا أن نعتبرها حياة حقاً.

شئنا أم أبينا علينا أن نقرر بأنفسنا أين تبدأ الحياة وأين تنتهي.

عادة ما نحدد بداية الحياة بالولادة، ونهايتها بالموت؛ أي توقف العمليات الفيسيولوجية. لكن بإمكاننا أن نعين الحدود بطريقة أخرى ليست فيسيولوجية أو نفسية؛ يمكننا أن نطلق كلمة "حياة" على ما يحدث في الوعي الشخصي وحسب، وحينها لن تبدأ الحياة بالولادة وتنتهي بالموت. يمكننا أن ندرك حدودها في تدمير صورة الوعي الديني القائمة وحينها ستضيق حدود الحياة مجدداً. وهذا ما يجب أن يحدث.

٥- يتضرع الناس لله ليساعدهم خارجياً، بينما هو على استعداد دائم لتقديم المساعدة لهم داخلياً. ليتهم فقط يؤمنون به؛ أي يؤمنون بهذا الإله الداخلي، ويعطونه فرصة مساعدتهم! لكنهم لا يعطونه هذه الفرصة، ويريدون أن يساعدهم حسب إرادتهم، لا حسب إرادته. يماثل ذلك مجنوناً يريد الخروج فيصفق بعنف الباب الذي يفتحونه أمامه.

٦- كل ما يتم ترتيبه من أجل إمتاع الحواس الخمس مثل منزل جميل أو أدوات جميلة، وقبل كل ذلك: ثياب جميلة، خاصة الأنثوية منها، يؤجج الشهوة. ينطبق أيضاً ذلك على أمور كالموسيقى أو العطر أو الطعام الشهوي أو ما نعم سطحه ولد لمسّه. النور البهي وجمال الشمس والأشجار والعشب والسماء، وحتى مرأى الجسد الإنساني دون محسنات مصطنعة، ونشيد الطيور ورائحة الزهور ومزاج الطعام والثمار الخام، أو ملامسة أشياء طبيعية لا يؤجج الشهوة. لكنهم يؤججونها بالأضواء الكهربائية والحلي والثياب الفاخرة والموسيقى والعطور والأطباق الشهية والأسطح الناعمة.

٨ فبراير.

أدركت لأول مرة أمس بسبب برودة ومكر فلان^(٢٨٦) كيف ولماذا يكرهني - هو وكافة من لا يحوزون منظورًا مسيحيًا للحياة - ويجدون أنفسهم مضطرين لكرهيتي ليس أنا تحديدًا، بل ما أقر به. صعب جدًا فصلي عما أقر به. هذه هي المشاعر التي يكنها لي فلان وليوفا (ابنه) وغيرهما. كم يصعب عليهما إخفاؤها! كم يضيّقون بهذا ذرعًا! لقد أخبرنا أننا سوف نُكره لأجل اسمه^(٢٨٧). لا يمكن أن يكون الأمر على نحو مغاير. علينا أن ندرك ذلك وألا نضل أو نحزن.

سأواصل تدوين أفكارِي:

٧- أردت أن أبدأ كتابة مقالة عن غياب الدين على النحو الآتي:

أمر مريع حينما ترى معاناة البعض من الحاجة ومعاناة آخرين من الوفرة. الأفظع من ذلك هو: كيف يُفسد هؤلاء الناس حتمًا حياتهم وتفسدهم التربية. لكن الأفظع من كل ذلك هو أن نرى الناس يعتقدون أن هذا الهلاك المادي والمعنوي أمرًا لا بد منه، وأن ليس ثمة مخرج لهذا الوضع ولا يمكن أن يكون هناك مخرج من الأساس. هذا هو وضع مجتمعنا المسيحي اليوم.

٨- إن أدركت أن ثمة ما تبحث عنه، فالأمر لا يقتصر على إمكانية أن تجده، بل إنك ستجده قطعًا. لن تجده في حالة واحدة فقط؛ إن رأيته

(٢٨٦) هوية الشخصية مجهولة.

(٢٨٧) طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلّي، كاذبين. (متى ٥: ١١).

ولم تدرك أن هذا هو ما تبحث عنه. كأنك تبحث مثلاً عن خطاب، وهو موجود داخل مظروف معين، لكنك متيقن من عدم إمكانية وجوده داخل هذا المظروف. هذا ما يحدث في مجتمعنا مع المسيحية. الجميع يعرفونها ويرونها، لكنهم جميعاً توصلوا إلى أنهم ليسوا في حاجة إليها. ٩- اعتقدت أن ما سأكتبه جديدٌ تمامًا. لكن هذا غير صحيح، لذا لن أكتبه. بدلاً من ذلك سأكتب الآتي:

يُقال عادة: «لماذا تفرض قناعاتك الدينية على البالغين والأطفال على السواء؟ لترك كل فرد يتوصل إلى قناعاته الخاصة به». يا لخلط الأفكار الغريب! أن تفرض شيئاً يعني أن تحرم شخصاً من إمكانية إدراك أي شيء آخر، كما يفعل رجال الكنيسة، وهو أمر شرير بلا شك. لكن أن تنقل للأطفال والبالغين على السواء كل ما توصل إليه الفكر الإنساني في مجال الدين ليس أمراً شريراً، بل إنه ضروري. لماذا لا يرى أحد أنني أكره الطفل أو البالغ عندما أعلمه أن مربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي طولي الضلعين المحاذيين للزاوية القائمة أو أن للطاقة الكهربائية قطبين كما أنها تسلك طبقاً لهذا القانون أو ذاك، لكن إن نشرت تعليماً مفاده أن للبشر جوهرًا روحيًا خالداً، وأن على المرء أن يتعامل مع الآخرين كما يحب أن يعاملوه، يعتبرون ذلك بمثابة إكراه؟ يعود مثل هذا الرأي إلى سبب واحد؛ ألا وهو أنهم عادة لا يعتبرون العلم الوحيد الحقيقي والضروري والأساسي؛ ألا وهو علم الدين والأخلاق، علماً حقيقياً، بل يتعاملون معه بوصفه أمراً اعتبارياً لا يحوز أي أهمية.

١٠- بحثت عن تعريف للدين وتناولت كتاب تشيتشيرين (الدين

والعلم). تناول الموضوع بشكل اعتباطي. تعريفني الخاص هو: الدين هو العلاقة التي يؤسسها الإنسان باللا نهائي الذي يراه هدفًا لحياته.

١١ - أمعنت التفكير بحيوية ثانية في طبيعة الزمن. لقد شعرتُ كافة الكائنات بواقعيته، أو على الأقل بواقعية الأساس الذي يستند إليه. إنه يستند إلى حركة الحياة وعملية توسيع الحدود التي لا تتوقف أبدًا في الإنسان. إن فُكرنا في الزمن في حد ذاته دون التفات إلى حركة الحياة، لما وجدنا له معنى. الزمن هو علاقة حركة حياتنا بحركة الكائنات الأخرى. ألهذا يسير ببطءٍ في بداية الحياة ثم بسرعة في النهاية حيث تتم عملية توسيع الحدود بسرعة متزايدة؟ يتمثل مقياس السرعة في الوعي بعملية توسيع الحدود. أتقدم في الطفولة فيرتشوك^(٢٨٨) في الوقت الذي تجتاز فيه الشمس دورتها السنوية والقمر دوراته الاثنتي عشرة. أما في الشيخوخة أتقدم ٢ فيرتشوك قبل أن تتم الشمس دورتها والقمر دوراته الاثنتي عشرة. ما دام المقياس بداخلي سأقول إذن إن الأمر يتم بسرعة. تشبه سرعة توسيع الحدود عملية السقوط حيث تتناسب عكسيًا مع مربع المسافة التي تفصلنا عن الموت.

جميعنا في هذه الحياة نشبه جوادًا مربوطًا بنير وقضيب إلى عربة. في البداية يناضل للعيش كما يحلو له فيحاول كسر النير وتمزيق الرسن، لكنه لا يستطيع، ويكل؛ أي أنك لن تهدأ إلا حينما تنسى إرادتك وتخضع لإرادة أعلى منها وتركها تقودك.

(٢٨٨) مقياس روسي قديم يساوي ٤, ٤٤٥ سم.

لا أزال حيًّا لكني أشعر بالضعف الشديد، والأهم من ذلك أشعر أنني شديد السوء. أناضل نفسي، لكني لا أستطيع التغلب على مشاعري الشريرة صوب الناس. لا أستسلم لها لكني لا أستطيع التغلب عليها كذلك. أقرأ في كتاب تشيتشيرين «العلم والدين». وجهة نظره صحيحة، ولكن الثقة المفرطة في الذات وضبابية التعبيرات وتحيز الأفكار تجعل الكتاب مندفعًا وعديم الأهمية. وصلتني كمية هائلة من الخطابات لا يمكنني أن أجيب عنها. الأمر الوحيد الجيد في حالتي الروحية هو أنني أنظر إلى معاناتي واقترابي من الموت دون غضب. ليس ذلك وحسب، بل إنني أحياناً أنظر إلى ما فات بسرور.

لم أدوّن شيئاً في دفتر أفكاري.

بالأمس ذهبت إلى ينجول. سألتها عما يعتقد بخصوص الموت؛ هل يراه بمثابة فناء أم غير ذلك. إنه كالبقر لا يفهم. كم يكثر مثل هؤلاء الناس! وأنت تتحدث معهم وتحزن من عدم موافقتهم لك! من الصعب جداً ألا تشعر بالاحتقار لمثل هؤلاء الناس وتحبهم كما تحب الحيوانات؛ أي لا تطلب منهم أكثر مما تطلبه من الحيوانات! الأمر الرئيس هنا هو أن كثيرين منهم يمزقون هذه العلاقة، وينخرطون في المجادلات عن حالة الروح، وهي جدالات لا تناسبهم أبداً.

كتبت الآتي وأفكر فيه: يا لسوء ما كتبت! هذا يخالف مبدأ أخوة البشر. فلتدعهم في تلك الحالة التي هم فيها، لا يفهمون كالأطفال لا

كالماشية. تعامل معهم دائماً باحترام كما تتعامل مع مَنْ يفهم. هذا صعب عليك ومؤلم؛ لأنهم سيئون إلى أعلى ما فيك. تحمل! أنت لا تعرف متى سيستيقظون. ربما الآن، وقد تكون أنت وكلماتك سبب استيقاظهم.

قرأت الخطبة التي أُلقيت في المؤتمر الزراعي^(٢٨٩). طنانة وفارغة وغبية تنضح بالكبرياء. نريد جميعاً أن نساعد الناس، لكننا متسولون، نعتمد على الناس ليقدموا لنا الطعام والملبس. ما الذي يمكن للمتسولين أن يمنحوه للأغنياء؟ يلزمنا أن نفهم ذلك بوضوح مرة واحدة، وحينها سنصحح طريقة تعاملنا مع الناس. عليكم أيها المتسولون المتشبثون بالناس أن تتنحوا جانباً وألاً تزعجوهم كما يفعل المتسولون بإيطاليا، وهم سيقومون بكل شيء، بدلاً من أن تعرضوا عليهم هذه المقترحات الغبية عن أمور ليس لديكم علم بها مطلقاً.

فكرت كذلك في أن عليَّ أن أُنحِّي عني خطابي إلى الصينيين. يمكنني أن أسميه ببساطة الزمان الكافر، أو سقوط جديد لروما، وأبدأ بالإشارة مباشرة إلى نقص الدين.

١٩ مارس.

مر شهر تقريباً. لم أكتب شيئاً طوال تلك الفترة عدا رسالتي إلى القيصر ومعاونيه، بالإضافة إلى بعض التغييرات - وجميعها سيئة - التي

(٢٨٩) يشير إلى خطبة عالم الاقتصاد السياسي الماركسي س.ن بولجاكوف، تحدث عن أهمية الزراعة بالنسبة لروسيا بحيث توفر احتياجات سوف أوروبا الغربية، خاصة في تجارتها مع ألمانيا؛ الأمر الذي من شأنه أن يطور الزراعة في روسيا حسبما يرى.

أجريتها على (الحاج مراد) حيث عاودت العمل عليها دون رغبة.

في هذه الفترة تم حرمانني كنسيًا بشكل غريب، وأعرب الكثيرون عن التعاطف معي، بالإضافة إلى حادث الطلبة ذي الطبيعة الاجتماعية وقد جعلني ذلك أكتب خطابًا للقيصر ومعاونيه متضمنًا برنامجًا لحل الأزمة^(٢٩٠). حاولت أن أسترشد برغبتني في الخدمة وحسب وأنحني عني أي إرضاء شخصي. لم أرسل الخطاب بعد. يبدو أنه جاهز، سوف أرسله. أشعر طوال الوقت بالمرض وبآلام في قدمي وجسدي ومعدتي. اليوم تحسنت حالتي قليلًا.

دَوَّنت الآتي في دفترتي:

١ - من الضروري جدًا أن يتذكر المرء ولا ينسى أبدًا ما قاله كولريدج^(٢٩١) عن أن مَنْ يحب المسيحية أكثر من الحقيقة سرعان ما سيحب إيمانه أو طائفته أكثر من المسيحية. وسينتهي به الأمر بحب ذاته أكثر من جميع مَنْ على الأرض.

هذه هي أهم إجابة لأولئك الذين يخشون الارتداد عن الاعتراف بألوهية المسيح.

٢ - يخطئ مَنْ يهتمون بالشعب وخيره تمامًا - وأنا من ضمنهم - في عزو أي أهمية لتمرّيات الطلبة. هذا نزاع بين الطغاة؛ بين فئة تحقّق

(٢٩٠) ساد بعض الاضطراب بسبب قرار السلطات فرض الخدمة العسكرية على ما يقرب من مائتي طالب بجامعة كييف وسان بطرسبرج.

(٢٩١) صامويل تايلر كولريدج: شاعر إنكليزي وناقد ومشتغل بالفلسفة. أعلن مع زميله ويليام ووردزورث بدء الحركة الرومانتيكية في إنجلترا بديوانهما المشترك الأناشيد الغنائية.

طغيانها، وأخرى تريد أن تصبح طاغية هي الأخرى.

٣- يجد المرض الناس غير مستعدين لشكل جديد ومؤلم من الحياة، لذا عندما يمرض المرء، أو يتوقف تمامًا عن العيش في انتظار أن يبرأ، أو يعيش على نحو شرير، لا يستطيع الالتحاق بشكل جديد من الحياة. علينا أن نتعلم العيش مع المرض. يمكن للمريض أن يعيش على أفضل حال، تمامًا كالمعافى. وهذا ما نحن في حاجة إليه تحديدًا.

٤- «الدين هو واجب الإنسان صوب الله» (٢٩٢).

٥- وصل ألكسندر بترفيتش، واستقبلته ببرود شديد لأنه أهانني. لكن عندما غادر حُرمت من الهدوء. «أين عساك تجد هذا الحب، والاعتراف بهدف الحياة في زيادته وحسب كما تقول؟» هكذا حدثت نفسي وهدأت حينما صَحَّحت موقفِي. يوضح ذلك مدى ضعف ما أؤمن به في روحي، لكنه يوضح في الآن ذاته أنه قد تجذر في داخلي. حتى الآن ليست لديَّ استجابة حب تجاه كل موقف، لكن ما اكتسبته هو أنني عندما أراجع عن الحب أشعر بالحاجة إلى تصحيح موقفِي. لا أستجيب على الفور، بل يمضي التأثير ببطء في داخلي.

٦- لدى المرأة شعوران وحسب: حب للرجال وحب للأطفال، بالإضافة إلى المشاعر التي تنتج عن هذين الشعورين، كحب الثياب الفاخرة من أجل الرجال وحب المال من أجل الأطفال. كافة المشاعر الأخرى ليست إلا محاكاة زائفة للرجال أو وسائل لجذبهم؛ أي محض

(٢٩٢) العبارة بالفرنسية في الأصل لفوفتارجيس، وهو كاتب فرنسي أخلاقي نشر مجموعة من المقالات والأقوال الماثورة بتشجيع من فولتير.

تصنع وانسياق خلف السائد.

٧- ما إن يقل الحس الديني في مجتمع ما، حتى تتزايد سلطة المرأة. إنهن لا يحوزن أي قوة في مجتمع متدين فعلاً تماماً، أما في مجتمع بلا دين كمجتمعنا، تجد السلطة كلها بين أيديهن.

٨- يقول الملحد: «أنا لا أعرف الله، ولست في حاجة إلى هذا المفهوم». هذا القول يماثل أن يقول إنسان يسبح في المياه على سطح قارب إنه لا يعرف البحر، وإنه ليس في حاجة إلى هذا المفهوم. هذه اللا نهائية التي تحيط بك والتي تتحرك فيها، وقوانينها وعلاقتك بها هي الله. تقول إنك لا تراه، لكنك تسلك كالنعم (٢٩٣).

٩- نؤكد على حقيقة وجود النجوم، لكن ليس لدينا الحق في إقرار حقيقةها بنفس قدر حقيقة النيران التي تشتعل أمامنا في الموقد. صحيح أن الموقد قد يتراءى لعيني كنقطة مضيئة، تماماً كالنجوم، لكنني أدرك وجود الموقد كذلك بالسمع واللمس، بينما لا أدرك وجود النجوم إلا بالبصر. الجاذبية التي أشعر بها هنا ليست سوى افتراض. ينطبق ذلك أيضاً على ميكروسكوب لا متناهي الصغر.

١٠- يتمثل الفارق الرئيس بين الدين الحقيقي والمزيف في أنهم

(٢٩٣) ساد الاعتقاد قديماً أن النعام يدفن رأسه في الرمل حينما يواجه خطراً، وكأنه سيهرب من الخطر بعدم رؤيته له، لكن الحقيقة أن النعام تحمي نفسها من الخطر، وذلك عن طريق استماعها للذبذبات التي ينتشر صداها في الأرض من مسافات بعيدة لوقع خطوات الحيوانات الخطيرة، وذلك لأنها تعلم جيداً أن انتقال الصوت في المواد الصلبة أسرع كثيراً من انتقاله في الهواء. وكما تستطيع أن تميز الاتجاه الذي تأتي من ناحيته تلك الأصوات، فذلك يدفعها للهرب في الاتجاه الذي يضمن سلامتها.

يستخدمون دائماً في الأول وسائل إثارة يكون لها تأثير ضخم على الحواس الخارجية بهدف الوصول إلى العاطفة والبهجة والنشوة. من أجل تحقيق ذلك يلجأون إلى تشييد أبنية فخمة ورسم لوحات مبهرة وتعليق الأيقونات واستخدام الموسيقى والغناء والبخور وقراءة مقاطع تُحرِّك القلب ويُقدِّمون الأضحيان ويحنون الركب أو يقفزون أو يتأرجحون، في الوقت الذي يحتاج فيه الحس الديني الحقيقي إلى العكس تمامًا؛ أي إلى تسكين الحواس الخارجية والصمت والهدوء والبساطة. ولنتذكر لقاء الله بإيليا في نسيم هادئ، لا في عاصفة قوية (٢٩٤).

في الأحكام المتعلقة بالدين وتفسير جوهره علينا أيضاً الابتعاد عن النبرة الحماسية والكلام المعسول، بل يجب أن تتسم تعبيراتنا بالبساطة والوضوح والدقة.

١١- حكى لي يرتسوف ببراعة عن فحوى الإيمان الكنسي من وجهة نظره، ولماذا يتمسكون بالأسرار والطقوس. يقول إن السبب أنهم يحبون فعل الشر؛ السرقة والعهر وعِظم المكانة، ولا يمكن تحقيق كل ذلك دون خوف من عقاب إلا بالحفاظ على الأصوام وحضور الخدمة الكنسية والصلاة على الموتى لغفران خطاياهم... إلخ. إن توقفوا عن فعل ذلك، فهذا يعني بالنسبة لهم إما التوقف عن فعل هذه الشرور وإما تحمل مسؤوليتها.

١٢- كلما طال عمري، ازدادت هلعاً من تأثير المشروبات الكحولية والنيكوتين. غني عن الذكر النتائج الواضحة والفجة المتعلقة بزيادة

(٢٩٤) راجع ملوك الأول ١٩: ١١ - ١٣.

الجريمة والمرض وتبديد الحياة المفزع، لكن هذه المخدرات تخنق في الناس أسمى أفكارهم ومشاعرهم، ويتضح ذلك على نحو خاص في أوساطنا، كما تقتل فيهم تمامًا ثمرة العقل الأكثر أهمية وضرورة. بسبب ذلك يمكنك أن ترى الناس يعملون ويكتبون الكتب وينتجون أعمالاً فنية، لكنهم غير قادرين على فهم أهم الأمور؛ ألا وهو الهدف من الحياة، بل إنهم يفترضون أنهم ليسوا في حاجة مطلقاً إلى ذلك. يا لفظاعة هذه التشوهات الروحية! هؤلاء هم مَنْ يُطلق عليهم «الحشود»، وأنا محاط بهم تمامًا.

٢٨ مارس.

أرسلت خطابي إلى القيصر ومعاونيه أول أمس. في هذه الفترة كتبت ردّاً على إجراء المجمع الكنسي بحرمانى وكتبت قليلاً في (الحاج مراد). دوّنت فكرة واحدة عن أمر أصبح جليّاً لي تمامًا؛ ألا وهو أن إيماننا الأرثوذكسي هو بمثابة تعويذة ضدّ الخوف تتأسس على الإيمان بما هو معجزي. وصلني خطاب جيد من فلاسوف^(٢٩٥). بينما كنت بمفردي مساء أمس تصورت الموت بحيوية شديدة: نظرت إلى هذا الاتجاه، أو بمعنى آخر تصورت بأكبر درجة من الوضوح التغيير القابع في انتظاري وشعرت بالخوف قليلاً لكنني بخير.

٣١ مارس - صباحاً.

يبدو أنني انتهيت من ردي على المجمع الكنسي. لم يصلني شيء

(٢٩٥) مسيحي أناركي تم اضطهاده بسبب آرائه الأناركية والمسيحية ورفضه دفع الضرائب أو أداء قسم الولاء للقيصر. بدأ مراسلاته مع تولستوي في ١٨٩٩.

من بطرسبرج^(٢٩٦). كتبت خطاباً رسمياً قصيراً لأدباء بطرسبرج^(٢٩٧). لا تزال تصلني التحيات والسباب. حالتي الصحية جيدة. أردت إنهاء (الحاج مراد) لكنني لم أستطع. وصلني خطاب من تشيرتكوف وأجبت عنه. لم يحدث شيء مهم.

٨ إبريل.

لم أدون يومياتي لتسعة أيام. مرضت عدة أيام. كتبت اليوم عدة خطابات، ولم أفعل شيئاً. جمعت بعض المواد من أجل «الملحوظات»^(٢٩٨). لا تزال تصلني خطابات وتحيات.

دوّنت:

١- السبب الرئيس للنزعة الدينية المحافظة هو وجود الأنانية وترعرعها.

٢- ثمة شخصيات تنسى كل شر فعلته في حق الآخرين، ويتباهون بكل ما فعلوه من أجلهم ويتذكرونه دائماً.

٣- قل لي كيف انتقلت من النعاس إلى النوم، وعلام يتأسس هذا الانتقال؟ كذلك لا يمكننا فهم مرحلة الانتقال من الحياة إلى الموت أو التحدث عنها.

(٢٩٦) كان في انتظار الأخبار عن موقف القيصر من الخطاب الذي أرسله له.

(٢٩٧) مجموعة من الكُتّاب من ضمنهم مكسيم جوركي، تظاهروا ضد هجوم الشرطة العنيف على تظاهرة للطلاب أمام كاتدرائية كازان في الرابع من مارس، ونتج عن ذلك إغلاق رابطة كتاب بطرسبرج.

(٢٩٨) اتنوى كتابة دفتر صغير من الملاحظات يكون بمثابة دفتر نقيض لدفتر ملاحظات التوجيهات العسكرية الرسمي الذي أعده الجنرال دراجومиров.

٤- يا لحجم العمل المطلوب من أجل قمع العصيان ومنعه! يتطلب ذلك شرطة علنية وأخرى سرية وجواسيس وسجوناً وإجراءات نفى وقوات عسكرية، في الوقت الذي نتعجب فيه من سهولة القضاء على أسباب هذا العصيان!

٥- الفترات السعيدة في حياتي هي التي كَرَّستها لخدمة الناس؛ الفترات التي أسست فيها المدارس وقمت بأعمال الوساطة وموائد الطعام لضحايا المجاعات والمساعدات الدينية.

بالأمس قرأت عن التعذيب الذي قامت به قوات قمع الانتفاضات في فرنسا، وشاهدت لوحات عنه، وانفجرت في البكاء من شعوري بالأسف على من يعانون، والأكثر منهم أولئك الذين يَخْدَعون ويُفْسِدون.

٢٢ إبريل.

لم أدوّن يومياتي منذ فترة طويلة. كنت مريضاً طوال الوقت. تؤلمني يداي وقدماي وأشعر بالضعف. عليّ أن أعود على العيش؛ أي أن أعود على الخدمة حتى وإن كنت مريضاً حتى يحين موعد موتي. يبدو أن ردي ترك أثراً طيباً^(٢٩٩)، لكن هذا ليس من شأني. لم أكتب شيئاً، لكن عليّ أن أكتب الآتي: ردّاً على ما يصلني من خطابات - عليّ أن أكتب لبوشا عن التعليم - عليّ أن أكتب للجنود - عليّ أن أكتب عن نقص الدين - عليّ أن أنهي (الحاج مراد). كل هذا جاهز للكتابة وعليّ القيام به، لكنني لا أقوم بشيء.

(٢٩٩) رده على قرار المجمع الكنسي بحرمانه.

دَوَّنت الآتي:

١ - عندما ترى بعض الغرباء أو تفكر في ملايين البشر الذين يقطنون آسيا كثيرًا ما تشعر بالهلع من مدى ضآلتك وتفاهتك وتشعر أن ليس ثمة أدنى أهمية لأنك وسط هذا البحر من البشر. الأمر كذلك فعلاً إن لم تدرك نفسك جزءاً من كيان الله وابنًا له، وتدرك أنك لست شقيقاً لهؤلاء الملايين من البشر وحسب، بل إنك متحد ومرتبط بهم برباط داخلي في الله؛ ألا وهو الحب.

٢ - فكَّرت في حاجة الناس إلى العبادات. تُرى ما شكل العبادة الممكنة إن أقررنا بتعاليم الحقيقة؟ فكَّرت: أيام راحة أخرى مثل يوم الأحد، ونقوم فيها بالآتي:

أ - النقد والحديث عن أوجه قصورنا في أعين أقربائنا.

ب - التحدث عن أولئك الذين جرَّبوا على أنفسهم وسائل الكمال الأخلاقي وإصلاح النفس والحديث عن صفات الكمال الأخلاقي وتحليلها.

ج - البحث ولو لمرة واحدة في الشهر عن إنسان ضل طريقه والاهتمام بإصلاحه.

د - مداواة صنوف المعاناة وتيسيرها.

هـ - مرح عام.

٣ - بعد أن فكرت في ذلك توصلت إلى أن كل ذلك غير ضروري ومستحيل، وأن كل ذلك لا بد أن ينتهي به المطاف إلى الموت. لسنا

في حاجة ليوم السبت^(٣٠٠) الطقسي ولا لأي أعمال محددة. لا بد أن نخصص يوم السبت دائماً لخدمة الله ولأجل عدد لا نهائي من أعمال الخدمة.

٤ - الديانة الأبديّة والشاملة واحدة فحسب؛ إنها الإيمان بوجود الله داخل الإنسان وخارجه، في الناس وحتى في الحيوانات، وبالتالي الإيمان بخدمته أينما كان.

تتلخص الديانة في أخوة البشر، وتتأسس على وحدة الأصل والتبعية.

٥ - ثمة بعض المتدينين يتعاملون باحتقار، بل وينكرون اهتمام الناس بأجسادهم وبأي مهنة. هذا تصرف غير صحيح. لا يمكن لأفضل إنسان أن يخدم الله طوال الوقت. لا بد أن تأتيه بعض فترات اللامبالاة والإنهاك. حينها يمكن للإنسان - بل ويتوجب عليه - أن يمارس عملاً ما؛ أن يحيك أو يكشف أو يدرس... إلخ، طالما هذا العمل لا يخالف الله في شيء.

لا يمكن للإنسان أن يخدم الناس إلى الأبد بعمله. لا بد وأن تأتيه بعض أوقات الإنهاك، وحينها يمكن أن يخدم نفسه: يأكل - يشرب - يمرح، بشرط ألا تخالف هذه الخدمة الله في شيء. علينا ألا نتجاهل هذه الفترات من الإنهاك والعجز عن خدمة الله، بل ننظمها بحيث لا تعيق خدمتنا لله.

٦ - ساعدني يا سيدي لأتممّ عملك بلا خوف وبهدوء ومحبة.

(٣٠٠) يوم مكرس للراحة عند اليهود بحسب التوراة.

٧- ثمة ثلاثة فروع لعلم التربية، وذلك لوجود ثلاثة أنماط من التفكير: المنطقي - التجريبي - الفني. العلم هو دراسة واستيعاب ما توصل إليه الأذكاء من قبلنا، ودائمًا ما يفكر الأذكاء بهذه الطرق الثلاثة؛ إما يتوصلون إلى استنتاجات منطقية من موقف ما، أو يتوصلون إلى بعض الأفكار مثلما نجد في الرياضيات والعلوم الرياضية، أو يفصلون تجربة تم رصدها عن بقية الظواهر الأخرى ويصلون إلى استنتاجات بخصوص أسبابها ونتائجها، أو يصفون ما رأوه وعرفوه وتخليلوه. موجز القول: يفكرون ويلاحظون ويعبرون. لذا لدينا ثلاثة أنواع من العلوم: رياضية - تجريبية - لغات.

٨- ما تفعله من أجل النفس أو من أجل الناس لهدف محدد دائمًا ما يكون ضعيفًا ومريبًا. أما ما تفعله من أجل الله دون أن يكون لديك هدف واضح يتسم بقوة لا تُقهر ويقودك صوب هدفك مباشرة، فالله ذاته من خلفك تمامًا، بكامل قوته.

٢٩ إبريل.

تحسنت حالتي الصحية، لكنني أسوأ من ذي قبل. سعيد أنني قادر على العمل. أكتب خطابًا عن التربية. نَحَّيت عني البرنامج الشعبي^(٣٠١). حالتي الروحية جيدة. أشعر بالهدوء، يتحلى الجزء الأكبر مني بالطيبة. سأدوّن ما فكرت فيه فيما بعد.

(٣٠١) مقالة قصيرة بعنوان (ما الذي يرغب فيه الشعب الروسي قبل أي شيء آخر؟).

٧ مايو.

أريد أن أرحل غداً (يقصد إلى ياسنانيا). تحسنت حالتي الصحية قليلاً.

١ - يا لفضاعة هؤلاء الناس الذي يريدون أن يكونوا دائماً على حق. إنهم مستعدون لإدانة غير المذنبين والأتقياء، وحتى الله نفسه، حتى يظلوا على حق دائماً!

٢ - كثير من الحقائق، وأذكر منها مثلاً حقيقة أن معنى الحياة يتلخص في خدمة الله، أو حتى ببساطة حقيقة وجود الموت أو أن حركة الإنسانية بأكملها تتأسس على حركة الدين، تبدو في البداية مجرد أفكار، لا يربطها أي رباط بالحياة، وتبدو معقوليتها ضعيفة جداً. لكن الوقت يمر، ولا يقتصر الأمر على أنها تبدو بعد ذلك أكثر معقولة، بل تبدو غير قابلة للشك، وتبدو كأنها الحقائق الوحيدة التي نحن في حاجة إليها، ويبدو من المستحيل ألا نؤمن بها، ويتوجب علينا أن نعيش وفقاً لها.

٣ - الموت الذي بدا سابقاً غير معقول، يبدو الآن معقولا جداً. ليس ذلك وحسب، بل وكذلك غير قابل للشك.

٤ - حلمت بعجوز من هذا النمط الذي سبقني تشيخوف في إدراكه^(٣٠٢). كان صالحاً جداً لدرجة أنه قديس تقريباً، وفي الآن ذاته انخرط في الشكر والسباب. فهمت بوضوح للمرة الأولى في حياتي القوة التي تكتسبها الأنماط من الظلال التي تفرض نفسها بشدة. سأصف

(٣٠٢) نمط العجوز الذي وصفه تشيخوف في قصته في الخور (الوادي الضيق).

ذلك في الحاج مراد وماريا ديمترينا^(٣٠٣).

٥- قرأت مقالة جيري^(٣٠٤) التي تحدّث فيها مباشرة عن ظهور الكنيسة لظهور الحاجة إلى توحيد الإيمان.

٦- الإيمان الحالي هو اعتراف بوجود كيان غير مُدرك لا تمكن الإحاطة به بالعقل المحدود: الله - روح - حياة أبدية. دائماً ما آمن الناس بذلك، حتى لم تعد لديهم حاجة إلى البحث عن الإيمان. في المكان الذي يتوقف فيه العقل ولا يعود بإمكانه أن يمضي أكثر من ذلك، سنجد الإيمان الحقيقي، وهو أمر مختلف تماماً عن الثقة.

٧- فكرت في متطلبات الشعب، وتوصلت إلى أن أهم قضية هي حيازة الأرض، فإن أبطلت ملكية الأرض وأصبحت كل أرض تابعة لمن يزرعها، سيكون ذلك ضمان الحرية الأكثر ديمومة. الأضمن من ذلك هو *habeas corpus*^(٣٠٥)، ليس على المستوى المادي، ولكن على المستوى الأخلاقي وحسب، فبه يشعر الإنسان أنه مُحق في الدفاع عن منزله. لا بد أن يشعر بنفس الدرجة، بل وأكثر من ذلك أنه محق في الدفاع عن أرضه التي يعول منها أسرته.

جاءت تانيا الحبوبة. وصلني خطاب من تشيرتكوف عن حرية

(٣٠٣) خليلة الرائد بتروف في رواية (الحاج مراد).

(٣٠٤) فلاديمير جيري: أستاذ في التاريخ بجامعة موسكو، والمقالة المُشار إليها بعنوان (الصراع من أجل وحدة الإيمان بالقرن الرابع).

(٣٠٥) قانون إنجليزي قديم عن حصانة الشخصية والدفاع عن الحرية الشخصية.

النشر، وأخشى أن أكون قد أجبت عليه بعدم لطف^(٣٠٦). كتبت خطابًا طويلاً عن التربية.

١٠ مايو- ياسنايا بوليانا.

وصلت منذ يومين. تحسنت حالتي الصحية بعض الشيء. لم أدوّن يومياتي ليومين. تنزهت وفكرت. العزلة جميلة. لكنني لا أتحملي بالصالح، لذلك لست مسرورًا. أردت أن أنقل الكثير من دفتر أفكاري، لكن الساعة الآن الثانية عشرة (منتصف الليل) ومعدتي تؤلمني؛ لذا لن أنقل شيئًا. غداً بإذن الله. تمضي أموري بخير مع ليوفا.

١١ مايو- مساءً.

سأنقل ما دوّنته في دفتر أفكاري:

١- يجب أن أكتب في مقدمتي لرواية *Der Büttnerbauer*^(٣٠٧) أن لدى أورلوف ما يقوله بخصوص هذا الأمر، ويعرف كيف يقوله جيدًا. أقصد أن بإمكانه أن يقول إنه يحب الفلاح؛ أي الشخص الذي يطعمنا. هذا هو سبب اهتمام الناس بجوركي. نعرف جميعًا أن المتشردين المعوزين هم بشر وإخوة لنا، لكننا نعرف ذلك على المستوى النظري وحسب. أما هو فقد كشف لنا عن ذلك الأمر في كامل نموه بما لديه

(٣٠٦) أردت تشير تكوف من تولستوي أن يُضمّن برنامجه بنّاء عن حرية الحديث والنشر، لكن تولستوي لم يتوّ فعل ذلك.

(٣٠٧) مقدمة الطبعة الروسية لهذه الرواية الألمانية من تأليف فون بولينز، وكان تولستوي قد انتوى أن يشير فيها إلى أعمال الرسام أورلوف الذي يتفق مع تولستوي في الكثير من أفكاره وقد رسم كثيرًا من المناظر الريفية، لكنه لم يفعل ذلك، وكتب مقدمة أخرى مستقلة لأعمال أورلوف في ١٩٠٨.

من حب لهم، وأصابنا بعدوى محبته. قد يقول أمورًا مبالغًا فيها وغير صحيحة، لكننا جميعًا نصفح عن ذلك لأنه يُوسِّع من مجال حُبنا.

٢- الإيمان الذي يعتبره الجميع الأكثر أهمية هو إيمان الثقة، وهو شر عظيم. إنه أسوأ من أكثر الأفكار طيشًا، ودائمًا ما يكون محض كذب ينتقل بالعدوى ويحقق مصالح مَنْ ينقله لنا، أيًا كان.

٣- نتبع نجاحاتنا التقنية والعلمية في هذا القرن من غياب الإيمان. إن لم يُشفق الإنسان على يديه، أو على صحته بشكل عام، من الواضح باختصار أنه سيقوم بما هو أكبر مما كان سيقوم به إن عمل على نحو سليم ولم يدمر نفسه. هذا ما يحدث بالضبط في المجتمع. لا يشفق أفراد الشعب الكادح على أجسادهم، ويحطمون أنفسهم بدنيًا ومعنويًا، ولا يشفقون على صحتهم. بالتالي يمكنهم تحقيق أكثر مما يمكن لمجتمع آخر يعتني بصحته وجسده أن يحققه.

٤- يحاولون إقناعي بالصلاة والصوم وكافة تلك الأفعال التي تمنح صاحبها راحة عظيمة إن آمن بفاعليتها. أن تحاول إقناع إنسان لا يؤمن بما سبق ويشعر بالهدوء من دونها يماثل عرض مال على رجل من سكان السهول. لو كان في المدينة ولم يكن لديه ما يريد أن يطلب المال من أجله، لمزقهُ. هكذا هو الأمر مع دين السحر والشعوذة. هذا أعظم سرور وأكبر راحة. كذلك هو الأمر عندما تسعى إلى أن تنعم بمن يمنحك الراحة والسرور.

ثمة خطأ ما في تعبيرى. دَوَّنت الفكرة على نحو أفضل في دفتر أفكارى.

٥- تُبطل ديانة السحر الديانة الحقيقية التي تتطلب من الإنسان أن يحيا حياة صالحة، وذلك لأنها تدّعي أنها تصحح مسارها فيبدو كأنها تجهزها.

٦- تجادل أحدهم ولا يمكنك أن تفهم كيف لا يُسلّم بالدليل الواضح. تنظر إليه وتذكر أن خلافه يعود إلى اختلاف منظوره للعالم عن منظورك. إن كنت تنشُد الوصول إلى اتفاق، ابحث عنه في المنظور الديني للعالم؛ لأنه يتأسس على الإجابة عن سؤال: ما الهدف من العيش؟ يُلخّص ذلك كل شيء.

٧- يعيش إنسان ما، وعندما يعيش تتكون لديه إجابة عن تساؤله عن الهدف من العيش، حتى وإن لم يذكره. تنبع كافة معتقداته من هذه الإجابة تحديداً.

٨- النساء يكذبن كالأطفال دون أن يلحظن ذلك. إنهن في حاجة إلى الكذب من أجل أن يحققن أهدافهن، وفي انشغالهن بالوصول إلى الهدف لا يلاحظن كذبهن.

٩- بالإضافة إلى ما سبق، ليس لديهنّ دين سوى ما تشربن إياه.

١٠- أغوص إلى العمق أكثر فأكثر بينما أبحث عن مصدر الشر في العالم. تصورت في البداية أن مصدر الشر في العالم هم الأشرار، ثم اعتقدت أنها الطريقة الشريرة التي تسير بها أمور المجتمع، ثم ظننت أنه العنف الذي يدعم هذا المجتمع الشرير، ثم قلت إنه المشاركة في أعمال العنف من قبل أولئك الذين يعانون منه؛ أقصد التجنيد، وبعد ذلك قلت إنه غياب الدين في قلوب هؤلاء الناس، وفي النهاية توصلت إلى قناعة

مفادها أن التربية الدينية هي جذر كل شيء. بالتالي لا يتطلب منا تقويم المسار الشرير أن نغير الناس أو المجتمع، وليس علينا اللجوء إلى العنف ولا تثبيط عزيمة الناس عن المشاركة في أعمال العنف، ولا حتى تفنيد الديانة المزيفة واستعراض الحقيقة، بل علينا أن نربي أطفالنا على الديانة الحقيقية وحسب.

عملت اليوم جيداً على المقالة الخاصة بمتطلبات الشعب. وصل أندريوشا وأولجا. أنا بخير.

١٣ مايو.

أكتب في الصباح. هذا يومي الثاني على التوالي الذي لا أعمل فيه. أنا وصوفيا بمفردنا. أنا بخير. أفكر في أمر ما، لكني لا أستطيع أن أجد الشكل المناسب ولا أستطيع تقسيم الأفكار. بالإضافة إلى ما لديّ من أعمال فنية، أريد أن أكتب عن الآتي: الدين ونقصه الشديد لدينا- التعليم- احتياجات الشعب: الأرض-^(٣٠٨) *corpus habes*- الحقيقة الواضحة الخاصة بأن السلطة لا يمكنها البقاء إلا بالقوة العسكرية.

تمشيت لتوي وفكرت في الآتي:

١- القول التالي غير صحيح تمامًا وغير دقيق وغامض: «أحبّ قريبك». قيل ذلك في التوراة، وتكرّر في الإنجيل وتمت الإشارة إلى أنه القول الأهم. لا يمكن أن نأمر أنفسنا بالحب. الحب هو أسمى تجلّ للروح، وبالتالي لا يمكن لأي شيء أن يستحبه في قلوبنا. هو ما يستحث

(٣٠٨) راجع حاشية رقم ٣٠٥.

كل شيء آخر. لا يمكن لأحد أن يأمرنا بالحب سوى الله؛ لأن ذلك ملائم للإنسان. ما إن يتحرر من سطوة الإغواءات، حتى يجد نفسه يحب الله أكثر من الجميع؛ أي يحب الحقيقة والخير والحب.

علينا ألا نقول: «أحبَّ قريبك» فهذا مستحيل، لكن يمكننا أن نقول: «كن صالحًا مع القريب وأحب الله». هذا أمر ممكن دائمًا.

٢- أمر غريب: لا يمكن أن يجتمع الحب بالازدراء، لكن الأمر لا يقتصر فقط على إمكانية أن تكون صالحًا مع البعض وتزدرهم، بل إنك لا يمكنك أن تكون طيبًا مع مَنْ لا تحبهم إلا عندما تزدرهم! عندما لا تزدرهم وتريد في الآن ذاته أن تحبهم، ستجد نفسك ترتكب الشر وتكرههم بدلًا من أن تحبهم وتكون طيبًا معهم. قيل هذا التعبير المذهل في تعاليم الرسل الاثني عشر^(٣٠٩). «أحبَّ فريقًا منهم مثلما تحب روحك؛ أي الفريق الذي تحبه من الأساس، أما الآخرين فعليك بتوبيخهم». لا، هذا التعبير لا ينطبق على ما أقوله. لا بد أن أقول الآتي: «لا تبحث لدى الناس عن شيء لنفسك». كلمة «يزدري» غير صحيحة. علينا ألا نزدري وألا ننتظر من الناس ما لا يمكنهم تقديمه، وقبل كل ذلك علينا ألا ننتظر منهم حبًا لنا.

تعبيراتي غير واضحة.

(٣٠٩) الديداخي اسم رسالة مسيحية مبكرة ينسبها معظم العلماء لآخر القرن الأول أو أول الثاني، تحوي تعاليم للمجتمعات المسيحية. يحوي النص ثلاثة أقسام هي دروس مسيحية، وشعائر دينية مثل التعميد، وتنظيم الكنيسة. اعتبرها بعض آباء الكنيسة من العهد الجديد، لكن آخرون رفضوها كرسالة مزورة أو غير قانونية.

٨ يونيو.

لم أَدُوّنْ يومياتي لشهر تقريبًا. تحسنت حالتي الصحية، وعلاقاتي بكل أفراد الأسرة جيدة.

أكتب في «إلى الشعب العامل»^(٣١٠). يساعدني ساشا في نسخها بمثابرة. دَوّنت حوالي ١٦ نقطة. سأدوّن الآن بعضًا منها:

١- العمل البدني دون الإنهاك المفرط لصاحبه يُنتج رغبة طيبة في التواصل مع الآخر. مشيت بالقرب من الحارس. كان يحرق الأرض، وقفزت كلابه صوبي، وظل يتباهى بكتابه بطيبة.

٢- كل شيء في العالم ينمو ويتغير باستمرار ويسير في دوائر. على الأقل هذا ما يبدو لنا. أما حياة الناس تنتهي دورتها داخل إطار هذه الحياة، وهكذا هو الأمر مع الحيوانات والنباتات والكواكب.

٣- يا لفظاعة الوحدة التي تكتنف مَنْ لا يشعر باتحاده بكافة الكائنات! عندما تفكر في الناس جميعًا والكائنات الأخرى التي لكل منها كيانه المستقل، يستولى عليك الفزع. لكنك تشعر بالهدوء والسرور حينما تعانقهم بالعقل والحب.

٤- في العشرين من مايو شعرت بحقيقة واقتراب الموت وبهيجته؛ أي الانتقال إلى حياة أخرى. في الحياة المستقبلية يمكنني أن أطل من نافذتين: واحدة دنيا على المستوى الحيواني، ولا يمكنك أن ترى عبرها سوى ضباب مريع ومخيف. الأخرى أسمى منها، على مستوى الحياة

(٣١٠) نُشرت المقالة بعنوان «الوسيلة الوحيدة».

الروحية، وينكشف لك منها الضوء والبهجة.

٥ - الاحتضار رحلة. في كل رحلة ثمة عمل، لكنه ينتهي دائماً بنيل مكافأة. حسب ذلك تتحدد صعوبة أو سهولة الرحلة.

سأحاول غداً أن أنهي من كتابة ما بداته. الساعة الآن الواحدة صباحاً. تانيا هنا. جاءت لينوتشكا^(٣١١) كذلك بصحبة الأطفال ورحلت في الخامس من الشهر. جاء أيضاً باسترناك (رسام روسي) وتشيرنوجوبوف (جامع تحف) ذو الحضور الثقيل.

٩ يونيو.

أريد أن أدون الآتي:

١ - تعليم الفن هو واحد من أضر الأعمال خاصة فيما يتعلق بالهدف الذي ينشد الناس تحقيقه. أقصد تحديداً التعامل مع تلك النماذج التي يفضلونها على أنها أفضل من ذوق المرء الشخصي. لا شيء يمكنه أن يعيق تقدم الفن أكثر من ذلك. ألا ندرك حتى الآن حجم التشوهات التي لحقت بالذوق واعتبروها هي الأفضل وجعلوها مثلاً علياً في الفن؟

٢ - ليست الحياة بأكملها سوى زيادة الوعي الإلهي ودعمه. كيف يمكن أن يلحق الدمار به؟ لا يراودنا الشك في أن لا شيء يزول تماماً من العالم المادي؛ لا المادة ولا الطاقة. فكيف نفكر إذن في إمكانية زوال الوجود الروحي؟ نظن ذلك لغياب الزمن عن الوجود الروحي، وكذلك لأننا لا نرى الشكل الذي يتجسد فيه ذلك الوجود مثلما نرى تجسد القوة

(٣١١) يلينا سيرجيفنا دينسينكو؛ من أقرباء تولستوي.

في العالم المادي حيث تتحول مثلاً إلى حرارة... إلخ، وذلك لأن ما يتحول في الوجود الروحي هو نحن أنفسنا.

٣- كل ما يمكننا قوله هو ن الحياة الجديدة تبدأ بمحاولة إدراك أوضاعها في ظروفها الجديدة.

٤- الإنسان الذي يفكر بخوف في الموت يشبه المسافر في عباب المحيط الذي يخشى عودته إلى المنزل. من المفهوم أن يخشى المرء تقاذف الأمواج ودوار البحر والعواصف، لكن ليس مفهوماً أن يخشى عودته إلى المنزل.

٦- كافة الكائنات منفصلة، كل لأجل نفسه، لذا قد أصابهم الجنون. كل ما يلزمنا هو أن نمنحهم فكرة الوحدة معاً بالحب والعقل.

٧- أريد أن أقول الآتي للشعب: يا إخوتي التعساء المخدوعين: لا تصدقوهم أبداً، خاصة عندما يقولون لكم إن بإمكان الآخرين تحمل عواقب خطاياكم، وبالتالي بإمكانكم أن تقتلوا كما يأمرونكم وأنكم بذلك لا ترتكبون أي خطيئة.

١١ يونيو.

خرجت للتنزه في المساء بمفردي، وفكرت في الآتي:

١- يمنحنا توسيع حدود الوعي مفهومنا عن الزمن، بينما يمنحنا توسيع حدود المادة مفهومنا عن المكان. الوعي هو حدود الأنا الروحية.

٢- ثمة أناس لا يتحدثون بهدف التعبير عن أفكارهم، بل من أجل القيام بفعل ما، مثل انتقاد أحدهم بقوة أو تملق شخص ما أو الاختيال أو

ما شابه. لا يمكن إجراء حديث معهم أبدًا بهدف تغيير الفكر.

٣- يُشكّل الوعي حدود الأنا الروحية، بينما تشكل المادة حدود الأنا الحيوانية. توسيع حدود الوعي يتم عبر الزمن، بينما يتمثل توسيع حدود المادة أو تضيقها في المكان. توسيع الحدود هو الحركة.
لا... الأمر ليس كذلك.

٣٠ يونيو.

١- لا وجود للزمان إلا داخل إطار هذه الحياة التي نحيها الآن، لذا عندما تنتقل إلى حياة أخرى لن يكون ثمة تساؤل عن الزمن، ولن يكون هناك أي معنى لكلمة «الماضي» أو «المستقبل». الحياة دائمًا واحدة، كل ما في الأمر أن كل شكل منها يبدو مستقلًا.

٢- يا لفائدة المرض! إنه يوسع كل ما بدا لي سابقًا غير قابل للتوسع. لا يمكن لهذا الاتساع أن يتم إلا بوسيلة واحدة؛ ألا وهي الحب.

٣- الزمان هو ما يحدني ويفصلني عن أشكال الحياة المختلفة التي كنت فيها أو التي سأذهب إليها. أما المكان فهو ما يحدني ويفصلني عن بقية الكائنات. يتضح لي تغير شكل الحياة بالحركة، أما انفصالي عن بقية الكائنات يتمثل لي بالمادة.

٤- كنت أخاف جدًا من الفناء بالموت عندما لم تكن ثمة حياة حقيقية بداخلي، وكان ذلك في فترة الشباب. أما الآن، وقد حزت هذه الحياة، لا يمكنني أن أنصور الفناء. أنا بخير على نحو مدهش.

لم أدون يومياتي لأكثر من شهر. مرضت بشدة في ٢٧ يونيو. لم أكن بخير أيضًا قبل هذين الأسبوعين. كان المرض بمثابة عطلة روحية مستمرة تتعزز فيها حالة الروح ويشعر فيها المرء بالهدوء عندما يقترب من الموت والتعبير عن الحب من كافة النواحي.

أنهيت مقالة «الوسيلة الوحيدة». لست بخير، أشعر بالضعف.

سأنقل هنا ما دَوَّنته في دفتر أفكاري:

١- ما دامت الكائنات منفصلة عن بعضها، فهي مجنونة. العقل يعطي المعنى لكل شيء حينما يُوحِّدهم.

٢- ثمة طبقات من الكذب تغطي الديانة الحقيقية دائمًا. لكن بعد أن تذوب هذه الطبقات تصبح الديانة أكثر طهرًا من ذي قبل، وتنحي عنها كل ما هو غير ضروري.

٣- حتى يصل صوتك للناس، عليك أن تتحدث من الجبلجثة^(٣١٢) من أجل ترسيخ الحقيقة بالمعاناة، أو الأفضل من ذلك بالموت.

٤- ساعدني يا سيدي لأرى الخير في الناس جميعًا سواي، وكي لا أدين شخصًا سواي.

٥- يمثل الكذب السفه والقسوة وعدم وفاء المرء بوعوده قوة مريعة لا تقهر.

(٣١٢) الموضوع الذي صُلب فيه المسيح طبقًا للرواية الإنجيلية. الإشارة إلى موضع للآلام.

٦- يقول الصينيون: تتمثل الحكمة في أن تعرف أنك تعرف ما تعرفه فعلاً، وأن تعرف أنك لا تعرف ما لا تعرفه. أود أن أضيف إلى ذلك: ثمة حكمة أعظم من ذلك تتمثل في معرفة ما أنت في حاجة لمعرفته وما بإمكانك أن تنحيه وألاً تعرفه، بالإضافة إلى معرفة ما يجب أن تعرفه أولاً وما يمكن أن تعرفه بعد ذلك.

٧- عندما يكون الإنسان في قلب تيار ما، يفقد حريته، لكنه قادر على اختيار التيار الذي يخضع إليه. لذا على الإنسان أن يعود نفسه على التحرر من التيارات والخروج إلى ضفة الشاطئ؛ كي يفكر جيداً في التيار الذي سيختاره.

ثمة شيء سيئ في تعبيرى عن الفكرة.

٨- لا شيء يمكنه أن يفيد الروح بقدر أحكام الناس السيئة عنك وازدراؤهم لك. لا شيء يمكنه أن يقودك إلى الحياة في الله أكثر من ذلك، فهو وحده من يعرف رغباتك، وما إن كنت مذنباً أم لا.

٩- تتمثل قدرة المرأة الرئيسة في التكهّن بنوعية الدور الذي يروق لكل شخص، ولعب هذا الدور.

١٠- تمثل الأمومة حياتهن الحقيقية واهتمامهن الأعظم، لكنهن يتصورن أنها تعيق سير حياتهن، ويتظاهرن كي يناسبن ذوق الرجال الذين يقمن باختيارهن.

١١- بينما كانت ماريّا ألكسندروفنا تقرأ خطابي عن فكرة أنه كلما ازداد الحب زاد خير المرء، وأن هذا هو قانون الحياة الآنية والمستقبلية

على السواء سألتني: ألن أتحذ بالله بعد الموت؟ أجبتها قائلاً إننا ليس لدينا أي أساس يجعلنا نعتقد ذلك. هذا ما يعتقد فيه المسيحيون الكنسيون والبراهمانيون والبوذيون، لكن ليس لدينا أساس لذلك.

الحياة التي نعرفها هي زيادة متواصلة لخيرنا على أساس زيادة الحب. هذه الزيادة ليست السمة الرئيسة للحياة وحسب، لكنها الحياة ذاتها. لذا إن افترضنا وجود حياة أخرى بعد الموت، لا بد أن تتأسس على ما تأسست عليه حياتنا الآنية، ولكن في شكل لا يمكننا إدراكه الآن.

١٢- تتمثل لي حدود وجودي بالمادة، وتتمثل لي التغيرات التي تلحق بكياني بالحركة. تتمثل لي حدود كياني في علاقتها بحدود الآخرين بالمكان، بينما تتمثل لي التغيرات التي تلحق بكياني من حيث علاقتها بالتغيرات التي تلحق ببقية الكائنات بالزمن.

١٣- سواء أكان الله موجوداً أم لا، وسواء أكانت هناك حياة أخرى أم لا، كل ما يمكنني عمله هو أن أزيد الحب بداخلي؛ وذلك لأن زيادة الحب تعني زيادة خيري.

١٤- نفس الفكرة ولكن بتعبيرات تبدو لي أوضح وأدق: تتمثل لي حدود كياني التي أدركها بوعيي بالمادة، أما حدود كياني التي أدركها بحواسي الخمس تتمثل لي بوجود الأشياء في نطاق المكان. تتمثل لي التغيرات في حدود كياني التي يدركها ووعيي بالحركة، أما التغيرات التي تلحق بكياني وأدركها بحواسي الخمس تتمثل لي بحركة الأشياء في الزمن.

أوضح قليلاً، لكن العبارات لا تزال بعيدة عن المستوى المطلوب.

١٨ يوليو.

١- وُهِبَ الإنسان الوعي حتى يفهم وضعه ويوجّه نفسه إلى هذا التيار - أو هذا التنويم - المطلوب من الله. لكن الناس يستخدمون الوعي كي يزدوا قدر المتعة.

٢- الحياة الحقيقية، الروحية هي بمثابة أساس تستند إليه مختلف التصميمات: أمراض - صنوف معاناة - فقدان. إن كان الأساس حقيقياً، تختلف التصميمات وحسب؛ يزخرفون السجاد مثلاً، لكنهم لا يُخربونه.

٢٠ يوليو.

١- تبدو الحياة المستقبلية، ما بعد الموت، شديدة الوضوح، ولا شك فيها، فهي الحياة الحقيقية. ليس ذلك وحسب، بل تبدو لي أنها الحياة الوحيدة. إنها تتمثل لي بشكل عابر لسبب واحد؛ ألا وهو وهم الزمن؛ أي حدوث تغييرات.

ليس واضحاً كفاية.

٣- تمنحني حدود أناي مفهومًا عن المادة والجسد، أما التغييرات التي تلحق بها تمنحني مفهومًا عن القوة. الاختلافات التي أدركها في حدود أناي بحواسي: اللمس - البصر هي ما تمنحني مفهومًا عن وجود الأشياء في المكان. اختلاف التغييرات في أناي المتسقة مع عملياتي الجسدية: الدورة الدموية - التنفس - الجهد العضلي هي ما تمنحني مفهومًا عن الحركة في الزمن.

٤- مما يبعث في السرور أن ازدادَ جلاءً لي بعد المرض وجوب

حمل الصليب كل يوم.

٥- وسط كل تشوش وارتباك، وفي كل دائرة من دوائر الحياة أصل دائماً إلى هدف واحد: زيادة الحب. تتلخص الحرية في إمكانية أن يزيد كل امرئ نصيبه من الحب، وبالتالي يزيد خيره.

٦- الحياة عبارة عن زيادة انفصال المرء عن الكيان الكلي، ولا يحدث ذلك على مستوى مادي. لماذا يدرك الكائن الكيان الكلي، وهو ليس إلا جزءاً منه؟ لماذا يتغير؟ لا يفهم الكائن سبب ذلك. لكن لا يمكنه ألا يفترض وجود سبب عقلاني لذلك؛ أي وجود معنى وراء ذلك. لا يسعه إلا أن يفترض وجود كائن يفهم السبب والمعنى ولا يمثل كياناً مستقلاً في حد ذاته أو جزءاً من كيان آخر، بل هو الكيان الكلي. هذا الكيان هو الله.

٧- يدرك الإنسان حدوده بازدياد انفصاله عن الكيان الكلي باستمرار وإدراك كيانه الجزئي. تتمثل له هذه الحدود في صورة جسده وأجساد الكائنات الأخرى داخل نطاق المكان. مع الزيادة المستمرة يدرك الإنسان التغيرات التي تلحق بهذه الحدود بداخله، وتتمثل له بالحركة في نطاق الزمان.

٨- لا بد ألا تعود رغبتنا في العيش إلى رغبتنا في فعل شيء ما، بل علينا أن نفعل هذا الشيء؛ لأننا نعيش وحسب.

١٨ أغسطس.

لم أدون يومياتي لشهر تقريباً. في هذه الفترة كتبت مجموعتين من

الملاحظات لا بأس بهما^(٣١٣). أريد أن أكتب أيضًا عن الدين ونقصه، وأريد كتابة خطاب لنيكولا^(٣١٤)، وبعدها يمكنني أن أستريح بكتابة عمل إبداعي، مع الوضع في الاعتبار أن كتابة مسرحية مسيحية هي بالطبع عمل إلهي.

في هذه الفترة تقرر أن نذهب إلى القرم^(٣١٥). في البداية سررت بذلك، فقد ضعفت صحيًا جدًّا؛ ضعفت حالة قلبي، لكنني الآن أتحسن، وفقدت للأسف الحماسة التي اكتسبتها أثناء مرضي. ماشا (ابنته) هنا وكذلك ماشينكا (شقيقته). أواصل العمل الداخلي ولا أصيب سوى قدرًا ضئيلًا من النجاح، لكنني لا أياس. يقول راسكن (شاعر إنجليزي): لا يمكننا القول إننا نخدم الله إلا عندما نخدمه في كل فعل طوعي نقوم به. هذا ما يجب على المرء أن يتذكره ويقوم به.

في هذه الفترة دوّنت الآتي:

١ - ما كان جيدًا لي أثناء المرض وبعث فيَّ السرور هو أنني بينما أحضر أعيش بنفس الطريقة التي أعيش بها دومًا. لا يعيق الموت تيارات الحياة الحقيقية العميقة والدُّنيا. ما شعرت به، أو بالأحرى ما لم أشعر به هو التوقف والانقطاع.

(٣١٣) ملاحظات للجنود، وملاحظات للضباط.

(٣١٤) يقصد كتابة خطاب إلى القيصر الروسي بشأن موقف الطبقة العاملة بروسيا. سيُرسل الخطاب فعليًا في ١٩٠٢.

(٣١٥) بسبب معاناة تولستوي من مجموعة من الأمراض. وضعت الكونتيسة بانيينا منزلها وضيعتها في خدمة تولستوي وأسرته بمنطقة قريبة من يالطا، وعاش تولستوي وأسرته هناك من سبتمبر ١٩٠١ حتى يونيو ١٩٠٢.

٢- تتلخص حرية الإنسان الوحيدة في إمكانية زيادة خيره بزيادة الحب بداخله. لكنه ليس حرًا أمام هذا الصلاح الإلهي. سيواجه العقبات دائمًا في كل ما يحقق له خيره.

٣- إن كان لديك عدو يسمم حياتك، هل يجب أن ترغب في التخلص منه؟ لا. إن كان بإمكانك الاستفادة منه بتعليم نفسك التسامح ومحبة الأعداء، ستكتسب بذلك قدرًا من الخير أكبر بكثير مما كنت ستحوزه إن تخلصت منه. ليس أكبر فحسب، بل إنك إن تخلصت منه ستنال خيرًا وقتيًّا، أما إن فعلت الأمر الآخر ستنال خيرًا أبدئيًّا لا يقتصر على هذه الحياة الآنية وحسب.

٤- يُقال إن المرء ليس في حاجة لمكافأة على الخير. هذا صحيح إن كان المقصود مكافأة مادية في المستقبل. ولكن دون مكافأة يستحيل أن يجد المرء ما يدفعه لفعل الخير. يعتمد الأمر على أن نفهم ماهية الخير الحقيقي. لا يتمثل الخير الحقيقي في أي شيء خارجي في المستقبل، بل في أمر داخلي في الحاضر؛ في تصفية الروح. هذا هو المحرك والمكافأة في الآن ذاته.

٥- كثيرًا ما أسمع الشباب يقولون: «لا أريد أن أحيا حسب تفكير غيري. سأفكر بنفسي». ولماذا لا يستفيد المرء مما قد أمعن الناس التفكير فيه فعلاً من قبله؟ من سمات قوة البشرية أن تستفيد بما هو جاهز وتمضي قدماً.

٦- تنظر إلى ندالة الناس وتتعجب من غياب الكرامة الإنسانية. يلزمك فقط أن تتذكر أن الدين وحده يمنح الإنسان وعيًا بكرامته، وحينها

ستوقف عن التعجب من غياب الكرامة لدى أولئك الذين لا يحوزون ديناً. في غياب الدين يحاول الناس استبدال الدين بالمجد، فيصبح المجد بالنسبة لهم ديناً.

٨- ليت البشر يفهمون كم يمكن أن يسعدوا إن عاشوا حياة دينية؛ أي أن يسلوكوا بحرية ليس أمام الناس، بل أمام الله.

٩- علينا أن نتحلى بالحدز الشديد من كافة أنواع العدوى؛ عدوى السخرية والشهوانية، وقبل كل ذلك عدوى الضغينة! يسبك شخص ما بضغينة، وبدلاً من أن تشعر بالاشمئزاز من الضغينة، تُصاب بعدواها. كما لا يمكن للإنسان أن يتناول شيئاً قبل أن يتيقن من أن ما سيأكله لن يضرَّ به، كذلك هو الأمر مع كل أنواع الإيحاء الداخلي؛ قبل أن يستسلم المرء لأي منها عليه أن يتيقن من أن هذا النوع لن يضره.

١٠- أريد أن أكتب ثانية عن الحدود والتغيرات والمادة والحركة والمكان والزمان:

أنا جزء من كيان ما. لا أدرك استقلالي إلا بالحدود التي تفصل بيني وبين بقية الكائنات. بالإضافة إلى ذلك أدرك التغيرات التي تطرأ على نفسي. أدرك الحدود التي تفصلني عن بقية العالم بالمادة، فجزء منها يشكّلني، بينما يشكل الجزء الآخر بقية العالم. أدرك التغيرات التي تطرأ على أناي بالحركة التي تحدث بداخلي وبداخل بقية الكائنات. أما العلاقة التي تربط بين كل ما هو مادي أُطلق عليها المكان، وأطلق على العلاقة التي تربط بين التغيرات التي تطرأ بداخلي وبداخل بقية الكائنات: الزمن.

لم أنته، لكني أنهكت.

١٠ أكتوبر - القرم.

يريعني القول إنني لم أدون يومياتي لشهرين تقريبًا. أنا اليوم في جاسبرا على الشاطئ الجنوبي.

حالي الصحية لا تزال سيئة. تتحسن أحيانًا وتسوء أحيانًا ولكن بقدر طفيف. أما حالي الصحية التي كنت أتمتع بها سابقًا فقد فارقتني للأبد. يبدو أن هذا أمر جيد. ليس جيدًا وحسب، ولكن جيد جدًا. إنه بمثابة استعداد للانتقال.

وصلت هنا في ٨ سبتمبر. بصحبة بولانجي وماشا وكوليا. ساشا لطيفة للغاية. سيربوجا هنا الآن. يبدو أن عملي الداخلي يتقدم قليلًا. مات آدم فاسيليفيتش (٣١٦).

عملت إبان هذا الوقت في مقالي عن الدين، لكن قدرتي على العمل العقلي قد ضعفت، ولم أعد قادرًا على العمل سوى لفترة قصيرة. في هذه الفترة دَوَّنت الآتي:

١ - يصعب على المرء أن يحيا من أجل الله بمفرده وسط أناس لا يفهمون حتى ذلك ويعيشون من أجل أنفسهم وحسب. يا لحجم المساعدة التي يمكن أن يقدمها الأشقاء في الدين في موقف كهذا.

٢ - عندما أفكر في الموت أشعر بالسرور عندما أتصور كيف

(٣١٦) آدم فاسيليفيتش أولسوفيف: فريق عسكري متقاعد، تربطه علاقة قديمة بتولستوي.

سأستيقظ في هذه الحياة كما استيقظت على طفولتي المبكرة قبل ذلك.

٣- لا، هذه الحياة ليست مجرد حلم كما كتبت سابقاً، ولكن هذا الحلم هو ما يميز بين حياة وأخرى، ففي نهاية أحدها ثمة موت، وفي بداية أخرى ثمة ولادة.

٤- أيهما أسوأ: الكذب أم الجهل؟ لا أعرف.

٥- الإنسان كائن مستقل يتغير باستمرار، ويمكنه النفاذ إلى الكامل الذي لا يتغير.

٦- يكشف وجود شيئين في نفس المكان عن الحركة، ويكشف لنا وجود شيئين ساكنين عن المكان.

٧- الإنسان كائن مستقل يتغير باستمرار، ويسعى إلى حالة من الكمال وعدم التغير. يمكن أن يصل إلى الاثنين بالحب. كلما زاد الحب، قلَّ التغير الذي يلحق به، وازداد اتساع الحياة؛ أي اقترب الإنسان من الكمال.

٨- لا يصل علم الفلك إلى حقيقة كاملة؛ لأنه يصل إلى نتائج بعون من حاسة واحدة؛ ألا وهي البصر.

٩- تتأسس قوة الدين على أن تشعر أنك أعلى من كافة القوانين الإنسانية.

١٠- واحد من أهم الأخطاء التي تؤثر على أحكام الناس وأكثرها شيوعاً هو أن يعتبر الناس ما يحبونه أمراً جيداً بالضرورة.

١١- يتدفق التيار بثبات، فيبدو لنا ساكناً طوال الوقت. هكذا هو

الأمر مع الحياة. تبدو لنا ثابتة دائماً بينما هي تتحرك باستمرار .

١٢ - الحياة أمر خطير! ليتني أتذكر ذلك دائماً، خاصة عندما يتحتم عليّ اتخاذ بعض القرارات.

١٣ - يشعر المرء بالأسف على فقدان شيء ومفارقتة بعد أن اعتاد على استخدامه طويلاً.

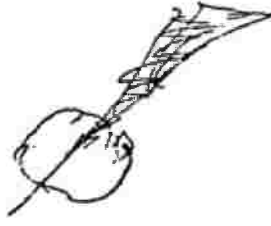
١٤ - تبذل جهداً عظيماً كي تستيقظ من نومك حينما تحلم حلمًا مريعًا لا طاقة لك به. هكذا يجب أن نفعل في الحياة عندما تصبح غير محتملة، ونستيقظ من سبات حياتنا الحيوانية إلى حياتنا الروحية ليدرك كل منا أنه الإلهية الأبدية.

١٥ - يسرق المقاتلون (الرأسماليون) الشعب بتوسطهم بين العمال ومَن يمدون العمال بالأدوات اللازمة للعمل. كذلك يسرق التجار الشعب بالتوسط بين المستهلكين والبائعين، كما تسرق الدولة الشعب بحجة حمايتها للضحايا من المذنبين. لكن أفضع أنواع الخداع هو القائم على الوساطة بين الله والناس.

١٦ - خَلَّصَنِي يا رب من العيش من أجل هذا العالم وحسب. حتى يكون للحياة معنى لا بد أن يتجاوز هدفها حدود هذا العالم وقدرة العقل الإنساني على الفهم.

١٧ - ليس هناك عمل لا ضرورة له أكثر من اكتساب الممتلكات أو الاحتفاظ بها أو زيادة الثروة.

١٨ - تبدو لي الحياة على هذا الشكل:



تتحرك الدائرة إلى أعلى ويتسع المحور، أما الحياة فتضيق وترفع
كالآتي:



وفي النهاية تتوحد الحياة تمامًا بمحور أبدي ثابت.

١٩ - يرى الليبراليون والاشتراكيون والثوريين أننا لسنا في حاجة إلى الدين ويرفضونه ويودون أن يقضوا على كافة الأديان. لكن الدين كان - وسيظل - المحرك الرئيس للناس. تدرك الحكومات ذلك جيدًا، لذا يستخدمون دينًا زائفًا من أجل قيادة الناس صوب طريق زائف. أما أولئك الذين يناضلون الحكومة، بدلًا من أن يقضوا على هذا الدين الزائف ويثبتوا الحقيقي يسمحون للحكومة بالتسلط على الناس كاملاً بقيادتهم بدين زائف. لذا يُهزمون دائمًا.

٢٤ أكتوبر.

في هذه الفترة كتبت عن الدين. حالتي الصحية لا تزال متداعية وتزداد سوءًا. عليّ أن أكتب عن المنشور الثوري الذي استلمته من إيفان ميخايلوفيتش^(٣١٧) وعن حق الإنسان في أن يحظى بعلاقة بالله، وذلك بمناسبة حديث ستاخوفيتش. بالأمس اضطربت معدتي بشدة. حالتي المزاجية اليوم وخاصة الآن؛ أي في المساء، شديدة السوء ولا يمكنني مغالبتها. كنت في حالة سيئة لكني الآن في حالة رائعة.

دوّنت أمرًا ما مهمًّا، لكن الوقت قد تأخر، لذا لن أنقله هنا.

٢٩ نوفمبر.

مر شهران آخران لم أدون فيهما شيئًا. حالتي الصحية سيئة طوال الوقت، ونادرًا ما تتحسن. آلام روماتيزمية وضعف. على ما أتذكر بدأت استعمال نقاط الزرنوخ منذ يوم ١٤. اليوم أشعر أنني أكثر حيوية، لذا أكتب. ولدت تانيا طفلًا ميتًا مجددًا، وتحملت الأمر على نحو جيد.

أظن أنني أنهيت مقالي عن الدين. شككت كثيرًا في أهمية وصلاحي هذه المقالة كالمعتاد، لكنني أظن أن لشكوكي هذه المرة أساس أقوى من ذي قبل.

الأمور بخير في المنزل. ألتقي بـ ماشا قليلًا. أشعر بالسرور لأنني

(٣١٧) إيفان ميخايلوفيتش تريجوبوف: كان يعيش في منفاه بالخارج، وقد أرسل لتولستوي بعض المنشورات الثورية التي طبعها الأمير د. خيلكوف بجينيف؛ ليسأله عن رأيها بها.

وجدت جوركي وتشخوف يتحليان باللطف، خاصة الأول^(٣١٨).
وصلتني خطابات جيدة من عضو المحكمة^(٣١٩) وسررت بالاقتراب من
ميخايلوف وأعضاء طائفة الشتونديست (طائفة بروتستانتية).

لم أدوّن سوى القليل من الأفكار:

١ - عندما يحين موعد موتي، أتمنى أن يسألوني: هل لا تزال تفهم
الحياة كما فهمتها في الماضي كاقتراب من الله وزيادة للحب؟ إن لم
يكن بمقدوري التحدث وأردت أن أقول نعم سأغلق عيني، وإن أردت
قول لا سأنظر إلى الأعلى.

٢ - عليّ أن أكتب عن حرية الضمير والتسامح الديني. الفكرة الرئيسة
هي أن الكنيسة ليست كما تدّعي اجتماع المؤمنين والمسيح رئيسها، بل
إنها مؤسسة دنيوية تمامًا. إن كانت كما تدعي فلا يمكنها أبدًا أن تضطهد
أحدًا، أما إن كانت كما أقول، فمن الضروري أن تضطهد البعض.

٣ - يُقال إن النساء تحب الشجاعة والجمال، أو تحب من يحبونهما.
هذا غير صحيح تمامًا. إنهن يمنحن أنفسهن لمن يثقن أنهن سيستلمن
له، وبعد ذلك يبررن استسلامهن بما سبق.

٤ - إن عانيت، فهذا لأن الوقت لم يحن بعد حتى ترى كل شيء،

(٣١٨) تم القبض على جوركي في هذا العام، ثم أُفرج عنه لأسباب صحية، وسمح له بالذهاب إلى
القرم للاستشفاء، لذا كان قريبًا من تولستوي وزاره أكثر من مرة، أما تشخوف فكان منزله بياطا
في هذه الفترة وزار تولستوي أكثر من مرة. كتب تولستوي لتشير تكوف قائلاً: "تشخوف ملحد
تمامًا لكنه صالح، أما جوركي فأنا أكثر ولعًا به من تشخوف رغم أنهم يغالون في إطاره".
(٣١٩) س. بولياكوف: عضو بمحكمة كوفنو وكتب لتولستوي قائلاً: إنه سيتخلى عن عمله
بالمحكمة تأثرًا بآرائه.

ولم ينكشف لك ما يحدث عبر هذه المعاناة. تنكشف لنا الحياة بالزمن. يتمثل العصر الحجري للناس في تلك الأشكال التي انكشفت لنا من حياة الإنسانية، لكن لم ينكشف كل شيء بعد للناس، ثمة بعض الأمور مغلق ما خلفها، ولم ينكشف بعد ما أمامها، كما في الشكل الآتي:



٥- ثمة خلاص واحد من المواقف الصعبة والحزن: أن نعيش الحياة داخل مجال الله وأمام وجهه وحده. حينها لن تمر كافة الصعوبات وحسب، لكن الحياة كلها ستصبح أفضل، وكل ما يبدو لنا محزنًا وصعبًا سندرك أنه خير حقيقي لنا.

٦- ثمة أبواب رهيبة وقلوب موصدة وأشكال من الوعي لدى الناس تحول بينهم وبين الحقيقة. ما السبيل إلى فتحها والنفوذ منها؟ لا أعرف، وفي معرفة ذلك تتلخص أعظم درجات الحكمة.

٧- الدين قانون لا يمكن لأحد إبطاله، ويستحيل الالتفاف حوله كما يستحيل إخفاء خرقه، ويستحيل كذلك نيل مكافأة الالتزام به في هذا العالم. أما غير المؤمنين بدين لا يعرفون سوى قانون الإنسانية، وهو قانون يمكن دائمًا الالتفاف حوله ويمكن إخفاء خرقه، كما أننا ننتظر دائمًا المكافأة التي سننالها على الالتزام به.

٨- يتمثل الفارق بين الناس في أن بعضهم يفكر أولاً ثم يتحدث وبعدها يسلك، أما الآخرون يتكلمون ويسلكون أولاً ثم يفكرون فيما بعد.

٩- ثمة اختلاف آخر بين الناس؛ ألا وهو أن بعضهم يشعر بالآخر أولاً ثم يشعر بنفسه، أما الآخرون فيشعرون بأنفسهم أولاً. أردت أن أقول "ثم يشعرون بالآخرين" لكن معظمهم يقتصر شعوره على نفسه وحسب. هذا فارق مريع.

١٠- الأشخاص الحساسون من النوع الأول دائماً ما يتعطشون للمجد، أما أفراد النوع الثاني دائماً ما يتحلون الكبرياء. ينزعج أفراد النوع الأول من انشغال الآخرين بهم، أما أفراد النوع الثاني لا يريدون سوى نيل مديح الآخرين. نوع يرى العيوب في فضائله، وآخر يرى الفضيلة في عيوبه. كم سيكون من الجميل أن أضع قائمة بهذه السمات المزدوجة!

١١- الناس جميعاً مغلقون تماماً، لكنهم كذلك مع شخص، وعلى العكس مع آخر. ثمة ثقب لدى كل إنسان يمكن للحقيقة أن تمر عبره، لكنها لا تأتيه من هذا الاتجاه. ثمة حل واحد؛ ألا وهو أن تغمر العالم بالحقيقة إن كانت في داخلك، وحينها ستتمكن الحقيقة من إيجاد هذا الثقب.

١٢- يا لجمال هذه القاعدة اليهودية التي تقضي بتحريم ذكر اسم الله^(٣٢٠). يكشف لنا هذا التحريم عن أنهم فهموا من هو الله. أما موقفنا المؤلف: كيراليسون، والرد: كيراليسون كيراليسون^(٣٢١) فهو يشير إلى أننا لم نفهم بعد من يمكن أن يكون الله بالنسبة للمتدينين.

(٣٢٠) لله عند اليهود أسماء مثل يهوه وإلهيم وغيرها. كلمة "الله" نفسها هي أحد الأسماء، لكننا اعتدنا على أن نشير بها إلى الإله بشكل عام بتأثير من الثقافة الإسلامية.

(٣٢١) مصطلح مسيحي مشتق من اليوناني بمعنى: يا رب ارحم، ويُردد في القداس بنفس التكرار الذي يشير إليه تولستوي. ربما يقصد ترديد اسم الله عبثاً دون فهم شيء عنه.

سأحاول أن أكتب غدًا إن شاء الله.

١ ديسمبر.

كانت فترة المساء جيدة جدًا. كتبت خطابًا لعضو المحكمة: بولياكوف. دوّنت يومياتي، ووصلت إلى الفصل السادس عشر في مقالتي عن الدين. نمت اليوم نومًا سيئًا أو بمعنى أصح: نمت قليلًا. آلام وضعف. كتبت على نحو سيئ ولم أُنه ما كتبت. لقد ذهبوا جميعًا إلى أوشان سو^(٣٢٢). أنا وتانيا بمفردنا في المنزل، ولست في حالة مزاجية جيدة. قرأت فصلًا رائعًا في رواية لبولينز (أديب ألماني) حفّزني جدًا على كتابة عمل إبداعي، ولكن عبثًا. أرى الموت مجددًا على نحو أفضل وأوضح وأقرب.

٢٦ ديسمبر.

تحسنت حالتي، ثم ساءت ثانية. ذهبت إلى يالطا وبت ليلة واحدة اعتل فيها قلبي. قضيت أسبوعًا عند ماشا. بدأت أتعافى ثانية. جاء بولانجي العزيز ورحل اليوم. أنهيت مقالتي عن الدين، لكن عليّ أن أراجعها ثانية. حاولت منذ عشرة أيام أن أكتب عن التسامح الديني ولكن بلا جدوى. موضوع غير مهم تمامًا. علاوة على ذلك لا أريد أن أكتب خطابًا للقيصر.

راودتني بعض الأفكار:

١ - بعدما عاشت الشعوب في الوثنية أعلن أنبياء اليهود وحدة الله. مر ألفا عام وتشوهت المسيحية تمامًا، ثم جاء الإسلام، وأعلن أن لا إله إلا الله.

(٣٢٢) شلال مياه شهير بالقرب من مكان إقامته بجاسيرا.

٢- عادة ما يسعى أولئك الذين اعتنقوا المنظور المسيحي للعالم إلى القيام بمآثر مسيحية. لا تتطلب المسيحية ذلك، بل تتطلب حياة مسيحية بسيطة.

٣- هذه هي مهمتنا العاجلة في الحياة؛ أن نستبدل بحياة مؤسسة على الصراع والعنف حياة مؤسسة على الحب والتفاهم العقلي. ثمة كمية كبيرة من المادة يجب تنقيتها روحياً لدى شعوب من مختلف الأعراق والمعتقدات، ولم تمسسها يد بعد.

٤- الناس جميعاً مقيدون في وحدتهم، محكوم عليهم بالموت. يُقال: «عليك أن تعيش وحيداً لهدف ما ولا تستطيع إشباع رغباتك ثم تهزم وتموت». يا له من أمر مريع! ثمة خلاص وحيد من هذا الوضع؛ أن تخرج من حدود أنك وتحب شخصاً آخر. حينها تربح رمية ثانية بدلاً من واحدة، وتزداد فرصك في النجاح. بينما يكافح المرء في هذا الاتجاه لا يمكنه أن يتوقف عن حب الناس. لكن الناس فانون، وإن كان الحزن أكبر من الفرح في الحياة، فالأمر كذلك في حياة الآخرين أيضاً. لذا يبدو أن الموقف يدعو لليأس. العزاء الوحيد هو أن الصحة تجعل الموت أيسر. كان من الممكن أن يكون هناك خلاص كامل لو كان بإمكاننا أن نحب كياناً خالداً؛ نحب الله. هل هذا ممكن؟

٥- أظن أن الإمكانية الوحيدة لدينا لحب الله ليست في أن نرضى عن حياتنا وحسب، بل ونبتهج بها كذلك ونرى فيها خيراً دائماً. أصل إلى استنتاجي بهذه الطريقة: مَنْ لا يرضى عن حياته ويعجزه أمر ما فيها، سيرها شراً، وبالتالي لا يمكنه أن يحب مصدرها وجوهر هذه الحياة؛ ألا

وهو الله، وسيجد نفسه ينكره دائماً أو يدينه، بل ويسبه. مَنْ يرضى عن الحياة ويبتهج بها ويرى الخير فيها دائماً، سيختبر شعوراً مناقضاً؛ ألا وهو الاعتراف بالله والرغبة في شكره وتمجيده. هذا ما فكرت فيه في البداية، لكنه لم يكن واضحاً. ازداد وضوحاً لي اليوم، وأقصد الآتي تحديداً:

٦- ثمة وسيلة واحدة نحب بها الله؛ أن يحب كل منا نفسه وأناه الإلهية كما يحب الجسدية بالضبط؛ أي أن يعيش من أجل هذه الأنا الإلهية ويسترشد في حياته بمتطلباتها، وبالتالي لا يُحزنه شيء ولا يخشى شيئاً، ويعتبر كل شيء ممكناً من أجل نفسه؛ أي من أجل هذه الأنا الإلهية. بمحبتتي لهذه الأنا سأحب تجلي الله، وهو الشيء الوحيد الملائم للحب. يرى العقل إلهاً آخر يلائمه؛ ألا وهو مصدر كل شيء، لكن الحب يرى تجلي الله وحسب.

تصورت أنني سأعبر عن الفكرة على نحو أفضل.

٧- حسناً أن يعيش المرء من أجل هذه الأنا وحسب، وحينها سيكون من السهل عليه أن يعيش ويموت؛ أي أن ينتقل إلى حياة أخرى. لكن الأمراض والآلام تحُول بينه وبين تحقيق ذلك، وتجبره على محاولة إيقاف صنوف المعاناة وصون تلك الحياة المطلوب منه أن يعمل فيها، وهذا هو منبع الشهوات والأحزان.

٨- الدين هو تلك الحالة التي لا تُشترط فيها الأفعال بتصوراتنا عن تلك الحياة المؤقتة وحسب، بل كذلك بتصوراتنا عن الحياة الأبدية اللانهائية.



٢٢ يناير.

كنت مريضاً طوال تلك المدة تقريباً؛ أي أقترَب من الموت. عشت
بصلاح إلى حد بعيد. في هذه الفترة كتبت خطاباً إلى القيصر وأرسلته
عن طريق نيكولاي ميخايلوفيتش^(٣٢٣). هو والخطاب في بطرسبرج
الآن. لا أعرف ما إن كان قد سلّمه أم لم يُسلّمه بعد. قرأت كتاباً رائعاً
لمازيني^(٣٢٤) وآخر عن أفكار راسكين.

جاءني اليوم جراويبرجر^(٣٢٥). إنه على حق تماماً في قوله أن السجن
هو المكان الملائم الوحيد للمسيحي في عصرنا هذا.

في هذه الفترة دوّنت الآتي:

١ - إن أمنت بالله، ستؤمن أن كل ما يحدث هو للخير بما في ذلك

(٣٢٣) حفيد نيكولاي الأول، مؤرخ شهير. تعرف على تولستوي بالقرم، وزاره عدة مرات. سيقتل
بعد ذلك على يد البلاشفة في عام ١٩١٨.

(٣٢٤) جوزيبي مازيني: وطني إيطالي وفيلسوف وسياسي وماسوني إيطالي، لُقّب بـروح إيطاليا،
أسهمت جهوده وحراكه السياسي في قيام الدولة الإيطالية الحديثة واستقلالها عن القوى
الخارجية التي كانت تحرك ولاياتها المختلفة المنفصلة والتي كانت في إيطاليا حتى القرن
التاسع. الكتاب المقصود هو (واجبات الإنسان).

(٣٢٥) فلاح مؤيد لأفكار تولستوي السلمية. سيُسجن بعد ذلك إبان الحرب العالمية الأولى
لتظاهره ضدها علناً.

من صنوف معاناة وأمراض... إلخ. كل هذا بمثابة إعداد لك لفرحة جديدة مفاجئة. بالتالي مَنْ يؤمن بالله يجب أن يكون مبهجًا دائمًا؛ مبهجًا وصالحًا. ما يؤكد على صحة ذلك الآن هو أن مَنْ يؤمن بالله ويشعر بالتالي بالسرور، يحبه الجميع الآن ويكون بخير.

٢- يلزمك أمر واحد حتى تكون مبهجًا دائمًا؛ أن تقابل هذه المسرات التي تتفق مع رغباتك بامتنان، أما ما يبدو لك مصدرًا للضيق ولا يتفق مع رغباتك، انظر إليه كوعد بالبهجة فيما بعد، وتعامل مع كل موقف كأنه تجربة لك.

٣- الدليل على ذلك هو أنك بعد انتهاء التجربة تأسف دائمًا على أنك لم تستفد منها رغم سnoch الفرصة.

٤- هل ثمة حياة أخرى؟ لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن الله موجود، وأناي قد جئت إلى هذه الحياة العابرة التي أحيا فيها بحسب إرادته. ستنتهي هذه الحياة بإرادته أيضًا. منك أتيت وإليك أعود، أو بالأحرى: كنت دائمًا فيك وسأبقى إلى الأبد. هذه هي إجابتي.

٥- يزعجني أحيانًا اقتراب الموت، وأحيانًا أشعر باليسر والبساطة. يحدث ذلك تحديدًا عندما أتوقف عن التفكير وأستسلم له تمامًا.

٦- الموت هو فناء الأنا المنفصلة؛ أي الجسدية، أو بالأحرى هو فناء وهم واقعية الوجود المادي. في الحقيقة لا يلحق الفناء سوى بالحدود مثلما يتحرر البخار المضغوط أو الغاز. إنه يتلاشى فيبدو كأنه قد فنى، لكن كل ما في الأمر أنه التحق بمركب جديد.

٧- يجب أن تكون شخصيتي أو أناي بمثابة أداة للخدمة. هذا أمر ممكن. عندما تستخدمها، تجد أمامك هذا السؤال: مَنْ الذي يستخدمها حقًا؟ إنه مَنْ لا يُعتبر أداة، مَنْ ليس ماديًا، مَنْ يتخطى الحدود؛ أي الله الذي بداخلك. إن زيتنها وطهرتها وحافظت عليها لن تجد حياة أمامك وستخضع لكافة صنوف العذاب. كل ما عليك فعله هو استخدامها كأداة وحينها ستعيش وتزدهر.

٨- اعتدنا أن نظن أن أدواتنا هي أنفسنا، وبالتالي نرتعب من فنائها. هذا منبع علاقتي المزدوجة باقتراب الموت.

يلزم أن أعتبرها مجرد أداة، وحينها سيفارقني الخوف، ولن أختبر سوى شعور بالارتباك بسبب أداة انتزعت مني ولم أُنح بعد أداة جديدة. اعتراف العامل (الإنسان) بأنه أداة في يد سيده (الله) هو اعتراف بالله.

٢٣ يناير.

أشعر بالضعف طوال الوقت. وصل بيرتنسون^(٣٢٦). ليس هناك شيء خطير. بعض الأبيات الساحرة:

رفيق الصبا يثن

رفيق الصبا يسعل

حان وقت ارتداء الكفن

(٣٢٦) طبيب شهير، جاء ليفحص تولستوي بطلب من صوفيا.

حان وقت الدفن (٣٢٧).

يا لروعة لغة الشعب! تصويرية ومؤثرة وخطيرة.

فكرت في الآتي: أكثر الأدلة وضوحًا على زيف الطريق الذي يسلكه العلم هو ظنه أنه سيتوصل إلى كل شيء.

٥ مايو.

لم أدوّن يومياتي لمدة ثلاثة شهور ونصف. كنت مريضًا بشدة ولم أبرأ حتى الآن. أريد أن أنقل هنا ما فكرت فيه ودوّنته في تلك المدة:

٢٩ يناير (٣٢٨).

الخلاص الوحيد من يأس هذه الحياة هو الخروج من الأسر الآن. يسعى الإنسان تلقائيًا إلى ذلك بدافع من الحب، لكن حب ما هو زائل لا يحرر المرء. تتمثل الحرية الوحيدة في حب الله. ولكن هل هذا ممكن؟ نعم، إن اعترفنا دائمًا بأن الحياة هي خير عظيم. حينها سنشعر بالامتنان تلقائيًا لمصدر هذه الحياة ونحبه. الحب، كأشعة الشمس، يغمر الجميع دون تمييز.

٢- كل شيء جيد، لذلك الإنسان الذي يرى خير حياته في كماله الداخلي. عندما يُرضي كل شيء رغباتك، تشعر عفويًا أن كل شيء على ما يرام، لكن عندما تمضي الحياة في طريق معاكس لرغباتك، تسنح لك

(٣٢٧) أغنية شعبية قرأ تولستوي أبياتها، وشعر أنها تنطبق عليه، وطبقًا لرواية الطبيب بيرتسون بدأ في البكاء.

(٣٢٨) ينقل تولستوي ما دوّنه في دفتر أفكاره إلى يومياته من دون الحفاظ على ترتيب زمني، وكانت هناك بعض الإعادات التي حذفها.

فرصتك الوحيدة والأيسر للسير في طريق الكمال، وبالتالي يكون كل شيء على ما يرام مجددًا. الدليل على ذلك أن بعد انصرام التجربة؛ أي بعدما يمر الوقت الذي سارت فيه الحياة بعكس رغباتك، تشعر بالندم على عدم استغلالك لها من أجل خيرك الذي يمنحك إياه وعيك بالسير في طريق الكمال.

٣- في الماضي كنت تحزن من أن حياة شخص آخر تستمر بينما تضطجع على فراشك وتحتضر، أما الآن، كل ما تريده هو أن تمضي حياة غيرك دون أن تعيق احتضارك الهادئ.

٤- حكمة الشيوخ ثمينة كالماس والذهب، وهي أهم شيء قبل بلوغ النهاية؛ أي قبل الموت. علينا أن نُثَمِّنَها جدًّا ونعلن للناس عنها.

٢ يناير.

يقولون: «الحياة المستقبلية». إن آمن الإنسان بالله وقانونه، سيؤمن أنه يعيش في العالم بحسب قانونه. بالتالي يعتبر الموت وفقًا لهذا القانون مجرد عودة إليه.

٤ يناير.

تمر عليَّ أوقات لا أستطيع فيها أن أبتهج أو أنظر بلا مبالة إلى اقتراب الموت. وفي فترات أخرى جيدة يبدو لي الأمر بسيطًا وجيدًا.

٦ يناير.

لا شيء روحاني يُكتسب بطريقة روحية؛ لا النزعة الدينية ولا الحب ولا أي شيء. ما هو روحي تنتجه الحياة المادية داخل نطاق الزمان

والمكان؛ أي أن الفعل يُنتج ما هو روحي.

٣٠ يناير.

انتزعوا اللبن كله من العمال وصنعوا الكعك وأحواض الاستحمام، ثم يريدون بعد ذلك بمساعدة العلم أن يحلوا مشكلة نقص الموارد التي تبقت للعمال! هذا هو هدف علوم الزراعة والصناعة والطب.

٢- ثمة جمر مشتعل متناثر في أنحاء العالم. الروح الإلهية هي ما تحييه بحسب القوة الحيوية المستعرة داخل كل قطعة جمر وعلاقتها بالقطع المتبقية. في هذا وحده هدف ومعنى حياة الإنسان.

٣١ يناير- الواحدة ظهراً.

١- من المفهوم أن يبدو ذلك الهدف التافه؛ إرضاء الغرائز ، كأنه الوحيد في فترات الشباب، ولكن استبدال هدف دنيء بهدف سام هو مصدر كافة بلايا الناس. إن كان هدفي هو الوصول إلى بئر مياه نقية والحفاظ عليه من أجلي ومن أجل بقية البشر والحيوانات، لن أضع أبداً إناءً قدراً أو قدميَّ أو ثيابي في البئر من أجل إرضاء شهوتي للشرب سريعاً.

٢- ليت هذه الجمرات المشتعلة تحاول الاستفادة من روح الله التي تهب حولها. ليت هذه الجمرات تنقل لبعضها وعيها بهذه الروح ودفع نار الحب المشتعلة فيها.

٣- على شفا الموت يتضح لك تماماً دون أدنى شك أنك غير قادر على الحياة بشكل آخر. يا للخير الذي يحققه المرض! إنه يشير لنا أحياناً

إلى حقيقة أنفسنا وإلى أهم عمل لدينا.

٣١ يناير - الثانية ظهرًا.

كثيرًا ما يُوصف البعض بأنهم أنانيون أو إيثاريون. هذا غير صحيح: كلتا السميتين موزعةٌ على الناس بنفس الدرجة. يُوجّه البخيل والفنان والسياسي إيثاره إلى اتجاه أناني الجوهر، وحينها يبدو لنا ذلك أنانية كاملة، بينما يقوم الأطباء والراهبات اللاتي كرّسن أنفسهن لخدمة المرضى بالعكس. ولكن يحدث أن يصطدم الإيثار والأنانية في أمر واحد، ويظهر ذلك جليًّا في محبة الأقرباء والأصدقاء الدنيوية، خاصة مع الأمهات.

١ فبراير - الثامنة والنصف مساءً.

كتب بيروكوف في رسالة أن الحب يستلزم منا أن نحاول السلوك بلطف مع الجميع. نعم، هذا صحيح. علينا أن نتعامل بلطف مع الطفل والشيخ والحوذي والسيد.

٢ فبراير.

النار تدفئ وتهدم في الآن ذاته. كذلك هو المرض. عندما يحاول أحد الأصحاء أن يعيش جيدًا، ويتحرر من العيوب والإغواءات، يبذل جهدًا كما لو أنه يحاول رفع وزن ثقيل من طرف بينما يضغط الجميع على الطرف الآخر. يرفع المرض كافة هذه الأوزان القذرة، فيصبح الأمر سهلًا على الفور، لذا من المخيف جدًّا - كما تعرف من واقع تجربتك - التفكير في أنه بمجرد زوال المرض يعود الضغط بشدة على الطرف الآخر مرة أخرى.

٥ فبراير.

١- يمكننا أن ننال أبعد وعي بحدودنا من حاسة البصر في المقام الأول، ثم السمع فالتشم، وبعدها يأتي دور التذوق واللمس. يتناقص وعينا بهذه الحدود تدريجيًا في البداية مع أبعد نقطة للرؤية، وحتى أقرب نقطة لللمس. يمثل القلب المرحلة الأخيرة من وعيك باستقلاليته وحدودك. وفي كل مرة ينقطع فيها وعيك بالحدود في صورة حرمان مادي ما يتسع مجال ما غير مادي. مع الانقطاع الأخير يصل هذا الاتساع إلى أقصاه؛ ألا وهو المجال الروحي.

٢- يرتكب أحدهم جريمة مريعة ويتعذب ويدرك أنه اقترف شرًا وأنه كان بإمكانه ألا يفعل ذلك، بينما يقوم آخر بفعل غير أخلاقي تافه ويبرر نفسه ويعيش بسرور وهدوء. تتسبب جريمة الأول في شر مادي وحسب، وكثيرًا ما تتحول إلى خير روحي لنفسه وللآخرين، أما سلوك الثاني ينتج بلايا لا تعد لنفسه؛ لأنه يفتح طريقًا لارتكاب أفعال سيئة في حق الآخرين بحرية تامة، كما يُنتج سلوكه بلايا لا تُحصى للآخرين أيضًا بعرض مثال حي أمامهم لإمكانية ارتكاب الشر والعيش بهدوء والشعور بالرضى.

٣- أي من هذه الواجبات هو الأكثر أهمية: واجب الجندي أم القيصر أم الإنسان؟ واجبات الجندي والقيصر هي واجبات أمام الناس، ويمكن التحرر منها، أما واجب الإنسان فهو أمام الله ويستحيل التحرر منه.

٤- فلتكن تلك الإرادة التي بموجب قانونها عرفت تلك الحياة وسأفارقها.

٥- بشأن الخطاب^(٣٢٩): بالتالي توصلت إلى عدم إمكانية تنفيذ هذه الفكرة، في حين أن تنفيذ فكرة تحرير الأرض من حق الملكية أسهل بدرجة لا تُقارن من استعادة فكرة الأوتوقراطية البالية. تعمل الحكومة الآن دون أن تسترشد بأي هدف سامٍ. إنها تمثل فكرة الاستبداد من أجل الاستبداد.

فبراير (٣٣٠).

١- «إما أن نتحدث بالخير عن الموتى، أو تصمت». يالها من حكمة وثنية مزيفة! ينطبق ذلك على الأحياء، وإن فعل الناس ذلك فعلاً، يالحجم المعاناة التي سيتخلصون منها! في الآن ذاته هو أمر شديد السهولة. لكن لماذا لا نتحدث بالسوء عن الموتى؟ في عالمنا تأسست قاعدة مناقضة لذلك: لا يُكّال المديح المبالغ فيه بفضاعة إلا في حق الموتى، وبالتالي لا ينطقون إلا بالكاذب. يجلب ذلك ضرراً رهيباً على الناس من شأنه أن يزيل الفوارق بين مفهومي: الخير - الشر.

٢- من الضروري أن يعاني المرء من مرض صعب؛ ليتأكد من حقيقة الحياة الآتية: كلما وهن الجسد ازداد النشاط الروحي قوة.

٣- إن كانت هذه الحياة خيراً، فكل حياة أخرى هي كذلك،

(٣٢٩) انشغل تولستوي في تلك الفترة بكتابة خطاب إلى الأمير نيكولاي يميخايلوفيتش يجيب فيه عن اعتراضات الأخير على مشروع قانون الضريبة الواحدة لهنري جورج.

(٣٣٠) لم يحدد يوماً معيناً من الشهر.

والعكس صحيح. لذا علينا أن نتمكن من رؤية خير هذه الحياة وحسب حتى لا نخشى الموت.

٢١ فبراير.

١- لم نكن محقين - أنا وريسكين - حين اعتقدنا أن الشر الرئيس الذي ينتج عن التنظيم الاجتماعي هو تدمير حياة الناس؛ بل هو تدمير الحب والتفريق بين الناس.

٢- الموت الهادئ تحت تأثير الطقوس الكنسية يشبه الموت تحت تأثير المورفين.

٨ مارس.

١- بيلينسكي في غياب الدين في الطابق السفلي، أما جوجول فهو في القمة (٣٣١).

٢- الإنسان المادي هو كيان فاسد سأم.

٣- «وَلَكثَرَةُ الْإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةَ الْكَثِيرِينَ». (متى ٢٤: ١٢) هذه هي آخر وأسوأ الكوارث، وقد حدثت بالفعل.

مارس (٣٣٢).

لدينا طريقتان: الحضارة وإنكار الحياة. لا هذا ولا ذاك، بل هو إنكار

(٣٣١) بمناسبة إحياء الذكرى الخمسين لجوجول، والإشارة إلى الخطاب الشهير للناقد بيلينسكي لجوجول حيث هاجم الأول الثاني بشدة على كتابه (مراسلات مع الأصدقاء) ونزعته الدينية الرجعية.

(٣٣٢) لم يذكر يومًا محددًا.

الذات؛ أي الحب، والهدف المنشود هو السعادة.

يقول بولسن^(٣٣٣): «لا بد ألا نتخذ من نيتشه أو شوبنهاور^(٣٣٤) معلماً، بل المسيح». ولكن لماذا؟ لم يوضح.

٢- كتب فيرسايف (كاتب وطبيب روسي): بعد خدمة الناس بحيوية يأتي دور خيبة الأمل والتسويات. يتساءل: لماذا؟ السبب هو أن ذلك قد حدث بالإيحاء، رغبة في نيل مديح الناس لا من أجل إقامة علاقة باللائهائي.

٣- مهم جداً: عليّ أن أكتب عن أن المسيحية ليست إنكاراً للحياة ولا تسمح بإقامة الطوائف الدينية، بل هي تعليم يضبط الحياة، يسمح بشيء ويعارض آخر.

٢١ مارس.

ما يراه الشخص غير المتدين يراه المتدين أيضاً، أما ما يراه المتدين فلا يمكن لغير المتدين أن يراه.

في انتظار العمل على الآتي: معنى المسيحية الحقيقي - إلى رجال الكنيسة - إلى الشباب.

١- إلى الشباب: الاستغراق في الحاضر مع الاستخفاف بالماضي هو كزراع أشجار دون جذور.

(٣٣٣) لويس بولسن: لاعب شطرنج ألماني. اعتُبر بولسن أحد أقوى خمسة لاعبين في الشطرنج في الفترة ١٨٦٠ و ١٨٧٠، وهو الأخ الأصغر للاعب ويلفرد بولسن.
(٣٣٤) الإشارة إلى أن نيتشه يمثل الحضارة، وشوبنهاور إنكار الحياة.

٢- يمكنني أن أتذكر ثلاث فلسفات عصرية؛ فلسفة: هيجل- داروين- وفلسفة نيتشه الآن. حاول الأول تبرير كل شيء موجود، وحاول الثاني أن يضع الإنسان في نفس مرتبة الحيوان ويُبرّر الصراع؛ أي الشر داخل الإنسان، بينما يجادل الثالث أن ما يقاوم الشر داخل الطبيعة البشرية هو أمر خاطئ قد نتج عن التربية الزائفة. لا أعرف إلى أين يمكن للأمر أن يمضي أبعد من ذلك.

٣- يقولون: عودوا للكنيسة. لكني رأيت في الكنيسة خداعًا وقبحًا واضحًا ومضرًا. «تعالوا واشتروا الدقيق منا». لكني أعرف أن دقيقك مضر فهو مخلوط بالجير.

٤- يبدو وضع البشر الذين لم يسموا بعد إلى مستوى الوعي الديني عسيرًا جدًّا حقًّا حينما يراقبون مَنْ ارتقوا إلى مستوى الوعي الديني. يكتنفهم ذلك الارتباك الذي لا بد أن يكتنف أي شخص يعيش حياة حيوانية وحسب عندما يرى تصرفات مَنْ يعيشون حياة عقلية. الغداء مُعدُّ، لكنه لا يتناول الطعام ويقرأ شيئًا ما أو يكتب. حياته عذبة لكنه قلق... إلخ.

٥- إلى الشباب: ادرسوا الديانات القديمة، لا كما فعل ليتورنو (٣٣٥) بدراسة مواد محدودة مختلفة حتى وصل إلى أنها محض حماقات أقر بها الناس قديمًا؛ غير الأذكياء بالطبع لا نحن، بل ادرسوا الديانات القديمة لتروا الأفكار الإيمانية العميقة التي عاش بها الأقدمون.

(٣٣٥) تشارلز جين ماري ليتورنو: عالم أنثروبولوجي فرنسي في القرن التاسع عشر.

٦- إلى رجال الكنيسة: أفيقوا من هذا التنويم! اسألوا أنفسكم سؤالاً: ماذا كنتم ستعتقدون إن ولدتُم في كنف ديانة أخرى؟ اتقوا الله الذي أعطاكم العقل من أجل كشف الحقيقة لا إحاطتها بالضباب.

٧- سأخرج من هذه الحياة بحسب إرادة مَنْ أرسلني إليها، وسأسلمها بهدوء، عالمًا أنها مصدر للخير الأسمى.

٨- أيًا كانت الحياة التي تعيشها فهي خير لن ترى أفضل منه. إن قلنا أن الحياة شر، فنحن نقارنها بحياة أخرى متخيلة أفضل منها. قد يكون ثمة شر في الحياة، لكن الحياة نفسها لا يمكنها أن تكون شرًا. لا يمكن أن يتواجد الخير إلا في الحياة، وبالتالي لا يمكننا أن نقول إن غياب الحياة قد يكون خيرًا. لا وجود للصحة إلا في الجسد، لذا لا يمكننا أن نقول إن غياب الجسد هو الصحة.

٣٠ مارس.

لا يمكننا أن نعرف الله كشخص. إننا لا نعرف سوى قانونه وإرادته كما يعبر عنهما الإنجيل. يجعلنا وجود القانون نميل إلى استنتاج وجود مُشرّع ونصوره في صورة شخصية مجسمة لها إرادة. الأمر المؤكد هو وجود قانون؛ أي إرادة نحن مدعوون إلى الخضوع لها، ولا يمكننا الخروج عن نطاقها، ولا يمكننا أن نعيش أو نموت إلا داخل نطاقها. يمكننا بالعيش أن نشارك في تحقيق هذا القانون في هذه الحياة، ويمكن لمشاركتنا أن تنتهي بالموت، فلم يتعين لنا عمل جديد بعد، كعامل دون محل عمل.

مارس أو إبريل.

١ - ثمة نوعان من الحب: غير واعٍ أي قلبي، وواعٍ أي عقلي. هدف الحياة هو أن نحول هذا الحب اللا واعي إلى واعٍ.

٢ - تشكل الحياة أساس كل شيء. كانت وتكون وستكون. نحن نعرفها هنا في صورة الانفصال عن العالم كله. يمنحنا هذا الانفصال مفهومي المكان والزمان الضروريين لنا. لكن ليس بإمكان الزمان والمكان أن يفسرا الحياة، فكل ما فيهما متوهم. لسنا في حاجة إلى تصور الزمان والمكان إلا من أجل إرشاد الأنا ككيان مستقل في هذا العالم، لكنهما لا يُساعداننا في إدراك ما هو موجود. ليس ذلك وحسب، بل إنهما يشكلان العائق الرئيس أمام توجه الجميع إلى اللا نهائية.

١٠ إبريل.

١ - السؤال الذي يطرح نفسه أمامنا هو: هل ستتخبط حياتي المنفصلة بتيار الحياة اللا نهائية أم ستكتسب شكلاً مستقلاً آخر؟ في الحالة الأولى سيكون نعيمًا لا يمكن تصوره، وهذه هي فكرة النيرفانا والحياة في الله بشكل مباشر. أما الحالة الثانية فهي استمرار للحياة في شكل جديد مشروط، وهذه فكرة الكارما التي تحدد شكل الحياة الآتي. ليس هناك إذن أساس للتساؤل أو الخوف من فقدان الوعي بالأنا في الحالتين، لكن الحالة الأولى غير محتملة. ليس لدينا الحق في افتراض إمكانية الحياة خارج إطار الانفصال؛ لأننا لا نعرف شيئاً كذلك. بالتالي تبقى أمامنا الاحتمالية الثانية: شكل جديد من الحياة. ولكن ليس لدينا

الحق كذلك في افتراض شكل جديد من الحياة مع بقاء الوعي بالأنا السالفة، فقد بدأنا هذه الحياة الحالية دون وعي بأنا سالفة. ولكن الوعي بالأنا المستقلة يعتمد على مفهومي الزمان والمكان، والانتقال من إطار للحياة إلى إطار آخر يتم خارج نطاق الزمان والمكان.

نستيقظ على وعي جديد (انفصال جديد) لا نعرف كُنْهَهُ. نتواجد خارج الزمن في هذا الشكل وذاك وآلاف غيرهم: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». (يوحنا ٨: ٥٨).

٢- علينا بالإيمان حتى لا نخشى من الهلاك بالموت في كل موقف.

غير واضح!

٣- إلى الشعب العامل^(٣٣٦): ليس لديكم الحق في المطالبة بيوم عمل يستمر ثماني ساعات، ولكن لديكم الحق الكامل، بل إنه حتى واجب عليكم تجاه أطفالكم، أن تطالبوا بالأرض التي تعيلكم.

٤- لا نعرف من الحيوانات سوى تلك التي نعيشها، لذا نحن جميعاً هنا نفهم داخل إطار الزمان والمكان، ولكن ثمة حياة أخرى كانت - أو بالأحرى لا تزال - خارج إطار الزمان والمكان. لذا لا يمكننا أن نتصور الانتقال إلى حياة أخرى أو مفارقة تلك الحياة. يتوجب علينا أن نتصورها داخل إطار الزمان والمكان، بينما هي خارج هذا الإطار.

٥- أليست كافة أنواع المتع هي ذكرى؟ إنها ذكريات تبهجنا.

٦- يقولون: «تخلص من هذا النظام القائم وسيزول كل شيء». هذا

(٣٣٦) مقالة كتبها بسبب اضطرابات العمال بروسيا ومطالباتهم ببعض الإصلاحات.

القول يماثل القول: «سيدوب النهر المتجمد وسيزول كل شيء». لا، لن يحدث ذلك، فالسفن سوف تتقدم فيه وحينها ستبدأ حياة حقيقية.

مايو.

٧- ما الأفضل: أن تربطك علاقة مزيفة بالعالم أم بالله؟ عليك أن تربي أطفالك على اتساق مع الله قبل أن تربيههم على الاتساق مع مبادئ الكنيسة.

٨- الإنسان: كيان روحي منفصل. لا بد أن يظهر هذا الكيان الروحي في صورة مادية حتى يكون منفصلاً، فلا يمكن قسمة إلا ما هو مادي. الانفصال هو شرط ضروري للحركة (الحياة) والعمل. حياة الناس، وبشكل عام كافة الكائنات المنفصلة تبدو كما لو أنها أنفاس الإلهية. نحن أعضاء في كيان الله.

٩- بتدميرك لبعض الحدود يمكنك الانضمام لحدود أخرى. ستظن أنه لا وجود للمادة والحياة حتى تنطوي تحت مجال حدود جديدة. يستمر ذلك لفترة محدودة؛ حتى تصطدم بحدود جديدة.

١٠- لا يمكن للإنسان أن يزول عندما يدرك كيانه الروحي. كيف ذلك؟ لم نوهب معرفة ذلك. ما إن يدرك الإنسان - أو أي كائن - حتمية هلاك هذا الشكل من الحياة التي يعيشها حتى يجد نفسه مُساقاً حتماً إلى الوعي بعدم إمكانية زوال جوهر حياته.

١١- كلما ازدادت فقراً - كالمشردين وغيرهم - وتعرضت لمزيد من الازدراء ازدادت حرية، والعكس صحيح. كلما ازدادت ثراءً ومكانة

- كالقيصر مثلاً - ازدادت عبوديتك.

١٢ - إن كان الإنسان متدينًا؛ أي واعيًا بضرورة تأسيس علاقة بينه كجزء محدود وبين الكيان الكلي، سيستحيل عليه أن يتدبر أمره دون الله. اعتراف المرء بأنه جزء من الكيان الكلي موجود داخل نطاق الزمان والمكان يعني اعترافه بأنه جزء من كيان لا نهائي، أي أنه جزء من جزء، وبالتالي لا تربطه علاقة بالكيان الكلي. لتأسيس تلك العلاقة يلزمه أن يجد شيئًا كاملاً، ولا يمكن لشيء أن يكون كاملاً إلا إن كان روحياً. هذا الكيان الروحي موجود خارج نطاق الزمان والمكان؛ إنه الله الذي ندركه في أنفسنا بتجلٍّ محدود.

١٣ - مثلما تستحيل إقامة علاقة دائمة بمجموعة من الأعداد : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... ∞ ، تستحيل كذلك إقامة علاقة دائمة بما هو مادي؛ أي بالعالم الزماني والمكاني. لتأسيس تلك العلاقة يلزمنا أن نجد شيئاً لا يزيد ولا ينقص، بل مساوٍ لذاته دائماً. لا وجود لذلك إلا في الكيان الروحي الذي أشعر به وأعتبر نفسي جزءاً منه وتجلياً له.

١٤ - في السابق كان غير المتدينين بمثابة أعداء للمجتمع، لكنهم الآن أصبحوا قاداته.

١٥ - ما يكفل أمان المجتمع هو مدى أخلاقية أعضائه. تتأسس هذه النزعة الأخلاقية على الدين. أرادت الحكومة والطبقات الحاكمة أن تبرر موقفها من الدين، لذا شوّهته. ما إن تشوه الدين وانحدرت الأخلاق حتى تحطم أمان المجتمع، وتزايد ذلك تدريجياً بحيث اضطرت الحكومة والطبقات الحاكمة إلى المزيد من تشويه الدين واستخدام العنف من

أجل حفظ أمن بعض أفراد المجتمع بما فيهم هم أنفسهم بالطبع. هذا ما فعلته حكومتنا المسيحية، ولا تزال، ويزداد الموقف سوءاً أكثر فأكثر. يبدو الوضع حالياً بالنسبة للحكومة بلا مخرج.

٢٢ مايو.

برأت من التيفوس^(٣٣٧)، لكنني مستلقٍ طوال الوقت. في انتظار مرضي الثالث، ومن ثم أموت. أنا في حالة مزاجية سيئة جداً. لديّ ما أريد تدوينه، لكنني أهمله. أصلي الآن، وكعادتها تجديني الصلاة نفعاً.

٢٤ مايو.

شعرت بالأمس بالضعف الشديد. تحسنت حالتي اليوم. كتبت قليلاً في مقالتي «إلى الطبقة العاملة». بدأت المقالة في التشكل. أريد أن أخرج في الهواء الطلق وأشعر بالرياح الباردة. أشعر بالخزي؛ لأنني حدثت تانيا بفضاظة حينما نصحتني بعدم الخروج. انتقلت إلى الجلوس على المقعد. أشعر كأني بلا ساقين.

٢٧ مايو (٢٥ - ٢٧).

منذ ثلاثة أيام بدأ خروجي من المنزل. في البداية كنت أقضي من ٤ - ٥ ساعات، والآن أقضي ٦ ساعات بالخارج. أتعافى تدريجياً. كانت هذه هي آلام الموت؛ أي آلام الولادة الجديدة، ثم وُهِبَت فترة راحة. واصلتني اليوم الأخبار السيئة المتعلقة بالقبض على سولر. جاءني بائع

(٣٣٧) بعد أن تعافى من ذبحة صدرية كادت أن تقتله أصيب بالتيفوس.

متجول فارسي، وهو إنسان مثقف تمامًا، ويقول إنه من أتباع البابية^(٣٣٨). الساعة الآن السابعة. أعمل قليلاً على «إلى الشعب العامل». لا بأس بها.

٢٨ مايو.

لا أزال أقضي وقتاً خارج المنزل وأعمل. أنهيت مقالتي «إلى الطبقة العاملة». لا بأس بها. أتعافى بمرور الوقت، لكنني أظن أن هذا لن يستمر طويلاً. لدي الكثير مما أريد نقله من دفتر أفكاري، لكنني سأكتفي الآن بتدوين فكرتين لم أدونهما:

١ - فكرة أن الحياة تتمثل في زيادة الحب هي فكرة سليمة تمامًا، لكن إن تحدثنا عن ذلك وحسب، دون أن نفكر في ما إن كان هذا النشاط يفيد؛ أي يزيد الحب أم لا، سيتوجب علينا حينها أن نعيش بإيماننا بالله وقانونه وحسب. هذا أمر ممكن، لكن بالنسبة لي غير ممكن بعد.

٢ - نسيت الفكرة الثانية.

١ يوليو - ياسنايا بوليانا.

رحلت من جاسبارا منذ ثلاثة أيام. كان السفر مرهقاً جسدياً. تعافيت، لكنني بالأمس شعرت بالضعف ثانية، واكتفتني الحمى. لست مستاءً. أعد نفسي، أو بالأحرى أحاول فعل ذلك في الفترة الأخيرة وأقضي أوقاتي

(٣٣٨) الدعوة البابية: دعوة ظهرت على يد علي محمد بن محمد رضا الشيرازي الملقب بـ«الباب»، حيث إن لقب الباب يعني في المعتقدات الشيعية الوسيط بين الله، أو الولي المقدس من نبي أو إمام وبين العبد. اهتم تولستوي ببعض المعتقدات الفارسية مثل البابية خاصة في دعوتها إلى مساواة وحب المرء لقريبه.

على نحو أفضل. أنهيت تصحيح «إلى الشعب العامل» كاملاً.

١ - بغض النظر عن مدى صعوبة إخفاء ضرورة فعل الخير، يحقق الناس ذلك بطرق ملتفة ومختلفة وبأساليب ماهرة. لكن الخير يمكنه أن يتخلص مما يحجبه في أي لحظة ويكشف عن نفسه للناس. لقد ابتكروا وسيلة لتحقيق ذلك، ووضعوا حجاباً يخفي الخير، كحجر لا يمكن رفعه. يتمثل هذا الحجر في السخرية التي يبيدها الرأي العام من فعل الخير الحقيقي. تنظيم حفل راقص أو معرض لأهداف خيرية أمر ممكن بالنسبة لهم، ولكن مساعدة الفقير مباشرة بأبسط الوسائل تعتبر بالنسبة لهم أمراً مثيراً للسخرية.

٢ - كما قرأت سابقاً لأحد أساتذة الرياضيات الألمان قولاً مفاده أن الطريق ليس الحقيقة، بل هو عملة الكشف عنها، كذلك يمكنني أن أقول إن الطريق ليس درجة من درجات الكمال الأخلاقي، بل هو عملية السعي صوب الكمال.

٣ - نحن أعضاء الله. نعرف ماذا علينا أن نفعل، لكننا لن نوهب أبداً معرفة الهدف من ذلك. في ذلك نجد دور التواضع والإيمان.

٤ - ثمة إجابة واحدة على سؤال: «ما الهدف من ذلك؟»؛ ألا وهي أن ذلك أحد شروط انفصالنا ودلالة على ضعفنا. لا يمكن طرح مثل هذا السؤال على الله، فالسؤال عن الهدف يقتصر علينا وحسب، نحن الكائنات المنفصلة الجزئية التي تدرك على نحو باهت أن حياتها ليست إلا خدمة. لذا يتبادر إلى أذهاننا مع كل تصرف هذا السؤال: هل أقوم حقاً بما هو مطلوب مني فعله؟ يشير الهدف إلى عدم كمال الإنسان واضطرار

العقل إلى العمل داخل نطاق الزمان والمكان.

٥- الإنسان (الأنا) هو كيان مستقل عن الجميع، وهو خاضع للتغيير حيث تتسع حدود كيانه الروحي. في البداية تكون عملية التوسيع معادلة للحدود، بعد ذلك تتباطأ الحدود وتستمر عملية التوسيع بغض النظر عنها وتوسعها.

عبّرت عن الفكرة بشكل سيئ وغير واضح.

٦- يدرك الإنسان حدود كيانه المنفصل؛ أي أنه، بالمادة في تماسها مع بقية الكائنات. أما التغييرات التي تحدث في الكائن نفسه، يمكنه أن يدركها في تماسها مع التغييرات التي تحدث في بقية الكائنات.

٧- في البداية تتغير حياة الكائن الروحي وتتوسع، وكذلك تفعل حدوده. في منتصف الحياة يستمر الكائن الروحي في التوسع، لكن الحدود تتوقف عن ذلك. في نهاية الحياة يواصل الكائن الروحي توسعه ويدمر هذه الحدود، ويصل هذا التوسع إلى حد تدمير الحدود نهائيًا؛ أي الموت. في دفتر أفكاري وصفت ما كتبه بأنه جيد، لكنه ليس كذلك، لأنني لم أوضح طبيعة عملية توسيع الحدود بالضبط.

٨- كان مرضي الأخير قويًا؛ إنها آلام الولادة الجديدة. لكنني وُهبّت الآن فترة راحة حتى أتمكن من استجماع شتات قواي من أجل الخطوة القادمة بحيث أتصرف بفعالية.

٩- كثيرًا ما لا نُقدّر الأفعال الصالحة للأشخاص الذين لا يعاملوننا بلطف، لهذا السبب تحديدًا. هذا خطأ كبير. علينا أن نفعل العكس حتى

نستشير بداخلنا الحب في الموضوع الغائب فيه.

١٠ - لا تقل إنك ستكون وحيداً إن قمت بعمل صالح لا يعرفه الجميع. أنت في حاجة للكثيرين عندما تقوم بعمل شرير، ولكن القيام بعمل الله لا يستلزم منك سواك؛ لأن الله معك. إن كان الله معك فهذا يعني أنك لن تبقى وحيداً، بل في صحبة الكيان الكلي.

٤ يوليو.

يبدو أنني انتهيت من «إلى الشعب العامل». حالتي الصحية لا بأس بها. كنت سأنقل الآن بعضاً مما دونته في دفتر أفكاري ثم خطرت على ذهني فكرة: إن انفصالنا ليس انفصلاً كيانياً. نعيش في الكيان الكلي، كالله، لكن مصباح وعينا لا يضيء لنا سوى جزء صغير من هذا الكيان الكلي، ومن الولادة حتى الموت ينتقل هذا المصباح من مكان لآخر. ليست الحياة إلا ضوءاً جديداً.

غير واضح!

٥ أغسطس.

لم أتوقع أبداً أنني سأكف عن كتابة يومياتي طوال هذه الفترة. في ٢٢ يوليو أرسلت مقالة «إلى الشعب العامل»، ومنذ ذلك الوقت انخرطت في الكتابة في (الحاج مراد)، تارة برغبة كبيرة وتارة من دون رغبة وبشعور بالخجل. في هذه الفترة جاءني بعض الزوار، لكنني لا أتذكرهم تحديداً. هذا يومي الرابع الذي لا أكتب فيه شيئاً. لم أستطع استجماع أفكاري عن (الحاج مراد). لكن يبدو أنها قد انجلت لي لتوها. حالتي الصحية جيدة

بشكل عام، لكن حالة معدتي سيئة.

١ - أمر مدهش: أعرف جيدًا كم أنا سيئ وأحمق بينما يعتبرونني عبقرًا. إن كنت كما يقولون، تُرى كيف حال بقية الناس إذن؟

٢ - الحياة حركة، والحركة غير ممكنة إلا في وجود فكرة التقييد أو الحصر. لذا لا يمكننا أن نعزو مفهوم الحياة إلى الله.

٣ - البعض ينقلون متاعهم في العربة، والبعض الآخر يستقلون العربة نفسها. يتمنى أفراد الفريق الأول لو أصبحوا من الفريق الثاني؛ وبالفعل يتسلل القطاع الأكبر منهم بين أفراد الفريق الثاني. أما إن لم يتمكنوا من تحقيق ذلك فسيجدون أنفسهم في منتصف الطريق؛ لا هم نقلوا متاعهم ولا استطاعوا ركوب العربة.

٤ - نجد في الموسيقى بعض عناصر الضوضاء والتباين والسرعة، وهي جميعها تؤثر مباشرة على الأعصاب لا الشعور. كلما ازداد قدر هذا العنصر ساءت الموسيقى. هكذا هو الأمر أيضًا في بقية الفنون: في الشُّعر نجد ذلك في طريقة الإلقاء، وفي الرسم نجد ذلك في مدى سطوع الألوان.

٥ - من أجل أن ترتبط بعلاقة وثيقة بالله يلزمك أن تقوم بأعمال جيدة وطيبة تتطلب منك بذل الجهد ولا يعلم أحد عنها شيئًا. الله غيور ويحب السرية. لن تعلم أنك تؤمن بالله فعلاً إلا إن فعلت ذلك عن طيب خاطر.

٦ - مَنْ يقولون: «لا نعرف ما الذي سوف يحدث هناك» هم على حق تمامًا. ما دمنال لم نذهب إلى هناك يستحيل أن نعرف ما الذي سيحدث

هناك. تتأسس الإجابة عن هذا السؤال - أي عن الزمان والمكان - على الإجابة عن سؤال آخر؛ ألا وهو: من أنا؟

إن كانت الأنا هي الحب، من الواضح إذن أننا لن نسأل لا عن هناك ولا عما سوف يحدث (المكان - الزمان).

٨ أغسطس - ليلاً.

يوم صعب للغاية. آلام بالكبد ولا يمكنني التغلب على حالتي السيئة. أكتب في (الحاج مراد) وأشعر بالخزي طوال الوقت. يؤلمني منشور الكاهن^(٣٣٩). لماذا يكرهونني؟ يجب أن أكتب لهم بمحبة. عونك يا إلهي!

ماشينكا هنا وكذلك ليزا (شقيقته وابنتها). وصلتني خطابات من سيريوجا.

٢٠ سبتمبر.

لم أدون يومياتي منذ شهر ونصف. أكتب طوال الوقت في (الحاج مراد). حالتي الصحية تتحسن، كما يمكنني أن أشعر بالرضى عن حالتي الروحية. ليست لدي أي مشاعر سيئة تجاه أحد. أفكر كثيراً. عليّ أن أدون الكثير من الأفكار.

١ - إن كان رجال السلطة قادرين على شراء ذمم رجال الكنيسة لتبرير مواقفهم، فلماذا لا يستطيعون فعل ذلك مع رجال العلم؟

(٣٣٩) ربما يشير إلى منشور إ. سولوفيف، الكاهن من موسكو الذي يهاجم فيه تولستوي ويؤيد قرار الكنيسة بحرمائه.

٢- من المستحيل أن يجبر المرء نفسه على الحب، ولكن بإمكاننا أن ننحي عنا العواقب التي تحول بيننا وبينه.

٣- لا أعرف حياة أخرى سوى تلك الحياة المحدودة التي أنا فيها بمثابة جزء مستقل عن الكيان الكلي. كانت الحياة على هذا الوضع وستستمر. لا يمكنني تصور حياة كائن منفصل على نحو آخر خارج حدود الزمان والمكان، لكن هذا لا يعني أنه لا يمكن أن تكون هناك حياة كائن منفصل خارج حدود الزمان والمكان.

٤- لا يمكنني أن أرى الحياة إلا في صورة حركة داخل نطاق الزمان ومادة داخل نطاق المكان.

٥- لا تسقط أوراق الشجر في الخريف بفعل الصقيع أو الجفاف، بل لأنها أدت مهمتها. هكذا الأمر مع كل كائن حي، وكذلك مع الإنسان.

٦- رغبة المرء في الاحتفاظ بشخصيته عند الموت تعني رغبته في حرمان نفسه من إمكانية أن يحظى بحياة جديدة يافعة. حكى لي طبيب نفساني أنه ذات مرة اصطحب مرضاه إلى الشارع بالخارج. استولى الخوف على المرضى من هذه الحرية الجديدة والحياة الكبيرة والتصقوا بالطبيب يطلبون منه العودة. هذا ما يحدث أيضًا مع المساجين حينما يُطلق سراحهم للمرة الأولى فيشتاقون إلى السجن. أليس الأمر ذاته مع الخوف من الموت؟

٧- كنت أفكر في لا أخلاقية الطب. كل شيء فيه لا أخلاقي، بدءًا من الخوف من المرض والموت الذي يدفعنا لنيل الخدمة الطبية، وصولاً إلى الخدمة الحصرية التي ينالها الأغنياء وحدهم من الأطباء. من

غير الأخلاقي أن تتمتع بوسائل راحة ومرتبة استثنائية، أما قمة اللا أخلاقية فهي المتمتع بإمكانية استثنائية لحماية حياته. من غير الأخلاقي أن يُخفي الطبيب عن المريض خطورة وضعه واقترب موته. كذلك هي نصائح الأطباء ومطالباتهم للمرضى بالعناية بأنفسهم ووظائفهم الجسدية؛ أي أن يعيشوا بأقل قدر من الروحانية ويكتفوا بالجانب الجسدي وحسب، فلا يتوجب عليه حينها أن يفكر أو يضطرب أو يعمل.

٨- يرى الاشتراكيون في الاتحادات والنقابات تحققاً للفكرة الاشتراكية، أو على الأقل حركة في هذا الاتجاه؛ أي أن يعمل الناس على نحو جماعي لا فردي. لكنهم لا يعملون معاً إلا بالقوة. ما الدليل على أنهم سوف يعملون معاً أيضاً إن تمتعوا بالحرية، وما الذي يضمن انتقال النقابات والاتحادات إلى أيدي العمال؟ الأوقع هو أن هذه النقابات والاتحادات سوف تنتج عبودية، وأن العمال في نضالهم من أجل التحرر سوف يدمرون هذه النقابات والاتحادات التي لم يُكوّنوها من الأساس.

٩- إن تنويم التقليد (العرف)؛ أي الإيحاء للناس بتكرار ما فعله أسلافهم هو العائق الرئيس الذي يقف في طريق تقدم الإنسانية وتحررها.

١٠- تشبه عملية شفائي محاولة جذب مركبة من مستنقع علقت فيه، لا إلى الاتجاه الذي يجب أن تمضي فيه، بل إلى الاتجاه الآخر. لا يمكن للمركبة أن تتحرك في هذا المستنقع.

٢١ سبتمبر.

أواصل تدوين أفكارى:

١١- كل هذه الحماقات والمتناقضات التي يملؤون بها أدمغة الأطفال بقوة الإيحاء تُعوّدهم على قبولها في أي وقت، ليس ذلك وحسب؛ بل تحول دون عمل العقل. يماثل ذلك أن تدفع صندوق حبوب ضخم إلى أحد التجاويف، ثم يزحف إليه فأر ويقرضه، فتنسكب الحبوب وتملأ التجويف بأكمله.

١٢- إن كان المَثَل هو الخير المادي، لن تكون هناك أي ضرورة إدّن لأي فضيلة. لا يقتصر الأمر على أن كل فضيلة لا تتسق مع الخير المادي، بل تناقضه دائماً. لذا ما دام الخير المادي هو المثل المنشود، يصبح كل حديث عن الأخلاق محض كذب، وكل فعل أخلاقي بمثابة انحراف عن المثل المنشود.

١٣- ثمة عاطفة شديدة في الضغينة والحقد وإلقاء الذنب على عاتق الآخر الذي لا نشعر باللطف صوبه. لذا علينا بضبط النفس؛ كي لا نشير بداخلنا هذه الكراهية أو نلجأ إلى عش الضغينة.

١٤- أليست الذكرى وعياً، أو بالأحرى الوعي هو نوع من الذكرى؟ الذكرى هي وعي داخل نطاق الزمان والمكان؛ أي أنها وعي مخضب بظواهر المادة والمكان يُستعلن داخل إطار الزمن. الوعي هو ذكرى لحياتنا السابقة مشذبة من كافة ظواهر المكان والزمان. لا يمكن أن تكون لنا ذكرى دون وعي، فالمرء لا يتذكر سوى ما عايشه وعيه.

تفسير غير واضح. سأستكمل فيما بعد.

١٥- يدرك الإنسان في داخله كياناً حيوانياً وآخر روحياً، وهذان الوعيان أو القطبان هما ما ينظمان حياة الإنسان، بحيث لا يمكنه أبداً أن

يكون سعيداً أو تعيشاً تماماً، والأهم أنه لن يكون ممكناً أن يكون هناك مَنْ هو أكثر سعادة أو تعاسة من الآخر. كلما زادت المعاناة ذبل الجانب الحيواني وازداد تحرر ورضى الجانب الروحاني في الإنسان، وكلما ازداد إرضاء الجانب الحيواني، زادت معاناة الجانب الروحاني واشتد ذبوله.

٢٣ سبتمبر.

انشغلت طوال الوقت في مراجعة (الحاج مراد). صباح اليوم كتبت قليلاً في مقالة «إلى رجال الكنيسة». فكرت على نحو جيد. الفكرة الأخيرة (رقم ١٥) ليست جيدة.

في هذا الصباح فكّرت في كتابة مقالة عن إساءة فهم المسيحية والنزعة اللا دينية، وقلت في نفسي إنها يجب أن تسبق مقالتي «إلى رجال الدين». يجب أن يكون العنوان كالآتي «السبب الرئيس لشر وبلايا زماننا». فكّرت في الآتي:

١- ارتدت الكنيسة قناع المسيحية التي تعدّ الناس بالخير حتى يمكنها أن تخترق قلوب الناس وتسيطر عليهم بمسيحية غريبة متنكرة لا تتفق مع الحقيقة. في البداية استسلم الناس لها، ثم فهموا بعد ذلك أنهم قد خُدعوا وتم دفعهم بخبث إلى مسيحية زائفة. تكشف المسيحية عن نفسها تدريجياً وتفضح ذلك الزيف، لكن أولئك المخدعين يتذكرون كل ذلك الشر الذي لحق بهم من جراء المسيحية الزائفة، وبالتالي يواصلون الهجوم على المسيحية وسبها.

٢- يُقال إن المسيحية تعلمنا الضعف. يا لجمال هذا التعليم الذي

مات مؤسسه على الصليب دون أن يخون نفسه، والذي استشهد من أجله الملايين، وهم وحدهم من استطاعوا مواجهة الشر ومناهضته! أما اليهود الذين أعدموا المسيح والقائمون على السلطة الآن يدركون جيداً جوهر هذه المسيحية التي يقولون إنها تعلمنا الضعف، ويخشونها أكثر من كافة الثوار. يدركون بغريزتهم أن هذا التعليم له جذور قوية ويمكنه فعلاً أن يدمر كل هذا النظام الذي يتمسكون به. اتهام المسيحية بالضعف يماثل اتهام جيش في الحرب بالضعف؛ لأنه قواته لم تتقدم لمواجهة الأعداء بقبضات أيديهم العارية، بل انخرطت في تجهيز بطاريات المدفعية الخاصة بها تحت نيران العدو دون أن تجيب على نيران العدو، وتمكنت فعلاً من نصب المدافع التي ستقضي على العدو لا محالة.

٣- يبدو لي أن أكثر ما يثير الاهتمام في زماننا هي تلك المعركة الرئيسة المصيرية بين الحياة والموت؛ بين نوعين من الإيحاء والتنويم: الإيحاء والتنويم المادي (الكنسي والقومي والعسكري) والإيحاء الروحي والعقلي المتمثل في الكلمة المطبوعة. يدرك أعداء الكنيسة والدولة أن قوتهم كامنة في الكلمة والنشر وتطوير عقول الجماهير بطريقة عادية.

٢٦ سبتمبر.

حالي الصحية جيدة. فارقت العمل على (الحاج مراد)، وليست لديَّ رغبة في إكمال مقالة «إلى رجال الكنيسة»، وأشعر كما لو أنني أريد أن أكتب عملاً فنياً. كتبت خطاباً لشميت وسأرسل له مالاَ كذلك، كما

كتبت لشاب تم استدعائه للخدمة العسكرية (٣٤٠).

في هذه الفترة فكرت على نحو جيد، لكنني نسيت بعض الأفكار.

- ١- تصورت بحيوية شديدة الحياة الداخلية لإنسان فرد مستقل. كيف يمكن للمرء أن يصف كل «أنا» منفصلة؟ يبدو أن ذلك ممكن. ثم فكرت في أن ذلك تحديدًا هو ما يشكل اهتمام الفن، وخاصة الشعر.
- ٢- فكّرت كذلك في سمات إيمان كل إنسان، وأدركت للمرة الأولى أن كل إنسان يؤمن بطريقته الخاصة، وإن آمن فعلاً؛ أي إن أسس علاقة بالله، فإن إيمانه لا محالة مقدس. شعرت للمرة الأولى بالاحترام لإيمان الآخر وبالتسامح. لا يسعني القول كيف حدث ذلك، لكنني شعرت بذلك بوضوح وقوة مميزتين.

٣- سأل إيليا: هل يمكن أن تتسم النساء بالذكاء؟ لم أستطع الإجابة، وبعدها أدركت الآتي: يمكن للنساء أن يتّسمن بالذكاء، وبشكل عام إن لم يكن أذكى من الرجال، فهن لا يتسمن بالغباء إطلاقاً، لكن عقولهن ليست في المكان الصحيح، كداعم لم يوضع في مكانه تحت السقف بل فوقه. أما العقل لدى الرجال - بغض النظر عن قوته أو ضعفه - يرشدهم في نشاطهم، لكن العقل لدى النساء بمثابة دمية أو زينة. تسترشد المرأة في حياتها بما تشاء: بالكبرياء أو الأمومة أو الشهوة أو الحب، لكنه ليس بالعقل أبداً.

(٣٤٠) يجين شميت: واجه متاعب مالية بسبب مرضه فطلب عون تولستوي، وأرسل له الأخير ٣٠٠ روبل مما تقاضاه من نشر رواية (البعث) مع وعد باستعادة المال. أما الشاب الآخر فطلب نصيح تولستوي متسائلاً ما الأفضل: هل يذهب إلى الجيش وتكون لديه فرصة هناك لنشر أفكار معارضة الخدمة العسكرية بين الجنود أم يعصي الأمر ولا يذهب للجيش من الأساس؟

٤- كثيرًا ما يشير أولئك الذين يحبون التحدث إلى أنه من غير المجدي أن يتحدثوا مع الكثيرين، فكثير من الناس لا يمكنهم فهمهم كما لو أنهم يتحدثون بلغة غير مفهومة. أشير إلى أن عقل المرأة ليس في مكانه الصحيح، وأجد ذاك مَنْ يحب الحديث يسرع في تفسير فكري وتصحيح تعييري قائلًا: «آه... تريد أن تقول إذن إن عقل المرأة رائع». أصمت، فيشعر بالرضى.

٥- يجري النشاط الأخلاقي دائمًا بمعزل عن المنفعة؛ أي أنه يجري خارج نطاق الزمان والمكان. هذه العملية بمثابة توسيع للحدود المحصورة بداخلها الحقيقة والحياة اللا زمانية واللا مكانية.

٦- وعينا هو شيء لا يتغير، خارج نطاق الزمان والمكان. إنه ثابت، في الوقت الذي تمر عبره ظواهر زمانية ومكانية، فيظن الإنسان أنه هو الذي يتحرك داخل نطاق الزمان والمكان بصحبة وعيه.

سؤال: ولكن أين كان الوعي قبل أن يُولد الإنسان؟ سأجيب: في نفس المكان الذي يكون فيه أثناء الأحلام، في المكان الذي يظل فيه حتى يموت الإنسان. لا يتوقف الوعي أبدًا. إنه موجود دائمًا، وبفضله يوجد كل ما هو موجود. أما إن بدا لي أن الوعي يظهر لأول مرة مع الطفل فذلك لا يثبت أن النبات يخرج من الأرض بسبب أن بذرته كانت فيها. تبدو عملية تدفق الوعي كأنها تجري في فترات زمنية مستقلة للملاحظ الخارجي وحسب. لكن الخبرة الداخلية للمرء تكشف له عن أن الوعي واحد دائمًا، لا يتجزأ مهما طال الوقت الذي يفصل بين فترات تجليه لنا بالملاحظة الخارجية. كما أن الحلم لا يمزق الوعي، مع أنه يبدو لنا

بالملاحظة الخارجية كأنه يستمر آلاف الأعوام كما نجد في الحكايات، كذلك لا يمزق الموت أو الولادة الوعي؛ أي لا تمزقه عملية الانتقال من حياة لأخرى.

أرسلت خطابًا إلى خاليليف^(٣٤١) يتعلق بالفكرة رقم ١٥ بيوم ٢١ سبتمبر، وهذا نصه:

وصلني خطابك يا كونستنتين جريجوريفيتش، ويسعدني جدًا أن أُجيبَ عليه. أعتقد أن جوهر حياة الإنسان هو جوهر روحي، وهذه ليست مجرد فكرة عقلية، إنما وصلت إليها من واقع تجربتي الطويلة في الحياة. الإنسان روح، جزء من الكيان الإلهي، محصور داخل حدود معينة نعرفها بالمادة. أما حياة الروح فلا تخضع لأي كوابح ولا لأقل قدر من المعاناة، بل تنمو دائمًا، وتوسّع تلك الحدود التي تحيط بها. لكن من طبيعة الناس أن يستسلموا الخداع ووهم الظن بأن جوهر الحياة قابع داخل تلك الحدود التي تحدّهم؛ أي أن المادة هي أساس الحياة. بتأثير ذلك الوهم ننظر إلى المعاناة المادية؛ خاصة المرض والموت، على أنها تعاسة، في حين أن كل صنوف المعاناة المادية، والتي غالبًا ما تكون حتمية كالموت، تدمر تلك الحدود التي تُضيق الخناق على أرواحنا، وبالتالي تُدمّر وهم ماديتنا وتهبنا أن نعود مجددًا إلى الوعي بأننا كائنات روحية لا مادية. كلما زادت المعاناة المادية، بدا لنا الموت الذي يُشكّل أشد صنوف المعاناة أقل وطأة، ودعّم صاحبه لا محالة ليتحرر من وهم الحياة المادية وقاده صوب

(٣٤١) ابن أحد الفلاحين، يعمل مدرسًا للرياضيات. مرض مرضًا لا شفاء منه واهتم بشدة بأفكار تولستوي وأرسل إليه أسئلة عن الشخصية الروحية، وأجاب تولستوي عن خطابه.

الوعي بأن حياته في الروح. صحيح أن إدراكهم أن جوهر الحياة في الروح لا يقدم لهم نفس المتعة التي تقدمها لهم الحياة المادية الحيوانية، لكنهم يشعرون بحريتهم الكاملة وحصانتهم وخلودهم، ويشعرون بوحدهم مع الله؛ الجوهر الرئيس لكل شيء، وبالتالي لا يعود للموت وجود بالنسبة لهم، أو يصبح بالنسبة لهم بمثابة خلاص وبعث. مَنْ اختبر تلك الحالة، لا يمكنه أن يستبدل بها أبدًا أي متعة مادية. أقول هذا لأنني اختبرت ذلك بقوة غير عادية أثناء مرضي. عندما تعافيت راودني شعوران متناقضان: السرور بانتعاش قواي الحيوانية، والأسف على الخسارة التي لحقت بي جراء إضعاف هذا الوعي الروحي القوي الذي تمتعت به أثناء مرضي. لكن بالرغم من كل ما أخوض فيه بعد شفائي من أوهام دنيوية، إلا أنني أعرف جيدًا أن مرضي جلب لي أعظم فائدة. لقد وهبني ما لم تستطع أفكار وأحكام الآخرين أن تقدمه لي، ولن أفقد أبدًا ما قدمه لي أو أنحيه عن نفسي. ولكن علاوة على المرض، عندما أذكر حياتي بأكملها أرى بوضوح أن كل ما عذّبني، وهي أمور كثيرة، جلبت لي خيرًا حقيقيًا، وقد نَحَّاني عن طريق البحث عما هو مادي ودفعني صوب اكتساب الخير الروحي الحقيقي. لم تصف الحكمة الشعبية عبثًا إِدْنُ الأمراض والحرائق بأنها زيارات الله. أسوأ أوضاع الناس التي تحول بينهم وبين الخير الحقيقي هو الوضع الذي يتمنون فيه لأنفسهم وللآخرين: الصحة والثروة والمجد.

فليهبك الله أن تشعر بمدى نعمة المعاناة والاقتراب من الموت وحتميته. حتى تصل إلى ذلك، ينبغي فعلًا أن تؤمن بجوهرك الروحي

وأنت جزء من كيان من الله، غير خاضع لأي تغييرات أو انتقاصات تتسبب فيها صنوف المعاناة. لكنني أظن طبقاً لخطابك أنك لا بد وأنت تؤمن بهذا فعلاً، أو إن كنت لم تؤمن بذلك بعد فأنت على مقربة شديدة من ذلك. فليُعِنِكَ الله الذي بداخلك.

المحب لك.

تولستوي.

٢٧ سبتمبر.

لم أكتب شيئاً جيداً، لكنني أشعر اليوم كما لو أنني أميل إلى الكتابة في مقالة «إلى رجال الكنيسة». ليوفا هنا معنا، وأشعر على نحو استثنائي بالبهجة الطيبة والعلاقات البسيطة معه. كتبت خطابات غير مهمة. أتانني بعض الزوار من تشيرنيجوف (مدينة أوكرانية) وقد أثاروا اهتمامي. ثمة شخص يريد رفض الالتحاق بالخدمة العسكرية. كتبت إليه خطاباً. حالتي الصحية بخير، وكذلك حالتي الروحية. أشعر باقتراب الموت بهدوء. لم أدوّن شيئاً في دفتر أفكاري.

٢٩ سبتمبر.

أشعر أنني في حالة جيدة جداً. لا تمضي الأمور بنجاح في مقالة «إلى رجال الكنيسة». لديّ الكثير لأقوله، لكنني لا أشعر بالرغبة في الكتابة ولا أستطيع كتابة ما أريد. ليلة أمس فكّرت في الآتي:

١ - إن اعترفت بالله، ستعترف لا محالة بمساواة البشر. الله الذي بداخلك والذي يشكل جوهر حياتك هو الله الموجود داخل كل شخص

آخر. لكن عندما لا تعترف بالله يمكن أن تقبل لا مساواة الناس. كانت الفكرة واضحة وقوية، لكنني غير قادر عن التعبير عنها جيدًا الآن.

سأنهي هذا الدفتر الآن. كتبت فيه يوميات عامين وأربعة أشهر. مررت بالكثير، وكل ما مررت به يؤدي للخير. أريد أن أدون أيضًا بعض الأفكار الأخرى:

٢- مما يبعث في نفسي السرور بشدة هو أن أراقب التصرفات التي أقوم بها بحرية ودون وعي تقريبًا، رغم أنها كانت تتطلب مني في السابق جهدًا كبيرًا. لا شيء يكشف لنا عن زيادة الطول أكثر من علامة على الحائط حددنا بها طولنا سابقًا.

٦ أكتوبر.

بالأمس بدأت مراجعة «السند المزيف»، وعدت للكتابة فيها من جديد. لا أزال أكتب أيضًا في «إلى رجال الكنيسة». إنها أضعف مما توقعت. جاءني جوركي وبياتنيتسكي. يقول أبكتيتوس: «دعم شعورك بالرضى عن نصيبك وستفهر كل شيء».

٢٩ أكتوبر.

مريض بالآلام الكبد منذ ثلاثة أسابيع. لا أزال أعمل في مقالة «إلى رجال الكنيسة». يبدو أنني أنهيتها أو اقتربت من ذلك. أود أن أدون الكثير. سأكتب الآن ما فكرت فيه تحديدًا:

١- تقول إن كل شيء يعتمد على العوامل المادية، وبالتالي الإنسان ليس حرًا. إن تتبعت كل سلوك ستجد له أسبابًا تحدده، وسيبدو لك

كل شيء مفهومًا وواضحًا. هذا طائر بحري يطفو فوق الأمواج إبان العاصفة، وثمة طائر آخر قد طار بالفعل، يسبح الآن في الاتجاه المحدد له، بينما يراقب الطائر الأول صعود الآخر وهبوطه طبقًا للأمواج واتجاه حركتها دون أن يجد أي نقطة ارتكاز يمكن عن طريقها قياس حركة الطائر، وبالتالي يجد أن حركة الأمواج يمكنها تفسير حركة الطائر الآخر كاملةً. لكن الطائر يطفو فوق الموج ويتحرك صوب الاتجاه المحدد له. هكذا هو الأمر مع الإنسان في اعتماده على الوسط المحيط. إن راقبناه من منظور خارجي، لن نرى وسط الحركة المعتمدة على الوسط الخارجي حركة حياته الرئيسة، ولن نجد لها نقطة ارتكاز. تتمثل حركته الرئيسة في سعيه صوب الكمال، وهذا أمر لا نراه.

علاوة على ذلك، لا يرى الطائر المراقب حركة الطائر المراقب وهو يسبح في البحر، فبإمكان الأخير أن يصعد ويصعد أو حتى يغوص في المياه ويختفي عن عيني الأول تمامًا، وسيعزو المراقب ذلك مجددًا إلى حركة الموج. هكذا هو الأمر أيضًا مع الإنسان في الحياة الزمانية والمكانية. ما دام هو فيها سيبدو أنه يعتمد تمامًا على الظروف الزمانية والمكانية، لكنه كان مستقلًا من قبل عنها، ويمكنه أن يخرج عن إطارها، في الوقت الذي لن نرى فيه نحن المراقبون شيئًا سوى تلك الظروف، وسنقول: لا وجود لشيء سواها.

٢- التفسير المادي للحياة واضح وبسيط للجميع، إلا فيما يتعلق بماهية الحياة، وبما يجب أن نسترشد فيها. يحدد التفسير الروحي الحياة بوضوح ويشير إلى ما يجب أن نسترشد به فيها، لكنه لا يعرف -ولا يريد

أن يعرف - شيئاً عن الظروف المادية للحياة التي تبدو بوضوح عبثية ومتناقضة.

٤ نوفمبر.

أمور مهمة خلال تلك الفترة: محاكمة أفاناسي^(٣٤٢) - القبض على نوفيكوف^(٣٤٣) - وفاة والدته ميخايلوف. لديّ الكثير لأدونه. سأكتب الآن ما كنت أفكر فيه لتوي:

١ - كنت أقرأ في كتاب «ملاحظات على حياتي»^(٣٤٤) لهوجو. إنه يكتب عن اللا نهائية، وعن المسافات التي تبعد بها النجوم عنا وسرعة واتجاه الزمن، ويستشعر العظمة في ما سبق. لم يُشعرنِي ذلك أبداً بالذهول أو الخوف، وكنت دائماً أرى فيه سوء فهم، ولم أَسْتشعر أبداً واقعية هذه المشاعر الجياشة للأجرام السماوية أو الزمان والمكان. الآن أعرف ماذا يعني ذلك.

الإنسان كيان روحي ينمو، مستقل عن بقية الكائنات. لا يمكنه أن يدرك الحدود التي تحد نموه إلا بالحركة. لا يمكنه أن يدرك الحدود التي تفصله عن بقية الكائنات إلا بالجسد؛ أي بالمادة. لولا الحركة لما وُجد كائن إنساني ينمو ويتوسع، ولولا المادة لما كان كائناً جزئياً. يمكنه أن يدرك العلاقة بين حركته والحركة التي تجري خارج إطاره بالزمن، كما يمكنه أن يدرك العلاقة بين جسده والأجساد الأخرى بالمكان. بالتالي

(٣٤٢) فلاح يميل إلى أفكار تولستوي، اضْطهد بسبب أفكاره الدينية.

(٣٤٣) لحديثه عن احتياجات المزارعين أثناء اجتماع لجنة تولا.

(٣٤٤) قرأ تولستوي الكتاب بالفرنسية وأعجب به بشدة.

ليس ثمة مكان وزمان فعلاً، بل مجرد تصور عن علاقات الكائنات ببعضها. لذا يمكن أن يوجد عدد لا نهائي من العلاقات، ويبدو لنا الزمان والمكان لا نهائيين، في حين أن لا وجود لهم في الحقيقة، وما نظنه مكاناً وزماناً لا نهائيين يشير لنا فحسب إلى عدم قدرتنا على إدراك كافة العلاقات التي تربط بين الكائنات. ما نعتقد عالمًا لا نهائيًا زمنيًا ومكانيًا يشير لنا إلى عدم قدرتنا على معرفة كافة العلاقات التي تربط بين الكائنات وبعضها، بل إننا نعرف فقط علاقتنا بالحدود التي تفصلنا عن بقية الكائنات.

٢- الوعي ثابت. تمر عبره أحداث الحياة، فيبدو لنا أن الوعي يتحرك كما نظن أن القمر يسرع بين السُحب.

٣- الأنانية جنون. الجنون أنانية.

٤- ينشد الناس الحرية، وفي طريقهم للوصول إليها يلتحقون بعبودية المؤسسات التي لا ينجو منها أحد.

٥- الخطوة الأولى هي معرفة الحقيقة المسيحية، ثم محاولة وضعها موضع التنفيذ. بعدها نشعر بالسخط والمرارة من أعداء الحقيقة. بعدها يحل اليأس، ثم محاولة التسوية. على المرء أن يُسوِّي كل شيء في نفسه أمام وجه الله وحسب، ولا يهتم بالعواقب.

دَوَّنت نفس الأفكار ولكن بشكل مختلف:

- البهجة بمعرفة الحقيقة.

- الرغبة والأمل في تحقيقها الآن.

- خيبة الأمل في إمكانية تحقيقها في العالم، والأمل في إمكانية تحقيقها في الحياة الشخصية.

- خيبة الأمل في تحقيق ذلك حتى في الحياة الشخصية ومن ثم الشعور باليأس.

- الاهتمام بكل ما يخص الروح دون الاهتمام بعواقب أي فعل.
هذه هي خطة المسرحية^(٣٤٥).

٦- يتمثل الفارق الرئيس بين الثوري والمسيحي في أن الأول يسلك طوال الوقت واضحاً العواقب في حساباته، أما الثاني فيسلك لإرضاء الله، تاركاً له ما يتعلق بالعواقب.

٧- قرأت ما كتبه ميرجكوفيسكي^(٣٤٦) عن يوربيديس^(٣٤٧)، وفهمت فحوى مسيحيته تحديداً. ثمة فريق يود أن يجمع المسيحية بالوطنية مثل بوبيدونوستسيف^(٣٤٨) وأصحاب النزعة السلافية، وفريق آخر يود جمعها بالحرب، وثالث يود جمعها بالثروة ورابع باشتهاء النساء، وكلٌّ يُشكّل مسيحيته حسب متطلباته.

(٣٤٥) يشير إلى ما سيمر به بطل مسرحيته (الضوء يسطع في الظلام).

(٣٤٦) روائي وشاعر ومفكر ديني وناقد أدبي روسي. أحد الشخصيات البارزة في العصر الفضي للشعر الروسي، ويعتبر مؤسساً مشاركاً للحركة الرمزية الروسية. يشير تولستوي إلى خطبة ميرجكوفيسكي التي ألقاها قبل عرض مسرحية يوربيديس وعارض فيها آراء تولستوي عن الجنس التي عبر عنها في سوناتا كرويتزر وجادل بأن المسيحية تجمع بين الحب الجسدي والروحي.

(٣٤٧) روائي مسرحي يوناني ولد في سالاميس سنة ٤٨٠ ق.م وتوفي في مقدونيا سنة ٤٠٦ ق.م.

(٣٤٨) من رجال الدولة ورئيس لجنة الادعاء بمجمع الكنيسة.

٨- تقول لنفسك إنك تحيا من أجل الناس أكثر من الله؛ لأن الناس يُقدِّرون أفعالك الآن ويجيئونك، بينما الله صامت عنها. لكن الله يصمت كما نفعل نحن أيضًا عندما يتوجه إلينا إنسان نشعر بريائه. إنه يصمت لأننا مراؤون ولا نعيش بكامل أرواحنا من أجله. عندما نعيش من أجله وحسب يجب علينا بأن يهنا بهجة وسرور ومناعة مشويين بالهدوء.

٩- الوعي هو ذكرى من دون محتوى، والذكرى هي وعي في حدود الزمان والمكان.

١٠- أريد أن أعيش بمعنى الكلمة؛ أي أن أستغل حياتي كاملاً.

١١- التشوية ليست إلا النتيجة الحتمية التي لم يستطع الماديون أن يستنتجوها من تعاليمهم.

١٢- بتأكيد الماديين على أن الإيثار ينشأ عن تطور المجتمع وأن التعاليم الدينية هي نتيجة لدرجة معينة من التطور، لا بد أن يصلوا من ذلك إلى نتيجة مفادها أن تعاليم الإيثار لا تنبع سوى من التعاليم الدينية وحسب.

٣٠ نوفمبر.

أردت أن أدون الكثير، لكنني انشغلت طويلاً بتعديل بعض أفكارى عن استقلالية كيان الإنسان وتأخرت. حالتي الصحية جيدة. أشعر بالسرور؛ لأنني لا أتوقف عن التفكير في الموت، كما أنني أفكر أكثر من أي وقت مضى في حياتي وأتذكر دائماً علاقتي بمن أرسلني إلى هنا.

أنهيت الأسطورة^(٣٤٩) وأقبلت ثانية على العمل على (الحاج مراد).
يجب أن أنهئها غداً إن شاء الله.

كثيراً ما أتصور بوضوح كيف يمكنني أن أتحدث عن روحي، لكن
الفكرة لم تستمر أكثر من وهلة صغيرة وقد نسيتهما الآن. سأكتب هنا الآن
فكرتين قصيرتين على الأقل:

١- أول ما يستيقظ في المرء هو وعيه بانفصاله عن كل شيء آخر؛
أي وعيه بجسده، ثم وعيه بما هو منفصل عن ذلك؛ أي بروحه وأساس
حياته الروحية، ثم وعيه بأسباب انفصال أساس حياته الروحية؛ أي وعيه
بالله.

٢- ما الهدف من حياتنا وحياة العالم كله؟ لماذا تنمو هذه الكائنات
المنفصلة؟ يبدو أنها أنفاس الله، فحياتنا هي أنفاسه.

٣- تكشف لنا الساعة عن الثواني والدقائق والساعات والأيام
والأسابيع والشهور والأعوام، إن أمكن وجود ساعات من هذا النوع.
كذلك هو الأمر مع الرزنامة^(٣٥٠) فهي تكشف عن حياة الناس والشموس.
عبرت عن الفكرة على نحو سيئ.

٤- يشكل وعينا بانفصالنا أساس الحياة، وهو وعي غير مادي
بالطبع، وفيه أساس الحياة، بل والحياة بأكملها.

(٣٤٩) يقصد قصة (دمار الجحيم وإعادة تشييده). لكنها لم تنتهِ فعلاً إلا في يناير ١٩٠٣.

(٣٥٠) كُتِبَ يتضمن معرفة الأيام والشهور وأوقات طلوع الشمس والقمر على مدار السنة.

١١ ديسمبر.

١- نعلم أننا لا نستطيع تحقيق شيء دون بذل جهد بدني. لماذا نظن إذن أن بإمكاننا الوصول إلى شيء في المجال الروحي دون جهد؟

٢- الحب الحقيقي هو حب الجميع كأقرباء لنا على قدم المساواة. علينا أن نجبر أنفسنا على محبة مَنْ نُكِنُّ لهم محبة قليلة أو نكرهم ونتوقف عن المحبة المفرطة لِمَنْ نحبهم بقوة. الأولى لم أصل إليها بعد، والثانية على الطريق. كافة معاناتنا في العالم بسبب هذا وذاك.

٣- عادة ما يظنون أن المرء إن نازع ودحض حجج الماديين، فإنه بذلك ينازع العلم والنظرية الفلسفية ويدحضهما. في الواقع أنت لا تنازع ولا تدحض شيئاً، بل ببساطة تمارس التنوير، كما يمارسه بالضبط من يوضح للناس أن الأرض لا تستند إلى ثلاثة حيتان عملاقة.

كم يشبه الماديون وعلماءنا أكثر الفلاحين فظاظاً!

٤- حلمت أنني أقول لأحدهم: تُحدّثني عما هو مكتوب على بعض الأوراق وتطلقون عليه قوانين، بينما أتحدث عن قانون هذا الكائن الكلي الذي أشعر أنني جزء منه وأتبعه.

٥- لقد زوروا أجزاء من الأناجيل.

عبثاً يظن النقاد أن بإمكان الإنتليجينتسيا (طبقة المثقفين) أن تسترشد بجموع الشعب؛ ميليوكوف نموذجاً^(٣٥١). الخطأ الأكبر من ذلك هو أن يظن كاتب ما أن بإمكانه أن يرشد الجماهير بأعماله عن وعي. يلزمنا أن يعمل كل إنسان على جلب أكبر قدر من الوضوح لوعيه وأن يعيش حياته بأكبر قدر ممكن من الاتساق مع متطلبات هذا الوعي.

٢- إن طُرح سؤال: أُنستطيع العزف على الكمان؟ وأجاب أحدهم: «لا أعرف. لم أجرب ذلك من قبل» سندرك أنها مزحة. لكن عندما يُطرح سؤال: «هل بإمكانك أن تكتب مقالة؟» ونجيب: «ربما، لكنني لم أجرب من قبل» فإننا لا نظن أنها مزحة. ليس ذلك وحسب، بل إننا نرى الناس تسلك باستمرار على هذا النموذج. من شأن ذلك أن يثبت أن أي إنسان يمكنه أن يحكم على تلك الأصوات القبيحة للكمان دون أن يتعلم العزف عليها، وإن كان البعض يظن هذه الموسيقى المشوهة عبقرية، لكنك في حاجة إلى حس دقيق ومستوى معين من التطور العقلي حتى تميز بين مجموعة من الكلمات والعبارات من جهة ومنتج فني شفهي حقيقي.

٣- امتلأ النصف الأول من القرن التاسع عشر بمحاولات الثوار للقضاء بالعنف على نظام الدولة الاستبدادي، وانتهى المطاف بكل هذه المحاولات إلى ظهور أنظمة رجعية شديدة، ولم نل سوى زيادة قوة الطبقات المسيطرة على الحكم. من الواضح أنه ليس بإمكان الثورة الآن

(٣٥١) مؤرخ روسي، ويشير تولستوي إلى كتابه (تاريخ الإنتليجينتسيا الروسية).

أن تتغلب على النظام. ليس أمامنا إذن سوى وسيلة واحدة؛ أن نعمل على تغيير منظور الناس ليتوقفوا عن دعم عنف الحكومات. لا يمكننا أن نقوم بهذه التغييرات إلا بالدين؛ وخاصة المسيحية. لكنهم قد زيفوها حتى أصبح وجودها وعدمها سواء. الأسوأ من كل ذلك أن مكانها لم يعد شاغراً. لذا الأمر لا يقتصر على أن تدمر هذه المسيحية المزيفة وإحلال الحقيقية بدلاً منها هي الوسيلة الرئيسة لخدمة الإنسانية في زماننا، بل إنها الوحيدة أيضاً. في الوقت نفسه يعتبر الجميع أن ذلك هو أتفه الأمور، وهم لا يقومون به. ليس ذلك وحسب، بل إن أكثر أشباه العلماء وقاحة مشغولون بعكسه تماماً؛ أي بزيادة تزيف المسيحية وإحاطتها بالضباب وزيادة تعقيدها.



٤ يناير.

حتى يتضح فهمي للحياة عليّ أن أستند إلى منظور ديكارت الذي يقضي بأن الإنسان لا يعرف أمراً يقينياً سوى أنه موجود؛ أي كيانه الروحي، وبالتالي أفهم بوضوح أن أكثر تعريف للعالم علمية وصرامة هو أن العالم ليس إلا تصوري عنه (كانط - شوبنهاور - شير) (٣٥٢). ولكن ما ماهية هذا الكيان الروحي الذي أُطلق عليه «نفسى» وما سبب تصوري لوجود هذا العالم؟ أجيب عن هذه الأسئلة التي تُحدّد الحياة كآلاتي: الإنسان هو وعي روحي منفصل عن بقية الكائنات التي تجري اتصالاً مستمراً مع الكيان الكلي. تتمثل لي حدود انفصالي عن بقية الكائنات بالجسد (جسدي وأجساد الآخرين)؛ أي بالمادة. لا تتوقف عملية الاتصال بين هذا الكيان الروحي المستقل مع الكيان الكلي، وتتمثل لي هذه العملية بالزمن. لا يمكنني إدراك حدود كياني الروحي التي تتمثل داخل إطار المكان إلا في صورة جسدي وأجساد بقية الكائنات. ولا يمكنني إدراك التواصل بين الكائنات وبعضها إلا بالحركة.

(٣٥٢) الثالث هو فيلسوف روسي من أصل ألماني يوناني.

لم يكن من الممكن أن يستقل كياني الروحي عن الكيان الكلي لولا جسدي وأجساد الآخرين. لم يكن بالإمكان كذلك أن يظهر كياني المنفصل لولا حركتي وحركة كافة الكائنات. الحياة إذن هي وعي باستقلالية كياني الروحي المحدود عن الكائن الآخر الروحي غير المحدود الذي يشكل جوهر كافة الكائنات.

٦ يناير.

أختبر الآن عذابات الجحيم. أتذكر الآن كافة دناءات حياتي السالفة، ولا تفارقني تلك الذكريات لحظة واحدة، وتسمم حياتي. عادة ما أشعر بالأسف من أن الشخصية لا تحتفظ بالذكريات بعد الموت، ولكن يا لحجم السعادة التي يجلبها هذا للمرء! كم كنت سأتعذب إن تذكرت كل ما هو دنيء! يا لعذاب الضمير الذي سأشعر به إن كنت سأتذكر في حياتي الأخرى ما اقترفته في حياتي السالفة! إن تذكرت الجيد، يقيناً سأتذكر السيئ. كم أنا سعيد بأن ذكرياتي ستتلاشى مع الموت ولن يبقى لي سوى الوعي الذي سيتمثل لي كاستنتاج عام يتضمن الخير والشر معاً، كمعادلة معقدة يمكن التعبير عنها بأبسط صورة ممكنة كالآتي: س = قيمة ما إيجابية أو سلبية، كبيرة أو صغيرة! نعم، يجلب تلاشي الذكريات لصاحبها سعادة كبيرة، فإن بقيت سيستحيل عليه أن يحيا معها حياة سعيدة. مع تلاشي الذكريات يمكننا أن ندلف إلى الحياة بصفحة بيضاء نظيفة، نكتب عليها ما هو صالح أو ما هو شير.

٥ فبراير.

لم أدوّن شيئاً منذ شهر. أنا مريض منذ شهرين. قلبي ضعيف، وهذا أمر جيد؛ لأنه يُدكّرني بقوة باقتراب الموت. أكثر ما شغلني في تلك الفترة هي ذكرياتي. أتقدم تدريجياً، لكنني في حالة سيئة حتى الآن. بدأت كذلك في كتابة مقدمة لمقالة «إلى الشعب العامل»، لكنني لا أحرز فيها تقدماً. أنا مشغول أيضاً بكتابة عرض فلسفي لحقيقة الحياة. هل أخطأت؟ أشعر بوضوح كبير أن ثمة شيئاً جديداً ومفيداً هنا.

١٢ فبراير.

قلبي ضعيف طوال الوقت، لكنني أستعيد قواي تدريجياً. المقدمة لا تزال سيئة. فيما يتعلق بذكرياتي، فإنني أحرز تقدماً كبيراً. لم ينجلِ العرض الفلسفي في ذهني بعد.

أقرأ الآن مجلة ثيوصوفية^(٣٥٣) رائعة، فيها الكثير مما هو مشترك مع رؤيتي. نُشر الخطاب الخاص بأميرة ساكسونيا، الأمر الذي أشعرني بالأسف الشديد^(٣٥٤). أقترّب طوال الوقت من الموت، لكنني أقوم بذلك بشكل روحي. كان لديّ الكثير لأدوّنهُ، لكنني أنسى طوال الوقت ولا أعتبر هذه الأفكار مهمة. ثمة فكرة واحدة مهمة يجب تدوينها:

(٣٥٣) مجلة ألمانية كانت تُنشر في لايبزجاقتبس.

(٣٥٤) طلب أحد الصحفيين الإنجليز من تولستوي أن يدلي برأيه بخصوص لويس أميرة ساكسونيا التي هجرت أطفالها ورحلت إلى سويسرا. أدان تولستوي سلوكها بحدة، لكنه ندم على ذلك وأرسل للصحفي الإنجليزي كي لا ينشر رده، لكن الصحفي نشر الرد الذي حظي بانتشار واسع.

١- يسعى الوعي بالكيان الكلي المحدود إلى توسيع حدوده. يقضي الناس النصف الأول من حياتهم في ذلك، فحبهم للأشياء والآخرين يتزايد في تلك الفترة؛ أي أن بخروجهم من إطار حدودهم يتجاوز وعيهم الأطر ويصل إلى الكائنات الأخرى. ولكن مهما شعر الإنسان بالحب لا يمكنه أن يفارق حدوده تمامًا. في النصف الثاني من الحياة لا يعود المرء لمحاولة توسيع حدوده، بل يسعى إلى تدميرها تمامًا. يحدث أمر مشابه لتحول اليسروع إلى فراشة. نحن هنا في الحياة كاليسروع؛ في البداية ينمو الواحد منا، ثم يتحول إلى خادرة اليرقانة، ويدرك المرء منا نفسه كفراشة في هذا العالم.

٢- يقودنا التعليم الديني الأخلاقي إلى إدراك قانوننا؛ ألا وهو توسيع الحدود بالحب.

٣- تكمن حياة الإنسان في إدراكه لكيانه المنفصل. أما حياة الله فهي في إدراك كيانه الكلي. يقترب الإنسان من الله بالحب؛ أي بتوسيع الحدود، لكن الحب ليس من سمات الله كم يُقال عادة، بل هو سمة إنسانية وحسب.

١٣ فبراير.

الحياة هي وعي محصور داخل الحدود يحاول توسيعها روحياً، وبالتالي بصورة لا زمانية ولا مكانية. تتمثل لنا حدود الكيان بالجسد؛ أي بأجسادنا وأجساد بقية الكائنات. يتمثل لنا تغيير هذه الحدود بالحركة.

لو لم يكن كياننا الروحي محصوراً بحدود، لما كان الجسد ولا

كانت المادة. لو لم تتغير حدود الكائن لما كانت الحركة.

لا يمكننا إدراك العلاقة التي تربط أجسادنا ببقية الأجساد إلا داخل نطاق المكان. لا يمكننا إدراك العلاقة التي تربط تغير حدود كيائنا بتغير حدود بقية الكائنات إلا بالزمان. يبدو لنا أن ما يتحرك هو الكائن المحصور بحدوده، لكن الحقيقة أن ما يتغير هو حدوده فحسب. يحدث الأمر ذاته عندما نظن أن القمر يركض على صفحة السماء، بينما السحب هي التي تتحرك والقمر ثابت. كذلك هو الأمر مع الكيان الروحي الذي ندركه. إنه ثابت ومعاذل لنفسه دائماً. ما يتغير هو المجال المحيط به، والذي نظنه أنه هو أنفسنا. هذه التغيرات مختلفة وعددها لا نهائي، ولكن بشكل عام، تُوسَّع هذه التغيرات على المدى الطويل مجال الوعي أكثر فأكثر.

٢٠ فبراير.

تحسنت حالتي الصحية قليلاً. إنه يومي الثاني الذي أمتطي فيه الخيل. لا أعمل شيئاً. ليست لي رغبة.

بالأمس وصلني مقالة بوسِّي عن مقالتي «إلى الطبقة العاملة»^(٣٥٥). إنهم مُنَوَّمون بوضوح، ويؤمنون بنظرية لا يمكنها أن تصمد أمام النقد.

١ - يضع مناصرو الاشتراكية في اعتبارهم سكان المدن وحسب. إنهم لا يعرفون شيئاً عن جمال وشاعرية الحياة الريفية، ولا يعرفون شيئاً

(٣٥٥) محرر صحيفة ماركسية، وقد هاجم تولستوي بحدة على آرائه في مقالته "إلى الطبقة العاملة".

عن معاناة الناس في الريف. إن عرفوا شيئاً عن ذلك لما أرادوا تدمير هذه الحياة الريفية كما يريدون الآن، واستبدال الحياة المدنية بها، بل كانوا سيحاولون تحرير الريف من بلاياه وحسب.

٢- ما إن تفكر في تنقية حياتك الأخرى، سواء تبعاً لفكرة الفردوس (الجنة) أو الكارما، حتى تجد في نفسك نفوراً من فعل أي شيء. لكن ما إن تفكر في العيش باتساق مع قانون الوحدة والحب، حتى تجد نفسك مسروراً وهادئاً.

١ مارس.

كنت أقرأ في مقالة ميتشنيكوف عن الموضوع ذاته مجدداً: «إن استئصلنا الزائدة الدودية لن يفكر الناس مجدداً في معنى الحياة، لكنهم سيصبحون أغبياء أيضاً كمتشييكوف دون مزاح». إنه يرى أن العلم سيُطوّر البشر أنفسهم، وبالتالي يحررهم من المعاناة، وسوف يكون من الممكن حينها أن يكتشف الإنسان معنى حياته والهدف منها. حسناً، سوف يكشف العلم عن ذلك، ولكن كيف سنعيش جميعاً حتى يحدث ذلك؟ رغم ذلك عاش بلايين البشر بالزائدة الدودية. ماذا إن اكتشفت طبقاً لعلمك أن الشمس ستبرد وأن العالم سينتهي قبل أن يُطوّر العلم البشر؟ ما نفع كل ذلك إذن؟

حالي الصحية أفضل وأكثر صلابة، لكنني لا أعمل. صوفيا أندريفنا (زوجته) في موسكو. لم تصلني خطابات من ماشا^(٣٥٦).

(٣٥٦) سافرت ابنته ماشا بصحبة زوجها وحمايتها إلى الخارج لتخضع للعلاج.

دَوَّنت الآتي:

١ - لا يمكن للإنسان ألا يكون أنانيًا، ولا يمكنه أن يهمل نفسه تمامًا ولا يفكر فيها أو يهتم بها أو يتذكرها، بينما خير الإنسان مشروط بتوجيه نشاطه خارج إطار ذاته؛ أي إلى خير القريب. ما الحل إذن؟ ثمة حل واحد: أن تُدبِّر أمرك بحيث تتوجه رعايتك لذاتك إلى خارج حدود ذاتك! يمكنك تحقيق ذلك بأن تُوجِّه عنايتك لروحك، وبالتالي تُحقِّق إرادة الله. إرادة الله هي أن تحب القريب وتفعل له الخير.

٩ مارس.

حالي الصحية متقلقلة، كما أنني أقترُب من الموت. أنا هادئ. حالتي المعنوية جيدة جدًا، وأسلك بصلاح. بالأمس كتبت بعض الخطابات. قرأت مقالة فلسفية رائعة لأحد البولنديين^(٣٥٧). عليّ أن أدوّن الكثير. بادئ ذي بدء عليّ أن أدوّن تغييرًا في تعريف الحياة:

١ - الحياة هي الوعي بالكيان الروحي المحصور بحدود تفصله عن بقية الكائنات في هذا العالم، وفي الآن ذاته يتواصل معها.

٢ - تتمثل لنا الحدود التي تفصل كياننا الذي نعيه عن بقية الكائنات بالجسد؛ أجسادنا وأجساد الآخرين. أشير هنا إلى الجسد بمعنى المادة.

٣ - تتمثل لنا عملية اتصال كياننا المنفصل مع بقية كائنات عالمنا المادي بالحركة.

(٣٥٧) الإشارة إلى هنريك نوسباوم، وهو متخصص في الأمراض العصبية، وله أعمال نفسية وفلسفية.

٤- لو لم نكن منفصلين عن الكائنات المختلفة في عالمنا المادي، ولو لم نُجَرِّ اتصالاً معها لما كان هناك جسد؛ أي مادة، سواء لنا أو للآخرين. انقسام الكائنات هو ما يمنحنا مفهوم الجسد. لو لم تحدث تغيرات في العلاقات التي تربط بين كياناتنا وبقية الكائنات لما كانت هناك حركة في أجسادنا أو أجساد الآخرين. هذا يعني أن الحركة هي ما تجعلنا ندرك التغير الذي يلحق بعلاقتنا بالعالم المادي.

لو لم تنقسم الكائنات ويتشكل كل منها بشكل مستقل، لما ظهرت الحدود بينها ولما ظهر مفهوم الجسد.

وإن توفّر كل ذلك، ولم تحدث أي تغيرات في العلاقات بين الكائنات بعضها ببعض، لما كانت هناك حركة. وإن لم تكن ثمة حركة لما كان الوعي، وبالتالي سيكون لدينا في هذه الحالة كيان روحي واحد غير منفصل عن الكيان الكلي، ليس في حاجة إلى الجسد والمادة والحركة، ولا بإمكانه حتى تصور ما سبق، وستكون قدرته على تصور الوعي أقل من كل ما سبق. هذا هو مكنم خطئنا في تصور الكائن الأبدي اللانهائي؛ أي الله على أنه كائن واحد؛ لأن هذا التصور لا ينطبق إلا على كائن مادي أو متحرك؛ أي يتغير. لا ترتبط مفاهيم: الإدراك - الوعي - الجسد - الحركة بالكائنات الروحية إلا عندما تكون منفصلة عن بعضها وتجري في الآن ذاته اتصالاً فيما بينها.

٥- ليس بإمكاننا أن نتصور الحدود التي تفصلنا عن بقية الكائنات إلا بالأجساد؛ جسد منها نتعرف فيه على أنفسنا، بينما نطلق على بقية الأجساد التي تتصل بنا: العالم المادي الموجود خارج نطاق أجسادنا.

٦- لا يمكننا أن نتصور الاتصال الذي يجري بين كياناتنا وبقية الكائنات إلا بالحركة؛ أي التغير في علاقاتنا بالآخرين. في جزء من هذه الحركة نرى حركة كياناتنا الخاص، وفي جزء آخر نرى حركة بقية الكائنات.

٧- نطلق على العلاقة التي تربط جسدنا الذي نظنه أنفسنا ببقية الأجساد: المكان. ونطلق على علاقة الحركة التي تحدث في أجسادنا بالحركة التي تحدث في أي جسد آخر مادي: الزمان.

١١ مارس.

أكتب طوال الوقت في تعريف الحياة، ولا أزال غير راضٍ عنه. كتبت فيه أول أمس، وعليّ أن أعيد تفسيره. لكن قبل أن أفعل ذلك أود أن أدوّن بعض الأفكار المتناثرة التي فكّرت فيها في تلك الفترة.

حالي الصحية ممتازة. وصل ليوفا بالأمس. أنا سعيد لأن الأمور بيننا تجري على ما يرام.

كثيرًا ما أتذكر في لحظات الاستياء والشكوك أن عليّ أن أرضي الله وحده الذي سأمضي إليه، لا الناس. عندما أفعل ذلك أشعر بالراحة والهدوء. جاءني اليوم كاهن، وغادر بعد أن اتضح عدم إيمانه.

١- لا نعيش حقًا إلا عندما نتذكر هويتنا الروحية. يحدث ذلك في لحظات النشوة الروحية أو إبان صراع الجوهر الروحي مع ما هو حيواني.

٢- من المفهوم تمامًا أن كثيرًا، بل وربما دائمًا، ما لا يرتبط رضانا أو عدم رضانا عن الحياة بالانطباع الذي تتركه فينا الأحداث الجارية، بل يرتبط في الأساس بحالتنا الداخلية. لكن هذه الحالات الداخلية شديدة

التعقيد كما أنها متنوعة جدًا. ثمة مثلًا حالة الخجل وحالة اللوم والاتضاع والتذكر والحزن والفرح والشعور بالصعوبة والشعور باليسر. كيف تظهر تلك الحالات؟ لا أعرف، لكن ما أعرفه هو أنني في حالة من الخزي، وأشعر به طوال الوقت، وإن لم يكن هناك ما أشعر بالخزي بسببه، أشعر به بشكل مجرد دون هدف. كذلك هو الأمر مع حالة اللوم والاتضاع والتذكر، بشكل غريب جدًا. أتذكر طوال الوقت، وإن لم يكن هناك ما أتذكره من الماضي، أتذكر ما حدث للتو وما تذكرته من قبل... كذلك هو الأمر مع الحزن والفرح وحالات أخرى كثيرة عليّ أن أحدها وأفكر في منشئها.

٣- يتمثل الفارق الرئيس بين الاشتراكيين والمسيحيين الأناركيين، أو حتى الأناركيين بشكل عام، في أن الاشتراكيين يريدون تغيير النظام الاقتصادي. إن أرادوا تغيير النظام السياسي، فالسبب الوحيد لذلك هو أنه يعوق تطبيق النظام الاقتصادي الذي يقترحونه. بل إن غالبية الاشتراكيين يرون ضرورة بقاء هذا النظام من أجل الوصول إلى أهدافهم. أما الأناركيون يرون أن النظام السياسي القائم على العنف هو مبعث الشر كله، ويعتبرون أن الخطوة الأولى هي تدمير هذا النظام، مفترضين أن تدميره سيجعل النظام الاقتصادي يتطور من تلقاء نفسه بأفضل شكل ممكن.

أردت تدوين أفكار أخرى كثيرة، لكنني نسيتها. لا أذكر منها سوى واحدة فقط:

٤- كثيرًا ما يرى الليبراليون المشاركون في السلطة، أو المُنظرين من أصحاب المذاهب بشكل عام أن من الجيد أن يناضلوا مظهر واحد من مظاهر الكذب، تاركين المجال لبقية الأكاذيب دون أن ينضالوها. يُماثل ذلك أن نُغلق مجرى واحدًا فقط من مجاري الفيضان الذي يغرقنا،

ونترك بقيتها تفيض علينا.

تذكرت فكرة أخرى:

٥- غالبًا ما نجد أولئك الذين يخدمهم أحد يستسلمون لمشاعر الغضب والضغينة تجاه مَنْ يخدمونهم. ربما يعود ذلك إلى شعورهم بالحسد منهم لأن أحداً لا يخدمهم، بينما الأمر على النقيض معهم.

سأعاود مجددًا كتابة تعريف للحياة:

- ١- الحياة هي وعي محدود بكل ما هو موجود، لكنه على اتصال بهذا الوجود الروحي الموجود خارجنا، والذي ندركه في صورة أنفسنا.
- ٢- ندرك الحدود التي تفصلنا عن كل ما هو موجود في صورة كيان روحي، يتمثل لنا من زاوية في صورة أجسادنا، ومن زاوية أخرى في صورة أجساد الآخرين.
- ٣- تتمثل لنا عملية التواصل بين كياننا المنفصل وبقية الكائنات الموجودة خارج إطار أنفسنا في صورة حركة أجسادنا وأجسادها على السواء.

١٣ مارس.

أشعر مجددًا أنني لم أقم بالأمر كما يجب^(٣٥٨). عليّ أن أبدأ من جديد. نهضت اليوم شاعرًا بآلام في معدتي. وصل اليوم كل من جولدوينفزر وميموتشكا^(٣٥٩).

(٣٥٨) يشير إلى تعريفه للحياة.

(٣٥٩) الأول عازف وأستاذ بيانو. أما ميموتشكا فهي ليديا إيفانوفنا فيسيليتسكايا، وهي روائية وكاتبة قصص قصيرة روسية.

عليّ أن أدوّن ثلاثة أمور بالإضافة إلى تعديل تعريف الحياة:

١ - إنها المرة الثانية في حياتي التي أقابل بكراهية لا أستحقها، ولم أتسبب فيها بأي شكل من الناس لسبب واحد؛ رغبتهم في التمتع بالشهرة التي أحظى بها. في البداية يحبون أمرًا ما ثم يريدون أن يصبحوا مثله، لكنهم ليسوا مثله، وبالتالي لا يتمكنون من تحقيق ذلك، فتبدأ كراهيتهم له. هكذا هو الأمر مع مينشيكوف وليوفا^(٣٦٠). هذه دلالة على شر الكبرياء.

٢ - الله هو العالم الذي لا نهاية له. نحن البشر الموجودون بالأرض لسنا في مركز العالم، بل في بقعة ما به، فكل بقعة يمكن أن تكون مركز هذا العالم؛ لأنه لا نهائي. نحن البشر نصنع نوافذ في عالمنا، ننظر من خلالها إلى الله، بعضنا ينظر من الزاوية وبعضنا من أسفل وبعضنا من أعلى، لكننا جميعًا ننظر إلى الأمر ذاته رغم أن كل منا يراه ويسميه بصورة مختلفة. النتيجة المستخلصة من فكرة أننا جميعًا ننظر إلى نفس الشيء هي ضرورة أن نعيش جميعًا بتناغم وود وحب. فلندع كل إنسان ينظر من نافذته ويسلك بحسب ما يراه. لماذا تجذب الناس بعيدًا عن نوافذهم وتشدهم إلى نافذتك؟ لماذا تصف نافذته بالشريرة وتدعوه إلى نافذتك؟ هذا أمر يوصف بالفظاظة. إن شعر أحدهم بعدم الرضى مما يراه في نافذته، فليذهب إلى شخص آخر ويسأله عما يراه، وإن كان الآخر راضيًا عما يراه يمكنه أن يحكي له عن ذلك. هذا أمر ممكن ومفيد.

(٣٦٠) ربما يقصد للمرة الأولى علاقته مع تورجينيف، حيث كان تورجينيف في بداية التعارف يخصه بالإعجاب والحب، ثم شابته علاقته به خصومة ونفور.

أنا سعيد للغاية أنني أصبحت متسامحاً تماماً، وقد تعلمت ذلك من الناس.

تتعلق الفكرة الثالثة بالتطور. سأؤجل ذلك إلى فرصة أخرى فالمسألة شديدة الأهمية.

١٤ مارس.

حالي الصحية لا بأس بها. قدمي تؤلماني.

سأواصل الآن ما يتعلق بالفكرة الثالثة:

تدور نظرية التطور وأصل الأنواع عن زمن بعيد جداً عنا. ما الذي سيفيدنا فيما يتعلق بالمكان حينما نوضح أن الأجساد تتألف من ذرات أو نوضح انتقال الضوء عبر الأثير؟ نظرية الذرات والأثير أفضل من ذلك، بل وقد تكون هذه هي الطريقة الوحيدة لوضع قوانين تحدد تكوين الأجسام وانتقال الضوء، لكن الذرات والأثير لا يمثلان أي شيء حقيقي، ويخطئ الكثيرون بفجاجة حينما يضعون نظريات عن واقعية الذرات والأثير. ثمة طريقة واحدة مناسبة لتوضيح العمليات الكيميائية والفيزيائية. كذلك هو الأمر مع نظرية التطور، فهي تقدم وسيلة مناسبة - وقد تكون الأفضل - للتوصل إلى قوانين خاصة بأصل الأنواع، لكنها لا تتضمن في حد ذاتها أي شيء حقيقي. وأولئك الذين يبنون نظرياتهم عن الوراثة أو الأعضاء غير الضرورية وما إلى ذلك على تطور الإنسان من أنواع دنيا يخطئون بفجاجة في الارتكاز على بناء علمي ليس فيه أي شيء واقعي حقاً. يجب أن يبدأ كل بحث علمي حقيقي بتقصي الحاضر والجسد الموجود

الآن ودراسة التغييرات التي تحدث فيه، لا بتقصي الماضي.

٤- قرأت في كتاب «آراء الاشتراكيين» لأنتول فرانس (روائي وناقد فرنسي): «يقول مثل كافة الاشتراكيين النموذجيين وعاشقي العلم حد العبادة، وبالتالي منكري الدين أن لا حاجة لنا للرحمة أو الحب، بل حاجتنا إلى العدالة وحسب». هذا صحيح، ولكن الوصول إلى العدالة الحقيقية يتطلب من سعينا ومثالنا المنشود أن يتسما بإنكار الذات والحب. لتحظى بزواج طاهر، عليك بالسعي إلى العفة الكاملة. للوصول إلى المعرفة الحقيقية، عليك بالسعي إلى معرفة العالم الروحي، وبعدها تأتي المعرفة المادية، وإلا سيتحول الأمر إلى جهل مطبق. لتحظى بتوزيع عادل للخدمات عليك بالسعي إلى التنازل عن كل شيء وألا تأخذ شيئاً لنفسك، وإلا ستسرق عمل الناس. للوصول إلى الهدف عليك بالسعي إلى ما يفوقه.

حان الآن موعد الأمر الرئيس الذي يتضمن كل شيء؛ إنه تعريف الحياة.

الحياة هي الوعي بالجواهر الروحي غير المتغير، الذي يتجلى داخل حدود تفصله عن كل شيء آخر. تتمثل هذه الحدود للإنسان في صورة جسد يتحرك؛ جسده وأجساد الآخرين. لا يمكن أن يفهم المرء انفصال كل كائن أو عدم القدرة على اختراقه إلا بالجسد (المادة) وحركته غير المتوقفة على حركة الآخرين. لذا فالتجسد والمكان من جهة والحركة والزمان من جهة أخرى ليسا إلا شرطين لإمكانية تصور انفصال كياناتنا الروحي عن كل شيء آخر؛ أي عن الكيان الروحي غير المحدود غير

المتجسد غير المُحوَى غير المتحرك وغير الزمني. بالتالي تتمثل لنا الحياة في صورة حياة مادية داخل نطاق المكان، متحركة داخل نطاق الزمان. يتمثل لنا جسدنا كجزء من اللا نهائي في العالم المادي المكاني وكأنه ينحدر من آباء وأسلاف عاشوا قبلنا في زمان لا نهائي، يبدأ في رحم الأم ثم يولد وينمو ويتطور ثم يضعف ويهرم ويموت؛ أي يفقد سمته الجسدية السالفة ويتحول إلى شكل آخر ويتوقف عن الحركة ويموت.

في الحقيقة وعينا بجوهرنا الروحي المنفصل وتحدده بالجسد والحركة هو وحده ما يمنحنا وعيًا بحياتنا الحقيقية.

هذا الكيان الروحي معادل لنفسه دائمًا ولا يخضع لأي تغيير، لكنه يبدو لنا كأنه ينمو ويتوسع أي يتحرك. الحدود المحيطة به هي التي تتحرك، تمامًا كما نظن أن القمر هو الذي يتحرك، في حين أن السحب التي تمر به هي التي تتحرك.

لا حياة حقيقية إلا عندما يتجلى الوعي ويخرج عن حدوده. الوعي دائمًا موجود. هذه الفترات التي يبدو لنا فيها الوعي غائبًا ليست حقيقية. لا يبدو لنا الأمر كذلك إلا عندما ننظر إلى حركة حدود الوعي في الكائنات الأخرى. عندما ننظر إلى أنفسنا نعرف أن الوعي واحد لا يتغير، لا بداية أو نهاية له.

المعرفة التي مفادها أن حياتنا تتلخص في وعينا المحدود، لا في تلك الحدود ذاتها هي المرشد الرئيس الحقيقي لحياتنا، وهي ما تؤلف كذلك أساس الأخلاق. إنها تشكل أساس الأخلاق؛ لأن وعي المرء أن

حياته هي ما هو روحي، وبالتالي ليست مكانية أو زمانية، وأن لا شيء بإمكانه أن يحد الأنا، يدفعه إلى السعي لتحرير النفس من الحدود التي تحد الأنا. لا يمكن لهذا التحرر أن يتم إلا بالحب. الحب هو السعي لإخراج الأنا الروحية من حدودها لتصبح هي وحياة الآخرين واحدًا. هذا هو أساس الأخلاق.

الحب هو سعي المرء للإحاطة بالكل داخل نفسه، وتوحيد وعيه بوعي الكل. لا يمكن لذلك أن يتم داخل الحدود التي يدرك فيها الإنسان نفسه داخل هذا العالم، لذا يشير له الحب إلى طريق آخر، ويُقرِّبه من هذا الطريق الذي يمكن أن يتم فيه سعيه عندما تتحطم الحدود، حيث إن الحياة الحاضرة تحول دون تحقيق سعيه.

٢٠ مارس.

انشغلت الأمس واليوم بكتابة الخطابات. أنهيتها. حالتي الصحية جيدة، لكنني لن أنسى اقتراب انتقالي. دَوَّنت شيئًا ما شديد الأهمية على العلامة التي أشير بها إلى مكان الصفحة، لكنني فقدتها.

١ - عادة ما يظن الناس أن حياة الشيخ ضيقة للغاية، تكاد تصبح لا شيء تقريبًا. الأمر كله يعتمد على منظورنا إلى الحياة. إن نظرنا إلى الحياة بوصفها قوة مادية، ستمثل لأعيننا الآن العلاقات المتغيرة للناس والأشياء على مقربة منا، وسنرى أن حياة الشاب تبدو لنا جبارة، وحياة الشيخ تافهة. أما إن نظرنا إلى الحياة بوصفها قوة روحية توجّه نشاط

الناس روحياً، سرى أن حياة الشيخ كلما يتقدم في العمر تزداد قوتها على تغيير عدد هائل من علاقات الأشياء والناس.

لا... عبّرت عن الفكرة بطريقة سيئة.

٢- عندما يقول الناس إن الفكر والنشاط الروحي هما بشكل عام نتاج لنشاط خلايا المخ، وذلك لأن نشاط الفكر يُشترط دائماً بنشاط المخ، كما أن هذا النشاط يتوقف ما إن يلحق الدمار بالمخ أو جزء منه، فإنهم يقولون ما يقوله شخص يؤكد على أن الإبداع الموسيقي يُشترط دائماً بالبيانو أو الأوركسترا، وأن هذا النشاط يتوقف ما إن يلحق الدمار بالبيانو أو الأوركسترا أو حتى بجزء منها.

مَن يقولون ذلك لا يدركون حقاً أن نشاط الإنسان الروحي لا ينبع عن شروط جسدية، لكنه يستخدمها طالما لا يزال مرتبطاً بها. تُعبّر هذه النظرة عن تحيز وحكم مسبق؛ أي أنهم قرروا سلفاً أن لا شيء موجود سوى الشروط الجسدية. من المفهوم إذن أن ما يستخدمه الجوهر الروحي لأهدافه الخاصة ليس إلا نتاجاً للنشاط الروحي، وهو النشاط الوحيد الحقيقي. ينهال الإنسان بفأسه على شجرة. يتحطم الفأس، وبالتالي لا يستطيع أحد أن يقطع الشجرة. يرون أن ذلك دلالة على حقيقة الفأس، وأن الإنسان الذي يمسك به ليس إلا نتيجة له أو هو بمثابة أمر فائض، كالزائدة الدودية في الجسد. ذاك مَن لا يعرف أي نشاط آخر للإنسان سوى قطع الأشجار بالفأس سيكون محقاً من منظوره الخاص إن اعترف أن الإنسان ملحق بالفأس لا العكس.

لم أدون يومياتي منذ فترة طويلة. كنت ضعيفاً روحياً طوال تلك الفترة. إنه اليوم الثالث الذي يستمر فيه مرضي: رشح وسعال. كنت أشعر اليوم بالضعف وقرأت لثورو (الأديب والمفكر الأمريكي) فتقويت روحياً. نعم، يجب أن تكون الحياة بمثابة تحقيق لعمل الله، وأن نتذكر في كل عمل ما نريدنا أن نقوم به. سأحاول، وسيعينني بقدر ما أسمح له بالنفاذ إلى روحي.

في هذه الفترة دَوَّنت الآتي:

١ - عادة ما يُقاس تقدم الإنسانية بمدى نجاحاتها التقنية والعلمية، على افتراض أن الحضارة تؤدي إلى خير الإنسانية. هذا غير صحيح. إن روسو وكافة المتحمسين للمجتمعات البدائية البطريركية هم أيضاً محقون أو غير محقين بنفس درجة أولئك المتحمسين للحضارة. ثمة تطابق تام بين خير الناس الذين يعيشون ويستمتعون بأرفع وأسمى درجات الحضارة من جهة، وبين خير أولئك الذين يعيشون حياة بدائية غير متحضرة. من غير الممكن زيادة خير الناس بالعلم والحضارة والثقافة، كما لا يمكننا أن نجعل بعض الماء أعلى من غيره وهو جميعاً في بقعة مستوية. لا يمكن زيادة خير الناس إلا بزيادة الحب الذي من سمته أن يساوي بين الناس جميعاً. أما النجاحات العلمية والتقنية فهي مسألة تتعلق بالعصر، والمتحضرون أقل سعادة من البدائيين، تماماً كما هو الأمر مع البالغ حيث إنه أقل سعادة من غير البالغ. خير المرء يتعلق بزيادة الحب وحسب.

٢- أولئك الذين يفتقرون إلى الإرشاد الداخلي والديني يعتقدون أنهم سيجدونه في القانون التاريخي كما يفهمونه. ولكن بما استرشد أولئك الذين بدأوا كتابة التاريخ؟

٣- أتعافى، كما أتتبع تحسن حالتي البدنية. هذا لا يليق بشيخ! حري بالشيخ أن يتتبع احتضاره وحسب؛ أي فناء حدوده.

٢٩ إبريل.

استغرقت طوال هذه الفترة في كتابة الخاتمة^(٣٦١). يبدو أنني على وشك الانتهاء منها. لا بأس بها. كتبت خطابًا وبرقية بخصوص حادثة كيشينيف^(٣٦٢). كانت حالتي الصحية جيدة في تلك الفترة، ثم أُصبت بالبرد، لكنني الآن بخير.

أواصل تدوين أفكارى:

١- ليست الحياة إلا وعيًا. ما يُطلق عليه الفيسيولوجيون «حياة» ليست إلا سمات مقترنة بالوعي وتالية له. ثمة وعيان: الأدنى منه خاص بانفصالك عن العالم، والأسمى خاص بعلاقتك بالعالم.
لا... الفكرة غير واضحة.

٢- يعارضون تفسير ظاهرة ما بالقول: «لا، هذا انحراف، لكن ما أقوله أنا هو الحقيقة»، بينما إن قلنا إن دوران الشمس حول الأرض هي الحقيقة، سيصبح دوران الأرض حول الشمس بمثابة انحراف عن الحقيقة.

(٣٦١) خاتمة مقاله «إلى الساسة».

(٣٦٢) معجزة ارتكبت في يهود المنطقة هناك.

٣- ثمة سمة واحدة للحياة يقينية تمامًا: في البداية: توسيع حدود الوعي؛ أي السعي بالحب صوب إدراك نفسك في بقية الكائنات، وعندما تصل عملية التوسيع إلى أقصى حدودها تنهار الحدود التي كانت تحد الحياة بداخلها؛ أي الوعي.

١ مايو.

٤- كل شيء حي... كافة ما نراه حولنا هي كائنات حية. نحن لا نعترف ببعضها ككائنات حية لسبب واحد؛ بعضها شديد الضخامة كالأرض والشمس، وبعضها لا متناهي الصغر كجزيئات المعادن والبلورات.

٥- كما يُسر الشباب عندما يعون نموهم، لا بد كذلك أن يُسر الشيخ بوعيه بانتهاء الحدود التي كانت تحده.

٦- قالت تانيا: «اللعب عمل جاد». هذا صحيح تمامًا. لو لم يأخذ الناس اللعب على محمل من الجدية، لن يبقى شيء، وسيستحيل اللعب من الأساس. كذلك هو الأمر مع القدّاس في الكنيسة والاحتفالات والأصوام وأعياد الميلاد. لو لم نأخذ هذه الأمور على محمل من الجدية لن يبقى لنا شيء منها، وسيستحيل القيام بها. لذا أكثر ما يتسم الناس بالصرامة فيه هو الوفاء بمتطلبات وقواعد الاحتفال.

٧- كتبت من قبل: «ما من زمان». تعبير قاصر وغير واضح. أدركت اليوم أن مصدر الزمان والحركة هو الوعي بتعدد الكائنات التي تحد الوعي. لو كان ثمة كائن واحد يحد وعيي لما كانت هناك حركة. ولكن

وجود كائنات كثيرة يتطلب بالتالي وعياً حتى نتمكن من إدراكها كحدود لنا. يتمثل لنا ذلك في الحركة داخل إطار الزمن. يبدو لنا أن ثمة زماناً، وأنه بالتالي مملوء بوعي الكائنات. لكن في الحقيقة ليس ثمة شيء سوى الوعي، وهو يتمثل لنا في صورة «الزمان».

تحتاج الفكرة إلى مزيد من التوضيح.

٨- تتألف حياة جميع البشر في البداية من عملية توسيع حدود الوعي ثم تدميرها بعد ذلك تماماً. أما الحكمة فهي إدراك ذلك، وأن نرى في عملية توسيع الحدود خيراً للحقيقي، وبالتالي ندعم تلقائياً عملية توسيع الحدود.

٩- يماثل تفسير أصل الكائنات من (الخلية الأصلية - البروتوبلازما) تفسير العمليات الكيميائية بواسطة الذرات والنور بواسطة موجات الأثير التي لا وزن لها. ما من وجود للذرات والأثير في حد ذاتهما، لكنها مجرد وسيلة لتفسير الظاهرة ووضع قوانين افتراضية لها. ليس للذرات أو الأثير وجود حقيقي لما نفترضه من مكان لا متناهي الصغر، وكذلك هو الأمر مع الحجم والوزن. ينطبق الأمر ذاته على تفسيرات أصل الأنواع من البروتوبلازما، فهي مجرد طريقة لتفسير الظاهرة ووضع قوانين افتراضية لها. إنها تفسيرات غير حقيقية في حد ذاتها لما نفترضه من لا نهائية الزمان التي تمت فيها هذه العمليات المفترضة.

١٠- يكمن خطأ الحركة النسوية في رغبتهن أن تفعل النساء كل ما يفعله الرجال، في الوقت الذي تتميز فيه النساء عن الرجال بسمات خاصة بهن تماماً. بالتالي فإن أردن أن يتسمن بالكمال ويشغلن موضعاً

ساميًا في المجتمع، عليهن بالتطور في مجالهن الخاص. لا أعرف ما هو هذا المجال تحديداً، وللأسف هن على جهل به أيضاً، لكن المؤكد أنه طريق مختلف عن طريق الرجال.

١١ - لينفصل كائن عن آخر، عليه ألا يتحد به وألا يكون قابلاً للاختراق. هذا غير ممكن إلا عندما يكون الكائن مادياً، لذا تتمثل لنا كافة الأجساد المنفصلة عن بعضها في صورة مادية.

١٢ - يسألني شخص ما: هل يعتمد المصير على الإنسان، أم الإنسان على المصير؟ كلما عاش المرء حياة روحية، زادت استقلاليته عن المصير، والعكس صحيح.

١٣ - ثمة خرافة مريضة في قرننا، مفادها أننا نقابل اختراع كل آلة تختصر عملنا بفرح شديد، ونعتبر أن من الضروري أن نستفيد بها، ولا نسأل أنفسنا هل زيادة اختراع هذه الآلات التي تختصر العمل تسعدنا أم أنها تدمر الجمال. إننا نشبه فلاحه تفرط في تناول اللحم لوفرتة رغم أنها لا تشعر بالجوع وأن الطعام قد يضرها؛ السكك الحديدية بدلاً من السير، والعربات بدلاً من الجياد، وآلات النسيج بدلاً من الحياكة اليدوية.

١٤ - مناهج العلوم الطبيعية التي تؤسس نتائجها على الحقائق هي أكثر المناهج لا علمية. ما من حقائق، الأمر كله يتعلق بفهمنا لها. لذا نحن في حاجة إلى ذلك المنهج الذي يتحدث عن طرق الفهم المختلفة والانطباعات.

١٥ - الحياة هي الوعي وحسب. ليس لدينا الحق في أن نقول عن أي حياة إنها بلا وعي. ليس لدينا الحق كذلك في أن نطلق مسمى «حياة»

على ما يقتزن بالوعي وحسب بدعوى أننا نراقب كائنات أخرى ونعرف من الناس الذين يراقبوننا أن الظواهر الفيسيولوجية المقترنة بالوعي كانت موجودة قبل ظهور هذا الوعي. يدرك الإنسان نفسه كياناً واحداً بدءاً من الطفولة ومروراً بسن النضج وحتى الشيخوخة، وذلك بسبب أن وعي الطفل ووعيه بعد خمسين عاماً هو واحد وما من زمان بالنسبة له. الزمان للكثرة وحسب.

١٦ - الحياة سبات. لا يصعب علينا الاستيقاظ إلا عندما لا نحظى بنوم كافٍ. إنها نفس المعاناة بالضبط التي نشعر بها حينما يموت شاب يافع. لكن عندما ننال قسطاً وافراً من النوم نستيقظ بسرور، ولا بد كذلك للشيوخ أن يُسر بانقضاء حياته القديمة؛ أي باستيقاظه على حياة جديدة.

١٧ - تظهر الأحلام في غمضة عين عند الاستيقاظ، وتبدو لا زمنية. تتطور تصوراتنا بترتيب معين، وأحياناً يكون الترتيب غير منطقي، ويعود السبب لكثرتها، ويمنحنا هذا الترتيب وهماً بواقعية الزمن. أليس الأمر كذلك مع الحياة بتمثلاتها المتعددة، والتي غالباً ما تكتسب أيضاً ترتيباً غير منطقي، وتمثل لنا داخل إطار الزمن؟ ألا يتلاشى هذا الوهم عند لحظة الموت ولا يتبقى سوى ما يتبقى بعد الاستيقاظ؛ أي وعي منتعش قد توسعت حدوده؟

١٨ - لا تتضمن الأحداث زماناً؛ أو بالأحرى ما يمنحنا مفهوم الزمن هو تعدد وتبدل تصوراتنا.

١٩ - يؤدي التعدد إلى مفهوم الحركة والزمن.

حالي الصحية متقلقلة تماماً، ولكن حمداً لله أن ذلك لا يحزنني

ولا يبهجنني أيضًا، لكنني أشعر أن الأمور على ما يرام وأنها تسير على ما ينبغي. أريد أن أفكر في الخاتمة كي أنتهي منها.

١٣ مايو.

حالي الصحية سيئة، وأشعر بالآلام الكبد، لكن قواي لا تضعف. أنهيت الخاتمة، وأرسلتها. تانيا هنا بصحبة زوجها، وكذلك ستراخوف، وآه من قصته المريعة^(٣٦٣)! مساء اليوم فكّرت في فكرتين:

١- يجب تعويد النفس على أن تكون في حالة من الورع عند التعامل مع أي إنسان. يجب أن نقول لها ما إن تتصل بشخص ما: انتبهي! وسننجح في تعويدها على ذلك.

٢- هذا تأكيد على أن الوعي هو ذكرى مجردة، وأن الذكرى وعي اكتسب صورة. الوعي ذكرى عن كل ذلك الوقت اللا نهائي الذي قضيناه في حياتنا السالفة، تتمثل لنا داخل إطار الزمن. يمكننا أن نقول بشكل مجرد إن الوعي هو الوعي بوعيك. ليست الذكرى إلا وعيًا زمنيًا باستمرارية الحياة. يمكننا أن نقول بشكل مجرد إن الذكرى هي وعي بلا زمانية الحياة.

٣- عندما يعي الإنسان وعيه يخرج عن إطار الزمان. هذا أمر ضروري للحياة الصالحة.

(٣٦٣) أبطل زواج ستراخوف بزوجه على أساس درجة القرابة الشديدة بينهما بالرغم من استمرار زواجهما ١٣ عامًا.

١٧ مايو.

معدتي مريضة طوال الوقت. رأيت الليلة شرارة الضوء الساطع في عيني، ولسبب ما شعرت بالآتي دون أن أفهمه: شعرت أن كل ما يجعلنا نتصور ونشعر أن هذا العالم حقيقي ليس إلا طيفاً؛ أي وهم.
راجعت في (الحاج مراد). وصلت إلى موضع نيكولاي بافلوفيتش، وبدأ لي كما لو أن الأمور انجلت لي^(٣٦٤). دونت فكرة واحدة:
الدليل على أن الذكرى هي وعي والعكس كذلك، هو أنك كلما طال بك العيش ضعفت ذاكرتك وتقوى وعيك.

٢٦ مايو.

حالتي الصحية لا بأس بها. دونت بعض الأفكار في دفثري، وسأقل منها الآتي في دفثري يومياتي:
حياتنا الآنية ليست وهمًا وليست هي الحياة بأكملها، بل هي أحد تجليات الحياة الأبدية.

٢٧ مايو.

سأذهب اليوم إلى بيروجوفو^(٣٦٥). أنا مستغرق طوال الوقت في شخصية نيكولاي بافلوفيتش. كل شيء ليس على ما يرام، لذا فُكرت بالأمس في تعريف للحياة يبدو جيدًا.

(٣٦٤) الفصل الخامس عشر، ونيكولاي بافلوفيتش هو نيكولاي الأول إمبراطور روسيا وقتها.

(٣٦٥) لزيارة أخيه الذي ساءت حالته الصحية بشدة.

فَكَرْتُ فِي الْآتِي:

١ - حركتي؛ أي حركة جسدي هي شرط ضروري لانفصال أناي عن بقية الكائنات. لو لم أتحرك لما كنت منفصلاً عنها. لو لم أكن منفصلاً لما كانت هناك حركة. هذا يعني أن الحركة والانفصال يقترنان ببعضهما. ولكن أيهما يشكل البداية؟ الانفصال.

٢ - أنا كائن روحي، وبالتالي غير محدود، منفصل عن الكيان الكلي، لذا أسعى إلى تحطيم الحدود التي تفصلني عنه. لهذا وُجِدَت الحركة.

٣ - كل حركة هي سعي لتوسيع حدود الأنا كي تتضمن بداخلها كافة الكائنات، وتجعلها واحدًا معها. يفسر لنا ذلك الرغبة في استبعاد كافة الكائنات وإخضاعهم لإرادتنا: الحيوانات والنباتات والزواج والأسرة وهضم الطعام في المعدة وتنفس الهواء والسمة الغذائية لكافة الكائنات الحية من الإنسان وحتى الانفوسوريا (كائن وحيد الخلية).

٤ - يتجلى الكيان الروحي في هذه الحياة بوعي المرء لكيانه المنفصل. هذا واحد من التجليات، لكنني لا أستطيع القول بأنه الوحيد. ثمة تجليات مختلفة وقد يكون عددها لا نهائيًا، لكن هذا التجلي ليس عرضيًا ولا زمنيًا، بل أبدي.

٥ - نشاطي هنا إذن ليس بلا جدوي، بل إنه لازم لكافة الكائنات الأخرى. إنني أقودهم صوب الطريق وأدعم عملهم بقوة كبيرة.

٦ - لم يُعْطَ للإنسان أن يعرف سبب انفصال الكيان الروحي الذي يعمل على توسيع حدوده، لكنه أمر ضروري بلا شك.

٧- حياتنا ليست وهمًا، بل إنها حياة أبدية تتم بتجلي الوعي في حالة انفصاله.

٨- بخروج الإنسان إدنً من شكل الحياة الحالي ودخوله لحياة أخرى، يترك بصمته الأبدية في هذه الحياة.

٢٩ مايو.

بالأمس ذهبت إلى بيروجوفو. حظيت برحلة جيدة، ووجدت الأمور هناك على ما يرام. كتبت اليوم إضافة صغيرة إلى الخاتمة وأرسلتها^(٣٦٦). بينما كنت أنتزه اليوم، فكّرت في فكرة هامة سأدونها. رحلت ساشا، ووصلت لينوتشكا (ابنة شقيقته). في المساء تمشيت وابتهجت بجمال الطبيعة.

عليّ تدوين تلك الفكرة:

تبدأ الحياة ببدء إدراك المرء لكيانه الروحي الذي تحدده حدود. أول ما يفعله هذا الوعي هو أن يتذكر ما حدث له من قبل. ما الذكرى؟ إنها فعل غير مادي يمكنني أن أنسب به إلى نفسي حدثين أو انطباعين مختلفين أو أكثر. أشعر وأقول إنني مررت بهاتين الحالتين.

هذا الوعي بوحدة الحالات المختلفة هو بداية الحياة الروحية. لا يمكن للإنسان أن يدرك أنه كيان روحي منفصل عن أي كائن آخر إلا بالوصول إلى هذا الوعي. لا يدرك الإنسان قبل ذلك أنه يحيا حقًا، هذا إن سلك ككيان منفصل، الأمر الذي نعرفه بملاحظتنا الخارجية للآخرين،

(٣٦٦) يشير إلى مقالة "إلى الساسة".

ولا نعرفه أبدًا بأي خبرة داخلية. يبدأ وعي الحياة ككيان منفصل عن الكيان الكلي بالتذكر؛ أي بإدراك المرء لكيانه الروحي الموضوع داخل حدود.

١ يونيو.

أحيانًا أشعر بآلام في المعدة، لذا أعمل على نحو سيئ. أحاول طوال الوقت أن أكتب الفصل الخاص بنيكولاي بافلوفيتش في رواية (الحاج مراد). أفكر في تعريف للحياة. كتبت إضافة صغيرة للخاتمة وأرسلتها. ذهبت كذلك إلى بيروجوفو. لينوتشكا هنا، وسيصل ميشا وزوجته اليوم. يتمثل الدعم الروحي الرئيس عند مواجهة أي إزعاج من قبل الناس في الوعي بالآتي: «دعهم يفعلون ما يشاؤون، وليحدث ما سيحدث من جراء ذلك. لا يمكنني تغيير ذلك، وقد قمت بما توجب عليّ القيام به». لا أستطيع طوال الوقت مقاومة مشاعري السلبية تجاه فلان (شخصية غير معروفة).

٣ يونيو.

حالة معدتي سيئة طوال الوقت، لكنني أناضل نفسي. بالأمس كتبت جيدًا عن نيكولاي (برواية الحاج مراد). كتبت اليوم بعض الخطابات ودوّنت الأفكار الآتية:

١ - تعي كل سلطة أن وجودها مرتبط تمامًا بجهل الشعب، وبالتالي تخشى غريزيًا التنوير وتكرهه، وهي محقة في ذلك. ثمة بعض الظروف التي تضطر فيها السلطة لبعض الإجراءات التنويرية، وحينها تتظاهر بأنها

تصون هذا التنوير، لكنها في حقيقة الأمر تسيطر عليه وتُشوّهه. تأتي أوقات أخرى لا تجد السلطة فيها نفسها مضطرة لذلك، وذلك حينما تتعاضم قوتها بشدة. ظهر نيكولاي في ظروف كالسالف ذكرها وأدرك ذلك وسلك بمقتضاه.

٢- لقد ظن نيكولاي أن الناس جميعًا يشبهون مَنْ يحيطون به. مَنْ يحيطون به كانوا أوغادًا، لذا ظن نيكولاي أن الجميع أوغاد.

٣- علينا أن نراعي الله، ولا يكون ذلك عند لقائنا بالناس وحسب كما كتبت سابقًا، ولكن دائمًا، حتى عندما يكون المرء وحيدًا. على المرء إذن بضبط النفس والعمل... إلخ.

٤ يونيو.

نمت قليلًا. معدتي تؤلمني طوال الوقت. بالأمس أعطيت يومياتي لميشا لينسخها من أجل بوشا^(٣٦٧). ثمة الكثير مما يمكن أن يفيدني فيها. عكفت اليوم على العمل؛ أردت أن أستكمل ذكرياتي لكنني لم أستطع. بالأمس قرأت كتابًا عن نيكولاي الأول، ووجدت فيه مواضع ممتعة كثيرة. عليّ أن أنتهي من قراءته قبل أن أكتب.

٥ يونيو.

لا أعمل طوال الوقت. تحسنت اليوم حالة معدتي. أقرأ في الكتاب المتعلق بنيكولاي. دوّنت فكرة واحدة:

(٣٦٧) في البداية أعطى تولستوي يومياته لابنه كي ينسخها ويعطي النسخة لبوشا الذي كان يكتب قصة حياته، ثم أوقف العملية قائلاً: إنه لن يعطي يومياته لأحد؛ لأنها مريعة في دنائها.

العمل على النفس أمر ضروري حينما يكون المرء بمفرده، بعيداً عن تأثيرات الناس أو أي أفعال. على المرء أن يستغل فترات وحدته في إصلاح أفكاره؛ يفارق الشريرة منها ويستدعي في نفسه الأفكار الصالحة. أقوم بهذا قليلاً وعلى نحو جيد. محاولة إصلاح المرء لنفسه وسط حركة الحياة يماثل محاولة ترميم عربة أثناء سيرها.

٩ يونيو.

حالي الصحية أفضل. أتقدم قليلاً فيما يتعلق بنيكولاي بافلوفيتش. فكّرت في أمور ثلاثة جديدة. حان موعد موتي، بينما لا أزال أفكر في أعمال جديدة!

١ - قصة عن حفل راقص (٣٦٨).

٢ - صرخة الشيطان عند اقتراب المسيح.

٣ - مَنْ أنا؟ وصف لنفسي الآن بكافة جوانب شخصيتي الشريرة والصالحة.

فكرة يجب تدوينها:

ثمة ثلاثة محركات تدفع الإنسان في عمله: الشعور والأفعال المنعكسة - التنويم - الدافع العقلي. يراقب الأخير عمل الأولين، لكنه لا يُراقب من أحد، بل يُراقب نفسه بنفسه.

عند اصطدام المحركين الأولين أثناء القيام بفعل؛ أي عندما يتعارض شعور المرء تجاه فعل ما بما يناقضه؛ أي بالتنويم، يُحسم الصراع دون

(٣٦٨) قصة (بعد الحفل الراقص).

مشاركتي. أما عندما يتعارض الشعور أو التنويم مع الوعي العقلي،
يحسم الأخير الأمر بطريقة أو بأخرى؛ إما يستسلم وإما يسود.
هذا يعني أن الحياة الحقيقية هي العقلانية الواعية.

١٨ يونيو.

حالي الصحية بخير. استمر الطقس السيئ ثلاثة أيام، وشعرت
بالضعف الشديد. أخرج كثيرًا على متن الجواد. جاءني بعض الزوار:
دافيدوف - آل أبريكوسوف - ماسلوف - جليوف.

لا أعمل تقريبًا. قررت أن أترك شخصية نيكولاي بافلوفيتش كما
هي، وإن لزم الأمر سوف أكتب عنها بشكل منفصل فيما بعد.
عليّ تدوين الآتي:

١- يجري توسيع حدود الوعي؛ أو بالأحرى استجلاء الوعي
الروحي والانتقال من الأنا الشخصية إلى الوعي الروحي ويتم التعبير
عن ذلك بالحب. من الأسهل طبعًا أن يحب المرء من يشبهه. لذا أسهل
علينا أن نحب من الناس أقرباءنا ومن يشبهونا أكثر من الغرباء، ويلى
ذلك في درجة سهولة الحب: حب الحيوانات التي تشبهنا ثم في المرحلة
الأخيرة: النباتات.

٢- فكّرت في أفكار ثلاثة أخرى:

أ- صرخة الضالين اليوم: الماديين - الوضعيين - النيتشويين هي
صرخة مرقس ١: ٢٤: «آه! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ

لِتَهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللَّهِ!»^(٣٦٩). من الممكن أن تكون فكرة جيدة جدًا.

ب - لصالح ضحايا اليهود^(٣٧٠): حفل راقص مرح في كازان. أقع في حب كوريشا الجميلة ابنة القائد العسكري - أرقص معها، ثم يجذبها أبوها العجوز بلطف ويرقص معها رقصة المازوركا. في الصباح، بعد ليلة لم أتمكن فيها من النوم بسبب الحب تتعالى أصوات طبول وَيَجْرُونَ أحد التتر ويأمر القائد العسكري بضرب التتري بالعصي بقسوة. من الممكن أن تكون حكاية جيدة جدًا.

ج - وصف حقيقي لنفسي كما أنا الآن فعلاً بكافة ضعفاتي وحماقاتي، يتخلل ذلك ما هو مهم وجيد في حياتي. ربما تكون هي الأخرى فكرة جيدة.

كل هذا أهم كثيرًا من رواية (الحاج مراد) الغبية.

٣ - حوار نيكيتين مع أبريكوسوف (من أصدقاء تولستوي) يعبر عن أكثر الأفكار شيوعاً؛ تلك التي يدينها غير المسيحيين حينما يقولون: "لماذا لا يتبع مَنْ يعترفون بالمسيحية تعاليمها كاملاً؟ نحن الماديون،

(٣٦٩) يتعلق هذا الاقتباس الإنجيلي بحادث إخراج المسيح لروح شرير من واحد من الناس، وهذه الجملة هي صرخة الروح الشرير عند رؤيته للمسيح بحسب القصة. يشبه تولستوي إذن دعاوى الماديين والوضعيين والنيشويين بصرخة الروح الشرير السالف ذكرها. لم يكتب عملاً عن هذه الفكرة.

(٣٧٠) وافق تولستوي على تخصيص ما يصله من بعض أعماله لصالح ضحايا اليهود في حوادث كيشينيف.

إن وضعنا لأنفسنا مثالاً (ولاحظ أنهم يقولون مثالاً) نتبعه“. لكن بيت القصيد أن المثال واحد وحسب؛ ألا وهو المثال المسيحي الذي يتلخص في العيش من أجل الله أو بحسب إرادته. لا يمكن للإنسان الذي يضع لنفسه هذا المثال أن يتبعه كاملاً، أما غير المسيحيين يعيشون حياة حيوانية تماماً، ويمكن أن يفعلوا الخير للناس، ولكن من أجل صالحهم، ودائماً ما يدون متسقين مع أنفسهم مثلما هو الأمر مع أي حيوان. ينشأ سوء الفهم هذا من أن غير المسيحيين لم يختبروا ضغط العمل المطلوب ”مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَحْتَطِفُونَهُ.“ (متى ١١ : ١٢) اللازم للوصول إلى المثال المسيحي، وبالتالي يبدو لهم أن اتباعه أمر سهل مثل اتباع الطبيعة الحيوانية.

في الواقع ثمة حدان يحيطان بحياة البشر أجمعين، وهم يتعلقان بعلاقة الحياة الحيوانية بالمثال الروحي، وهي علاقة واحدة في كافة الفلسفات والأديان الحقيقية. يتمثل الحد الأول في الاتباع الكامل للمثال الروحي، بينما يتمثل الثاني في الاتباع الكامل لمتطلبات الطبيعة الحيوانية. يدرك كل إنسان ذلك في الطفولة. في الوقت نفسه ثمة عدد لا نهائي من درجات الحد الآخر. الناس جميعاً يقفون على درجة من هذه الدرجات، ويتقدمون جميعاً من درجة الحياة الحيوانية إلى الروحية.

٤ - هام جداً لتعريف الحياة: الحياة وعي. ثمة نوعان من الوعي: الأدنى وهو يتعلق بانفصالك عن الكيان الكلي، والأسمى، وهو يتعلق بإدراكك أنك جزء من الكيان الكلي، إنه وعي بلا زمانيتك ولا مكانيتك؛ وعيك بروحانيتك وشموليتك. أصف الوعي الأول بالأدنى لأننا ندركه

بوعينا الروحي الأسمى. بإمكان المرء إدّ أن يفهم ويدرك انفصال كيانه عن أي كيان آخر. لكنني لا أستطيع إدراك الوعي الثاني؛ الروحي. إني لا أعني سوى أنني أعني، وأعني وعيي بأنني أعني... إلى ما لا نهاية. يعطينا النوع الأول من الوعي: الأدنى، مفهوم الجسد والمادة والحركة، وبالتالي الزمان والمكان، وذلك بسبب أنه وعي بالانفصال. أما الوعي الثاني فلا يعرف لا الجسد ولا الحركة ولا المكان ولا الزمان، ولا شيء يحده، فهو معادل لنفسه دائماً. يتمثل عمل الحياة إدّ في انتقال الأنا من كيان منفصل إلى كيان روحي شامل.

لم أنجح في التعبير مجدداً عن الفكرة بوضوح، ولا أستطيع أن أواصل.

٥ - Ignorabimus^(٣٧١): يحب العلماء استخدام بعض الكلمات اللاتينية التي لا يمكن أن يفهمها سوى البعض. نعم، لن نعرف، أو بالأحرى ثمة أمور لا يمكننا أن نعرفها. من المهم جداً أن نعرف ما هي الأمور التي لن نعرفها حتى لا نهدر قوانا عبثاً في محاولة معرفة ما لا يُعرف.

لماذا يسعى الكيان الروحي إلى توسيع حدوده بل وتمزيقها؟ ماذا سوف يحدث مع الكيان الروحي بعد أن يمزق الحدود من حوله؟ ثمة أمور أخرى كثيرة لا يمكننا أن نعرفها. لقد أنهكت.

(٣٧١) مصطلح لاتيني يعني: لن نعرف.

١٩ يونيو.

لم أكتب شيئاً. أشعر بضعف شديد، لكن حالتي الصحية بخير. عليّ أن أدوّن فكرتين، وحسب:

١ - يقترب الناس جميعاً بدرجة أو بأخرى من هذا الحد أو ذاك؛ فالبعض يعيش من أجل نفسه وحسب، بينما يعيش البعض الآخر من أجل الآخرين وحسب.

٢ - أنهيت قراءة كتاب (حياة فرانسيس الأسيزي). كم هو جميل أنه كان يعامل الطيور كما يعامل أشقاءه! كذلك كان حديثه مع رير ليون عن ماهية السعادة رائعاً.

الحياة هي الوعي بوحدتك مع الله.

٢٣ يونيو.

حالتي الصحية بخير. أتناول التوت وأخرج على متن الجواد كثيراً. أنا في حالة وهن فكري. دوّنت فكرة واحدة:

سماتي الشخصية شديدة السوء؛ أنا شديد البلادة صوب الخير، وبالتالي عليّ أن أبذل جهداً كبيراً حتى لا أصبح وغداً حقيقياً. وكما قال يوري سامارين^(٣٧٢) على نحو شديد الروعة إنه معلم رياضيات رائع لأنه شديد البلادة تجاهها. أنا كذلك رائع في الرياضيات، لكنني شديد البلادة

(٣٧٢) كاتب روسي، من أنصار النزعة السلافية، وأحد دعاة الإصلاحات الزراعية.

تجاهها، وكذلك صوب الخير في الأساس، لذا لست شديد السوء... لا، بل يمكنني أن أقول بجرأة إنني معلم جيد.

٢٧ يونيو.

آلمتني معدتي لأربعة أيام، وأصبت كذلك بالإسهال، وأحياناً كان مقترناً بنزيف. اليوم حالتي أفضل. ذهني صافٍ. لم أفكر في شيء. كتبت خطاباً لليزافيتا أندريفنا بيرس (شقيقة زوجته).

٣٠ يونيو.

لم أكتب شيئاً. انقضت فترة مرضي. بدأت أعود لنشاطي العقلي. كتبت بعض الخطابات. جاءني زوار كثيرون. دوّنت بضع أفكار وأرسلتها لبولانجي. عليّ أن أدوّن أفكاراً أخرى.

٤ يوليو.

دوّنت بعض الأفكار، وصحّحت في (الحاج مراد). حالتي الصحية لا بأس بها، لكنني أضعف من ذي قبل. أفكر في أفكار كثيرة للكتابة، ومن الواضح أنني لن أستطيع تنفيذها. كنت أقرأ اليوم كيف كان الجنود يتدربون. كم سيكون من الجيد أن أحكي عن ذلك بطريقة بسيطة حد السذاجة!

بالأمس تحدثت مع جولدينيفايذر عما يحدث للوعي أثناء الجنون وتوصلت إلى الآتي:

١ - تستمر الحياة أثناء الجنون بالنسبة للمراقب الخارجي وحسب، بينما تغيب الحياة الحقيقية؛ حياة الوعي، كما يحدث أثناء النوم وفي

رحم الأم وفي أيام الطفولة الأولى وفترات تأجج الشهوة. لا تكون الحياة الإنسانية حقيقية إلا عندما يدرك الإنسان جوهر الحياة الروحي بداخله، وهذا الجوهر يتضمن بداخله حياة العالم المادية المتحركة العابرة.

١٠ يوليو.

أشعر بالضعف طوال الوقت، وبالأمس كان ضعفي شديداً. قلبي معتل. وصلت ماشا وكذلك كوليا وأندريوشا وليوفا. اليوم حالتي الصحية والمعنوية أفضل. ينجلي لي أكثر فأكثر معنى الحياة.

انجلت لي كذلك شخصية نيكولاي بافلوفيتش. دَوَّنت شيئاً ما، وأرغب في تدوين الآتي كذلك عن الحياة:

١- في البداية تتمثل الحياة للإنسان في صورة مادية مكانية ومتحركة زمانية. في البداية يدرك الإنسان الحياة في انفصاله عن أي كائن آخر متحرك، ويعتبر أن هذا الانفصال هو ما يشكل كيانه مفترضاً أن حياته مادية مكانية، تتحرك من تلقاء نفسها داخل إطار الزمن، ويرى حياته في حركة هذه المادة داخل نطاق الزمن، ويظن أن توقف حياته يتمثل في توقف حركة المادة هذه.

٢- ما يدعم هذه الثقة هي ملاحظة المرء للآخرين الذين يتمثلون له باستمرار في صورة مادية داخل نطاق المكان ومتحركة داخل نطاق الزمان. أما تلك الأوقات التي لا يشعر فيها المرء أحياناً بحركة حياته داخل نطاق الزمان، مثلما يحدث أثناء النوم مثلاً أو فقدان الوعي أو الجنون أو ازدياد حدة الشهوة، ويرصد عدم توقف حركة المادة في بقية

الكائنات، تجعله يعتقد أن حياته تتحرك داخل نطاق الزمان بشكل لا يتوقف، مع كونه داخليًا لا يختبر هذه الديمومة. ليس ذلك وحسب، بل يختبر في داخله وعيًا واحدًا فقط معادلًا لنفسه لا يتحرك، ولا يتخلله شيء في ضوء الملاحظة الخارجية سوى فجوات النوم والجنون والشهوات، لكنه في الحقيقة وعي واحد دائمًا.

هذا الوعي الموجود داخل إطار الزمان والمكان ليس حقيقيًا، بل هو بمثابة اقتراب منه واستعداد له. لا تبدأ الحياة الحقيقية إلا عندما يعي الإنسان جوهره الروحي اللا زماني واللا مكاني، وحينها فقط يصبح للحياة معنى حقيقي.

١١ يوليو.

سأكمل:

٣- يعني ذلك أن الناس يختبرون نوعين من الحياة ويقصدون بكلمة «حياة» معنيين مختلفين. يشير المعنى الأول إلى مادة متحركة منفصلة عن بقية الكائنات يظنها الإنسان نفسه، بينما يشير المعنى الثاني إلى كيان روحي غير متحرك، معادل دائمًا لذاته، ويرى الإنسان فيه نفسه.

٤- يبدو المفهومان مختلفين، لكنهما في الحقيقة ليسا مفهومين، بل واحد فحسب؛ إنه مفهوم إدراك الذات ككائن روحي موضوع داخل حدود إدراك الحياة داخل نطاق الزمان والمكان وإدراك الإنسان لنفسه ككائن منفصل عن بقية الكائنات هو مجرد قصور في التصور. تصور النفس ككيان منفصل عن الكيان الكلي هو أمر غير ممكن إلا للكيان

الروحي، ولا يمكن للكيان الروحي أن يكون داخل إطار الزمان أو المكان. لذا الاعتراف بأن حياة الإنسان هي حياة مادية تمامًا وزمنية هو مجرد خطأ في التفكير. ثمة اعتراف بأنه جزء من الكل، وبالتالي يشير ذلك إلى خطأ التفكير، تمامًا كما لو أننا نرى أن القوة التي تحرك عجلة الطاحونة هي مجرى الماء المتساقط منها وليس النهر.

٥- الفارق بين إدراك الحياة كجوهر روحي غير متغير والاعتقاد أنها هي تلك الحدود التي تحيط بها هو أمر شديد الأهمية ودائمًا ما كان يقوم به كافة المعلمين الدينيين. يتأسس التعليم الإنجيلي الخاصة بالحياة الحقيقية على التفريق بين الاثنين: حياة الروح والحياة الزائفة؛ أي الجسدية العابرة.

٦- تعود أهمية هذا التفسير إلى أن الناس ينالون إرشادهم في الحياة من وعيهم بخداع الحياة الزائفة والفارق بينها وبين الحقيقية، وهذا بدوره ما يقدم للناس تعاليم الخير والحقيقة والحب التي تجلب للإنسانية خيرها الأقصى.

٧- ينبع كل ما نطلق عليه «فضيلة» من وعينا بأن حياتنا الحقيقية هي وعينا الروحي، وينبع منه كذلك خير الناس الأقصى. ينبع من هذا الوعي ما يمثل أساس كافة الفضائل: الحب؛ أي إدراك أنك تتضمن في داخلك حياة كافة الكائنات في العالم. لتحقيق متطلبات الحب ينبع من هذا الوعي إنكار الذات وضبط النفس وعدم الخوف، وكذلك تظهر بوضوح متطلبات واضحة وقوية لما نسميه «الضمير». ليس الضمير سوى وعي المرء بروحانيته.

٨- مَنْ يدرك حياته، يشبه عبدًا أدرك فجأةً أنه قيصر. يبدو أن هذا القول يعود لباسكال.

١٢ يوليو.

فكرت ليلاً في أفكار شديدة الأهمية:

١- يربكنا مفهوم لا نهائية الزمان والمكان. يعود ذلك إلى أننا نعزو الفاعلية إلى ظواهر غير فاعلة؛ أي إلى ظواهر زمانية ومكانية. تبدو لنا هذه الظواهر كأنها لا نهائية. ليس لها وجود في الواقع، لذا لا يمكنها أن تكون نهائية أو لا نهائية. لا وجود حقيقي إلا لما هو روحي، لا أقصد هنا اللا نهائي، بل أقصد ما لا يمكننا أن نفترض فيه النهائية أو عدم النهائية على وجه السواء. في حياتنا نرى ظواهر تجري بترتيب معين داخل نطاق الزمان والمكان، وهذا يجعلنا نظن أن هذه السلسلة موجودة خارج حياتنا كذلك. هذه ضلالة، والسبب في ذلك أننا نعتبر حياتنا عابرة، بينما نظن العالم لا يصيبه تغير، بينما حياتنا الروحية هي التي لا يصيبها تغير، ولا ينطبق عليها مفهوم النهائية أو اللا نهائية على السواء. ليس العالم بكل ما فيه من حركة إلا ظاهرة مؤقتة يعتمد وجودها على تصوراتنا.

٢- ثمة أناس مُجْهَدُونَ ولا يتحلون باللطف، غير عادلين، أشرار، لكنهم أحياناً ما يستسلمون تماماً لله؛ أي الخير والحقيقة. يمكن أن نصفهم عن كل شيء ارتكبه لخاطر هذه اللحظات وحسب. وثمة أناس يتحلون باللطف وصالحون، لكنهم لا يصلون أبداً إلى الوعي بالحقيقة الكاملة والخير. هؤلاء هم المُجْهَدُونَ فعلاً.

غير جيد وغير سليم.

١٥ يوليو.

لا أستطيع الكتابة طوال الوقت. أفكاري غير واضحة، ولا تراودني الرغبة من الأساس، ولكن انجلت لي بغتة بعض الأفكار بخصوص تعريف الحياة. هذا ما فكّرت فيه:

١- من الخطأ أن نميز بين أوقات الوعي الصافي والغارق في الضباب، كما هو الأمر في النوم والجنون. ثمة كيان واحد موجود خارج نطاق الزمن؛ ألا وهو أناي. إنها مضببة بمحدوديتي بدرجة أو بأخرى، كما يكتنف الغلاف الجوي والسحب الشمس، لكنها واحدة دائمًا ولا زمانية.

٢- يُقال: «بالخلود الحقيقي تبقى شخصيتي دائمًا». نعم، شخصيتي هي مصدر بلائي وهي أكثر ما أشعر بالنفور صوبه في هذا العالم. البقاء مع شخصيتي للأبد هو فعلاً عذاب اليهودي التائه^(٣٧٣).

١٦ يوليو.

حالة معدتي سيئة طوال الوقت. لا أعمل. فكّرت اليوم على فراشي في أفكار شديدة الأهمية:

١- من المستحيل أن ينام المرء عمداً، لكن من الممكن أن يستيقظ عمداً.

(٣٧٣) شخصية خيالية أسطورية عن رجل يهودي حُكِمَ عليه بالتجوال للأبد في الأرض عقاباً له على ضربه للسيد المسيح.

من المستحيل أن تحب شخصًا وتنجذب إليه بشدة عمدًا، ولكن بإمكانك أن تمنع نفسك عن الانجذاب لأحدهم. بيت القصيد: مستحيل أن تنام عمدًا. ولكن ماذا يعني ذلك؟ يعني ذلك أن الحياة لا تُبطل وأن الحياة الحقيقية هي ما تنكشف للوعي، وأي شيء آخر يخفيها عنا.

٢- ليست الحياة سوى ما ينكشف لنا في الوعي وبالوعي. هذه الحياة لا زمانية ولا مكانية.

٣- في السابق فكرت وظننت أن الحياة هي الوعي. هذا غير حقيقي. الحياة هي ما يكشفه لنا الوعي، وهي موجودة في كل زمان ومكان؛ أي أنها غير زمانية وغير مكانية. أما ضلالتنا فهي أننا نظن أن الحياة هي ذلك الزيف الذي نخفي به الحياة.

٤- ليس الحب جوهر الحياة الرئيس، الحب عاقبة لا سبب. سبب الحب هو وعيي بروحانيتي. يتطلب منا هذا الوعي حبًا كما ينتجه أيضًا.

١٧ يوليو.

حالي الصحية سيئة. فكّرت على فراشي في الآتي:

١- نطلق كلمة «الحياة» على أمرين: وعينا بجوهرنا الروحي الذي يتجلى في العالم - تجلي هذا الجوهر الذي نلاحظه داخل إطار الزمان والمكان. في الحقيقة التعريف الأول هو الحقيقي. لو لم يكن هذا الجوهر الروحي لما كان أي شيء على الإطلاق. كل ما نعرفه عن أي شيء ينبع منه وحده، حتى مفهومنا الثاني عن الحياة ينبع منه؛ المفهوم الذي يجعلنا ننسب إلى الحياة ما لا نعرفه وما نحكم عليه من خلال

ملاحظتنا للكائنات الأخرى وحسب.

إن قال أحد إن ثمة مفهومًا ثالثًا للحياة؛ ألا وهي أنها ما يتجلى في وعينا، أي جوهر كل شيء، هذا كذلك تعريف غير صحيح لأنه يُعرّف الحياة عن طريق رصدنا للظواهر. جوهر كل شيء هو ما نطلق عليه «الله»، ونحن لا نعرفه ولا يمكننا أن نعرفه مع أننا نعرف أنه موجود. رغم إمكانية رصدنا للظواهر الموجودة داخل نطاق الزمان والمكان إلا أننا لا نعرفها كما نعرف الله. يمكننا أن ندرك الله رغم أننا لا نرصده، بينما يمكننا أن نرصد العالم المادي ولا ندركه.

أريد أن أكتب قصة من أجل المجموعة (٣٧٤).

١٨ يوليو.

فكرت مجددًا على فراشي:

١ - مفهوم الحركة غير ممكن إلا بإدراك كيان غير متحرك؛ ألا وهو وجودنا الروحي.

٢ - الحركة التي نعرفها هي مجرد نمو وتوسع أو كل تغيير يلحق بحدود الكائنات. لو لم تكن هناك تغييرات لما كانت هناك حركة.

٢١ يوليو.

حالي الصحية لا تزال بخير، ولا أزال أعيش حياة نامية. حاولت كتابة قصة، لكنني لم أستطع.

(٣٧٤) المجموعة التي أرد أن يكتبها ويجعل عائدها من أجل ضحايا اليهود في كيشينيف.

بينما كنت على فراشي اليوم، فكرت في تعريف جديد للحياة. لا...
ليس جديدًا، لكنه مُصاغ بطريقة مختلفة:

١ - الكيان الروحي اللانهائي، اللا زماني واللا مكاني؛ أي ما نعرف وجوده لكننا لا نفهمه ولا نعرف سماته هو الله. يتجلى لنا هذا الكيان في إطار جسدي. نطلق كلمة «الحياة» على وعينا بهذا الكيان، كما نطلق نفس اللفظة على تجليه الذي نرصده خارج كياننا وداخل إطار الزمان والمكان، ونطلق على حياتنا التي يرصدها الآخرون وينقلوها إلينا: تجلي هذا الكائن داخل نطاق الزمان والمكان. الحياة الحقيقية هي الأولى، أما الثانية مجرد تجلٍ لها.

٢ - فكرت في أن التعبير عن كامل علاقتي بالسلطة يتطلب مني ما هو أكثر من صياغة أفكار أو خطابات أو أعمال فنية؛ إني في حاجة لشكل جديد. ربما سأبحث عنه.

٣ - لا يكفي ما كررته لنفسي وللآخرين حتى الآن من قولي ثمة ثلاثة محركات للحياة الإنسانية:

أ - الشعور الذي ينبع من معاملات الإنسان المختلفة مع الآخرين.

ب - المحاكاة والإيحاء والتنويم.

ج - استنتاج العقل.

يُنتج المحركان الأولان ملايين الأفعال، بينما بالكاد يمكننا أن نجد فعلًا يتم على أساس استنتاج العقل. سنجد هذه النسبة داخل كل إنسان؛ أي أن كل إنسان يقوم بفعل واحد على أساس العقل وسط ملايين الأفعال

بدافع من المحركين الآخرين.

البابا وسيرافيم... كم تبلغ قوة الإيحاء (٣٧٥)!

٢٥ يوليو.

كتبت ثلاث قصص خيالية^(٣٧٦). لا تزال سيئة ولكن يمكن العمل عليها حتى تصبح مقبولة. فكرت في ثلاثة أمور. سأحاول تذكرها:

١ - ينصحون القيصر أن يفعل كذا وكذا لصالح الخير العام، بينما هو بالكاد يتمالك نفسه. إن فعل ذلك يماثل أن نجد إنساناً يستند بيديه وأسنانه بفرع شجرة صغيرة فوق هاوية سحيقة بينما ننصحه برفع عارضة فوق الحائط.

٢ - يوضح كل من في السلطة ضرورة الدولة بالقول بأنَّ في غيابها لا يمكن - على حد تعبيرهم - لأي فرد أو مجموعة من الناس أن يحققوا أهدافهم. يمكنني أن أقول أيضاً عن الماشية التي تم ترويضها جيلاً بعد جيل أنها لا تستطيع تحقيق أهدافها إلا عندما تكون مستعبدة.

٣ - أراد الله أن نكون سعداء، لذلك وضع في داخلنا الحاجة إلى السعادة، لكنه أراد كذلك ألا نكون منفصلين عن بعضنا. هذا ما يفسر تعاسة أولئك الذين يسعون إلى سعادة شخصية بهم، لا سعادة عامة. تتمثل أقصى سعادة للإنسان في أن يكون محبوباً، لذا وُضعت بداخله

(٣٧٥) يشير إلى انتخاب البابا بيوس العاشر على كرسي روما، كما يشير إلى قرار الكنيسة الأرثوذكسية الروسية باعتبار سيرافيم قديساً. الأب سيرافيم المقصود هو أحد آباء دير ساروف بمقاطعة تامبوف، وقد مات في ١٨٣٣.

(٣٧٦) أسر حدون ملك آشور - ثلاثة أسئلة - العمل والموت والمرض.

هذه الرغبة، مع ملاحظة أن كثيرًا ما يتم التعبير عن هذه الرغبة بشكل خاطئ؛ أي بالكبرياء والطموح. من الواضح أن على الإنسان أن يحب حتى يكون محبوبًا.

٢٧ يوليو.

حالي الصحية جيدة. أتعافى، والغريب أنني رغم ذلك أشعر بشدة باقتراب الموت. راجعت القصة الأولى. ليست جيدة. اليوم وأمس حالي الصحية أسوأ من ذي قبل. أشعر بآلام في اليدين والساقين والمعدة.

٩ أغسطس.

كنت بخير صحيًا طوال تلك المدة. كتبت في يوم واحد قصة: «الابنة والأب»^(٣٧٧). ليست سيئة. أنهيت القصص الخيالية الثلاثة. عليّ أن أكتب اليوم عن أمر غريب. بينما كنت أفكر في الناس الذين لا أحبهم، أضفت لكل منهم نعتًا من قبيل: اللطيف - المسكين: يبيكوف اللطيف - ياشفيل اللطيف - بويدونوستسيف المسكين. هذا من قبيل الإيحاء. أنظر الآن إلى فلان الذي لا أحبه وأشعر أنه لطيف.

١٢ أغسطس.

حالي الصحية جيدة جدًا. الطقس حار: ٣٢ درجة. بالأمس تحدثت مع ليوفا ونيكيتين، وفسرت لهما رؤيتي للعالم. سأدوّن من هذا الحوار فكرتين:

١ - دراسة المادة هي دراسة حدود الكائنات المختلفة.

(٣٧٧) أحد العناوين المقترحة لقصة: بعد الحفل الراقص.

٢- إن تساءلنا عما هو الأساس: هل هي المادة أم أنه الكيان الروحي، لا يمكن أن يكون هناك شك. نحن نستقي معرفتنا عن المادة من تصورنا المؤسس على انطباعاتنا، بينما معرفتنا بأن أنفسنا هي كيان روحي هي معرفة كاملة.

أنا بخير. رحلت صوفيا إلى موسكو. ساشا سيذهب غدًا إلى آل سوخوتين.

٢٠ أغسطس.

أنهيت القصص الخيالية اليوم، ولم أنته منها جميعًا، بل أنهيت قصتين فقط. لست راضيًا عنهما، ولكن قصة «بعد الحفل الراقص» لا بأس بها. سأذهب اليوم إلى بيروجوفو.

كان عليّ أن أدوّن شيئًا ما، لكنني نسيت.

سأظل أتعلم العيش ما دمت قادرًا على الوقوف حتى لو على ساق واحدة: «كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ». (متى ٥: ٤٨).

٢٧ أغسطس - ليلاً.

كنت في بيروجوفو. سيريوجا أفضل مما كنت أتوقع. سعدت برؤية ماشا. انتهيت من القصة الثالثة، ولم أعد أرغب في العمل على القصتين الآخرين. أنا بصحة جيدة، وأخرج على متن الجواد كثيرًا. بالأمس ذهبت إلى تابتيكوفو (منطقة ريفية). أفكر طوال الوقت في نيكولاي الأول. لا بد أن أنتهي من الرواية، وإلا سدت طريقي أمام الأعمال الأخرى.

خرجت اليوم على متن الجواد بصحبة شيرباك^(٣٧٨). تحدثنا عن حرية الإرادة. يبدو لي أنني حدّدت بدقة ما نسميها: «حرية الإرادة»:

للحياة الإنسانية جانبان: الروحي والجسدي، وكلاهما لا يسمح بالحرية. تُعد الأفعال في كلا الجانبين نتيجة لأسباب هي بدورها نتائج لأسباب أخرى أكثر بعدًا، ولا يمكن في هذا المجال أو ذاك أن تتم أي أفعال حرة؛ أي غير مرتبطة بأسباب. هذا يعني أن الإنسان إن لم ينقل وعيه من المجال الجسدي إلى الروحي، لن تكون ثمة حرية. لكن الإنسان حر لأن بإمكانه أن يخرج من نطاق الوعي الجسدي إلى الوعي الروحي، ولأن هذا تحديدًا هو جوهر حياة الإنسانية. تتلخص حرّيته تحديدًا في عملية الانتقال من الجسدي إلى الروحي. الإنسان ليس حرًا في المجال الجسدي، وبالتالي ليس حرًا أيضًا في المجال الروحي، لكن الأمر لا يقتصر على أن غياب الحرية في المجال الروحي ليس كريهًا ولا يبعث الضيق في الإنسان، بل أيضًا يبعث فيه الفرح. غياب الحرية في المجال الروحي يعني خضوع الإنسان لقانونه. هذا يعني أن غياب الحرية في المجال الجسدي يعني دائمًا الإزعاج والضيق. بالتالي كلما نقل الإنسان وعيه من المجال الجسدي إلى الروحي، ازداد حرية.

غداً سيوافق ٢٨ أغسطس، وإن كان لي عمر سابلغ الخامسة والسبعين.

(٣٧٨) أنطون بيتروفيتش شيرباك: ابن لأحد التجار وأحد المشاركين بالحركة الثورية في الثمانينات، ومع مرور الوقت ازداد اقترابًا من منظور تولستوي. ذهب أيضًا إلى كندا وكتب مقالة عن الدوخوبورين.

لا أزال حيًّا، لكنني لست بخير صحياً. خرجت في يوم ٢٩ أغسطس على متن الجواد فوطاً قدمي، وشعرت بفيض الصفراء في جسدي، وأشعر طوال الوقت بالاعتلال وقدمي لم تتعافَ بعد. كان يوم ٢٨ ثقيلاً على النفس. بدت لي التهنئات بعيد ميلادي مزعجة وكريهة. إنهم غير صادقين في قولهم «كاتب روسي العظيم»، وبقيّة هذه الحماقات. حمداً لله، لا يدغدغ أي إطراء كبريائي. ربما ليس لديّ شيء من الأساس أنال عليه الإطراء.

فكرت في فكرة شديدة الأهمية، لكنني لم أصلُ إلى نهايتها. سأعود إليها فيما بعد، أما الآن سأدوّن بحسب ما أتذكر:

١- كثيراً ما أخلط بين شخصيات بناتي وبعض أبنائي وأصدقائي ومن يُشعروني بالضيق. إن وعيي لا يتضمن شخصيات مفردة، بل كائنات روحية جماعية، لذا خطئي لا يتمثل في الخلط بين شخصيتين، بل إنني أخطئ حينما أعتبر كل إنسان كائناً منفصلاً.

الفكرة غير واضحة، لكنني أفهم ما أقصد قوله.

٢- عن الأدب. أحاديث عن تشيخوف: بينما كنت أتحدث عن تشيخوف مع لازاريفسكي^(٣٧٩) اتضح لي أن تشيخوف قد حقق تقدماً كبيراً في الشكل الأدبي، تماماً كبوشكين، لكنه ليس لديه محتوى حقيقي

(٣٧٩) كاتب روسي، كان يُكنّى إعجاباً شديداً لتشيخوف، وهو من نقل له كلمات تولستوي عنه: "تشيخوف هو بوشكين الشر".

كبوشكين أيضًا. ثمة سوء تفاهم بالنسبة لجوركي. يعرف الألمان جوركي ولا يعرفون بولينز (روائي ألماني).

٦ سبتمبر.

منذ أن سقطت وأنا أشعر بالضعف الشديد. جاء دوبرولوبوف وهو مسيحي حقيقي^(٣٨٠). لقد أحببته. لديّ كومة هائلة من الخطابات، وعليّ أن أجيب عنها. لم أدوّن شيئًا.

٨ سبتمبر.

فوتّ يومًا. حالتي الصحية أفضل. كتبت خطابات، وعليّ أن أدوّن أفكاري عن الله والحياة الأبدية:

١ - إلى مَنْ لا يعرف كيف يمكن لحاسة أن تكشف حاسة أخرى: أنا جالس، أرى أمامي صندوقًا. أنحرك صوبه، فأتبين أنه ليس صندوقًا، بل ظل مصباح على الحائط. أطوي أصابعي وأنظر من خلالها فأظن أن ثمة كرتين. أسمع أصواتًا أظنها أجراسًا، ويتضح أنها لصياح ديك رومي. أشم روائح كريهة وأتبين بعدها أنها رائحة بيض... إلخ. تخذعنا حواس الرؤية والسمع والشم واللمس والتذوق، وينكشف لنا هذا الخداع بتغير الموقف أو بفحصه من قِبل حاسة أخرى. هذا يعني أن كل ما نعتبره موجودًا يمكن أن يكون مختلفًا تمامًا إن تغير الموقف أو فحصت حاسة جديدة الأمر. سوف نتمكن في ما تبقى لنا من الحياة أن نصلح بعض أخطاء حواسنا، لكننا لن نصلحها كلها، فإن أصلحنا كافة ما ضللنا فيه

(٣٨٠) شاعر ومفكر ديني.

في هذه الحياة لم يكن لحياة جديدة إذن أن تُوجد.

كل ما نعرفه بشكل عام - عدا الأنا الروحية للإنسان - ليست نتاج معرفة مباشرة، بل عن طريق انطباعات الحواس فينا.

يمكن أن تتسم انطباعات أدنى الحواس بالكمال أكثر فأكثر، ولكن حتى أكثرها كملاً لن يمنحنا أبداً معرفة كاملة، بالتالي يمكنها أن تزداد كملاً إلى الأبد.

٢- لا يمكن لفكرة أننا لا ندرك الأمور في ذاتها داخل أنفسنا - عدا معرفة المرء بأناه الروحية - أن تثبت أن لا وجود لشيء سوانا، وأننا لا نستطيع أن نعرف شيئاً. ثمة كائنات أخرى منفصلة عن الكيان الكلي موجودة مثلنا. عندما نتواصل معهم نعرف ذلك بفضل الإشارات التي ترسلها لنا حواسنا، لذلك فهم موجودون مثلنا أيضاً.

٣- مدهش هو شعورنا بالمفاجأة الشديدة عندما نتحرك بدافع من الشره المهلك، عالمين أننا سوف نُعاني، كما أنه من المدهش أيضاً شعور أولئك الذين يبددون ضيعاتهم بالمفاجأة. من المفاجآت المدهشة أيضاً وجود أولئك الذين لا يفكرون في الموت، وبالتالي لا يفكرون في الحياة.

٢٢ سبتمبر.

استغرقت عدة أيام؛ أكثر من أسبوع، في كتابة مقدمة عن شكسبير^(٣٨١). صحتي جيدة. قدمي تتعافى. أفكاري قليلة. سأدوّن ثلاثة

(٣٨١) بدأت مقالة تولستوي الشهيرة عن شكسبير والمسرح كمقدمة لكتاب إرنست كروسيبي (شكسبير والطبقة العاملة).

أفكار. حمدًا لله أشعر بالهدوء ولا أتعامل بجور.

٦ أكتوبر.

اضطربت حالتي الصحية قليلًا، ولا أزال في نفس حالة الخمول والفقر الفكري. أكتب طوال الوقت في مقدمتي لكتاب كروسي (عن شكسبير). لم أدون أفكارًا سوى الآتي:

- ١- تتألف كافة تصوراتنا ومعارفنا من عنصرين: الانطباعات التي تتركها لنا حواسنا بالإضافة إلى ما نتظره، والطريقة التي نفسر بها الانطباع.
- ٢- من غير الأخلاقي أن يحيا المرء ويسلك بهدف إرضاء رغباته الآنية وحسب، دون أن يفكر في الآخرين والمستقبل. كلما تحدد الفعل بعلاقات تربطه بعدد كبير من الكائنات واتخذ وفقًا لزمنا لا يزال بعيدًا عنا، ازدادت أخلاقيته. لا يكون الفعل أخلاقيًا تمامًا إلا عندما تشترطه علاقات بالكيان الكلي والزمان اللانهائي، أو يكون غير مرتبط بالزمان من الأساس، وكذلك عندما يتم باسم الله فعلاً.

١٤ نوفمبر.

لم أدون يومياتي منذ خمسة أسابيع. انشغلت طوال هذه المدة بمقالاتي عن شكسبير ونجحت في كتابتها ويبدو أنني وصلت إلى نهايتها. لا يمكنني أن أفخر في هذه الفترة بطاقتي العقلية، لكنني في حالة روحية جيدة. منذ ثلاثة أيام أصبت بنوبة صفراوية شديدة^(٣٨٢).

كنت أفكر في الموت بهدوء تام. أعاني فقط من نفاذ الصبر فيما

(٣٨٢) إفراط في إفراز الصفراء واعتلال بالكبد.

يتعلق باحتمالية أن أعاني طويلاً. بالطبع هذا أمر خاطئ؛ لأن صنوف المعاناة نفسها قد تكون مفيدة لهدف الحياة الأبدي. فهمت جزئياً أن الأمور قد تكون كذلك، لكنني لم أفهم ذلك بكامل كياني.

ذهبت إلى بيروجوفو، في يوم ٩ بقدر ما أتذكر. سرّرت كثيراً بلقائي بأخي. إنه يذوي جسدياً وينمو روحياً كما هو الحال معي. لكنني أشعر بالسرور على نحو خاص لرؤية ذلك يحدث بداخله بهذا الصدق وتلك البساطة المميزين. بينما كان يُحدّثني عن حزنه ومرضه قال: «لقد ألقى الله بنظره عليّ»^(٣٨٣) كما يقول الفلاحون.

دوّنت الآتي في دفتر الأفكار:

١ - عندما تكون حياة الناس لا أخلاقية، وتتأسس على الأنانية لا الحب، تؤدي كافة مناحي التقدم التقنية وزيادة سلطان الإنسان على الطبيعة مثل القوة البخارية والطاقة الكهربائية والبرق وكافة أنواع الآلات والبارود والديناميت إلى ترك نفس الانطباع الذي تتركه فينا ألعيب خطيرة موجودة في يد بعض الأطفال.

٢ - لم يكن من الممكن لأغبي تصوراتنا عن الألوهية (اللانهاية) والحياة الأخرى أن توجد لولا هذا المستوى العالي من التنوير الذي وصلت إليه الإنسانية. إن لم يصل الإنسان إلى هذه الدرجة التي يكون فيها على معرفة بكافة العلوم ويتحدث بكافة اللغات وإلى درجة سامية من دقة الأفكار والقدرة المنطقية؛ أي إن لم تكن لديه تصورات عن الله

(٣٨٣) كان بعض الفلاحين الروس يرون في الأحزان والأمراض زيارات إلهية، إشارة إلى فائدتها إلى الحياة الروحية.

(اللانهاية) والحياة الأخرى (الحقيقية) ولم تكن لديه علاقة بالكيان الكلي، سيكون مثل إنسان أدنى درجة من تلك العجوز الأمية التي تؤمن بالخرافات والعذراء المقدسة والأب المخلص ومرور الروح بعد الموت بالمظهر ثم المعاناة إلى الأبد في الجحيم أو النعيم الأبدي في ملكوت السماوات. إنها أكثر تنويرًا من الأول؛ لأن لديها إجابة على السؤال الرئيس في الحياة: لماذا تعيش وماذا ينتظرها؟ أما الأول، لديه كافة تلك الإجابات المراوغة على أعقد الأسئلة وأكثرها تفاهة بينما ليست لديه إجابة على السؤال الرئيس المهم لكل إنسان عاقل، ألا وهو: لماذا يعيش وما الذي في انتظاره؟

٣- عادة ما يظن الناس أن التقدم يتمثل في زيادة المعارف وتطوير الحياة، لكن الأمر ليس كذلك. يتمثل التقدم في الاستجلاء المتزايد للإجابات عن الأسئلة الرئيسة للحياة وحسب. يمكن دائمًا أن يصل الإنسان للحقيقة. لا يمكن للأمر ألا يكون كذلك؛ لأن روح الإنسان هي شرارة إلهية؛ أي إنها هي الحقيقة ذاتها. كل ما يلزم هو أن ننزع عن هذه الشرارة الإلهية؛ أي الحقيقة، كل ما يضببها. لا يتمثل التقدم في زيادة الحقيقة، بل في تحريرها من كل ما يحجبها. الحقيقة كالذهب؛ فنحن لا نكتسب الأخير بزيادة قدره، بل بنزع كل ما هو ليس ذهبًا منه.

٤- كان من الممكن أن يكون الموت بمثابة عذاب معنوي رهيب إن كان يحل على الإنسان في الوقت الذي يتمتع فيه بكافة قواه. يُسهّل المرض والشيخوخة اقترابه من الإنسان. لكن حتى الموت العنيف الناتج عن تأثر المرء بجروحه أو الاختناق... إلخ، لا يحل على الإنسان في

لحظة واحدة، بل تُعد المعاناة الجسدية الإنسان له. كل ما في الأمر أن في هذه الحالة يجري الاستعداد بصورة أسرع من الحالة الأولى.

٥- يبدو الإنسان مؤلَّفًا من كائنين: الأول جسدي، يضعف باستمرار ويمضي صوب الموت، وفي هذا يقول لاو تسو بروعة إن ما هو ضعيف ولين كالطفل، شديد القوة ومفعم بالحياة، وهكذا يقترب الإنسان من الموت بقوة وصلابة. هكذا تمضي الحياة الإنسانية الجسدية صوب الفناء، من لحظة الولادة وحتى الموت. ولكن ثمة حياة إنسانية أخرى؛ الحياة الروحية، وهي تنمو منذ لحظة ولادة الوعي حتى الموت. إن لم يعرف الإنسان هذه الحياة الثانية سيكون تعيشًا حقًا، مثل إنسان محكوم عليه بالإعدام. لكن يلزم فقط أن يدرك الإنسان أنه كائن روحي، وحينها سيرى العكس؛ أي أن حياته لن تكون بمثابة هلاك دائم، بل نمو دائم لما يعتبره: نفسه.

٦- يُعلِّمون الجنود أن يموتوا أثناء القيام بواجبهم، ويقوم الكثيرون بذلك فعلاً ويموتون وأسلحتهم بين أيديهم. لماذا يستحيل إذن على الإنسان المسيحي الذي يرى الحياة في خدمة الله والسعي صوب الكمال أن يموت وسلاحه بين يديه؛ أي يموت أثناء قيامه بواجبه؟ ثمة إمكانية لتحقيق ذلك، فكلما هرم الإنسان، أو اقترب من الموت بشكل عام، ازداد تأثير وأهمية نشاطه. تأسست دائمًا قواعد احترام الشيوخ على تلك الفكرة.

٧- وجدت الآتي مدونًا في دفترتي: «الجسد هو العضو المسؤول عن التواصل مع العالم» في الوقت الذي أقول فيه إن الجسد يُمثل حدود

انفصالي عن العالم. ينتمي الحد دائمًا إلى جزء من جزء من الجانب الآخر لما يُقسَّمه. جسدي إذن هو الجانب الداخلي لحدي. لقد تم تصميمه للتعامل مع العالم الخارجي.

عبرت بصورة سيئة، لكنني أفهم المقصود.

٨- أعرف أمرًا واحدًا بآراء تمامًا يُشكِّل أعظم خير للعالم: إنه حب الناس عندما يحبونك. لكن من المستحيل أن ننال ذلك بالسعي صوبه؛ أي السعي صوب حب الناس. الوسيلة الوحيدة لنيل ذلك هي تنفيذ قانون الحياة وإرادة الله؛ أي السعي صوب الكمال. هذا هو الخير الأعظم، وكل ما عدا ذلك من خيارات سوف يقترب منك تلقائيًا إن بحثت بصدق عن ملكوت الله.

٩- قرأت المقالات الجامعية لجيجدز^(٣٨٤). يدرك الشاب الفقير الصادق حماقة العلم الجامعي والحضارة بأكملها ويشعر بالهلع أمام هذا الانحلال الذي يجد نفسه يعيش وسطه. عندما يتحدث في أحد المواضيع عما يجب فعله والهدف الذي يجب أن يضعه نصب عينيه، ويقرر مقدمًا أن مثل هذا الهدف لا يمكن بالطبع أن يكون تطوير الذات سعيًا صوب الكمال، يمر ببقية الأهداف ولا يرضيه أي منها. فليسامح الله أولئك الذين غرسوا - ولا يزالون - في أجيالنا الفتية فكرة أن النشاط الخارجي هو أمر ضروري يستحق المديح، بينما تحسين الذات سعيًا صوب الكمال، وهو الأمر الوحيد الذي يمكنه أن يشبع كافة متطلبات روحه وكافة شروط

(٣٨٤) طالب بجامعة بطرسبرج ومؤلف عدة قصص جذب الانتباه إليه بكتابه في الجامعة (مشاهد هزلية من الحياة الطلابية)، حيث وصف فيه خواء الحياة الجامعية.

حياته المادية ليس أمرًا غير ضروري فحسب، بل إنه ضار ويدعو إلى السخرية. يتقدم هذا الشاب المسكين متعثرًا باحثًا عن هدف جدير به في الحياة، وبالطبع يضل هذا الكائن المسكين ويتوقف عند حب المرأة، متصورًا بسذاجة أن هذا الحب يمثل مهمة الإنسان الرئيسة والأسمى. ولأنه لم يجد أمامه أي أهداف روحية، تصور تلقائيًا أن الرغبة المزروعة داخل طبيعة الإنسان الحيوانية لاستمرار النسل، والتي يُعبر عنها بدرجة أو بأخرى في صورة الحب الشعري، هي أسمى أهداف الإنسان. أود أن أكتب قليلًا عن ذلك الأمر.

٢٤ نوفمبر.

لا أزال أعمل على مقدمة شكسبير وجاريسون^(٣٨٥)، ويبدو أنني انتهيت منهما تقريبًا. حالتي الصحية جيدة، لكنني في حالة بلادة عقلية. فكّرت لتوي في فكرة تبدو لي شديدة الأهمية؛ ألا وهي:

١ - ندرك في داخلنا حيتين؛ حياة روحية ندرکها بوعينا الداخلي، وأخرى جسدية ندرکها بملاحظاتنا الخارجية.

عادة ما ينكر أولئك الذين يرون أن الحياة الروحية هي الأساس - وأنا منهم - واقعية وضرورة وأهمية دراسة الحياة الجسدية. من الواضح أن ذلك يجعلهم غير قادرين على الوصول إلى نتائج نهائية. هكذا أيضًا يفعل أولئك الذين يعترفون بالحياة الجسدية وحسب، فهم ينكرون

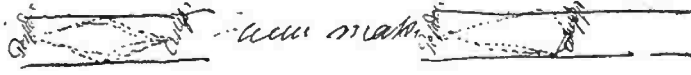
(٣٨٥) ويليام لويد جاريسون: أحد أكبر النشطاء الأمريكيين في مجال تحرير الزوج وحقوق النساء، وقد كتب تشير تكوف كتابًا عنه، أراد أن يكتب تولستوي مقدمته.

تمامًا الحياة الروحية وكل النتائج المترتبة عليها، أو ينكرون - على حد قولهم - الميتافيزيقا. من الواضح لي تمامًا الآن أن كليهما غير محق، وأنَّ لكلا المعرفتين المادية والميتافيزيقية أهمية عظيمة، بشرط ألا نستخلص منهما نتائج غير ملائمة. يمكننا عبر المعرفة المادية المؤسسة على ملاحظة الظواهر الخارجية أن نستنتج بيانات علمية؛ أي ما يتعلق بعمومية الظواهر، ولكن يستحيل أن نستنتج منها أي شيء بإمكانه أن يرشد حياة الناس، الأمر الذي حاول الماديون كثيرًا فعله؛ على سبيل المثال: الداروينيون. يمكننا أن نستنتج قوانين الحياة الإنسانية - بل وواجب علينا - عبر المعارف الميتافيزيقية المؤسسة على الملاحظة الداخلية: كيف نعيش؟ ما الهدف من حياتنا؟ هذا ما تفعله كافة التعاليم الدينية، ولكن يستحيل أن نستخرج منها قوانين الظواهر أو ما يتعلق بعمومية الظواهر المادية؛ الأمر الذي حاول الكثيرون فعله. لكل نوع معرفة منهما إذن أهميته ومجاله.

٢- يحدث كثيرًا وسط حوار جاد عن مواضيع الحياة الروحية أن تنتهك تفاهة يتفوه بها أحد المتحدثين أهمية الموضوع وتنقله إلى منطقة أخرى تمامًا. يتحدثون مثلًا عن الخصائص الروحية للإنسان رفيع الخلق، وفجأةً يتذكر أحدهم كيف شرط هذا الشخص وسط الجمع، فيجد الجميع أنفسهم يضحكون تلقائيًا ويتلاشى الاهتمام كله بالموضوع الرئيس، ولو لبرهة من الزمن. كثيرًا ما يكون المزاح فاحشًا، وينقلنا من المجال الروحي إلى الجسدي.

لم أنجح في التعبير عن الفكرة.

٣- يمكننا تصوير الحياتين اللتين يعيشهما الإنسان على هذا النحو:



تُمثِّل الخطوط المنقطّة الحياة الجسدية: الولادة، النمو، الشيخوخة، الموت، وهلاك الحياة الجسدية، بينما تُمثِّل الخطوط السوداء في الجانبين الحياة الروحية العامة الأبدية والحقيقية والخالدة.

بينما يعيش الإنسان حياته الجسدية يتصل آجلاً أو عاجلاً بالحياة الأبدية، وينقل إليها أناه. حينها تجري حياته الجسدية بأناه تلقائياً دون أن يدركها. يشعر أن الحياة الجسدية وهمية، ليست المستقبلية فحسب، بل والماضية أيضاً. ما إن يصل الإنسان إلى الحياة الحقيقية، حتى يطرح عنه الحياة الجسدية التي لم تعد ضرورية له. لقد كانت بمثابة درجة للصعود إلى الحياة الحقيقية، ولم تعد لازمة له. كانت بمثابة سلم. إنها مؤقتة، تتضمن بداخلها الماضي والمستقبل حتى يمكن للإنسان أن يُحدّد فيها هدفاً يسعى إليه. أما الحياة الحقيقية الروحية العامة التي تتمثل في الشكل بخطوط سوداء لا نهائية ممتدة إلى كُلِّ لا تتضمن أي أهداف صالحة للإنسان، لذا فهي غير زمانية.

أحياناً يحدث الانصهار بين الحياة الجسدية والأبدية دون أن يلحظه أحد، وأحياناً يحدث في صورة تدفقات انفجارية، وأحياناً مبكراً، وأحياناً متأخراً. حدث معي ذلك مثلاً في صورة تدفقات انفجارية. إنها فترات مباركة. أظن أن مثل هذا الانصهار يحدث للجميع.

أنهيت المقدمة. لا بأس بها. كتبت بضعة خطابات. يا لتعاسة أندريوشا^(٣٨٦)! لم أنتهِ بعد من مقالة شكسبير، وإن كنت قد قاربت على إنهاؤها. كانت حالتي الصحية جيدة جدًا طوال تلك الفترة. عليّ أن أدوّن أمرين:

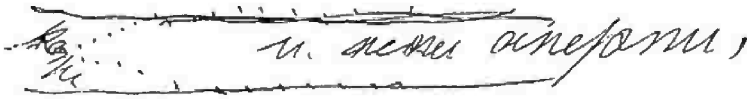
١ - كنت أفكر مؤخرًا على فراشي في الحياة ومغزاها والله، وفجأة لم تعد الأفكار واضحة، وشعرت بهلع الشكوك. أصبح الأمر غريبًا وانقبض قلبي، لكن الأمر لم يدُم طويلًا. مصدر الهلع في الشكوك هو استحالة الصلاة لأن أحدًا لا يسمعك، وبالتالي لا يتوجب عليك فعل شيء. إني لا أخشى الموت؛ بل غياب المعنى. لم يستمر ذلك طويلًا. مع وصول أول ضوء لامع أدركت أن أساس كل شيء هو دائمًا ذاك مَنْ أتيت منه وإليه أذهب. ثم سطع فيّ الوعي بما تريده مني تلك القوة التي أرسلتني إلى هنا، وشعرت بالراحة وفارقتني الشكوك. ما حدث كان مجرد عملية تعقيم جسدية عرفت منها أمرًا مهمًّا؛ ألا وهو أنني في حالة نوم جسدية، وأن أسمى قواي الروحية في حالة سبات. على المرء ألا يطرح أسئلة في هذه اللحظات بل ينتظر.

كتبت عن عملية الشكوك والتخلص منها بطريقة سيئة، لكنني شعرت بها بقوة شديدة.

(٣٨٦) في ٢٣ نوفمبر فارق أندريوشا (ابن تولستوي) امرأته وطفليه بسبب علاقته بامرأة أخرى، وسيبتهى به الأمر إلى الطلاق منها.

٢- ظننت سابقاً أن جوهر حياة الإنسان يتألف من عملية توسيع الحدود المتزايدة طوال الوقت. هذا غير حقيقي، ولا يمكن أن يكون. لم نوهب أن نعرف جوهر الحياة. كل ما نعرفه هو أن عملية سعي الإنسان صوب الكمال تتألف في معظمها من الاتصال مع الحياة الأبدية غير المُدركة، وفي الاتصال المتزايد لحياة المرء الشخصية بهذين الخطين المتوازيين اللانهائيين الممتدين من النفس.

الحياة المثالية كالآتي:



كتابة حمقاء، لكنني في حاجة إليها.

٣- حلمت أول أمس أنني أكتب قصة كوميدية، لكن مؤثرة عن فلاح يراكم بعض الكلمات غير المفهومة. وكان الأمر جيداً جداً. بشكل عام كان نشاطي العقلي يعمل بحيوية مميزة طوال الليل. تصورت كذلك ثلاثة أنماط شعبية: ماردملاق بطيء الحركة لكنه عرضة لنوبات جنونية حيث يسلك فيها كالوحش. الثاني ثرثار متبجح، شاعر، لطيف، يسلك أحياناً بإيثار. الثالث أناني، لكنه أنيق وجذاب وموهوب وزير نساء.

أريد أن أكتب كل يوم بعض الذكريات.

٢ ديسمبر.

حالي الصحية متوسطة. لا أزال منهمكاً طوال الوقت في العمل على مقالة شكسبير، وقررت أن أتوقف عن الكتابة فيها في أوقات

الصباح، وأن أبدأ مقالة أخرى جديدة أو مسرحية أو أكتب عن الدين أو أنهي "السند المزيف". إن وجدت في نفسي الرغبة في العمل بفترات المساء، سأراجع شكسبير، وأكتب بعض ذكرياتي. لم أكتب منذ يومين. فكّرت في فكرة جيدة، وكنت سأدونها، لكنني نسيتها.

٧ ديسمبر.

لم أكن بخير صحياً في اليومين الأخيرين بسبب آلام الكبد. لم أفعل شيئاً سوى مراجعة شكسبير. جاء حشد كبير من الزوار: آل سوخوتين - بولانجي - جوزيا (أحد أقارب تشيرتكوف) - سيريوجا - ناتاشا أبولينسكايا. فكرت في فكرة جيدة جداً، ولم أدونها، وبالتالي نسيتها. سألت جوزيا عن أحوال الدوخوبوريين، وما وصلني منه لم يكن جيداً^(٣٨٧).

١٩ ديسمبر.

تحرزني تصرفات أندريوشا. أحاول القيام بما يمكنني القيام به. حالتي الصحية جيدة جداً، لكن نشاطي العقلي واهن طوال الوقت. أحاول تقبل هذا كأمر واجب حدوثه، وقد حققت ذلك جزئياً. أنهيت العمل على شكسبير، وبدأت أكتب عن معنى الدين، لكنني كتبت بدايتين مختلفتين، وكتاهما سيئة. كتبت قليلاً من الذكريات، لكنني لم أستم فيها للأسف. لم تعد لي رغبة. فكّرت في السند المزيف، لكنني لم أكتب فيها.

دوّنت بعض الأفكار في دفثري:

(٣٨٧) قضى جوزيا عائماً في كندا، وبالتالي كان مطلعاً على أحوال الدوخوبوريين هناك.

١ - قرأت ما كتبه ماكدونالد^(٣٨٨) عن تطور الحس الديني في الحيوانات، وحتى في الإسفنج. كتبت عن ذلك لتشيرتكوف. يتمثل خطؤه في أنه يتعامل مع الوهم كشيء حقيقي، مثلما يحدث معنا حينما نختبر شيئاً داخل إطار الزمان والمكان بينما هو متوارٍ داخل اللا نهائية، تماماً كما يظن البسطاء من الناس أن قبة السماء شيء حقيقي. في الحقيقة يرى ذلك الإنسان الذي يدرك جوهره الروحي دائماً وسط الزمان والمكان، كما يرى نفسه تتحرك وكذلك كل شيء آخر يتحرك من حوله. هذه الحركة التي يراها وكل من حوله داخل إطار المكان ليست إلا شرط ضروري لانفصاله. كل شيء يتحرك، ويتمثل له هذا العالم المتنوع داخل إطار المكان لسبب واحد؛ ألا وهو أن الإنسان يدرك نفسه كائنًا منفصلاً عن بقية الكائنات. لو لم يكن كذلك لما كانت هناك حركة ولما كان هذا التنوع في كل ما هو موجود.

يبدو للإنسان ككيان منفصل أنه يتحرك، وأن العالم كله يتحرك من حوله. لكن في الحقيقة ذاك ما يدركه بداخله لا يتحرك، لكنه يدرك نفسه دائماً وسط إطاري الزمان والمكان، وسط حالة من اللا وعي وقليل من الوعي، ويسعى دائماً إلى الاندماج مع وعي الكائنات المنفصلة الأخرى. يمكنه أن يحقق ذلك بإنكار الشهوات وبالحب ونقل الحب من مجال نفسه إلى الآخرين. ما الهدف من ذلك؟ لا نعرف ولا يمكننا أن نعرف. إن حياتنا هي أنفاس الله.

بعض ما كتبه هراء، وبعضه ليس كذلك.

(٣٨٨) جريفيل ماكدونالد: نجل الكاتب الخيالي المؤثر جورج ماكدونالد وزوجته لويزا.

٢- يمكنني أن أضع نفسي مكان أفضع الأشرار وأن أفهمهم، لكني لا أستطيع أن أضع نفسي مكان الغبي، رغم ضرورة ذلك.

٣- نقول: «إن الإنسان وحده حر، بينما يخضع الحيوان لقانون الضرورة. هذا غير صحيح. هذا ما يبدو لنا؛ لأننا لا نرى سوى النتائج الأخيرة والعامة لحياة الحيوانات، لكننا لا نرى هذا الصراع الذي ربما يعايشونه، ولا نلاحظ تلك الاستثناءات التي تحدث للقانون. لو كانت هناك كائنات تتصل بالبشر كما يتصل البشر بالحيوانات، لبدا لها أن البشر خاضعون بشدة لقانونهم، وأن ليست لديهم حرية اختيار، ولما وجَّهوا انتباههم إلى المرات النادرة التي يُخرق فيها القانون، تمامًا مثلما يحدث مع البشر حينما لا يوجَّهون انتباههم للاستثناءات النادرة التي تخرق فيها الحيوانات قانونها.

٤- لا يمكن للشاعر أن يقوم بعمل العالم؛ لأنه لا يستطيع أن يرى شيئًا واحدًا وحسب ويتوقف عن رؤية أي شيء آخر. لا يمكن للعالم أن يقوم بعمل الشاعر؛ لأنه يرى دائمًا شيئًا واحدًا، ولا يمكنه أن يرى كل شيء.

٥- ثمة بشر كالألات، يعملون على نحو رائع حينما تدفعهم إلى الحركة، لكنهم لا يستطيعون التحرك من تلقاء أنفسهم.

٦- المرأة العفيفة حقًا، التي تُكرّس كافة قوة تضحياتها الأمومية التي وهبت إياها لخدمة الله والإنسان هي أروع وأسعد كائن إنساني. (العمة

تاتيانا ألكسندروفنا^(٣٨٩).

٢٠ ديسمبر.

يتضمن كل دين ثلاثة عناصر:

- ١ - علاقة الإنسان بالله، وما يترتب على ذلك من اتجاه أخلاقي.
 - ٢ - تعبير حماسي عن تلك الحقائق، يصل حد الانفعال المفرط.
 - ٣ - تلفيق وكذب عن وعي ولا وعي.
- في الرواقية تغيب عناصر الانفعالات المفرطة والكذب، لذا لا تعتبر ديانة تقريباً.

في المورمونية^(٣٩٠) ما من شيء سوى التلفيق والكذب، أما عناصر الانفعالات المفرطة والتعاليم الأخلاقية زائفة تماماً.

في الإسلام يغلب عنصر الانفعال المفرط، وثمة كذب أيضاً.

العنصر الأخلاقي زائف.

٢٥ ديسمبر.

بدأت الكتابة في «السند المزيف». أكتب بإهمال، لكن ما يُمتعني حقاً هو أنني وجدت شكلاً جديداً معتدلاً للغاية. كنت سأدوّن شيئاً ما لكنني نسيت. أتذكر أمراً واحداً:

(٣٨٩) ابنة عم والد تولستوي، وقد عاشت حياتها مع أسرة تولستوي. كرّست نفسها كاملاً لخدمتهم. بعد موت والد تولستوي، تولت تربيته هو وإخوته وأخواته، ثم عاشت بعد ذلك مع تولستوي في ياسنايا بوليانا حتى ماتت. تأثر بها تولستوي بشدة.

(٣٩٠) حركة مسيحية تأسست في بداية عام ١٨٢٠ على يد جوزيف سميث الابن.

أحاول أن أنام ولا أستطيع، وذلك تحديدًا لأنني أسأل نفسي: هل نمت؟ وذلك يعني أنني واعٍ بنفسي. الوعي هو الحياة. إن وعيت بنفسي عند الموت، فهذا يعني أنني لن أموت.

٢٩ ديسمبر.

حالي الصحية بخير. صقيع. لم أكتب منذ يومين. أفكر في الدين. بدأت اليوم التفكير في الآتي:

لم يحدث أن عاش الناس أبدًا دون دين. نحن الفئة القليلة التي أخذت على عاتقها مهمة تعليم الغالبية، نعيش من دون دين ونعتقد أننا لسنا في حاجة إليه. هذا منبع كافة بلايا الناس؛ لأن الحياة في غياب الدين مستحيلة، وذلك للأسباب الآتية:

١- وحده الدين ما يمكنه أن يَسم تعريفًا بالخير أو الشر، لذا يمكن للإنسان على أساس الدين وحسب أن يختار من بين كافة الاختيارات التي يمكنه أن يرغب فيها، ويكون ذلك في تلك اللحظات التي تصمت فيها شهواته.

٢- لا يمكن للإنسان أبدًا في غياب الدين أن يعرف ما إن كان ما فعله صالحًا أم شريعًا.

٣- وحده الدين ما يمكنه أن يدمر الأنانية، فالإنسان لا يمكنه ألا يعيش من أجل ذاته إلا تلبية للمتطلبات الدينية.

٤- وحده الدين ما يمكنه أن يقضي على الخوف من الموت، لا بمعنى أن يسير الإنسان وسط مخاطر الموت أو حتى يقضي على حياته،

بل بمعنى أن بإمكانه أن ينتظر الموت بهدوء.

٥ - وحده الدين ما يمنح الإنسان معنى للحياة.

٦ - وحده الدين ما يؤسس للمساواة بين الناس.

٧ - وحده الدين ما يُحرّر الإنسان من كافة القيود الخارجية.

دَوَّنت شيئاً ما، لكن الوقت قد تأخر وسأنام الآن. حالتي الروحية جيدة. صوفيا واهنة، وأشعر صوبها بالأسف والحب الشديدين.

٣٠ ديسمبر.

خرجت في نزهة على متن الجواد. درجة الحرارة - ٢٠. حالتي الصحية جيدة، لكن ليست لديّ قوة للعمل، مع أنني فكرت في أمور كثيرة. أريد أن أكتب الآتي:

١ - قصة شعبية عن ملاك قتل طفلاً^(٣٩١).

٢ - قصة فلاح يرفض الذهاب إلى الكنيسة^(٣٩٢).

٣ - قصة عن أحد المنشقين في السجن بصحبة ثوري^(٣٩٣).

٤ - عن حالتي النفسية البليدة الضعيفة.

٥ - عن: « مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعَ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِنُهْلِكَنَا! »^(٣٩٤).

(٣٩١) قصة بعنوان (صلاة).

(٣٩٢) قصة بنفس العنوان، نشرها وسط قصص أطفال.

(٣٩٣) المنشقون: هم طائفة دينية روسية انشقت عن الكنيسة الأرثوذكسية، قصة (الإلهي والبشري).

(٣٩٤) بخصوص الاستشهاد الإنجيلي، راجع حاشية ٣٦٩. لم يكتب تولستوي أي قصص عن الموضوعين الأخيرين.

دَوَّنت الآتي:

١- إن أردت أن تختبر كافة السرور الذي يمكن أن يبعثه العمل الصالح في نفسك، قُمْ به خفية، على مرأى من نفسك وحسب؛ أي أمام وجه الله. لن يصبح العمل الصالح خارج نفسك، بل بداخلك.

٢- ثمة ثلاثة محركات تدفع كل إنسان: إما أن يستسلم لشعوره، وإما أن يخضع للإيحاء، وإما أن يخضع للعقل فحسب. والأخير يمثل أنسب حياة للإنسان. تنقضي حياة الإنسان وسط الصراع الدائر بين هذه المحركات الثلاثة. يتحرر الإنسان في البداية من الشعور، ثم من الإيحاء ثم من عقله ويخضع بعدها للعقل الأبدي وحسب؛ أي الله.
تفسير غير كافٍ (٣٩٥).



(٣٩٥) بعد هذا الموضوع يورد تولستوي جزءاً من المخطوطة الأولى لقصة (الإلهي والبشري). لم أورد هذا المقطع؛ لأن القصة مترجمة كاملاً في كتاب "السيد والخادم" ترجمة صياح جهيم، كما أنها مقاطع أولية غير كاملة جرت عليها بعد ذلك تعديلات كثيرة.

